الأكراد

دراسة جغرافية اثنوغرافية

الدكتور شاكر خصباك

ساعدت جامعة بغداد في نشره

مطبعة شفيق – بغداد ١٩٧٢

الدكتور شاكر خصباك

الأكراد

دراسة جغرافية اثنوغرافية

ساعدت جامعة بغداد في نشره

مطبعة شفيق ١٩٧٢



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هناك امثلة عربية قديمة تمثل المتاعب التى كان يلقاها المزارعون العرب فى الايام السالفة على ايدى جيرانهم الاكراد الرعاة كلما حل بهم الجفاف فساقهم نحو السهول الغنية • وبالرغم من ان العرب لم يعودوا يتداولون تلك الامثلة فى الوقت الحاضر لانتهاء حالة القتال بين الرعاة والزراع ، الا ان شخصية الكردى ومميزاته الحضارية ما تزال غامضة المعالم فى اذهان الكثيرين منا نحن العرب ، حتى الذين اصابوا قسطا طيبامن الثقافة • وهذا وضع مؤسف فى بلد يبلغ فيه الاكراد خمس السكان على الاقل ، ولابد من نشر دراسات ضافية عن التاريخ والتراث الكردى •

ولقد اهمل الدارسون عموما موضوع الاكراد فلم تصدر عنهم سوى دراسات علمية قليلة جدا • وزعم بعض الدارسين ان العنصر الكردى جزء من العنصر التركى ، واكد اخرون انه جزء من العنصر الايرانى ، بل وذهب البعض الى القول انه جزء من العنصر العربى ، هذا بالرغم من ان لغتهم الهندية ـ الاوربية ذات مميزات أصيلة •

وقد وصفت لغتهم ايضا بانها فرع من اللغة الفارسية ، كما وصفها اخرون بأنها لغة تركية مشوهة ، مع انها لغة كردية مستقلة المعالم •

اما اخلاقهم وعاداتهم فقد تعرضت لتشويه بالغ على يد كتاب متحيزين ورحالة يلعب الخيال بأقلامهم • ودأب طائفة من اولئك الرحالة على اختلاق قصص وحكايات تدمغهم بالقسوة والوحشية • وقد أصبح اسم الاكراد بفضل امثال اولئك الرحالة والكتاب مرادفا للعنف والقسوة والوحشية • ولا يمكن ان ننكر بالطبع ان الاكراد ، شأنهم شأن بقية شعوب الارض ، قد مارسوا العادات البدائية فى مجتمعاتهم المتخلفة ، لكن ذلك لا يعنى بان الخلق الكردى متميزا بالقسوة والعنف كما حاول اثباته الكتاب المتحيزون• والواقع ان بواعث تحامل اولئك الكتاب على الاكراد لا يعزى الى جهلهم فحسب ، بل الى دوافع اخرى سياسية ودينية • ولقد كان العالم الغربى يجهل الاكراد جهلا تاما حتى القرن التاسع عشر • ثم أصبح اسمهم مقترنا فى أذهان الغربيين بالوحشية والقسوة منذ قاد الامير بدرخان حملاته ضد

المسيحيين فى الثلاثينات من ذلك القرن • واشتدت الدعاية الغربية ضدهم فيما بعد بسبب اصطدامهم المتكرر بالارمن والاشوريين ، وصورتهم الدعاية المغرضة بأنهم مسلمون متعصبون يتلذذون بتعذيب المسيحيين • وقد حاول قلة من الكتاب ان يستجلوا الحقائق وراء تلك الاصطدامات فتكشف لهم ان مبعثها لا يرجع الى تعصب الاكراد الدينى وتعطشهم للدماء بل الى الصراع السياسى بين الحكومة العثمانية وحكومات الدول الغربية ، فكانت الحكومة العثمانية تسخر الاكراد دوما لتحقيق اغراضها •

فى ضوء هذه الظروف استبدت بى الرغبة للقيام ببحث عن الاكراد اساهم فيه بتسليط الاضواء على مختلف جوانب تراثهم وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، واخترت لواء السليمانية قاعدة لبحثى • ولواء السليمانية هذا واحد من اربعة عشر قسما اداريا ينقسم اليها العراق(×) ، وتبلغ مساحته ٩٥٥٢ كم٢ ، كما يبلغ عدد سكانه ٢٢٦ر٦٠٠ نسمة (× ×)

ويقع اللواء فى الجهة الشمالية الشرقية من البلاد ، وتحاذيه من الشمال والشرق الاراضى الايرانية (ويسكنها الاكراد الايرانيون) ، كما تجاوره من الجهة الغربية والجنوبية اراضى لواء اربيل وكركوك على التوالى (ويسكنها الاكراد ايضا) • ولقد استندت فى اختيار هذا اللواء الى مبررات عديدة ، اهمها المبررات العنصرية • فلواء السليمانية هو الوحيد من بين الالوية الكردية الاخرى الذى يقتصر سكانه على الاكراد (× × ×)

ومما لا ريب فيه ان الوحدة اللغوية لسكان لواء السليمانية تهيء مجالا صالحا لدراسة الاكراد فى مواطنهم الاصلية • كذلك يهيىء البناء الطبيعى للواء واحواله الاقتصادية والاجتماعية غير المتطورة فرصة ممتازة للدراسة الجغرافية • فاللواء يقع كليا ضمن المنطقة الجبلية ، ويتراوح ارتفاع ارضه بين ٢٥٠٠ قدم الى ٧٠٠٠ قدما ، وتحتل ارضه حافات طويلة متوازية تقطعها اودية عميقة • وقد خلق هذا البناء الطبيعى المعقد بمناخه المتنوع انماطا متعددة من النشاطات الاقتصادية والتنظيمات الاجتماعية يتمثل فيها التفاعل بين الانسان والبيئة الطبيعية • وهنالك عامل اخر

(×) لقد استبدلت الالوية بالمحافظات منذ عام ١٩٧٠ ، كما بلغ عدد المحافظات ست عشرة محافظة •

(× ×) بلغ مجموع سكان محافظة السليمانية حسب تقدير عام ١٩٧٢ حوالى ٥٠٣ر٧٠٨ نسمة كما بلغت مساحتها ١١٩٩٣كم٢ •

(× × ×) كذلك حال محافظة دهوك الجديدة •

شجع على اختيار اللواء هو موقعه المتطرف فى اقصى الشمال الشرقى من البلاد • فلقد اتاح هذا البعد عن مركز الحكم وعن التأثير العربى الفرصة للواء للاحتفاظ بانماطه الكردية الاصيلة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية •

وهناك مزية اخرى لموقع اللواء بالنسبة للمناطق الكردية عموما وهو توسطه بين تلك المناطق • فقد ذكرت احدى المراجع الكردية ان الحدود الشمالية للاراضى التى يسكنها الاكراد تتمثل بخط يبدأ فى جبال كرد داغ (فى سوريا) متجها نحو الشمال ومخترقا منطقة كيليس ومرعش والبستان وديفريك حتى نهر كلكيت ، وان الحدود الشرقية تتمثل بخط يمتد من قارص فى اتجاه جنوبى شرقى مخترقا الشواطىء الغربية لبحيرة اورمية ، ثم سنه وكرمنشاه حتى لرستان ومنطقة بختيارى • اما الحدود الجنوبية الغربية فتتمثل بخط يبدأ جنوبى لرستان ويمتد باتجاه شمالى غربى مخترقا مندلى ويمر غربى خانقين حتى تلال حمرين وحتى السلسلة الاولى لجبال شيخان ، ثم ينعطف نحو الشمال الغربى على امتداد سفوح التلال حتى فيشخابور على نهر دجلة ، ثم ينعطف غربا نحو جبل سنجار حتى ينتهى عند نهر الفرات قرب جرابلس (١)• ومن الواضح ان هذا التحديد يجعل لواء السليمانية فى قلب المنطقة •

ولقد بدا ان دراسة اكراد لواء السليمانية يمكن ان تتم على افضل الوجوه باتباع منهج الجغرافية الاجتماعية • وهذا الميدان الفسيح لابد وان يعتمد بالضرورة على ابحاث خارج ميدان الجغرافيا كعلم الانثروبولوجيا والاجتماع والاقتصاد والتأريخ مما يسبغ على الموضوع فوائد اكثر شمولا • ويقتضى تطبيق هذا المنهج توزيع الاهتمام بين العامل البشرى والعامل الطبيعى فكلاهما ذو اهمية حاسمة • فالعامل الجغرافى بعناصره الطبيعية المختلفة يكشف لنا عن تأثير البيئة الطبيعية على الانسان ، بينما يذكرنا العامل البشرى بمقدار الحرية المكفولة للانسان فى استجابته لمتطلبات البيئة الطبيعية وفى تعديلاته لآثارها • وقد التزم البحث بمنهج المدرسة المعتدلة التى لا تبالغ فى تأثير العامل الطبيعى (عامل البيئة) ولا تنتقص من اهمية دور الانسان ، وطبق هذا المنهج فى موازنة العوامل الطبيعية والعوامل البشرية التى اثرت فى خلق وتوزيع الانماط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للمجتمعات الكردية •

---

1. Bulletin du centre d'etudes Kurds, pp.2-4, 1948.

ولقد اقتضى اعداد هذا البحث اتباع وسيلتين ، الاولى عملية تستند الى دراسة ميدانية ، والثانية نظرية تتمثل في استشارة المراجع اللازمة • وقد امضى الكاتب بضعة شهور يتجول في لواء السليمانية والالويه الكرديةالاخرى ويستطلع آراء سكان المنطقة في مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ويسجل في الوقت ذاته ملاحظاته الشخصية • اما الجانب النظرى فقد احاقت به صعوبات كثيرة ، فالمراجع العلمية عن الاكراد قليلة للغاية ، وكتب الرحلات التى تتحدث عن كردستان والاكراد حافلة بالمتناقضات والحكايات الخيالية • وقد افاد المؤلف فائدة كبيرة من التقارير التى تحتفظ بها الدوائر الرسمية كمجلس الاعمار ومديرية الزراعة ومديرية الغابات • كما افاد ايضا من بعض المعلومات التى امده بها بعض الثقاة الاكراد ، وبعض المختصين الحكوميين •

ولابد لنا اخيراً ان نوضح بأن هذا البحث ليس سوى مقدمة لدراسة الاكراد وارضهم ، وهو لا يخلو من نقائص كثيرة بسبب ميدانه الواسع وقلة مراجعه المتوفرة • كما ان معلوماته في بعض الجوانب اصبحت قديمة او ذات صفة تأريخية احيانا ، ذلك انه كتب في الفترة الواقعة بين عام ١٩٥٤ـ١٩٥٨ واستند الى الارقام التى كانت متوفرة يومذاك • وقد حاول المؤلف ان يتلافى بعض هذا النقص بالرجوع الى أحدث الارقام الرسمية المتوفرة حاليا • وكان البحث قد هدف في حينه الى لفت نظر السلطات المسؤولة يومذاك الى ما يعانيه لواء السليمانية خاصة والمنطقة الكردية عامة من مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية كيما توليها عنايتها الجدية وتزيل مسببات شكاوى ابناء هذا الجزء العزيز من بلادنا • ولا ريب ان هذا الامل قد أصبح في الوقت الحاضر وطيداً بعد صدور بيان ١١ آذار التاريخي (١٩٧٠) ، فقد اعترف البيان بالذاتية الكردية واقر كافة الحقوق القومية للاكراد بما فيها الحكم الذاتى ضمن اطار الجمهورية العراقية ، وآمن بضرورة اعمار المنطقة الكردية وازالة كل مسببات التخلف والفقر والاهمال في الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية • لذلك فان مقترحات هذا البحث قد تكتسب اهمية خاصة في ضوء البيان المذكور وقد يمكن الاستفادة من العديد منها والله الموفق ؟

الفصل الأول

البيئة الطبيعية

- ١ -

المسح الجيولوجي

يتخذ البناء الجيولوجي للعراق شكل حوض تظهر فيه اقدم الصخور قرب الحدود الشمالية الغربية والشرقية ، ثم تغور الى الاعماق كلما انحدرنا نحو اواسط البلاد . ويمكن القول ان اطراف البلاد الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية تمثل نهاية المنطقة الالتوائية التي تشتمل على الجبال الالتوائية الحديثة . اما جهات البلاد الغربية والجنوبية فهي امتداد لهضبة جزيرة العرب . ويمتد بين هذين القسمين المتميزين وادي الرافدين الذي كان في يوم من الايام جزءا من الخليج العربي والذي طمرته الطمي .

وكان العراق في الزمن الآركي جزءا من قارة غوندوانا لاند الضخمة Gondwanaland التي كانت تضم بلاد العرب وبلاد فارس وارمينيا والعراق وقسما كبيرا من قارتي افريقيا وامريكا الجنوبية . وكانت تلك القارة تتكون من

مزيج معقد من الصخور النارية والمتحولة . وفى اثناء العصر الكامبرى غمرت المياه جزءا منها فترسبت فوق قاعدتها طبقات من الجير والطفل والجبس . ثم انسحبت المياه وخلفت مستنقعات واسعة .

وفى بداية العصر الكاربونى اجتاحت المياه القارة مرة اخرى ، واشتد هذا الاجتياح فى العصر البرمى بشكل خاص حيث ادى الى غمر معظم الاجزاء الشمالية والشرقية من جنوب غربى آسيا بما فى ذلك منطقة كردستان ، وتكون نتيجة لذلك بحر عظيم تعارف الجيولوجيون على تسميته ببحر تثيس Tethys Sea . وقد استمر اجتياح المياه للقارة خلال الزمن الثانى باكمله ، فترسبت فوق قاع بحر تثس طبقات عظيمة السمك خلال العصر الترياسى والجوراسى والكريتاسى ، بل وفى اثناء عصر الآيوسين ايضا . وتشتمل ترسبات العصر الترياسى والجوراسى فى منطقة كردستان على الطفل وعلى حجر جيرى قاتم اللون وحجر جبسى اوليتى وعلى بعض الطبقات الجبسية المتفرقة . وتشتمل تكوينات العصر الكريتاسى الاسفل على كتل ضخمة من الحجر الجيرى البرتقالى اللون مع حجر الدولومايت ، بينما تشتمل تكوينات العصر الكريتاسى الاعلى على حجر جيرى ابيض وبرتقالى اللون شديد الصلابة . اما تكوينات عصر الأيوسين الادنى فتشتمل على حجر صيوانى مكتل باد للعيان بينما تعود الصخور الجيرية المكتلة والمقطعة التى تعلو الكونجلومرات القاعدية الى تكوينات الايوسين الاعلى (١) .

ولقد اخذت مياه البحر بالانحسار تدريجيا منذ اوائل عصور الميوسين ، بينما كانت الارض ترتفع ببطء حتى لم يبق سوى بحر داخلى يغمر العراق

---

1. Ralph M. Parson Co., Report on ground water prospects of the Arbil Liwa, pp., 19 f.f.

وهو تقرير قدم الى مجلس الاعمار عام ١٩٥٥ .

وجنوب غرب بلاد فارس • وقد ترسبت فى هذا البحر التكوينات الجيرية اولا ثم اعقبتها تكوينات جبسية ثم أنهدرايتية ثم ملحية ثم طينية تم جيريــة مرة اخرى • ويطلق على هذه التكوينات بمجموعها اسم تكوينات فارس الاسفل • وقد تم انسحاب المياه عن بقية المنطقة فى اواخر عصر الميوسين ، وفى خلال ذلك كانت المجارى المتدفقة من الشـرق قد رسـبت تكوينات فارس الاعـلى والتكوينات البختيارية على شـكل سـهول مروحية واسـعة •

ويمثل عصر الميوسين آخر مرحلة مهمة من مراحل التكوين الجيولوجى لهذه المنطقة • ففى خلال هذا العصر حدثت حركة تكتونية عظيمة أدت الى الضغط على الطبقات اللينة فى بحر تثس فظهرت الجبال الالتوائية، وقد أدت تلك الحركة العنيفة الى ظهور منطقة عيبية معقدة الالتواء فى غربى ايران وشرقى تركيا • ويبدو ان الحركة كانت اقل عنفا فى منطقة شمال العراق مما جعل جبالها الالتوائية بسيطة وغير عيبية ، ما عدا الأطراف الشمالية القصوى التى اصبحت منطقة معقدة الالتواء بسبب قربها من مركز الضغط • وتشمل هذه المنطقة الجزء الشرقى من الحدود بأكمله من كانى‌رش الى جبال هورامان ، وهى منطقة تكثر فيها الصخور النارية المتداخلة •. اما المنطقة الواقعة الى الغرب من المنطقة الملتوية فقد قاومت الحركة الضاغطة ولم يصبها التشويه تقريبا [٢]•
ويبدو ان اتجاه الحركة التى سببت التواءات كردستان العراق آتية من الشمال نحو الجنوب ، أى من المرتفعات الفارسية الى الرافدين والخليج العربى كما توضح ذلك المدرجات المتعاقبة للصخور الالتوائية ، ولكن ابحاث دى مورغان De Morgan تؤكد بأن تلك الحركة قد بدأت من الجنوب الى الشمال [٣]•

---

2. Noble, A.H., Ground water of Iraq, P.4.

3. Admirality Naval Staff, Geology of Mesopotamia and its borderlands, 1918, P.30.

ولقد بلغت هذه الحركة التكتونية الضاغطة نهايتها في العراق اواخر عصر البليوسين حينما امتلأ الحوض العميق الذي تكون امام الالتواءات بمواد نحاتية خشنة ذات سمك عظيم تعود لتكوينات فترتي فارس الاعلى والبختياري • وقد شمل الالتواء الاخير السلاسل الجنوبية الغربية واصاب الطبقات البختيارية • وقد اعقب التواء طبقات البختياري فترة نحت طويلة جدا (اوربما سلسلة من الفترات المتقطعة) انكشفت اثناءها تكوينات فارس الاعلى ، وفي بعض الاحيان تكوينات فارس الاسفل ايضا ، على امتداد قمم بعض الالتواءات • كذلك مهدت التواءات واسعة في سهول رانية وشهرزور • ثم اعقبت تلك الفترة مرحلة من الترسيب العام فامتلأت الاودية الخلفية والسهول بالترسبات حتى فاضت ، وطمرت جبهات السلاسل الممسوحة بترسبات خشنة من الرسوبات النهرية القديمة • ثم تلى هذه المرحلة مرحلة ارتفاع عام في المنطقة صاحبته التواءات قليلة زالت خلالها كثير من ترسبات الاودية الخلفية [٤] • وقد استعادت الانهار شبابها نتيجة لهذا الارتفاع واخذت تحفر اخاديد صغيرة في سهولها المروحية ، بينما قامت روافدها الجانبية بحفر قيعانها القديمة التي لاحت على شكل مدرجات واضحة على كلتي جانبيها • وكان هذا الارتفاع اخر طور من اطوار التطور الجغرافي للمنطقة ! وان حدثت بين حين وآخر هزة ارضية تذكرنا بان بناء المنطقة مايزال في طريقه الى الاستقرار [٥] •

ان اهمية البناء الجيولوجي للواء السليمانية تكمن في اشتماله على عدد من التكوينات الصخرية ذات العلاقة الخاصة بالنشاط البشري • لذلك فمن

---

4. Dennis, P. Eldon, Investigation and development of ground water resources, F.A.O.

وهو تقرير قدمته منظمة (الغذاء والزراعة الدولية) الى الحكومة العراقية ، روما ١٩٥٣ .

5. Naval Intelligence Division, Iarq and the Persian Gulf, 1924, P.19.

الاهمية بمكان ان نتذكر بأن جزءا عظيما من تلك التكوينات كما رأينا هي ذات مميزات كلسية • وتكتسب العلاقة بين التكوينات الكلسية ونظام المياه اهمية عظيمة ، وخاصة في المناطق التي تعاني من قلة موارد المياه السطحية • وتبرز اهمية الصخور الكلسية في طبيعتها النفاذة ، فهي تمتص مياه الامطار ثم تعيدها الى السطح على شكل عيون وينابيع • لذلك فان وجود هذه الصخور يتحكم الى درجة كبيرة في انماط وتوزيع السكنى البشرية (٦) •

وهناك اهمية اخرى لنوع البناء الصخري في اللواء تتعلق بارتباط المعادن بانواع معينة من الصخور • فالصخور الرسوبية مثلا غنية بمعادن متنوعة كالبترول والاملاح والجبس • وتستخرج مواد البناء وخاصة الرخام والاسمنت والكلس من هذه التكوينات الصخرية ايضا •

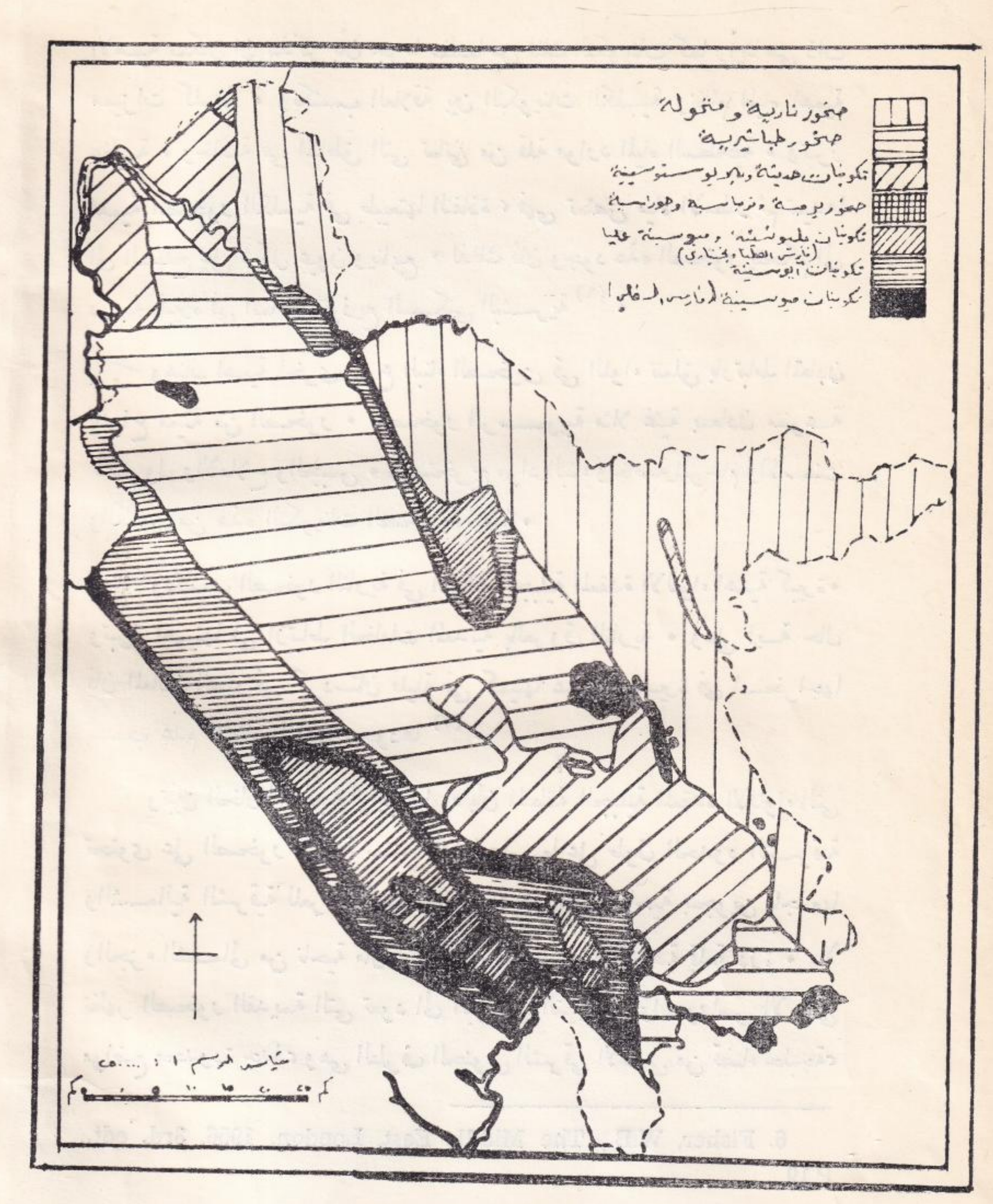
وتكتسب الصخور النارية في المنطقة الجبلية المعقدة الالتواء اهمية كبيرة • وتبرز اهميتها في ارتباط الخامات المعدنية بالعروق النارية • وعلى اية حال فان المعادن الخام في كردستان قليلة في كميتها عموما وعسيرة في استخراجها بسبب عدم انتظام طبقات وجودها (٧) •

وتبين الخارطة الجيولوجية للواء بأن المنطقة الجبلية المعقدة الالتواء التي تحتوي على الصخور النارية تمتد امتدادا واسعا على طول الحدود الشرقية والشمالية الشرقية للعراق فتشمل منطقة هورامان وناحية بنجوين باجمعها والجزء الشمالي من ناحية ماوت والجزء الشرقي من ناحية قلعة دزة • ولا تظهر الصخور القديمة التي تعود الى البرمي والترياسي والجوراسي الا في مواضع محدودة جدا ، وهي الطرف الجنوبي الشرقي الاقصى من قضاء حلبجة ،

---

6. Fisher, W.B., The Middle East, London, 1956, 3rd. edt., P.19.

(٧) المصدر الاسبق ، ص ١٩-٢٠



الخارطة الجيولوجية للواء السليمانية

وعلى المرتفعات التى تمتد على طول الضفة الغربية لنهر سيروان ، وعلى المرتفعات الممتدة جنوبى نهر جم گوگسر فى ناحية سروجيك ، وفى الطرف الشمالى الشرقى من ناحية سورداش شرقى الزاب الصغير •

اما التكوينات الكلسية فتنتشر انتشارا واسعا فى قضاء السليمانية وفى جزء من ناحية چوارته • وتظهر التكوينات الايوسينية فى منطقة صغيرة نسبيا فى حوض بازيان وفى الجزء الجنوبى من ناحية وارماه وخاصة فى جنوب غربى نهر تانجرو ، وكذلك فى شريط ضيق على امتداد الضفة الشرقية لنهر قلهچولان •

وتظهر تكوينات فترة فارس الاسفل من الصخور الجبسية والطينية والجيرية على السلاسل الخارجية للمنطقة الالتوائية وهى سلاسل قرةداغ وبرنان داغ • اما تكوينات فارس الاعلى والتكوينات البختيارية من الاحجار الرملية والغرينية والطينية والحصى والجلاميد فتظهر فى منطقة صغيرة ايضا، وخاصة فى الاودية التى تنحصر بين سلاسل قرةداغ وبرنان داغ وفى هضبة چوارته ، وكذلك فى مواضع محدودة اخرى حول المجرى الادنى لنهر تانجرو •

واخيرا فان تكوينات البليوستوسين والعصر الحديث من الرسوبات النهرية القديمة الخشنة من الحصى والكونجلومرات ومن الرسوبات النهرية الحديثة من الحصى والرمل والغرين الناعم تغطى سهل شهرزور الواسع وسهل رانية وسهل بشدر • ومن الجدير بالذكر ان الترسبات النهرية القديمة تأتى الثانية فى اهميتها بين التكوينات التى تحتوى على المياه فى العراق بعد التكوينات الكلسية •

- ٢ -

الثروة المعدنية(*)

ان دراسة البناء الجيولوجي للعراق تثبت بأن المنطقة الوحيدة في العراق التي تبشر بوجود خامات معدنية ذات قيمة هي النطاق المنحصر بين الحدود التركية والايرانية من جهة وبين خط يمتد من دهوك الى عقرة الى شقلاوة الى كوي سنجق الى السليمانية الى حلبجة . ويشتمل هذا النطاق على اشد الاجزاء اضطرابا من المنطقة الالتوائية كما يشتمل على المنطقة الجبلية المعقدة الالتواء باجمعها ، وهي تضم مساحة تقرب من ٢٠،٠٠٠ كم٢ أو ٥٪ تقريبا من مساحة العراق . ويقع الجزء الملتوي من هذا النطاق ضمن حدود المنطقة الالتوائية الاناضولية - الايرانية التي كانت قد صنفتها بعض الابحاث التي جرت في تركيا بأنها منطقة غنية بالمعادن .

وقد لوحظ وجود عدة خامات فلزية ولا فلزية في مواضع مختلفة من لواء السليمانية ، الا ان جميع تلك الخامات تقريبا غير ذات قيمة اقتصادية . فقد لوحظ وجود الذهب والرصاص والحديد والنحاس والمنغنيز والكروم والنيكل والاورانيوم في مواضع مختلفة من اللواء . ولا يمكن ان تعتبر خامات الحديد الحالية التي لوحظ وجودها صالحة للاستثمار الاقتصادي ، الا ان وجود صهارة للمغنتايت (اوكسيد الحديد الاسود) بالقرب من سبيكاني في وادي نهر شالر تدل على حدوث عملية انفصال للصهيرة لخام الحديد ولخامات معدنية اخرى في المنطقة . اما خامات المنجنيز الموجودة شمال مدينة السليمانية فتمثل بعض القيمة الاقتصادية ولابد من التوسع في فحصها .

(*) اعتمد هذا البحث على تقرير مفصل يقع في مجلدين قدمته الى مجلس الاعمار عام ١٩٥٤ شركة Site Investigation Co.

ولا تمثل خامات النحاس الحالية قيمة اقتصادية ، لكن المنطقة الواقعة بين جوارته وقلعة دزه هي من المناطق التي يحتمل ان تكون غنية ببعض المعادن الاخرى ذات الاهمية . ولابد من اعادة فحص هذه المنطقة ككل ، ولعل نتائج هذا الكشف تكون ذات اهمية اعظم مما كشف عنه في المناطق الاخرى .

ويحتوى لواء السليمانية على خامات لافلزية اخرى أكثر أهمية ، واهمها احجار الكلس التي تمثل غالبيتها احجار البناء ذات النوعية الجيدة ، وبعضها صالح لصناعة الاسمنت . وقد لوحظ وجود حجر الكوارتز في مواضع عديدة ويمكن ان يستخدم لصناعة الزجاج . اما الفحم الذي عثر عليه في اللواء فيشتمل على كمية عالية من الرماد مما يجعله ذا قيمة اقتصادية ضئيلة . وقد لوحظ وجود خامات لا فلزية اخرى في مواضع متنوعة من اللواء منها الاسبست والقار والرخام وحجر الجرانيت (العقيق) .

- ٣ -

التربة

تعتمد صفات التربات في العراق على عوامل متعددة منها نوع الصخور الاصلية وعمرها ومدى تحللها،ومنها التأثيرات المناخية والنباتية والطوبوغرافية، ومنها طريقة استخدام الانسان لها .

فاما ما يتعلق بنوع الصخور الاصلية في العراق فان العصور الجيولوجية تبين سلسلة كاملة تقريبا من الصخور ابتداءا من الزمن الباليوزى (الاول) الى المسوزوى (الاوسط) الى الزمن الكاينوزى (الثالث) الى الزمن الحديث (الرابع) . ويمكن الربط بين نوع التربة ونوع الصخور في العراق

على النحو التالى [٨] :

١ ـ ان الترسبات النهرية الحديثة تؤدى الى نشوء تربة عميقة ، ما عدا المناطق المحلية التى توجد فيها طبقات الحصباء والحصى •

٢ ـ ان تكوينات البختيارى العائدة لعصر البليوسين والتى تتصف بوجود طبقات حصوية متلاحمة وكونجلامرات تؤدى الى نشوء تربات حصوية او حجريـة •

٣ ـ ان الصخور النارية الخضراء فى المنطقة المعقدة الالتواء التابعـة للزمن الباليوزى تؤدى الى نشوء تربة ضحلة بشكل متميز •

ويمكن القول ان تربات منطقة الحدود الغربية والشمالية والشرقية هى تربات محلية قد تفتت من الصخور الاصلية وهى على العموم تربات ضحلة ، وهى تعكس مميزات الطبقات الداخلية • وتوجد التربات الأكثر عمقا فـى المناطق ذات الانحدار البسيط ، وعلى أمتداد قمم بعض الحافات ، وفـى الاودية النهرية • وتتصف تربات المدرجات النهرية القديمة بكثافة معتدلـة فى التربة الداخلية مع انخفاض فى درجة نفاذها ، وهى عميقة بشكل عـام وان امتدت تحتها بين الحين والحين طبقات حصوية [٩] •

ولقد ذكر شابمان Chapman التحليل الكيمياوى والميكانيكى التالى لتربات المنطقة الجبلية :

« ان عدم النضوج هى الصفة الرئيسة للتربات تقريبا ، ونادرا ما تعكس

---

8. Gibbs, G.K., Soil Conservation, Rome, 1954, P.8.

وهو تقرير قدمته منظمة الزراعة والتغذية F.A.O. الى الحكومـة العراقيـة •

(٩) المصدر السابق ، ص ٧

الترب‍ات أى اختلاف فى مقاطعها الجانبية • اما صفاتها الكيمياوية فهى بين قلوية خفيفة وقلوية شديدة • وان الترب‍ات الطينية والطفلية التى تعود الى طبقات الايوسين الحمراء والبختيارى وفارس الاعلى هى أشد الترب‍ات قلوية • أما تربات الصخور النارية فى المنطقة المعقدة الالتواء وتربات الطين الرملى المشتقة من الطفل الجيرى فهى متوسطة فى قلويتها ، فى حين ان الترب‍ات الطينية والصلصالية المشتقة من صخور الاردواز ومن تكوينات المنطقة المعقدة الالتواء ومن الحجر الجيرى الكريتاسى هى ذات قلوية خفيفة » (١٠) •

ويظهر ان جميع تربات الغابات خالية من الاملاح الضارة ، وقد ثبت ذلك بما اجرى من أربعة تحليلات للنماذج التى اختيرت من طبقات الايوسين الحمراء ، ومن الحجر الجيرى الكريتاسى ، ومن الطفل المتحول من المنطقة المعقدة الالتواء ومن الصخور النارية •

أما ما يتعلق باختبار مدى وجود الفوسفور فيبدو من الادلة المتوفرة ان الترب‍ات الناشئة من الطبقات البختيارية وطبقات فارس وطبقات الايوسين الحمراء والطفل الجيرى فقيرة بالفوسفور اذا ما قورنت بالترب‍ات الناشئة من الاحجار الجيرية الكريتاسية ومن صخور المنطقة المعقدة الالتواء •

ولقد دل التحليل الميكانيكى للترب‍ات بأن الطين والمارل يشيعان فى طبقات البختيارى وفارس وأيوسين الحمراء والاحجار الجيرية الكريتاسية ، فى حين ان الترب‍ات التى تعلو تكوينات المنطقة المعقدة الالتواء والطفل الكريتاسى تتراوح بين رملية ـ طينية ـ صلصالية وبين صلصالية ـ رملية •

---

10. Chapman, C.W., Forest and forestry in Iraq, 1953, pp. 16-17.

وهو تقرير قدم الى وزارة الزراعة عام ١٩٥٣ •

ولقد وضع وســت West تصنيفا كاملا لتربات العراق (×)، وأورد فيه الانواع التالية للتربات فى لواء السليمانية [11] :

تربات سرجنــار

ان تربات سرجنار ذات عمق متوسط ، فالاعماق الاولى تشتمل عـلى طمى حديث ، فى حين ان السفوح السفلى مستقاة بشكل رئيسى من الاحجار الجيرية والطفل الرمادى والاحجار الرملية • وتوجد تحتها تربة من المـواد الحصوية ، وان درجة نفاذها ضعيفة •. كذلك فان درجة الاحتفاظ بالمــــاء والخصوبة فى التربة السطحية والداخلية عالية ، الا أنها تصبح محـــدودة فى الطبقات الداخلية بسبب وجود نسبة عالية من الحصى • وهذه التربـات جيرية على العموم ولا يوجد فيها انفصال فى التربة الداخلية •

وتتمثل هذه التربات فى السهول الفيضية الممتدة على ضفاف المجـارى المائية العريضة فى الاودية الجبلية ، وهى صالحة جدا لانتاج الفواكـــــه الصلبة والخضروات•وتتراوح كمية التساقط المناسبة بين ٤٥٠ـ٨٠٠ ملمترا•

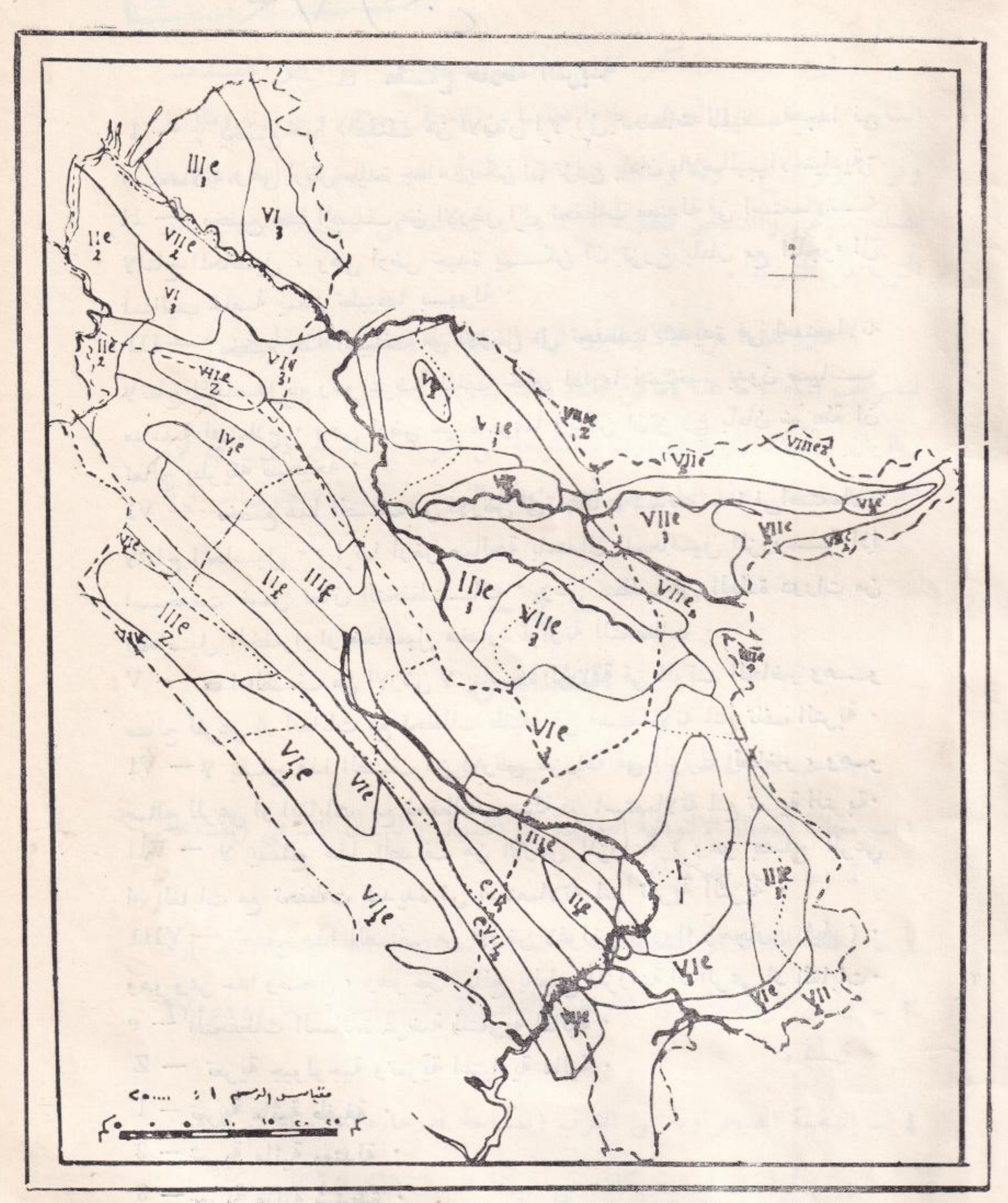
تربات باكرجـو

وهى تربات عميقة قد تطورت اثناء الترسبات النهرية القديمة واستقيت من الحجر الجيرى ، وان درجة نفاذها بطيئة عمومـا • وتشـــيع الفلوق الانكماشية فى التربة السطحية والداخلية العليا بشكل واسع وخاصة فـــى التربات الطينية منها •

---

11. West, Dr. Burnell G., Soil survey and classification of Iraq, Rome, 1953, P.11 FF.
وهو تقرير قدمته منظمة التغذية والزراعة F. A. O. للحكومـــة العراقية •

(×) لقد اشتمل تصنيف وستWest لتربات العراق عـــلى =



خارطة تصنيفات التربة للواء السليمانية (نقلا عن جبس Gibbs)

مفتاح خارطة التربة

I — لا يخضع هذا الصنف من الارض إلا إلى تحفظات طفيفة جدا فى استعمالاته،وهى أرض جيدة جدا، ويمكن ان تزرع بأمان بالاساليب الاعتيادية.

II — يخضع هذا الصنف من الارض إلى تحفظات معتدلة فى استعمالاته لانتاج المحاصيل ، وهى أرض جيدة يمكن ان تزرع بأمان مع اللجوء الى اساليب خاصة يمكن تطبيقها بسهولة .

III — يخضع هذا الصنف من الارض الى تحفظات شديدة فى استعمالاته لانتاج المحاصيل ، وهو عرضة لتلف خطير اذا ما استخدم بدون صيانة مناسبة او علاج . وهى أرض جيدة نوعما ويمكن ان تزرع بأمان شريطة ان تعالج بطريقة صحيحة .

VI — يخضع هذا الصنف من الارض الى تحفظات شديدة جدا فى استعمالاته لانتاج المحاصيل .. إنها أرض صالحة باعتدال للمحاصيل المزروعة اذا استخدمت ضمن نطاق التحفظات . وهى تتطلب فى العادة دورات من المحاصيل الخضراء او محاصيل مختارة لموازنة التحفظات .

V — هذا الصنف من الارض لا يناسب الزراعة فى الوقت الحاضر وهو صالح للرعي او الغابات مع تحفظات طفيفة فى استعمالاته لمنع تلف التربة .

VI — لا يصلح هذا الصنف من الارض للزراعة فى الوقت الحاضر ، وهو صالح للرعي او الغابات، مع تحفظات معتدلة فى استعمالاته لمنع تعرية التربة.

VII — لا يصلح هذا الصنف من الارض للزراعة ، وهو يصلح للرعي أو الغابات مع تحفظات شديدة فى استعمالاته لمنع تعرية التربة .

VIII — يصلح هذا الصنف من الارض لاغراض الارواء (مجارى المياه) . وهو وعر جدا وضحل ، وهو غير صالح بالطبع للزراعة او الرعي او الغابات.

e — التحفظات السائدة عرضة للتعرية المائية .

Z — تعرية جيولوجية وتعرية اعتيادية عالية .

1 — تعرية مائية طفيفة .

2 — تعرية مائية معتدلة .

3 — تعرية مائية شديدة .

4 — تعرية مائية شديدة جدا .

وتوجد هذه الترببات فى السفوح ذات الانحدار التدريجى البسيط وفى السهول الفيضية فى الاودية الجبلية ، وقد نشأت فى المنطقة الحمـــــراء الكستنائية • ويتراوح معدل التساقط فيها بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا • وتصلح هذه الترببات لزراعة الحبوب والقطن والنباتات العلفية والبقوليات والتبغ •

تربات جمجمال

وهى تربات عميقة نشأت فوق الترسبات النهرية القديمة ، والتربـــات السطحية منها ذات بناء خشن سميك ثابت • اما موادها الاصلية فتسود بينها الصخور الجيرية • وتقع تحتها على عمق يزيد على مترين طبقة من الحصباء الجيرى والحصى •

وقد نشأت هذه الترببات فى المنطقة الحمراء الكستنائية ، وهى تتواجد فى مرتفعات الاودية الجبلية ذات التموج البسيط ، ويتراوح معدل التساقط فيها بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا • وهى تصلح لانتاج الحبوب الصغيرة بدون رى صناعى •

تربات شقلاوة

وهى تربات عميقة نشأت فوق المواد الفيضية وقد استقيت بشـــكل رئيسى من الحجر الجيرى • واحسن مثال لها الاراضى المتموجة والمنحدرة انحدارا بسيطا • وتتصف بصفات جيرية طفيفة وغير جيرية عند السطح • وتشتمل على منطقة تجمع كلسى فى التربة الداخلية على شكل عقد وخطوط•

= الانواع الرئيسية التالية :

١ ــ التربة الحمراء ، وتشتمل على تربة الغابات البنية الكستنائية وتربة البحر المتوسط الحمراء •
٢ ــ التربة السمراء الحمراء •
٣ ــ التربة الصحراوية الرمادية •
٤ ــ التربات الرسوبية •
٥ ــ التربات الرسوبية الرطبة •

وهذه التربات هى من نوع تربات الغابة السمراء وتتمثل فى السفوح والاودية الجبلية التى يبلغ معدل تساقطها حوالى ٤٥٠ ملمترا • وهى صالحة لزراعة الحبوب والتبغ والفواكه وخصوصا التفاح والعنجاص والخوخ والكمثرى ، وكذلك تصلح لزراعة الحبوب والجوز واللوز والفستق •

تربات خليفان

وهى تربات عميقة تعود للترسبات الفيضية الحديثة وقد استقيت من الطفل الرمادى والحجر الجيرى الطفلى ، وهى بطيئة النفاذ جدا كما انها خالية عموما من الحصباء والحجارة • وتوجد فى الاودية المجاورة للتلال الطفلية ذات التعرية الشديدة والتى يتراوح معدل تساقطها بين ٤٥٠ الى ٨٠٠ ملمترا •وهى صالحة جدا لزراعة الرز والحبوب الصغيرة والتبغ(×)•

وتتعرض التربة فى لواء السليمانية ، شأنها شأن جميع المنطقة الجبلية ، الى تعرية مستمرة تبلغ حدا خطيرا • وتشتد عملية التعرية اثناء الشتاء بشكل خاص فوق منحدرات الجبال حيث يبلغ عامل الانحدار والمطر أعلى درجاتهما وحيث ينكشف سطح التربة بسبب قطع الغابات والرعى المفرط والزراعة المستمرة • وتبدو التعرية فى اوضح صورها فى منطقة الظهور (الطبقة الصخرية السطحية) للتكوينات الجيولوجية الاقل صلابة كتكوينات البختيارى الاسفل وفارس الاعلى وطبقات الايوسين الحمراء والتكوينات الطفلية المتنوعة[(١٢)] •

---

(١٢) تشابمان ، ص ٢٥–٢٦ ·

(×) لقد اشار بيرنيك Buringh فى دراسته الضافية لتربات العراق الى تربات لواء السليمانية على النحو التالى :

(تقع اراضى لواء السليمانية ضمن صنفين رئيسيين هما الصنف [رقم ٣٧] ، ويشتمل على سهل شهرزور وامتداده فى سهل السليمانية ، والصنف [رقم ٣٨] ، ويشتمل على بقية اراضى اللواء ، عدا اجزاء محدودة جدا تنتمى الى صنفى [٣٦] و [٣٩] · =

ان خارطة تصنيف اراضى العراق التى وضعها جبس Gibbs فى تقريره عن تصنيف التربة فى العراق تكشف عن شدة تأثير التعرية على التربة فى لواء السليمانية • فمعظم اراضى ناحية قلعة دزة وماوت وجوارتة وسروجيك تقاسى من تعرية شديدة • كذلك فان اجزاء عظيمة من ناحية شهرزور وخورمال وبنجوين وسورداش تكشف عن تعرية شديدة ايضا • وهناك اجزاء اخرى من اللواء تبرز فيها آثار تعرية شديدة للغاية كما هو الحال فى منطقة هورامان • اما بقية اللواء فيمكن القول بأن آثار التعرية فيه طفيفة للغاية • وهناك اجزاء قليلة من اللواء لم تتعرض للتعرية وهى المناطق السهلية من اللواء كسهل شهرزور وسهل السليمانية وسهل بازيان •

وتوضح الخارطة المذكورة ايضا بأن أفضل الاراضى الزراعية فى اللواء تقع فى سهل شهرزور •· وقد وصف جبس Gibbs هذه الاراضى بأنها

= فأما اراضى الصنف [٣٧] فتمثلها (التربة الكستنائية ذات السمك العميق) ، وهى تتألف من تربات الشيرونوزم والتربات الكستنائية الحمراء ، واراضيها مستوية ، وقد تكونت من صخور لايمستونية ونهرية، وهى عميقة الى معتدلة العمق ، ولا تتأثر بالملوحة او التعرية ، وتستخدم لزراعة القمح ، كما انها صالحة عموما لزراعة المحاصيل الشتوية •

اما اراضى الصنف [٣٨] فتمثلها (التربة الوعرة المشققة الصخرية)، وتتألف من تربات الرندزينا وتربات الليثوسول ، واراضيها جبلية وعرة وقد تكونت من صخور اللايمستون ، وهى ضحلة عموما عدا اجزاء محدودة جدا ذات عمق معتدل · وتتأثر بعض اجزائها بتعرية محلية ، وهى خالية من الملوحة وتغطيها غابات البلوط والاحراش والمراعى ، ويمكن اعتبارها غابات صالحة ومراعى جيدة ، ويصلح حوالى ٣٪منها لزراعة المحاصيل و٥٠٪ للمراعى) · ص ٣٠٣ ·

Buringh, Dr. P., Soils and Soil conditions in Iraq, Baghdad, 1960.

جيدة جدا ويمكن زراعتها بأمان بواسطة الاساليب الزراعية الاعتيادية ، كما انها لا تقتضى الا تحفظا بسيطا فى استعمالها •

اما الصنف الثانى من الاراضى فيتواجد على الشواطىء الشرقية لنهر الزاب الصغير فى ناحيتى قلعة دزة ومرگه وفى بعض أودية ناحية سرجنار • وقد وصفت هذه الارض بأنها يمكن ان تزرع بأمان مع اللجوء الى استعمالات خاصة سهلة التطبيق، وهى تقتضى تحفظا معتدلا فى استعمالها لانتاج المحاصيل •



منظر من الجبال المجاورة لمدينة السليمانية وتتضح فيه آثار التعرية الشديدة

أما الصنف الثالث من الاراضى فيشمل مساحات محدودة فى ناحية قلعة دزة وبازيان وجوارته وسرجنار • وقد وصفت هذه الاراضى بأنها جيدة نوعما ولا يمكن ان تزرع الا اذا عولجت كما ينبغى ، وانها عرضة لتحفظات شديدة فى استعمالاتها لانتاج المحاصيل •

ويقرر جبس ان أكثر انواع الاراضى شيوعا فى اللواء هو الصنف السابع • ويضم هذا الصنف جزءا عظيما من ناحية بنجوين وجوارته وماوت ومركة وقرەداغ • وقد وصف هذا الصنف بأنه غير صالح للزراعة ، وانه يصلح للرعى والتشجير فقط ، مع تحفظات شديدة فى استعمالاته لصيانة التربة من التعرية •

واخيرا فلابد من الاشارة بأن لواء السليمانية يحظى بنظام طبيعى جيد لتصريف المياه ، ما عدا أماكن قليلة ذات مياه راكدة فى سهلى شهرزور وبازيان • لذلك فان عامل ارتفاع الملوحة فى التربة اصبح غير ذى تأثير فى اللواء،بينما يعتبر هذا العامل من أهم مشاكل التربة فى وسط وجنوب العراق•

- ٤ -

التضايس

ينقسم العراق الى أربعة أقاليم طبيعية هى :

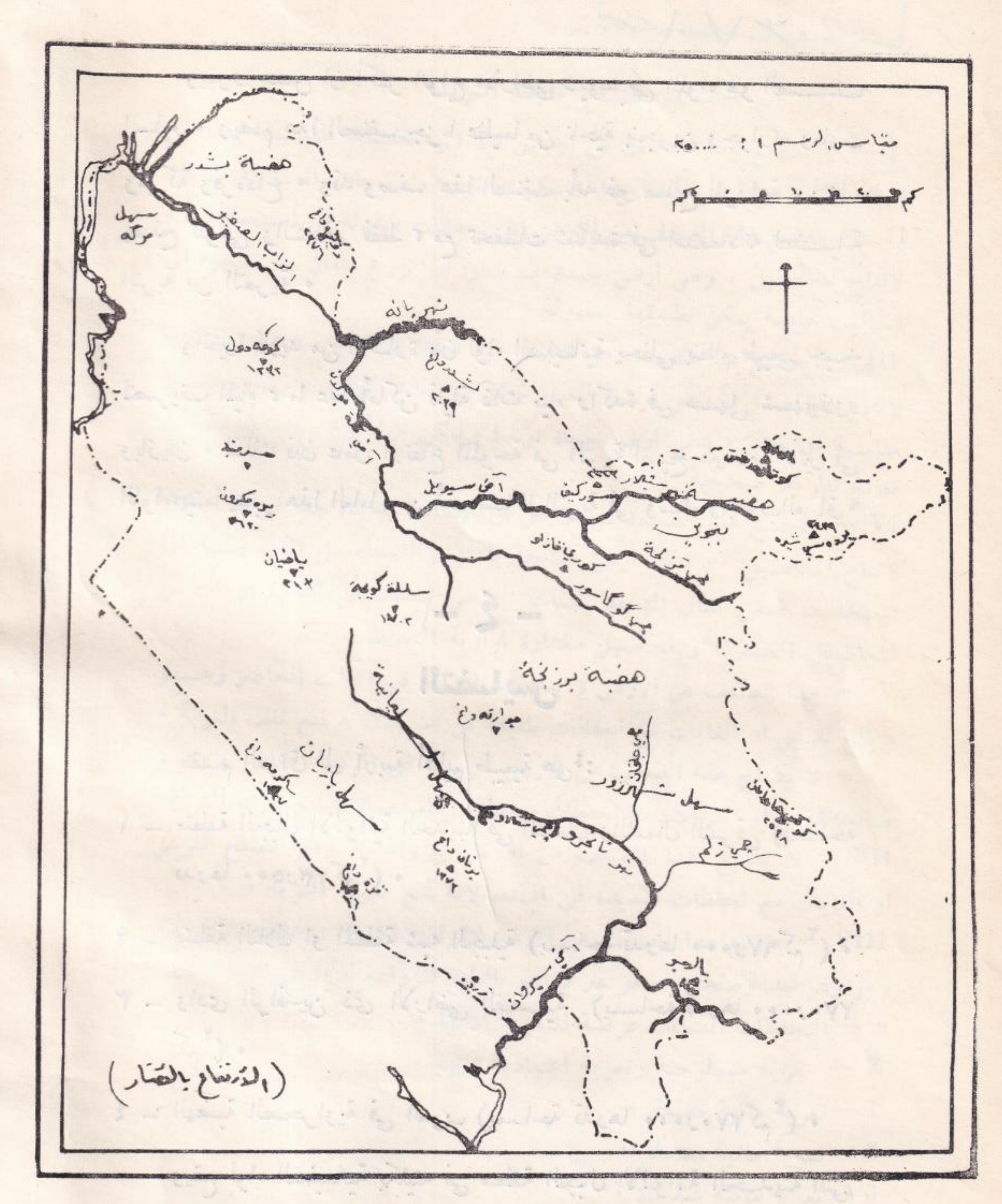
١ ـ منطقة الجبال الالتوائية الحديثة فى الشمال والشمال الشرقى (بمساحة قدرها ٢٣٫٥٠٠كم^{2}) •

٢ ـ منطقة التلال او المنطقة شبه الجبلية (بمساحة قدرها ٦٧٫٠٠٠كم^{2}) •

٣ ـ وادى الرافدين ذى الاراضى الفيضية (بمساحة قدرها ٢٧٠٫٠٠٠ كم^{2}) •

٤ ـ الهضبة الصحراوية فى الغرب (بمساحة قدرها ٢٧٠٫٠٠٠كم^{2}) •

ويقع لواء السليمانية بكليته فى منطقة الجبال الالتوائية الحديثة التى تمثل حوالى ٥٪ من مساحة العراق • ويمكن القول ان الحدود الشمالية



خارطة التضاريس للواء السليمانية

والشرقية لهذه المنطقة تمتد فى تركيا وايران • اما حدودها الجنوبية والغربية فتمثلها سلاسل جبلية متعددة هى الجبل الابيض وزاوة داغ وبـيرات داغ وحرير داغ وسفين داغ وبيرمام داغ وهيبة سلطان داغ وساكره داغ وقرة داغ وزردة داغ وكوهى بامو (١٣) •

ويشتمل لواء السليمانية على منطقة بسيطة الالتواء تحتل معظمه ، وعلى منطقة معقدة الالتواء تضم جزءا محدودا منه على امتداد الحدود الشرقية والشمالية الشرقية •

فأما الجزء البسيط الالتواء فتمثله السلاسل البسيطة الالتواء التى تمتد بمحاذاة بعضها وتحصر بينها اودية طولية • ان هذه الجبال عبارة عن التواءات محدبة ، فى حين ان الاودية المحصورة بينها هى التواءات مقعرة • فأما الالتواءات المحدبة فهى عموما غير متناسقة ، فهى شديدة الانحدار وكثيرة الانثناءات والعيوب فى جهاتها الجنوبية الغربية ، بينما جهاتها الشمالية الشرقية بسيطة الانحدار • وتشتد التواءات وانكسارات هذه الجبال وتصبح أشد تعقيدا كلما تقدمنا نحو الشمال الشرقى حتى نصل الى الانكسارات الزاحفة العظيمة التى تمثل حدود المنطقة المعقدة الالتواء •

اما المنطقة المعقدة الالتواء فتتميز بانكسارات زاحفة والتواءات مضاعفة وصخور مختلطة • ولقد كان الالتواء فى هذه المنطقة شديد للغاية وذا اتجاهات مختلفة • ويتراوح ارتفاع السلاسل الجبلية هنا بين ٢٠٠٠ مترا الى ٣٠٠٠ مترا ، فى حين تنخفض الاودية المحصورة بينها بمقدار ١٠٠٠ مترا على الاقل • ولا تصلح سفوح هذه الجبال للزراعة ، فهى معرضة لتعرية شديدة سببها الأمطار الغزيرة والثلوج ، الا ان السهول المحلية المجاورة لها خصبة للغاية نتيجة الطمى المنحدر اليها من الجبال المجاورة •

---

(١٣) « الاسس الطبيعية لجغرافية العراق » تأليف غوردون هستد وترجمة الدكتور جاسم محمد الخلف ، بغداد ١٩٤٨ ، ص ١٨ •

ان السلاسل الجبلية ، اكانت فى المنطقة البسيطة الالتواء ام فى المنطقة المعقدة الالتواء ، مقطعة الى كتل عديدة تفصل بينها خوانق عميقة وضيقة • وتمتد الجبال في سلاسل متوازية ذات اتجاه شمالى ـ غربى جنوبى ـ شرقى، ما عدا الطرف الشمالى ـ الشرقى الاقصى حيث تنحرف من الشرق نحـو الغرب • ولقد ترك هذا النوع من البناء الطوبوغرافى تأثيرا واضحا على المواصلات ، فاضطرت الطرق الى اتباع الاودية الطولية ، بينما يلاقى الاتصال بالجهات الداخلية صعوبة بالغة • كذلك ترك هذا البناء الطوبوغرافى اثـرا قويا على نظام تصريف المياه ، فجميع الانهار تقريبا تتبع الاودية الموازيـة لمحاور السلاسل الجبلية ، فهى تخترق خوانق عميقة لكى تتصل بالاوديـة الاخرى • وهى على العموم من النوع المتعامد حيثما توجد السلاسل المتوازية، ومن نوع متشعب حيثما تكثر الجبال القصيرة المنفصلة •

وقد سبق ان ذكرنا بأن هذه الجبال قد تعرضت للالتواء على أثر حركة باطنية حدثت فى عصر الميوسين فى أواخر الزمن الثالث • ويشتمل بناؤهـا على صخور تمت لعصور جيولوجية مختلفة • فأما الصخور الرئيسـة فى جبال المنطقة المعقدة الالتواء فهى الجرانيت والصخور البلورية القديمـة الاخرى • واما جبال المنطقة البسيطة الالتواء فتسود فيها تكوينات أحدث وأقل صلابة ، وتكون الصخور الجيرية الجوراسية محاور القمم الجبلية تتلوهـا التكوينات الكريتاسية التى تسود معظم المنطقة • وكلما اقتربنا من منطقـة التلال (او المنطقة شبه الجبلية) سادت التكوينات الايوسينية والميوسنية التى تشتمل بشكل رئيسى على الجبس والمارل والحجر الرملى وهى أقل صلابة(١٤) •

---

14. Atrushi. Dr. Siddik, Geographic regions of Iraq, P.4.

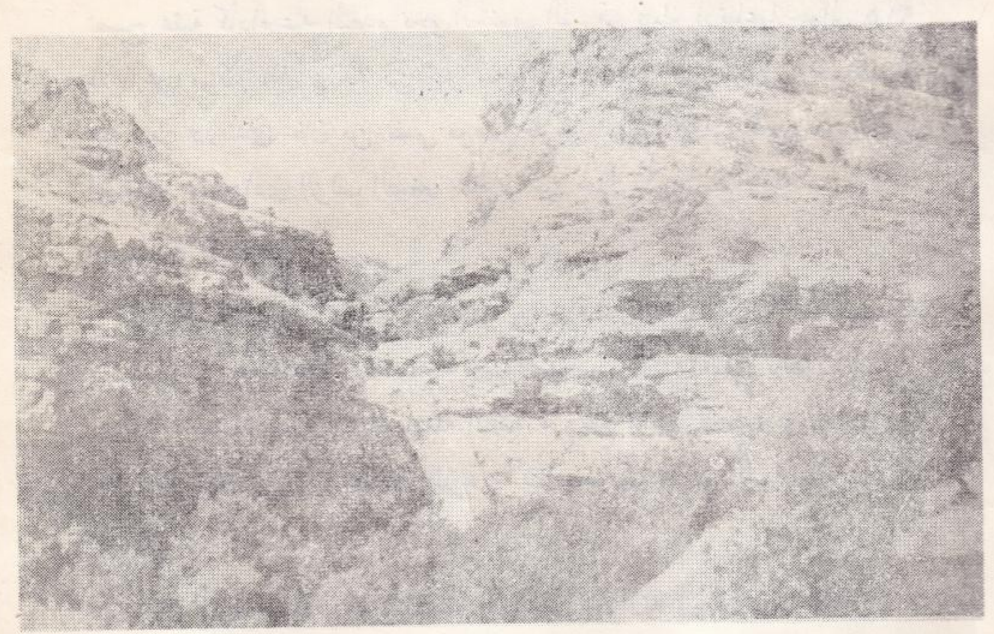
وهى اطروحة ماجستير غير منشورة قدمت الى جامعة كلارك عام ١٩٥٠

السلاسل الجبلية

تمثل جبال المنطقتين البسيطة الالتواء والمعقدة الالتواء فى السلاسل التاليـــة :

سلسلة بازيان :

تمثل هذه السلسلة الالتواءات الخارجية فى المنطقة البسيطة الالـتواء. وتبدأ عند وادى سيروان بالقرب من التقائه برافد ديوانه ، وتمتد فى اتجاه جنوبى ـ شرقى الى شمالى ـ غربى حتى تختفى على بعد ١٦ كيلومتـــــرا من نهر الزاب الصغير . وتبدأ السلسلة بجبال شديدة الانحدار كما تتمثـل بجبل زردة (١٧٧١ مترا) ، ثم تمتد فى حافة ضيقة مكونـة جبـل قرة داغ (١٧٠٦ مترا) . ويخترق السلسلة دربندى ساگرمه (ممر ساگرمه) على بعد ٤٨ كيلومترا من نهر سيروان حيث يعبرها الطريق الممتد بين الســـليمانية



منظر من جبل گويجـه

وكفرى • ثم تستمر بعدئذ تحت اسم جديد هو سكرمة داغ ، وتستمر بهذا الاسم لحوالى ١٦ كيلومترا حتى تتصل بجبل بازيان • ويخترق جبل بازيان دربندى بازيان (ممر بازيان) الذى يعبره طريق السليمانية ـ كركوك • ويبلغ ارتفاع جبل بازيان بالقرب من الممر حوالى ١٤١٤ مترا ، الا ان هذا الارتفاع يأخذ بالتناقص تدريجيا حتى تتلاشى السلسلة الجبلية على مسافة ١٦ كيلومترا من نهر الزاب الصغير •

سلسلة برنان :

تنفصل هذه السلسلة عن السلسلة السابقة بوادى نهر ديوانه ، وهى على العموم أقل ارتفاعا من السلسلة السابقة بما يزيد على ٣٠٥ مترا • كذلك تتصف بقلة العقبات ويعبرها طريق السليمانية ـ كركوك بلا صعوبة • وتشتمل على جبل طاسلوجة (١١٧٦ مترا) وجبل بانزاد (١٤٢٣ مترا) • ثم تصبح عقبة كأداء عند التقدم نحو الجنوب الشرقى فيبلغ ارتفاعها حوالى ٩١٥ مترا على مرمى ميل واحد من نهر سيروان • ويعبر نهر سيروان السلسلة عند ممر دربندى خان من نفس موضع طريق السليمانية ـ كفرى ، وتنتهى السلسلة عند وادى الزاب الصغير بالقرب من جبال كوى سنجق •

السلسلة الداخلية :

تمثل هذه السلسلة الالتواءات الداخلية للمنطقة البسيطة الالتواء وتشتمل على عدة جبال منفصلة • وتبدأ شمال موان وتختفى بالقرب من دوكان ، ممتدة بموازات السلسلة الثانية • ويقع وادى تانجرو وسهل سورداش بينها وبين السلسلة الثانية ، كما يخترقها طريق السليمانية ـ قلعة دزة •

ان أبرز جبال هذه السلسلة هو جبل جوارته وجبل ازمر (گويجه داغ) (١٧٠٢ مترا) الذى يرتفع الى الشمال الشرقى من مدينة السليمانية



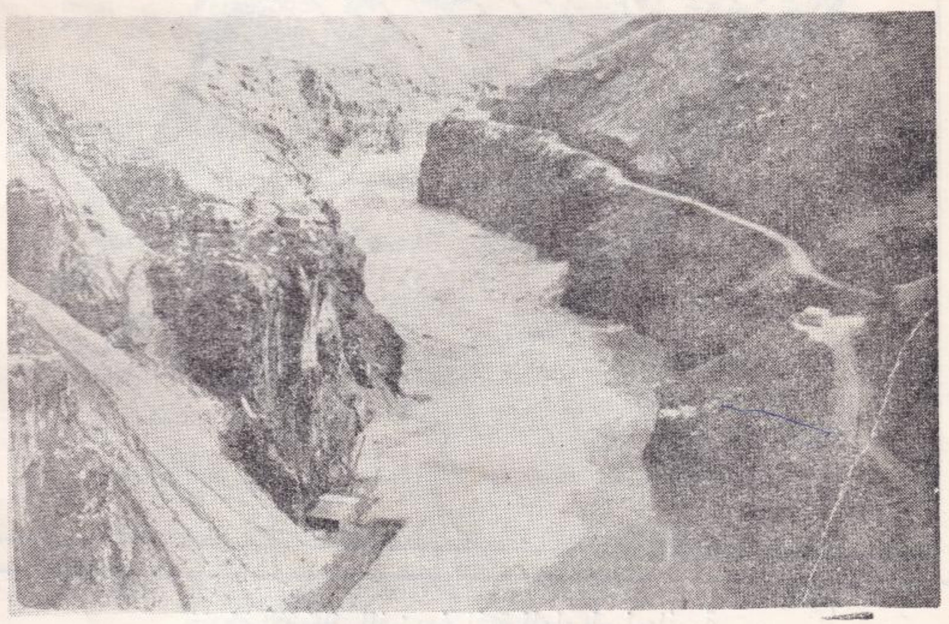
خارطة الاشكال الفيزيوغرافية للواء السليمانية

ويخترقــه طريق السليمانية ـ چوارته ، وجبل سرمبند (١٤٦٥م) وجبل ياخيان (٢١٠٣) ويقع الى الشمال من سورداش ، وجبل بيره مگـــرون (٢٦٢٠ مترا) وهو أبرز تلك الجبال •

وتتلاشى هذه السلسلة في الحال عند اقترابها من نهر الزاب الصغير • وتتأثر أغلب سفوحها بالتعرية الشديدة ، وهي عارية من الاشجار وقد أثـر عليها القطع المفرط الدائم للاشجار •

السلسلة المتقطعة :

يمكن القول ان هذه السلسلة هي اشد سلاسل المنطقة البســـيطة الالتواء تقطيعا • وتشتمل على عدة جبال متفرقة تمتد على الاغلب في اتجاه شمالي ـ غربي بين وادي قلا جوالان ووادي الزاب الصغير ، وتنتهي عنـد منحنى الزاب الصغير في دربند • وابرز جبال هذه السلسلة جبل كـوري قازاو (١٩٥٧ مترا) وجبـل بشـدر (٢٠٣٩ مترا) وجبـل گومـه دول



منظر من نهر الزاب الصغير قرب دوكان

(١٣٣٢ مترا) • ثم تواصل السلسلة امتدادها فى حافة ضيقة عالية مخترقة الطرف الشمالى الشرقى من سهل مركة حتى تتلاشى بالقرب من دربند •

السلسلة المعقدة الالتواء :

ان جبهة السلسلة المعقدة الالتواء التى تعبر حوض الزاب الصغير بالقرب من حلبجة تشتمل على خليط من الصخور المتنوعة التى تتخذ ارتفاعات وعرة شاهقة كالشواخص • وتتصف جبال هذه المنطقة بعدم الانتظام فى اتجاهاتها وبشدة انحداراتها وكثرة قممها • وابرز جبالها كوهى هورامان (٢٥٤٨ مترا) الذى يمتد فى حافة ضيقة عالية على امتداد الحدود الايرانية شرقى حلبجة (٢٥٤٨ مترا) وجبل برده سبى شيره (٢٤٨٩ مترا) وجبل كوتارەرش (٢٧٥٢ مترا) ، وجبل سوركيف ، وجبل قنديل حوالى (٢٧٤٠ مترا) وهو أعلى جبال المنطقة على الاطلاق • وتمتد جميع هذه الجبال على امتداد الحدود الايرانية وهى شديدة الوعورة وعظيمة الانحدار • ولعل وعورتها سببا من الاسباب التى جعلت سفوحها مكسوة بالغابات ، فالوصول الى أشجار هذه الجبال أمرا ينطوى على صعوبات جمة • وتتصف هذه المنطقة ايضا بمجارى مائية سريعة وعديدة ترجع الى غزارة التساقط والى الثلج الدائم الذى يكلل هامات الجبال طول العام •

ان الاودية الطولية التى تنحصر بين السلاسل الجبلية المتوازية فى مختلف جهات اللواء تهيء اراضى سهلية صالحة للزراعة • وتقوم اغلب القرى ومراكز تجمع السكان فى هذه الاودية • وتبنى القرى عادة فى فجوات تدفق المياه فوق الجبال ويتم عن طريق هذه الفجوات الاتصال بين الاودية المختلفة • وتحول المياه بواسطة القنوات الى الحقول التى تقع على مدرجات الجبال او فى أعماق الوادى • وتزرع منحدرات الجبال فى العادة كلما كان انحدارها مناسبا لاستثمارها فى الزراعة • وتصبح الجبال فى

المنطقة المعقدة الالتواء ، وكذلك فى شمال شرقى المنطقة البسيطة الالتواء ، شديدة الانحدار والوعورة بحيث تنحصر الزراعة كليا فى أعماق الاودية ولا تستخدم المنحدرات الا للرعى .

السهول

ان أبرز سهول اللواء هى :

سهل شهرزور :

يعتبر هذا السهل أوسع سهول اللواء اذ يبلغ معدل طوله من الشرق الى الغرب حوالى ٤٥ كم ، كما يبلغ معدل عرضه حوالى ١٥ كم ، وقد يمتد الى ٣٥ كم فى الجزء الشرقى منه . ويتراوح معدل ارتفاعه بين ٤٥٣ مترا الى ٦١٠ مترا . ويحيط به جبل هورامان من الشرق وجبل جوارته من الشمال وجبل بالامبو من الجنوب . كما تتصل جهته الشمالية الغربية بسهل السليمانية .

وهناك نظريات متضاربة فى تكوين هذا السهل ، فبينما يدعى هستد Husted بانه عباره عن التواء مقعر مفتوح [١٥] ، يعتقد دنيس Dennis بأنه التواء محدب قد أزالت تحدبه عوامل التعرية [١٦] . ويمتاز سهل شهرزور بخصوبة عالية بسبب الترسبات النهرية التى تحملها اليه المجارى المائيـة العديدة من الجبال المجاورة . ويرويه نهر تانجرو وروافده العديدة كرافد زلم ورافد جقان فى الجزء الاوسط والشرقى منه بينما يصرف الجزء الغربى منه نهر تابين احد روافد الزاب الصغير .

---

(١٥) هستد ، ص ١٥

(١٦) دنيس ، ص ٦

وتتميز بعض المناطق الجنوبية من السهل برداءة تصريفها المائى مما يؤدى الى تشبع ارضها بالمياه والى نشوء المستنقعات فى فصلى الشتاء والربيع •

سهل مركـه :

تبلغ مساحة سهل مركه حوالى ١٥٠ كم٢ ، كما يتراوح ارتفاعه بين ٤٨٣ مترا الى ٦١٠ مترا • وتفصل النصف الشرقى منه عن النصف الغربى حافة ضيقة أو التواء محدب ارتفاعه حوالى ١٢٢٠ مترا ، ويخترقـه الزاب الصغير فى خانق عند دربند • ويروى السهل عدد من المجارى المائية ، ولا تستغل مياه الزاب الصغير فى الرى الا فى مواضع قليلة من السهل •

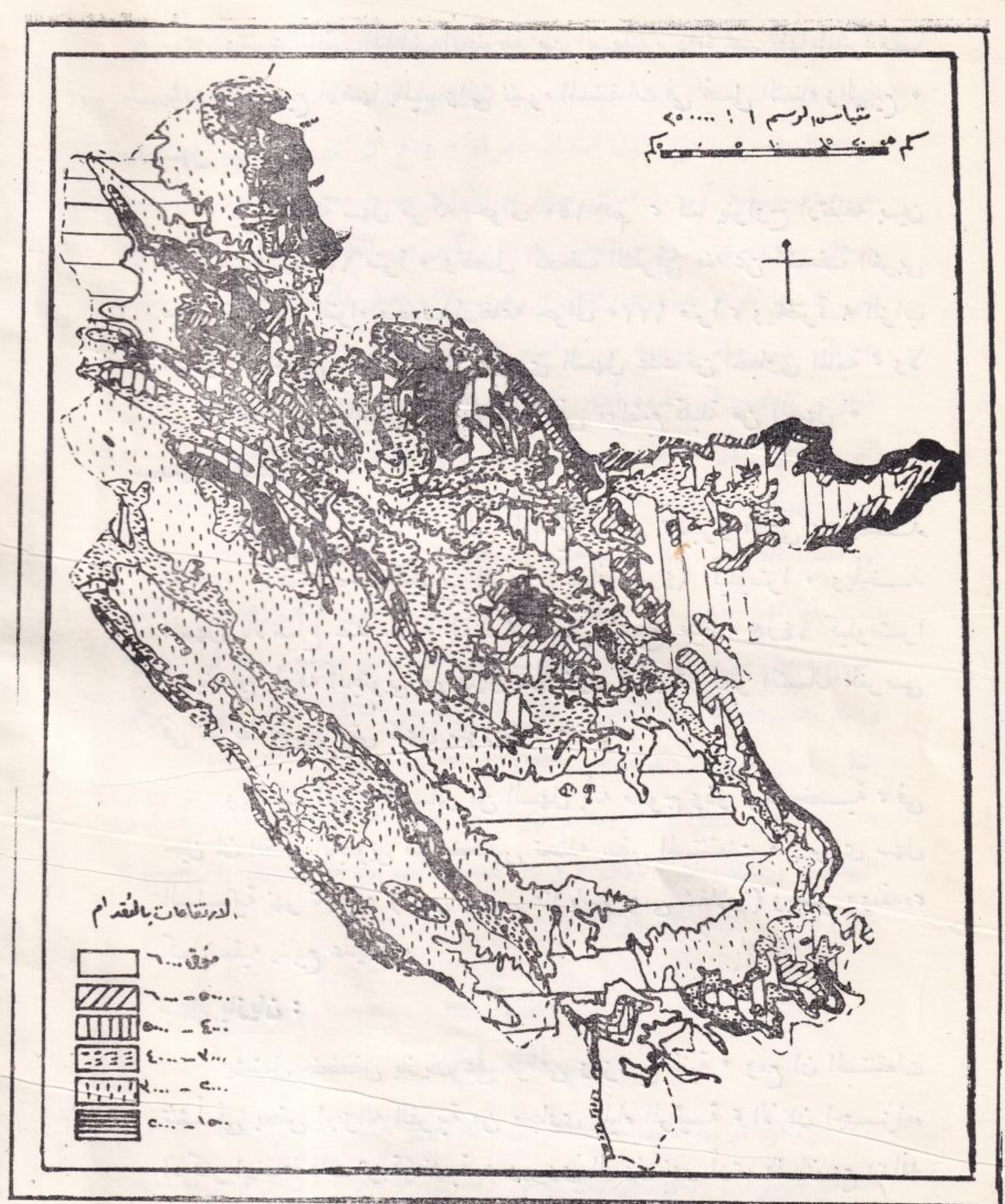
سهل السليمانية :

يكون هذا السهل الحوض الواسع لوادى تانجرو الاعلى ، ويمتـد الوادى بأكمله نحو الجنوب الشرقى لمسافة ٦٤٫٥ كيلومترا • ويأخـذ السهل بالاتساع عند مدينة السليمانية حتى يصبح عرضه ١٤٫٥ كيلومترا ثم يندمج طرفه الجنوبى مع سهل شهرزور • ويمتد نحو الشمال الغربى فى شريط ضيق حتى سهل سورداش •

ويتصف الجزء الشمالى من السهل بأنه مموج وذو تربة خصبة ، فى حين ان القسم الجنوبى منه منخفض تحتله بعض المستنقعات • ويروى سهل السليمانية نهر تانجرو (الذى يسمى هنا باسم جمى شقلاوة) وبعض روافده، كما تسقيه ينابيع عديدة •

سهل بازيان :

يشتمل منخفض بازيان على مراعى ومزارع غنية • ومع ان المستنقعات تنشأ فى بعض اجزائه القريبة من مجارى المياه الرئيسة ، الا ان اجـزاءه الاكثر ارتفاعا ذات تربة خصبة • ويروى السهل نهر آوى بازيان مع روافد صغيرة اخرى •



الخارطة الطوبوغرافية للواء السليمانية

الهضـاب

تحصر السلاسل الجبلية بينها ، بالاضافة الى السهول ، عدة هضـاب تستخدم فى الزراعة والرعى • ويعتمد استخدام الهضاب فى الزراعة عـلى توفر موارد المياه كما يعتمد ايضا على شكل التنظيم الاجتماعى والسـياسى للسكان • وابرز تلك الهضاب هى :

هضبة بنجوين :

تحتل هضبة بنجوين الطرف الشرقى للواء بأجمعه ، وهى بذلك أضخم واهم هضبة فى اللواء • وتحيط بها جبال المنطقة المعقدة الالتواء من جهـات ثلاث • ويتراوح ارتفاعها بين **١٥٢٥** مترا الى **١٨٣٠** مترا •

ولا تستخدم الهضبة فى الزراعة الا بدرجة محدودة ، لكنها تمتلـك مراعى غنية • وتستخدم قبائل الجاف شبه المترحـلة مراعى الهضبة باعتبارها المراعى الخاصة بالقبيلة •

هضبة بيرزنجة :

تمتد هذه الهضبة شرقا حتى جبال هورامان وجنوبا حتى ســـهل شهرزور ، بينما يحدها نهر قلا جوالان من الشمال • وتشتمل على بضـعة جبال من بينها جبل كالاكراه وجبل كركنجاو • ويمر طريق السليمانية ـ بنجوين ـ سنة على امتداد حافة الهضبة •

هضبة بشدر :

يحد هضبة پشدر من الشرق الجزء الايرانى من المنطقة المعقـــدة الالتواء ، ومن الجنوب وادى سيويل ، ومن الغرب قلا جوالان ، كما يحدها نهر الزاب الصغير من الشمال • وتشتمل على بضعة جبال تمتد فى الغـالب بموازاة الحـدود ، ومن بينها جبل سرشو وجبل كتيو [١٧] •

---

(١٧) انظر : كتاب « جغرافية العراق العسكرية » تأليف سلمـان الدركزلى ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ٩١ـ٩٢ •

وتتلقى هذه الهضاب جميعها امطارا غزيرة وتكسو جبالها غابات كثيفة ، كما تغطى ارضها حشائش غنية تجعلها مراعى ممتازة ٠

وتوضح الخارطة الطوبوغرافية للواء السليمانية بأن المرتفعات تشغل الجزء الاعظم من اللواء ٠ ويتراوح ارتفاع خطوطه الكنتورية بين ٧٤٥ مترا الى ١٨٣٠ مترا تقريبا ، الا ان نصف مساحته تقع فيما بين ٧٥٤ مترا الى ١٥٢٥ مترا ٠ ويمكن القول بأن الجهات الوحيدة التى يقل فيها الارتفاع عن ٧٥٤ مترا هى سهل شهرزور والطرف الشرقى من سهل مركه ٠

وتبلغ مساحة الاراضى الزراعية فى اللواء ٢٥٥٠ كم٢ ، بينما تبلغ مساحة اللواء بأجمعه حوالى ٩٥٥٢ كم٢ ٠ (×)

- ٥ -

نظام تصريف المياه

يتصف نظام تصريف المياه فى لواء السليمانية بالتعقيد الشديد ، ويرجع ذلك الى كون المنطقة ما تزال فى حالة شباب ، لذلك فان مجارى المياه تجرى فى جميع الاتجاهات وتتبع خطوط المقاومة الضعيفة لتتصل بالانهار الرئيسية ٠ ويمكن القول بأن النموذج السائد لتصريف المياه هو المسمى بالتصريف المتعامد ، ذلك ان الانهار الرئيسة المستعرضة تخترق سلاسل الجبال فى خوانق عميقة ، فى حين ان توابعها تحتل الاودية الطولية [١٨] ٠ وبما ان اعماق الانهار الرئيسة اعظم من اعماق توابعها عموما فأن تلك التوابع تتصف بنشاط عظيم قرب مصباتها ، وهى دائبة على حفر خوانق فى مجاريها السفلى بعمق خوانق النهر الرئيسى تقريبا ٠ وقد كونت بعض المدرجات لها بسبب استمرارها فى حفر مجاريها ٠

(×) تنطبق هذه الارقام على اللواء بوحداته الادارية القديمة ٠

(١٨) الاتروشى ، ص ٤١

وهناك نهران رئيسيان يصرفان مياه اللواء هما نهر الزاب الصغير ونهر سيروان (الذى يطلق عليه اسم ديالى فى مجراه الادنى) .

وينبع نهر الزاب الصغير من الاراضى الايرانية فى سهل لاهجان غربى مهاباد (سوج بولاق) ، ويجرى اولا نحو الجنوب الغربى ثم يتجه نحو الجنوب الشرقى بين جبال شديدة الانحدار . ويدخل لواء السليمانية عند الحدود الشمالية الشرقية ، ثم يغير اتجاهه الجنوبى الشرقى الى اتجاه شمالى غربى ، ويلتقى بنهر قله جوالان قبل دوكان بثمانية أميال . وابتداءا من هذه النقطة يتبع الزاب الانكسارات فى الصخور الملتوية حتى يخترق جبل كانى رش عند دربندى راماخان . (١٩) ويأخذ قاع النهر بالاتساع كلما استمر فى جريانه فى اتجاه جنوبى عبر سهل رانية . ثم تطبق المرتفعات عليه من جديد بعد ان يقطع حوالى خمسة عشر ميلا نحو الجنوب . وعند مرزه رستم يشق طريقه فى خوانق عميقة بين جبل بيره مكرون وجبل هيبت سلطان . ثم يخرج بعدئذ الى المنطقة شبه الجبلية ويجرى فى سهول متموجة حتى يلتقى بنهر دجلة شمالى بيجى .

ويتلقى النهر كمية عظيمة من المياه فى فصل الربيع بشكل خاص عند ذوبان الثلوج وهطول الامطار الغزيرة . ولكن مهما ارتفع مستوى المياه فلا يسبب الفيضان على جوانبه سوى أضرارا طفيفة نظرا لارتفاع الاراضى المحيطة بالنهر . ولا يستخدم النهر فى الرى الا قليلا ، ذلك لان مجراه اكثر انخفاضا بكثير من مستوى الاراضى الزراعية المجاورة ، كما انه يعانى من نقص شديد فى مياهه وقت الصيف حينما تشتد حاجة المحاصيل الصيفية الى المياه .

ويلتحق بنهر الزاب رافد قله جوالان بالقرب من الحدود الشمالية

---

19. "Iraq and the Persian Gulf", P.100.



خارطة تصريف المياه للواء السليمانية

وهو يشتمل على عدة توابع • ويصبح قله جوالان اثناء وخلال الربيع نهـرا غزير المياه ، الا انه يتحول الى مسيل هزيل فى فصل الصيف • ومن أهـم توابعه آبى سيويل (الذى يشتمل بدوره على تابعين هما شالار وجمى كيزلجة) ويصرف مياه هضبة بنجوين ، وجمى كوكاسور الذى يصرف هضبة چوارته • وهذه التوابع جميعها ذات مجارى غزيرة المياه فى فصل الربيع نظرا للامطار الغزيرة ، لكنها تصبح مجرد مسيلات هزيلة اثناء الصيف • وينحصـــر استخدامها فى الرى فى اشرطة ضيقة من الاراضى التى تمتد على ضفافها ، ومرجع ذلك بالدرجة الاولى الى ارتفاع مستوى الاراضى المحيطة بها •

اما نهر آبى سيروان فينبع من منطقة تقع شمالى سنه بحوالى ٣٠ ميـلا وهو يصرف مياه منطقة جبلية واسعة من غربى ايران ، وذلك قبل ان يشق طريقه بين جبل هورامان وكوهى شوند ويدخل لواء السليمانية من طرفه الجنوبى الشرقى • ويتألف مجراه من سلسلة من الممرات الضيقة الوعرة ، ويبلغ النهر اشد حالاته وعورة فى فصل الربيع ذلك ان منابعه فى جبـــال هاورامان تتلقى اثناء الشتاء ثلوجا غزيرة • ويجرى فى اتجاه شمالى ـ غربى متبعا الانكسارات فى الصخور الملتوية ومكونا جزءا من الحدود العراقيـة ـ الايرانية • ثم ينحرف فجأة نحو اتجاه جنوبى ـ شرقى حتى يخرج من اللواء مخترقا سلسلة برنان فى مضيق دربندى خان • وحينئذ يتسع مجراه وينساب بهدوء حتى يلتقى بنهر دجلة جنوبى بغداد •

ان وعورة مجرى سيروان تجعل استخدامه فى رى اراضى اللواء امرا متعذرا للغاية ، عدا حقول صغيرة متناثرة تقع على امتداد ضفافه لا سيما فى جزئه الاسفل قبل انسيابه فى الاراضى السهلية •

ويلتحق بنهر سيروان رافدان كبيران هما نهر آبى تانجرو الذى يصرف ميـــاه حوض السليمانية بين ازمرداغ وبرنانداغ ، ونهر جمىديوانـــه الذى يصرف مياه الحوض الذى ينحصر بين جبال قرهداغ وبرنانداغ •

ويعتبر نهر آبي تانجرو وتوابعه من اهم المجاري المائية المستخدمة في الري في اللواء ، ويمد نهر تانجرو الاراضي الزراعية على ضفتيه بالمياه في فصل الصيف على طول امتداد مجراه . ومع ان نهر تانجرو ينبع غربي مدينة السليمانية كمسيل مائي صغير ، الا انه يصبح مجرى ضخما حينما يدخل سهل شهر زور ويلتحق به عدد كبير من الجداول والمسيلات المائية التي تغذيها ثلوج جباء هوراماں . وفي خلال فصل الشتاء والربيع يتسع مجراه حتى يبلغ عرضه في مواضع عديدة حوالي ٣٠ مترا ، لكن هذا المجرى يتقلص الى بضعة أمتار فقط في فصل الصيف . ومن اهم التوابع التي تلتحق بنهر تانجرو نهر زلم ونهر آبي جاقان اللذان يصرفان مياه سهل شهرزور . ومع ان هذين التابعين يصبحان عبارة عن مسيلين هزيلين في فصل الصيف ، الا ان مياههما تستخدمان في الري بشكل محدود .

اما نهر جمي ديوانه فهو اقصر من نهر تانجرو واقل اهمية . وهو يصبح مسيل هزيل في فصل الصيف ويستخدم بشكل محدود جدا في الري . وينبع جمي ديوانه عند تانجي كالاش ، وبعد جريانه في اتجاه جنوبي شرقي يلتقي بنهر سيروان بالقرب من جاهانا .

وتروي سهل بازيان منابع نهر طاق جاي وهو الرافد الشمالي لنهر العظيم ، وكذلك نهر تاينال ، وكلا هذين النهرين يستخدمان بدرجة محدودة في الري الصيفي .

- ٦ -
المناخ

يمكن ان يوصف مناخ العراق بأنه قاري عموما ، فهو يتصف بأربع صفات متميزة : مدى حراري يومي وسنوي مرتفع ، وربيع وخريف قصيرين ، ومعدل واطيء من التساقط التابع لنظام البحر المتوسط ، ورطوبة

نسبية واطئة • لكن هذه الصفات ليست متماثلة في جميع جهات البلاد • والواقع ان هناك منطقتين مناخيتين رئيسيتين تتمثلان في العراق هما المنطقة الجبلية ويتمثل فيها مناخ البحر المتوسط المضمحل ، ومنطقتي سهل الرافدين والهضبة الغربية التي تتمثل فيهما حرارة شبه مدارية وامطار صحراوية •

ويقع لواء السليمانية كليا ضمن المنطقة الجبلية ويتصف مناخه التابع لنظام البحر المتوسط الهامشي بصيف حار جاف وخريف دافىء ممطر وسماء صافية وكمية غزيرة من نور الشمس • (٢٠)

الحرارة

يتميز هذا العنصر بأهمية رئيسة بين عناصر المناخ الاخرى ، فالحرارة تؤثر بشكل مباشر على الضغط الجوي ، وهذا بدوره يؤثر على حركة الرياح ، ثم على معدل التساقط ، ثم على معدل التبخر • وتكاد تكون الاحصاءات المناخية في لواء السليمانية منعدمة ، لاسيما احصاءات الحرارة • والواقع ان محطة الرصد الحرارية لم تنشأ الا مؤخرا في النصف الثاني من عام ١٩٥٣، وفي موضع واحد فقط ، وهي كهريزا سطى شريف قرب مدينة السليمانية • ومع ان احصاءات تلك المحطة لا يمكن الاعتماد عليها كحكم نهائي ، لكنها قد تمدنا بفكرة عامة عن الحالة الحرارية في اللواء • ولا شك ان الدراسات المقبلة ستكون اكثر دقة • ويوضح الجدول التالي معدلات الحرارة الشهرية لعام ١٩٥٤ (بالدرجات الفهرنهايتية) :

---

20. Kendrew, Climate, P.314.

الجدول رقم ٣(٢١)

متوسطات الحرارة الشهرية لمحطة كهريز اسطة شريف

الشـــــهر	الدرجة بالفهرنهايت
كانون الثانى	٤٢ر١
شـــباط	٤٢ر٣
مارت	٥٠ر ـ
نيســـان	٥٨ر٦
مايس	٧٦ر١
حزيران	٨٥ر٧
تمـــوز	٩٣ر ـ
آب	٩٢ر٧
ايلـــول	٨٥ر٥
تشرين الاول	٧٣ر٥
تشرين الثانى	٥٥ر٥
كانون الاول	٤٩ر١

يوضح الجدول المذكور بأن الصيف يبدأ فى شـهر مايس (مايو) وينتهى فى شهر تشرين الاول (سبتمبر) ، فيدوم بذلك حوالى ستة أشهر • وترتفع درجة الحرارة ارتفاعا عظيما خلال اربعة اشهر ، من حزيران حتى أيلول ، وتبلغ أقصاها فى شهرى تموز وآب (يوليو واغسطس) ، فتتجاوز ٩٠°ف لاكثر من ٦٠ يوما • ويساعد صفاء السماء وطول النهار وكتـــل الهواء القارية الحارة الجافة على رفع درجة الحرارة بدرجة عظيمة • غير ان هناك عاملان يخففان من شدة الحرارة هما متوسط الرطوبة النسـبية الواطىء ونسائم الجبل •

(٢١) احصاءات غير منشورة استقيت من سجلات محطة كهـريز اسطة شريف لرصد الحرارة •

ولقد بلغت متوسطات الرطوبة النسبية لمدينة السليمانية لعام ١٩٥٤ كما يلى :

حزيران ١٦٫٣٪ ، تموز ١٧٫٨٪ ، آب ١٧٫٩٪ ، ايلول ١٦٫٧٪ • [٢٢]

ان هذا المتوسط المنخفض يخفف من وطأة الحرارة على الاعصاب اذ يسمح بتبخر العرق من جسد الانسان وبالتالى يؤدى الى انخفاض درجة حرارة الهواء حواليه • وتأخذ الرطوبة النسبية بالارتفاع كلما اقترب موسم الامطار،وتبلغ أقصاها فى شهر كانون الاول وكانون الثانى (ديسمبر ويناير)، فتصل الى متوسط عال نسبيا •

اما نسائم الجبل فهى تهب فى الغالب بعد منتصف النهار وتخفف من درجة الحرارة • ولذلك تلحق بمنازل قرى لواء السليمانية شرفة تمضى العائلة فيها أغلب أوقاتها وتتمتع بتلك النسائم المنعشة •

وتهبط درجة الحرارة هبوطا كبيرا أثناء الليل ، اذ تيسر السماء الصافية عملية الاشعاع من سطح الارض • ويتضح ذلك من الجدول التالى الذى يبين لنا متوسطات الحرارة اليومية العظمى والصغرى لعام ١٩٥٤ :

الجدول رقم ٣(٢٣)

متوسطات الحرارة اليومية العظمى والصغرى لمحطة كهريز اسطة شريف

الشهر	متوسط الحرارة العظمى (ف)	متوسط الحرارة الصغرى(ف)
كانون الثانى	٤٧٫٧	٣٦٫٥
شباط	٤٨٫ـ	٣٦٫٥
مارت	٥٨٫ـ	١٤٫٤

(٢٢) سجلات محطة كهريز اسطة شريف •

(٢٣) المصدر السابق •

« تابــع »

الشهر	متوسط الحرارة العظمى	متوسط الحرارة الصغرى
نيســان	٦٤٫٨	٥٢٫٣
مايس	٨٣٫٥	٦٨٫٧
حزيران	٩٤٫٧	٧٦٫٧
تمــوز	١٠٢٫ــ	٨٤٫٤
آب	١٠١٫٤	٨٤٫ــ
ايلول	٩١٫٥	٧٣٫٦
تشرين الاول	٨٠٫ــ	٦٧٫ــ
تشرين الثانى	٦٢٫ــ	٤٨٫ــ
كانون الاول	٥٣٫٧	٤٤٫٥

يتضح اذن ان مدى الحرارة اليومى عظيم وخاصة اثناء شهور الصيف، اذ يبلغ حوالى ١٨° و ١٦٫٦° و ١٧٫٩° فى تموز وآب وايلول على التوالى • ويعزى انخفاض درجة حرارة الليل الى الاشعاع السريع لحرارة النهار عقب غروب الشمس ، والى حالة التصريف الهوائى او نسائم الجبل الباردة التى تهب من الجبال الى الاودية والاراضى المنخفضة • ويلاحظ ان مدى الحرارة السنوى عظيم ايضا ، وهذه الظاهرة تكسب مناخ لواء السليمانية صفة قارية واضـــحة •

وتبدأ درجة الحرارة بالهبوط السريع فى نهاية شهر تشرين الاول ، وتبلغ أدناها فى شهر كانون الثانى وشباط • ومع أن كانون الثانى هو أشـد شهور السنة برودة فى جميع انحاء اللواء ، الا ان شهر شباط عموما يبلـغ نفس درجات كانون الثانى ، وتتراوح درجة الحرارة فى خلال الشــهرين حوالى ٤٠°ف • ويحدث الصقيع خلال هذين الشهرين كما تسقط الثلوج بضعة مرات فى كل شهر • ويجدر بالذكر ان مدى الحرارة اليومى الشتوى

هو أقل ارتفاعا بكثير من مدى الحرارة اليومي الصيفي ، ذلك ان النهـار يتلقى حرارة أقل في أيام الشتاء ، كما ان الاشعاع الذي يبدأ بعد الغروب لا يكون بنفس القوة بسبب تأثير الرطوبة النسبية العالية نوعما وكثرة الغيوم في السماء .

ولابد من الاشارة ايضا الى ان ارقام الحرارة التي ذكرت اعلاه لا توضح الحالة الحقيقية للحرارة في جميع انحاء اللواء . والواقع ان تلك الارقام لا توضح الا حالة المناطق التي تقع تحت مستوى الخط الكنتوري ٣٠٠٠ قدما فقط . وقد سبق ان ذكرنا بأن حوالي نصف مناطق اللواء تقع فوق مستوى خط الكونتور ٣٠٠٠ قدما ، وفي بعض الجهات يزيد ارتفاع الارض عن خط الكنتور ٦٠٠٠ قدما . وتتميز امثال تلك المناطق بشتاء أكثر برودة اذ يبلغ متوسط الحرارة حوالي ٣٢° ف خلال شهري كانون الثاني وشباط ، كما تتصف بصيف أقل حرارة ، اذ يبلغ متوسط الحرارة حوالي ٧٠° ف في شهري تموز وآب . وتأخذ درجة الحرارة بالهبوط كلما تقدمنا نحو الجهات الشمالية من اللواء او الجهات الشمالية الشرقية منه .

الضغط الجوي والرياح

تتركز في فصل الصيف منطقة ضغط مرتفع فوق هضبة الاناضول ، تقابلها منطقة ضغط واطيء فوق الخليج العربي وشبه القارة الهندية . لذلك تهبط خطوط الضغط خلال شهور الصيف مع ميل شديد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، وتصبح الرياح السائدة خلال الصيف شمالية غربية . وتتصف هذه الرياح بالجفاف والحرارة في العادة ، وتتراوح سرعتها احيانا بين ٢٠–٤٠ ميلا في الساعة خلال النهار ، ولكنها تتلاشى اثناء الليل . (٢٤)

24. Redpath, C.H., Notes on the climate of Mesopotamia, Symon Meteorological Magazine, No. 54, 1919, P.90.

ويطلق على هذه الرياح فى لواء السليمانية ، اسم (رشبا) ، بينما تسمى فى الجهات الاخرى من العراق باسم (رياح الشمال) ، وهى تسبب اضرارا كبيرة لاشجار الفواكه فى اللواء • وتبنى أسيجة سطوح البيوت فى المراكز المدنية من اللواء بثقوب كثيرة لتيسر هبوبها دون أن تسبب اضرارا للمنازل • أما فى وسط وجنوب العراق فهى تسبب زوابع ترابية وخاصة فى شهر حزيران وتموز وآب •

وتتجه خطوط الضغط فى فصل الشتاء من الشمال الغربى نحو الجنوب الشرقى ، اذ تتركز منطقة ضغط مرتفع على بحر قزوين تقابلها منطقة ضغط منخفض فوق الصحراء العربية الكبرى والبحر الاحمر • وبما ان احوال الضغط غير مستقرة اثناء هذه الفترة وهى عرضة للتغير بين وقت واخر بسبب تدخل أعاصير البحر المتوسط ، فان الرياح تصبح متغيرة من يوم لاخر • وتسود ثلاثة أنواع رئيسة من الرياح خلال فصل الشتاء هى : الرياح الشمالية الغربية والرياح الشمالية الشرقية والرياح الجنوبية الشرقية •

وتهب الرياح الشمالية الغربية من هضبة الاناضول حاملة الدفء والطقس الجاف • اما الرياح الشمالية الشرقية فيصحبها طقس بارد جاف وسماء صافية جدا • وتعتبر الرياح الجنوبية الشرقية باردة نسبيا ورطبة ويصحبها فى العادة غيوم وأمطار ، وتنشأ هذه الرياح أمام الانخفاضات الجوية المتحركة ويطلق عليها محليا اسم «الشرجية» • (٢٥)

الامطار

يتبع نظام الامطار فى العراق عموما نظام البحر المتوسط الهامشى الذى

---

25. Al-Shalash, Ali, The climate of Iraq, P.17.

وهى رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى جامعة ماريلانـد فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٧ •

تتسبب أمطاره فى الغالب من الاعاصير التى تصحب الرياح الجنوبية الغربية .
وقد أشرنا الى ان العراق محاط فى فصل الشتاء بضغط مرتفع فى جهاته الشمالية والشرقية والغربية يمتد فوق هضبة الاناضول والهضبة العربية والهضبة الايرانية ، كما انه محاط من الجهة الجنوبية الغربية بضغط منخفض فوق الخليج العربى . وتتوسط هاتين المنطقتين منطقة ضغط منخفض نسبيا تحتل حوض وادى الرافدين ، وتمتد امتدادا شماليا غربيا ـ جنوبيا شرقيا فتربط منطقة الضغط المنخفض فوق البحر المتوسط بمنطقة الضغط المنخفض فوق الخليج العربى . ان منطقة الضغط المنخفض هذه تيسر مرور انخفاضات البحر المتوسط من الغرب الى الشرق . وفى اثناء مرور هذه المنخفضات تهب رياح جنوبية شرقية دافئة من الخليج العربى ، وتسود البلاد أمطار غزيرة وزوابع رعدية ، ثم تهب الرياح الشمالية الغربية الباردة فى أعقاب تلك الانخفاضات تصاحبها سماء صافية واحوال مناخية مستقرة .[٢٦] وترتبط أعلى كمية من الامطار عادة بحدوث أعلى مقدار من هذه الانخفاضات . ويتكرر مرور هذه الانخفاضات عادة ثلاث مرات فى الشهر فيما بين شهر تشرين الثانى ومارت .[٢٧]

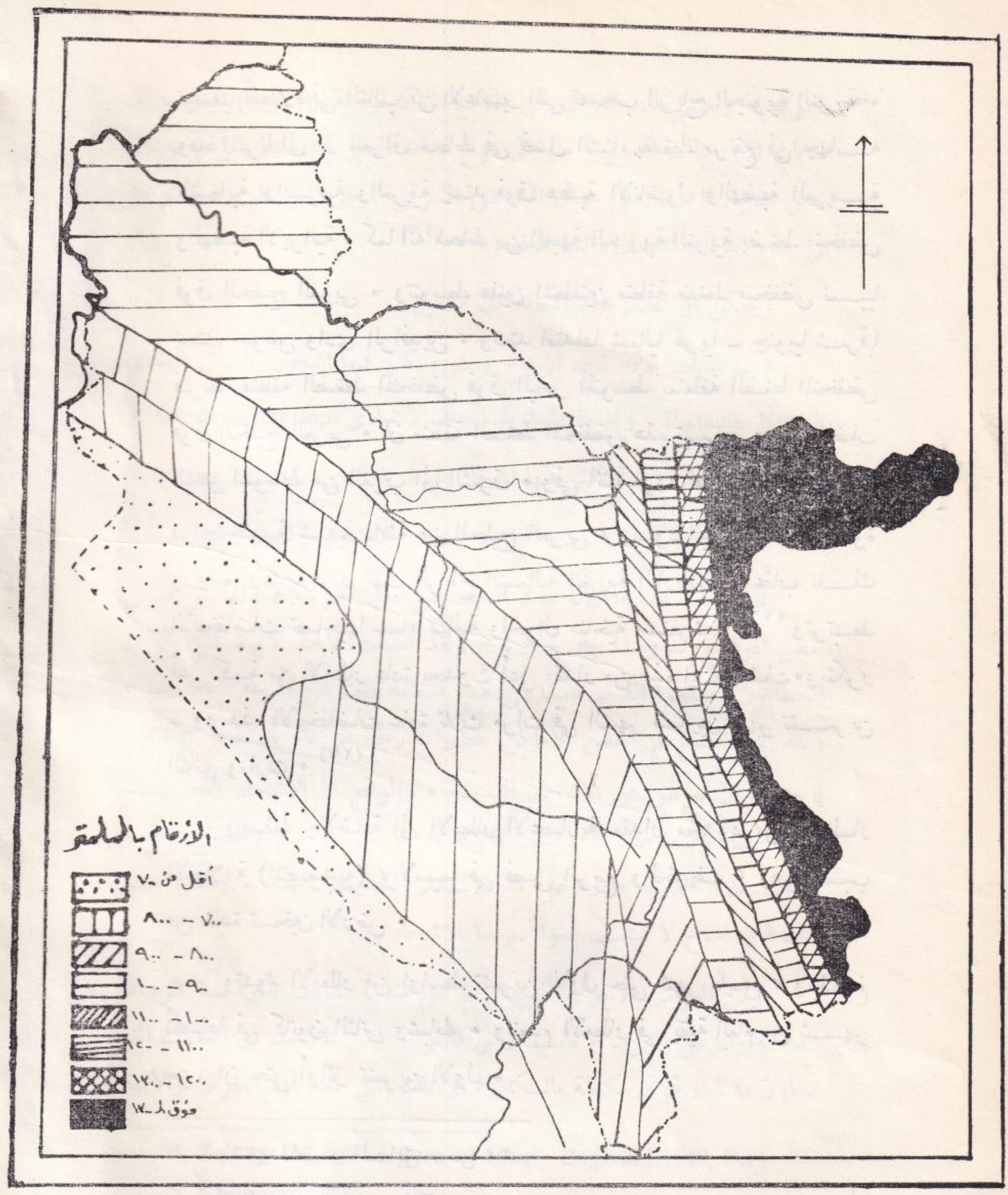
ويسقط بالاضافة الى الامطار الاعصارية مقدار محدود من الامطار الانقلابية (التصعيدية) ، لاسيما فى فصلى الربيع والخريف ، وهى تتسبب عن شدة تسخين الارض .

وتدوم الامطار من اواسط تشرين الاول حتى شهر مايس ، وتبلغ أقصاها فى كانون الثانى وشباط . وتنعدم الامطار فى بقية العام من شهر حزيران حتى أوائل تشرين الاول .

---

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٠

(٢٧) هستد ، ص ٣٧



خارطة الامطار للواء السليمانية

ويختلف متوسط المطر السنوى من منطقة الى اخرى من مناطق البلاد ، وهو يرتفع كلما تقدمنا من الجنوب الغربى نحو الشمال الشرقى • وتصل كمية الامطار أقصاها فى المنطقة الجبلية وأدناها فى السهول المنخفضة الجنوبية • ويبلغ متوسط المطر السنوى للعراق عموما ٣٧٤ ملمترا ، بينما يقرب متوسط المطر السنوى للمنطقة الجبلية ٩٥٠ ملمترا ، أى انه اعلى من بقية مناطق البلاد بحوالى ٥٧٦ ملمترا •

وبما ان لواء السليمانية يقع كليا ضمن المنطقة الجبلية ، فانه يتلقى كمية من الامطار اكبر مما تتلقاه معظم الالوية • ويختلف مقدار المطر من شهر لآخر ، الا ان اغلبه يسقط اثناء شهر كانون الثانى وشباط ومارت ، حيث يسقط فى زخات ثقيلة • ويسبب تركز كمية ضخمة من الامطار فى زخات ثقيلة اضرارا بالغة للتربة فى منحدرات الجبال الشديدة الانحدار ، لذلك فان لواء السليمانية يقاسى فى أغلب اجزائه من تعرية شديدة •

ويوضح الجدول التالى متوسط المطر الشهرى فى محطات متعددة للواء سجلت فى سنين مختلفة :

الجدول رقم ٤(٢٨)

متوسط المطر بالملمترات فى محطات بكره جو وحلبجة والسليمانية وبنجوين

المحطة	ارتفاعها بالاقدام	كانون الثانى	شباط	مارت	نيسان	مايس	حزيران
١ ـ بكره جو	٢٤٤٦	١٤٣ر٣	١١٧ر١	١١٦ر٩	٨١ر٨	٣٤ر٨	٠ر٥
٢ ـ حلبجة	٢٣٠٠	١٧٢ر٦	١٥٠ر٤	١٤٠ر٤	٧٧ر٦	٣٣ر٥	ـــ
٣ ـ السليمانية	٢٧٥٠	١٣٦ر٩	١١١ر٣	١١٨ر٦	١٠٧ر٦	٦١ر٩	ـــ
٤ ـ بنجوين	٤٢٥٠	٣١١ر٢	٢٤٤ر٦	٢٣٩ر٣	١٠٥ر١	٥٣ر٧	ـــ

(٢٨) دنيس ، ص ٤٣ •

تموز	آب	ايلول	تشرين الاول	تشرين الثانى	كانون الاول	معدل المطر السنوى	عدد السنوات
١ر٦	—		١٣ر٣	٩٠ر-	١١٦ر٨	٨٢٥ر٢	١٢
—	٠ر٥	٠ر١	٣٣ر٧	٨٢ر٢	١٣٥ر٥	٨٢٧ر٤	١٨
—	—		١٤ر٦	٦٩ر-	١١٤ر٦	٧٣٤ر٥	١٥
—	—		٩٠ر٩	١٣٠ر٣	٢٠٤ر-	١٣٣٩ر١	١١

يبين الجدول السابق ان كمية المطر موزعة توزيعا جيدا على خمسة أشهر من السنة ، وهى شهر كانون الاول وكانون الثانى وشباط ومارت ونيسان • كذلك يوضح الجدول بأن الامطار الربيعية التى تسقط فى شهرى شباط ومارت مساوية تقريبا للامطار الشتوية التى تسقط فى شهر كانون الاول وكانون الثانى • ان هذه الصفة للمطر ذات أهمية خاصة للزراعة الجافة ، اذ تتلقى المحاصيل كمية كافية من المطر اثناء المرحلة الاخيرة من نموها • وعلى أية حال فان اشهر الشتاء كانون الاول وكانون الثانى وشباط هى أكثر شهور السنة مطرا • أما أشهر الربيع مارت ونيسان ومايس فتتلقى كمية أقل من المطر • ويعزى هذا التناقص فى كمية المطر الى عوامل متعددة منها قلة الزوابع الاعصارية القادمة من البحر المتوسط وضعفها مما يقلل من مقدرتها على التوغل فى المنطقة ، ومنها تزحزح الضغط الأطلسى المرتفع الى الشمال مما يجعل الرياح الغربية تهب الى الشمال من مناطقها •

وتتسبب أغلب الامطار الربيعية عن الزوابع الانقلابية • وتتلقى أشهر الخريف تشرين الاول وتشرين الثانى كمية من المطر أقل بكثير من أشهر الشتاء والربيع • ويعود ذلك الى الفترة القصيرة التى تستغرقها الأيام الممطرة التى تنحصر ما بين اواسط تشرين الاول ونهاية تشرين الثانى ، كما يعزى الى الفترة التى تنشط فيها انخفاضات البحر المتوسط التى تبدأ عند منتصف الخريف •

أما أشهر الصيف فهى عديمة الامطار كليا • ويعزى اختفاء المطر فى هذه الاشهر الى انتقال مناطق هبوب الرياح الغربية نحو الشمال ، وبذلك تفقد انخفاضات البحر المتوسط تأثيرها على العراق ، كما يعزى ايضا الى وقوع المنطقة تحت تأثير الهواء القارى المدارى الذى يتصف بالجفاف والحرارة والاستقرار • وان الجفاف الشديد لهذه الكتل الهوائية يجعل حتى الزوابع المطرية القارية امرا شبه مستحيل الوقوع •

وتشير دراسة امطار لواء السليمانية ايضا الى درجة عالية من الذبذبة• وتتضح هذه الظاهرة فى الجدول التالى الذى يبين لنا متوسطات الامطار السنوية لعدة محطات خلال الفترة بين عام ١٩٣٧ الى ١٩٥١ •

الجدول رقم ٥[٢٩]

معدل المطر السنوى بالملمترات لمحطات السليمانية بوكره جو وحلبجة وبنجوين

المحطة	ارتفاعها بالاقدام	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢
١ ـ السليمانية	٢٧٥٠	٨٧٨ر٦	١٠٢٤ر٤	٦٧٦ر١	٧٦١ر٥	٧٨٤ر٩	٤٦٥ر٤
٢ ـ بكره جو	٢٤٤٦	٤٣٠ر٩	١٠٣٠ر٤	٦٠٣ر٢	٧١٣ر٦	٥١١ر٨	١٤٧ر٣
٣ ـ حلبجة	٢٣٠٠	١٤٧٠ر٦	٢٢٥٦ر–	٦٠٧ر٦	٨٦١ر٥	٧٠٧ر٥	٥٨٤ر٢
٤ ـ بنجوين	٤٢٥٠	–	–	٩٧٧ر٤	١٧٣٠ر٨	١٢٨٢ر٥	١١٧٥ر٩

المحطة	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥١
١ ـ السليمانية	٧٠١ر–	٦٣٨ر٧	٧٩٠ر٧	٤١٤ر٧	٨٢٩ر٥	–	–	–	٤٢٩ر٣
٢ ـ بكره جو	٧٥١ر٢	٥٩٠ر–	٨٥٨ر٦	٥١٨ر٧	٥٢٧ر٥	–	–	–	–
٣ ـ حلبجة	٦١٢ر٩	–	٥٨٠ر٧	٨٨٧ر٢	٥٢٩ر٥	٥٤٠ر١	٦٧٥ر١	٥٠٥ر٨	٤٩٤ر٨
٤ ـ بنجوين	١٠٤٧ر١	٦٣٨ر٧	١٢٢٨ر١	١١٦٥ر٥	–	–	–	١٢٧٨ر٦	٩٣٥ر٦

---

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٤٤ ـ ٤٥

يوضح الجدول السابق ان بكرهجو مثلا قد تلقت كمية من الامطار قدرها ١٠٣٠ر٤ ملمترا فى عام ١٩٣٨ ، و ١٤٧ر٣ ملمترا فى عام ١٩٤٢، و ٥١٨ر٧ ملمترا فى عام ١٩٤٦ • كذلك تلقت حلبجة كمية من الامطار قدرها ـ ٢٢٥٦ر ملمترا عام ١٩٣٨ ، و ٥٦٤ر٢ ملمترا عام ١٩٤٢، و ٨٨٧ر٢ ملمترا عام ١٩٤٦ • وهذا يدل على ذبذبة عظيمة فى سقوط الامطار • وتعزى هذه الذبذبة الى وقوع المنطقة على حافة الامطار الاعصارية مما يجعل كمية الامطار الساقطة أمرا لا يمكن الاعتماد عليه [٣٠] • وتسبب هذه الظاهرة احيانا اضرارا بالغة للمزروعات الشتوية •

ويوضح الجدول ايضا بأن كمية المطر تختلف من مكان الى اخر فى اللواء تبعا لاختلاف الارتفاعات وتبعا لموضع محطات الرصد ان كانت فى السفوح المواجهة للرياح ام فى ظل المطر • لذلك فان كمية الامطار تأخذ بالزيادة كلما اتجهنا من الجنوب الغربى نحو الشمال الشرقى ، اذ ان ارتفاع الارض يأخذ بالازدياد كلما تقدمنا نحو الشمال الشرقى • وبناء على ذلك يتلقى قضاء حلبجة أكبر كمية من الامطار فى اللواء يليه قضاء جوارته ثم قضاء بشدر على التوالى ، فى حين ان قضاء السليمانية يتلقى أقل كمية من المطر فى جميع جهات اللواء •

احوال الصيف :

يبدأ الصيف فى أواسط مايس ويدوم حتى أواسط تشرين الاول • وتنقطع الامطار فيما بين شهر حزيران وآب ، لذلك تذوى أغلب النباتات التى تعتمد على المطر ، ولا تبقى الاعشاب الخضراء الا فوق المنحدرات المرتفعة للجبال الشاهقة •

---

30. Miller, A. Austin, Climatology, London, 1955, 5th edit., P. 167.

وتتصف درجة الحرارة اثناء النهار بالاعتدال الا انها تنخفض بشكل ملموس اثناء الليل ، لاسيما فوق المرتفعات ، بحيث يصبح البرد لاذعا • وتهب الرياح الشمالية الغربية القوية (الرشبة) غالبا ، اذ تهب حوالى عشرة أيام فى كل من شهر تموز وآب وايلول • وتكون الشمس ساطعة على العموم ، ولكن تظهر الغيوم المتفرقة العالية فى السماء غالبا أيضا • وتسود بين السكان عادة القيلولة بسبب ارتفاع حرارة النهار وسطوع الشمس لفترة تتراوح بين ٩-١٢ ساعة يوميا ، لكن هذه العادة تكاد تكون مجهولة فى جهات المرتفعات الشمالية الشرقية وفى الجهات الشرقية من اللواء •

وعلى العموم فان حرارة الصيف وفترته الزمنية تكفى لنمو عدد من المحاصيل المدارية كالتبغ والرز والقطن • لكن فصل الصيف فى الجهات الشمالية الشرقية القصوى من اللواء قصير وبارد بحيث لا يسمح بنمو أمثال تلك المحاصيل المدارية وخصوصا الرز •

احوال الشتاء :

يتصف الشتاء بالبرودة المعتدلة فى الاودية والسهول ، الا انه يصبح قارس البرد نوعما فى الجبال والمرتفعات • لذلك يراعى السكان فى بناء بيوتهم أحوال الشتاء الباردة اكثر مما يراعون احوال الصيف ، ويفكرون قبل كل شىء بوجوب تجنب الرياح الباردة والثلوج • وتسقط الثلوج بغزارة فوق قمم الجبال ، وقد يؤدى سقوطها احيانا الى قطع جميع انواع المواصلات لفترة طويلة فتصبح القرى فى عزلة تامة • ويتراوح ارتفاع خط الثلج الدائم بين ٢٥٠٠ الى ٤٠٠٠ قدما •

وتظل جميع النباتات فى سبات خلال أشهر الشتاء حتى مايس ، الا ان حرارة السهول والاودية المحمية تتجاوز درجة التجمد مما يسمح بزراعة الفواكه الحمضية •

وتظهر فى السماء خلال شهور كانون الاول وكانون الثانى وشباط

ومارت غيوم عالية ، مما يقلل من ساعات اشعة الشمس • ويزداد مقـدار الايام الغائمة كلما ازدادت كمية الامطار ابتداءا من تشرين الاول حتى كانون الثانى ، ومع ذلك فان متوسط الغطاء الغمامى لاى شهر نادرا ما يتجـاوز خمسة أعشار ، (٣١) ولهذه الظاهرة أهمية خاصة ، اذ ان كمية الغيـوم تؤثر على مقدار الامطار وعلى الحرارة وعلى فترات الاضاءة اليومية •

ويحدث الضباب بمعدل ٦ الى ١٠ ايام اثناء الفصل المطير ، ويبلـغ أقصاه فى شهرى كانون الاول وكانون الثانى ، ويرتبط الضباب بمرور الهواء البارد اثناء الساعات المتأخرة من الليل والساعات المبكرة من الصباح ، اذ يهبط من الاراضى المرتفعة المجاورة الى الاراضى الواطئة المجاورة • ويحدث الصقيع أغلب الليالى فى شهر كانون الثانى وشباط •

الفصول الانتقالية :

يمثل الربيع والخريف فترات انتقالية ، ولا يتطوران الى ما يمكن ان نسميه بالفصول الحقيقة الا فى الجهات الشمالية الشرقية القصوى والجهات الشرقية حيث يصبح الصيف قصيرا جدا • وفى اثناء هذين الفصلين الانتقاليين تصبح الحرارة المعتدلة ملائمة جدا للحياة البشرية • ويحل فصل الربيـع فى شهرى نيسان ومايس ، وان كان من المفروض ان يبدأ فى أواسـط مارت • وفى خلال هذا الفصل تكتسى الاودية وسفوح المرتفعات فى اللـواء بسجادة خضراء وبأنواع عديدة من الزهور الجذابة ، ويبلغ جمال المنطقـة مداه ، يضاف الى ذلك نهار مشمس دافىء •

ويبدأ الخريف فى تشرين الاول ، ويمثل بشكل اكثر وضوحا الفترة الانتقالية بين الصيف الحـار والشتاء البارد • وتختلف هذه الفترة عن فترة الربيع فى التغير الفجائى من الصيف الى أحوال شتائية واضحة ، بينما يحدث الانتقال من الشتاء الى الصيف خلال الربيع بشكل غير ملحوظ تقريبا •

---

(٣١) الشلش ، ص ٧٢ •

- ٧ -

النبات الطبيعي

ان النبات الطبيعي ثمرة للتفاعل بين المناخ والتضاريس والتربة • لذلك تتمثل في العراق اربعة نماذج متميزة من النباتات الطبيعية هي :

١ ـ الغابات الجبلية :

وتتمثل في المنطقة الجبلية التي تتوافق مع خط المطر ٦٠٠ ملمترا •

٢ ـ حشائش الستبس

وتتمثل شمالي خط يمتد من حديثة الى تكريت الى قزيل رباط ثم الى بدرة ، وتتوافق مع خط المطر ٢٠٠ ملمترا •

٣ ـ الاعشاب الصحراوية :

وتتمثل في الصحراء العربية في الجنوب والغرب •

٤ ـ الاعشاب النهرية :

وتنمو على ضفتي دجلة والفرات في وادي الرافدين •

ويجدر بالذكر ان مناخ العراق غير مناسب عموما لنمو الاشجار الضخمة بالنظر للتفاوت العظيم بين متوسطات مدى الحرارة الصيفي والشتوي ونظرا لتركز الامطار في فصلي الشتاء والربيع فقط • لذلك اصبح الجزء الاعظم من النباتات الطبيعية في البلاد عبارة عن حشائش واعشاب • وتلاحظ هذه الظاهرة حتى في المنطقة الجبلية حيث الامطار اكثر غزارة والحرارة أقل ارتفاعا، فالاشجار ليست ضخمة ولا كثيفة، ويرجع ذلك الى التعرية الشديدة التي تصيب منحدرات الجبال والى القطع المفرط للغابات • (٣٢)

وبما ان لواء السليمانية يقع ضمن المنطقة الجبلية كليا ، فان النوع السائد من النبات الطبيعي فيه هو النوع الغابي • وتتميز هذه المنطقة بصيف

---

(٣٢) هستد ، ص ١٦٦

قصير بارد وحرارة معتدلة • ويتراوح المطر الشتوى فيها بين ٦٠٠ ملمترا و ١٤٠٠ ملمترا ، ويسقط جزء كبير منه على شكل ثلوج فى المناطق المرتفعة • وكما هو الحال فى أغلب المناطق الجبلية فان النباتات الطبيعية تختلف باختلاف الارتفاع ، ويمكن تصنيفها على النحو التالى :

١ ـ منطقة الجبال المرتفعة :

وهى منطقة شبه البية ، وتبدأ بالتقريب على ارتفاع ٦٠٠٠ قدما وتمتد فوق منطقة الغابات البلوطية ، وتتميز بغطاء من الغابات الكثيفة الواطئة الاشجار من اصناف مخلب العقاب الشوكية Astragalus • وان اكثر المجموعات الشجرية شيوعا فيما بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدما هى الاشجار ذات الوسادة الشوكية Thorn Cushion zone ، وان النباتات السائدة فى هذه المجموعات هى الاعشاب الواطئة والشجيرات التى تنمو على شكل وسادات متقاربة متلاحمة يبلغ قطرها بعض الاحيان بضعة اقدام • وهذه الاشجار فى العادة شوكية جدا وتتصف اوراقها بالصغر ، وان منظرها العام شبيه بمنظر الاشجار الصحراوية • وتتناثر هذه الاشجار فوق التربة الصخرية نوعما يخالطها بين موضع واخر نباتات عشبية • (٣٣)

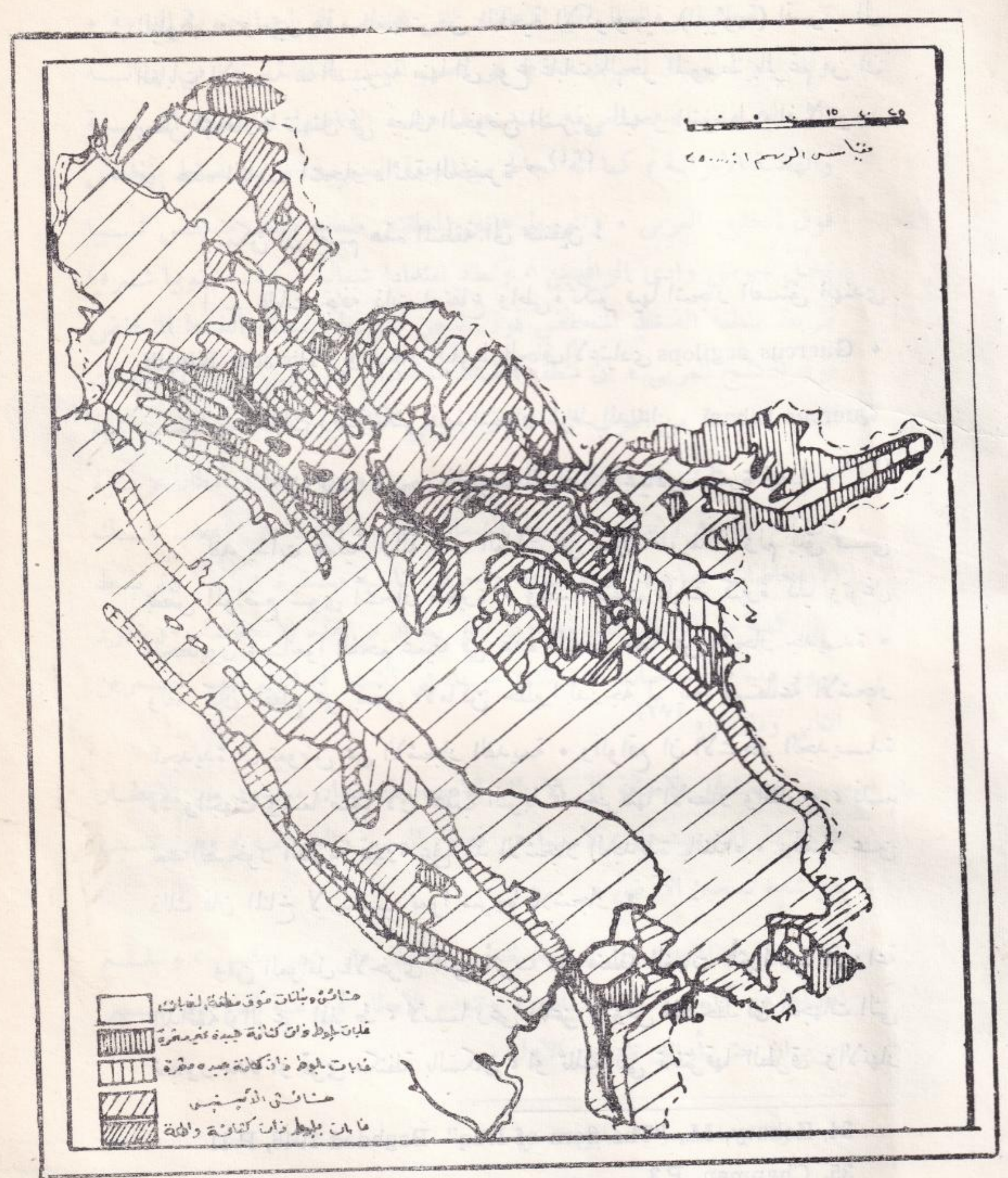
وتعتبر هذه المنطقة من مناطق الرعى الهامة ، اذ ان مراعيها تحتفظ بطرواتها اثناء الصيف ، فى الوقت الذى تستهلك فيه مراعى السهول والمنطقة شبه الجبلية وتجف بسبب الحرارة ، لذلك فان الرعاة وشبه المترحلين يهاجرون بقطعانهم الى هذه المنطقة فى بداية الصيف ويغادرونها فى بداية الخريف •

٢ ـ منطقة الغابات :

ان الجبال المنحصرة بين ٢٠٠٠ قدما و ٦٠٠٠ قدما مكسوة بأشجار

---

33. "Iraq and the Persian Gulf" P. 197.



خارطة النباتات الطبيعية للواء السليمانية

البلوط • وتعتبر هذه الغابات من الناحية الاكولوجية (البيئوية) اقرب الى الغابات الاوربية ـ السيبرية منها الى نوع غابات البحر المتوسط بالرغم من ان بعض اشجارها تتمثل فى جبال الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، اذ لا توجد فى هذه الغابات اشجار دائمة الخضرة • (٣٤)

ويمكن ان تقسم هذه المنطقة الى صنفين :

أ ـ غابات جافة ذات ارتفاع واطيء تكثر فيها اشجار الفستق الهندى Pistacia Kinjik واشجار البلوط الجاف الاعتيادى Guercus aegilops •

ب ـ غابات رطبة تكثر فيها اشجار بلوط الدندار Quercus Libani وان كانت اشجار البلوط الجاف الاعتيادى كثيرة ايضا • (٣٥)

لقد بدأت عملية ازالة هذه الغابات من سنين طويلة ، ولم يبق فى بعض المواضع سوى أشجار صغيرة • ولقد اختفت غابات كثيرة كليا وتوغل الحطابون وصانعوا الفحم عميقا فى هذه المنطقة بحثا عن اشجار جديدة • ولقد كان القطع فى بعض الاماكن خطيرا لدرجة لم يعد بأستطاعة الاشجار الجديدة ان تعوض عن الاشجار القديمة • والواقع ان الاشجار الجديدة قد واجهت وضعا صعبا لان اغلب التربة قد جرفتها الامطار والثلوج ، فلم تعد الصخور العارية قادرة على مد الاشجار الجديدة بالغذاء • وفضلا عن ذلك فان المناخ لا يناسب نموا سريعا للاشجار •

ومن العوامل الاخرى التى أثرت على منطقة الغابات تأثيرا سيئا الزراعة الدائمة والرعى المفرط ، لاسيما رعى الماعز • ومن الملاحظ ان الجهات التى تجاور مدنا او قرى مكتظة بالسكان ، او تلك التى تخترقها الطرق والانهار

---

34. Zohary, M., "The flora of Iraq" Baghdad 1946, P.11

35. Chapman, P.3.

تتميز بغابات ذات اشجار صغيرة متفرقة ، اما الجهات الوعرة التي يتعـــذر الوصول اليها والتي تنخفض فيها كثافة السكان فانها تتميز بغابات ذات اشجار ضخمة وكثيفة نوعما • ومثال ذلك غابات وادي نهر شـــالار في ناحيـــة بنجوين ، وكذلك غابات كانيل منجا وجو مرزي في جنوب ناحية بنجوين ، وغابات قوبي قرهداغ في ناحية قرهداغ ، وغابات مركهبان في ناحيـــة سورداش،وغابات زيمناكو في قضاء حلبجة وغابات ناحيتي ماوت وسروجيك •

ولقد تركت ازالة الغابات اثارا خطيرة لا على المنطقة الجبلية فحسب ، بل على المناطق السهلية في جنوب البلاد ايضا ، فقد تعرضت تربة المناطق الجبلية الى تعرية شديدة ، بينما امتلأت قنوات الري والأجزاء الدنيا من نهر دجلة بما تحمله مجاري المياه من الطمي والحصباء • لذلك بات من الضروري اعادة تشجير منطقة الغابات وتعويض الاشجار المقطوعـة • وقد اتخـذت الحكومة خطـوات جـدية في هذا الاتجاه فأصدرت قانـون الغابـات وحرمت القطـع الاعتباطي للاشـجار • كما اتخذت وزارة الزراعـــة ايضا الاجراءات العملية لاعادة زراعة بعض المنحدرات التي جردت مـن اشـــجارها •

٣ ـ الاشجار الجبلية واشجار المستنقعات :

يطلق على هذا النوع من الاشجار اسم الاحراش • وتمتد غابـــات الاحراش على ضفاف الانهار في جهات الستبس والجهات شبه الصحراوية • وتمتد على شواطىء الجداول الكبيرة شرائط من النباتات العائدة للمجموعات القصبية Phragmitis Communities ، كما توجد في الغـالب اشجار الصفصاف والدلب (الجنار) والعليق ، وكثيرا ما تتعلق اغصـــان الكروم فوق الاشجار الصغيرة (٣٦)

ولقد قام شابمان بمسح تقريبي لمنطقة الغابات في شمال العراق واورد الارقام التالية لغابات لواء السليمانية :

---

36. "Iraq and the persian Gulf" P. 196.

الجدول رقم ٥(٣٧)

مناطق الغابات فى لواء السليمانية (بالكيلومترات المربعة)

ب ـ مراعى جبلية

١ ـ غابات درجة اولى

٢ ـ غابات درجة ثانية

٣ ـ غابات درجة ثالثة

القضاء	ب	١	٢	٣	المجموع
السليمانية	٤٤ر٤	٢٠٠ر٣	٢٠٧ر١	٥٣٨ر٢	٩٩٠ر ـ
حلبجة	١٤١ر٢	٢٤٧ر٦	١٥٦ر٨	٤٦٤ر٤	١٢٩٠ر ـ
جوارته	٨٤ر٢	١٩٦ر ـ	١٨٢ر٢	٩٦٢ر٦	١٤٢٥ر ـ
بشدر	١٠٦ر ـ	٧٥ر٦	٨٤ر ـ	٢٤٤ر٤	٥١٠ر ـ
المجموع	٣٧٥ر٨	٩٩٩ر٥	٦٣٠ر١	٢٢٠٩ر٦	٤٢١٥ر ـ

اما المنطقة المغطاة بالاحراش من العراق فقد قدرها شابمان بحوالى ٤٤٨٨ دونما [٣٨] . هذا فيما يتعلق بأنواع الغابات التى تسود فى الاراضى المرتفعة من اللواء . أما ما يتعلق بالسهول الداخلية كسهل شهرزور وسهل مركه وسهل السليمانية فتغطيها نباتات الستبس التى تمثل نوعا انتقاليا بين نوع الاستبس الحقيقى الذى يتمثل فى المنطقة شبه الجبلية ونوع نباتات المنطقة الجبلية. وتشتمل هذه النباتات على أشجار صغيرة معمرة ذات جذور عميقة مثل خروب الخنزير Anagyris fastida ومعها انواع اخرى مثل أشجار الفستق والبلوط Quericus and pistacia وحشائش طويلة . [٣٩] وتقل الحشائش فى فصل الصيف ما عدا المناطق القريبة من مجارى الانهار .

---

37. Chapman, Table 11.
38. Ibid, Table 11.
39. Ibid, P. 3.

الفصل الثاني

جغرافية السكان

- ١ -

اتجاهات النمو السكاني

لا يمكن ان يتم تقدير اتجاهات النمو السكاني الا بدراسة الاحصاءات السكانية الشاملة والطويلة المدى . وفي بلادنا لم تدرك أهمية الاحصاء الا في عهد متأخر ، فقامت الحكومة لاول مرة باجراء احصاء عام للسكان في عام ١٩٤٧ . وبما انها كانت التجربة الاولى فقد أحاقت بها العقبات واعتورتها نواقص كثيرة ولم تحقق الدقة المطلوبة ، وكانت أبرز تلك العقبات عدم تعاون السكان ، وهو موقف املته عليهم تجاربهم السابقة مع الدولة العثمانية التي كانت تقوم باحصاء السكان لاغراض الضرائب والتجنيد . وقد بلغ سكان لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٤٧ حوالي ٢٣٦٫٤٠٠ نسمة [١] .

(١) الحكومة العراقية : « الاحصاء في العراق ـ ١٩٤٧ » ، بغداد ١٩٥٤ ، ص ١٢٥ .

ولقد ورد في المجلد الاحصائي المذكور ان عدد السكان الاكراد قد بلغ =

ويمكن ان يقارن هذا الرقم برقمين سابقين فقط ، الاول أوردته لجنة عصبة الامم التى تولت اجراء الاستفتاء فى مصير ولاية الموصل ، وكان ١٩١٫٥٢٥ نسمة ، (٢) والثانى أورده تقرير عن (الاحصاءات الحيوية) نشرته عـــام ١٩٣٥ مديرية الصحة العامة معتمدة على تسجيلات المراكز الصحية ، وكان ١٨٤٫٢٠٤ نسمة • (٣)

ان مقارنة هذه الارقام بعضها تكشف عن توقف فى اتجاه النمـــو السكانى تقريبا ، فهو يزيد احيانا زيادة بسيطة وينخفض احيانا اخـــرى انخفاضا طفيفا •

ويمكن ان نرسم لاتجاهات النمو السكانى صورة اكثر وضوحا ودقة بمقارنة رقم ١٩٤٧ برقم ١٩٥٥ الذى بلغ ٢٣٨٫٣٠٦ نسمة • (٤) وتكشف هذه المقارنة عن زيادة طبيعية قدرها ٠٫٩٩٪ فى العام • (٥) وبما ان هـــذه الارقام ليست دقيقة ولا طويلة الامد ، فلا يمكن الاعتماد عليها فى تحديـد اتجاهات النمو السكانى • ويمكن تقديم صورة أفضل للنمو السكانى عـن طريق مناقشة العوامل المؤثرة فى نمو السكان ، وهى العامل السـياسى

= ٩٠٠٫٠٠٠ نسمة موزعة على النحو التالي : لواء السليمانية ٢٢٢٫٧٠٠ نسمة ، لواء الموصل ٢١٠٫٩٧٠ نسمة ، لواء كركوك ١٥١٫٥٧٥ نسمة ، لواء اربيل ٢١٨٫٩٩٥ نسمة ، وفى مدينتى مندلى وخانقين ٧٢٫٣٦٠ نسمة، وفى بغداد والمدن الاخرى ٢٣٫٤٠٠ نسمة •

2. League of Nation, Question of the frontier between Turkey and Iraq, a report submitted to the counsil in 1927, P. 76.

3. Ministry of Interior, Vital statistics, Baghdad 1953.

4. Ministry of Economic, the monthly statistics bulletin, No. 7, 1956.

(٥) لقد بلغ سكان لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٥٧ حوالى ٢٨١٫٣٦١ نسمة (ما عدا قضاء رانية) • كذلك قدر عدد نفوس محافظة السليمانية لعام ١٩٧٢ بحوالي ٥٠٣٫٧٠٨ نسمة •

والاقتصادى والديموغرافى [٦] ، ومدى تأثير كل منها على سكان اللواء •

العامل السياسى :

ان أبرز صفة للتاريخ السياسى للواء السليمانية هى عدم الاستقرار • ويمكن ان تعزى هذه الظاهرة الى الموقع الجغرافى للواء ، فقد كان دائما جسرا للجيوش القادمة من الغرب نحو الشرق • ولقد دمرت جيوش القائد اليونانى زنفون Xenephon المنطقة عام ٤٠١ قبل الميلاد ، كما دمرتها ايضا جيوش الاسكندر الكبير عام ٣٣١ قبل الميلاد • وبلغ عدم الاستقرار فى المنطقة قمته فى بداية القرن الخامس عشر عند قيام الامبراطوريتين المتنافستين: العثمانية والفارسية • ونظرا لوقوع لواء السليمانية بين الدولتين المتنافستين ، فقد كان يتعرض دائما للاجتياح ولتغير الحكام • [٧] والواقع ان منطقة السليمانية كانت ، شأنها شأن بقية انحاء كردستان ، ساحة للمعارك بين الامبراطورية الايرانية والامبراطورية العثمانية • [٨] وقد تركت تلك الحروب المتصلة أثرا عظيما على سكان اللواء • فقد كان الجيشين ، المنتصر والمنخذل ، يمارس أقصى ما فى امكاناته من وسائل التدمير والقتل تجاه مواطنى المنطقة ، بما فى ذلك حرق الحقول وتخريب القرى • [٩]

ولم يؤد ظهور امارة بابان فى المنطقة خلال القرن السابع عشر الى اعادة

---

6. Bowen. Ian, "Population", Cambridge, 1952, P. 13. Oxford 1926.

7. Napier, G. S. F., "The road from Baghdad to Bacco", Geographical Journal, vol. 111, 1919, P. 1.

8. Mignan, R.M., " A Winter Journey through Russia. the the Cavcasian Alps, Georgia and Kurdistan" London 1839, vol. 11, P. 5.

9. See: Longrigg, S.H., "Four centuries of Modern Iraq",

الاستقرار اليها • فلقد كان من ابرز صفات الحياة السياسية القصيرة لتلك الامـــارة التنافس الداخلي والخارجي ، فشهدت المنطقة نتيجه لذلك حروبا عديدة ، وكان حكام الامارة مشغولين دائما بالقتال أما مع الجانب العثماني او مع الجانب الايراني او ضد كلا الجانبين • كذلك أدى التنافس بين اعضاء الاسرة الحاكمة الى صراع مستمر • وقد علق المؤرخ الكردي محمد أمين زكي على أوضاع الحياة السياسية لامارة بابان واثارها على السكان بقوله :

«لقد ادى الصراع المستمر بين الحكومتين العثمانية والايرانية من جهة، والتنافس المتصل بين الرؤساء البابانيين من جهة اخرى ، الى عرقلة ازدهـار الامارة • ولم يكن التنافس الداخلي مسؤولا عن انهيار الامارة واعـــادة السيطرة العثمانية فحسب ، بل كان مسؤولا أيضا عن تدمير وتخريب المنطقة مما نجم عن ذلك الفقر الشديد والتعاسة المرة» • (١٠)

ولقد شهد لواء السليمانية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر فترة من الاستقرار النسبي تحت الحكم العثماني ، الا ان حلول القـــرن العشرين واندلاع نار الحرب الكبرى الاولى كلف اللواء خسارة فادحة في الارواح والاقتصاد • فلقد استنفر معظـم شباب الاكـراد في الجيش العثماني وضم اغلبهم الى الفرقة الحميدية ونقلوا الى الخطوط الامامية ، ولم يبق في القرى سوى الاطفال والنساء والشيوخ (١١) • ان هذه الخسارة في القوى البشرية قد أثرت على الزراعة تأثيرا سيئا وأدت الى نقص في المـــواد الغذائية • وتدهور الموقف تدهورا عظيما في أواخر الحرب ، اذ اجتاحت

---

(١٠) « تاريخ السليمانية » : تأليف محمد امين زكي ، ترجمه عن الكردية محمد امين بندى الروزبياني ، بغداد ١٩٥١ ، ص ١٢٦ •

(١١) « تاريخ الكرد وكردستان » : تأليف محمد امين زكي ، ترجمه عن الكردية محمد علي عوني ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٢٣٧ •

المنطقة الاوبئة والمجاعة وحملت معها آلافا من السكان .[12]

ولقد اصبح لواء السليمانية فى أعقاب الحرب الكبرى الاولى جزءا من الدولة العراقية الجديدة ، الا ان الغليان السياسى ساد المنطقة فيما بين عام ١٩١٨ و ١٩٣١ . فلقد قام الشيخ محمود الحفيد مرات عديدة بثورات مسلحة ضد الحكومة أشاعت الاضطراب فى المنطقة . وقد تخلى الشيخ محمود عن ثوراته منذ عام ١٩٣٢ فتمتعت المنطقة باستقرار نسبى . (×)

من الواضح اذن ان لواء السليمانية قد قاسى من الاضطراب السياسى قرونا عديدة . فترك هذا الوضع اثرا مزدوجا على السكان ، اقتصاديا وبيولوجيا . ويتمثل الاثر الاقتصادى فى تدهور الوضع الزراعى فى اللواء. فالزراعة عملية تستغرق وقتا طويلا وتتطلب عملا متصلا ، فكان من المتعذر على السكان أن ينصرفوا اليها فى ظل تلك الظروف التى يسودها عدم الاستقرار وتفتقد الامن والسلامة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الاضطراب السياسى لم يشجع الزراع على بذل أقصى جهودهم لزراعة حقول واسعة وان توفرت لديهم حبوب كافية ، اذ أن تلك الحقول كانت عرضة للتدمير فى أية لحظة . وقد أدى التدهور الزراعى الى نقص دائم فى المواد الغذائية ، واثر ذلك بدوره على صحة السكان الريفيين ، فكان أغلبهم يعانى من سوء التغذية الحاد .

ويتمثل الاثر البيولوجى فيما كان يفقده اللواء من أبنائه اثناء الحروب وما تنطوي عليه تلك الخسارة من عرقلة لنمو السكان كما اوضحه كار سندرز Carr-Saunders . ويعتقد كار سندرز ان ما يفقد من السكان ـ فى امثال

---

12. Mason. Major Kenneth. "Central Kurdistan", Geographical Journal. vol. 54. December, 1919, PP. 389-90.

(×) توفي الشيخ محمود الحفيد فى احدى مستشفيات بغداد فى اواخر عام ١٩٥٥ .

تلك الظروف ـ ممن لم يبلغ درجة النضج بعد ، يؤدي الى عرقلـة قـوة التكاثر السكانية بدرجة فعالة • (١٣)

العامل الاقتصادى :

زاول سكان لواء السليمانية الزراعة والرعى منذ عهود بعيدة • وكانت الزراعة حرفة المستقرين والرعى حرفة الرعاة • الا ان كلا الحرفتين كانتـا تعانيان من ظروف سيئة • ولعل الرعى كان أفضل حالا من الزراعة،فالرعاة كانوا ـ ولا يزالون ـ يمارسون هجرة فصلية توفر لهم الكلأ بصــورة مستديمة • فهم يرحلون نحو المرتفعات الشمالية فى فصل الصيف حيث كلأ القمم والروابى ، ويهبطون الى السهول الجنوبية فى أوائل الشتاء حيث مراعى السهول الغنية • وبالرغم من ذلك فقد كان الرعى عرضة لاضطرار بالغة تنجم عن الجفاف والاوبئة والصراع الدائم بين القبائل على حيازة المراعى •

ويمكن القول ان الزراعة كانت ـ رغم أهمية الرعى ـ العمـود الفقرى لاقتصاد المنطقة • وبما انها لم تكن مزدهرة فى يوم من الأيام ، فقد كان اقتصاد المنطقة يعانى من تدهور مستمر • ويعزى فشل الزراعـة الى عاملين : الاول عدم ضمان الملكية الارضية والثانى سيطرة النظام العشائرى • وقد سبق ان ذكرنا بأن منطقة لواء السليمانية كانت مسرحا لحروب متصلة اثمرت عدم الاستقرار السياسى مما أدى بدوره الى تغيير الحكومات بصورة مستمرة • وكانت ملكية الاراضى الزراعية تتغير بتغير الحكام • كذلك كان امتلاك الارض عرضة للتغير حسب قوة العشيرة المتحكمة فى المنطقة • وقد دعت هذه الحالة القلقة الملاكين الى اهمال اراضيهم ، كما ثبطت رغبـة الجماعات الرعويين فى مزاولة الزراعة•وقد ورث ملاكو لواء السليمانية صفة عدم الاهتمام باراضيهم الزراعية حتى اليوم • فهم يمنحون حق تأجير اراضيهم

---

13. Carr-Saunders, A.M., "Population" London 1925, P. 14.

الى الفلاحين مقابل حصة معينة فى انتاجها ويتخلون عن جميع مسؤولياتهم تجاه الزراعة • وقد ترك هذا الوضع مصير الزراعة بين ايدى الفلاح المعدم الذى لا يملك مايقدمه للزراعة سوى قوته البدنية مماتنتج عنه تدهور الزراعة• ولم يؤد عوز الفلاح الى فشل الانتاج الزراعى فحسب ، بل ادى ايضا الى تحديد مساحة الارض المزروعة • فالرى فى لواء السليمانية وفى بقية الالوية الكردية يعتمد اعتمادا كبيرا على المياه الجوفية التى يستحصل عليها اما بواسطة العيون والينابيع الطبيعية او بواسطة ينابيع صناعية يطلق عليها محليا اسم (الكهاريز) • وبما ان حفر الكهاريز يتطلب نفقات باهضة هى فوق طاقة الفلاح المعوز ، فان مساحات واسعة من اراضى اللواء الصالحة للزراعة تظل بورا رغم ثرائها بالمياه الجوفية • وقد اثمر هذا الوضع حالة من التوازن بين عدد سكان القرية وكمية المياه المتوفرة للزراعة •

ان عدم الضمان فى ملكية الارض قد ثبطت رغبة الاقوام العشائريين فى الاستقرار واحتراف الزراعة • وهذه الظاهرة ذات اهمية خاصة بالنسبة للواء السليمانية بالنظر لان جزءا كبيرا من سكانها كان يحترف الرعى المتجول وان الزراعة كانت فى حاجة الى الايدى العاملة • ولقد برزت خطورة هذا الوضع واثره الملموس على الزراعة فى حوار جرى قبل حوالى قرن ونصف بين الرحالة الانكليزى ريج Rich وبين احد الرؤساء العشائريين فى لواء السليمانية • فقد قال الرئيس العشائرى للمستر ريج : « ان الحاجة الى ضمان ممتلكاتنا هى اهم سبب فى خراب هذا البلد • فما دمنا نحن العشائريين غير واثقين من الاحتفاظ باراضينا الزراعية فلن نستطيع ان نعود انفسنا على الزراعة ، وحتى يحين الوقت الذى ننصرف فيه الى الزراعة فان القطر لن يعرف الازدهار» (١٤) •

---

14. Rich, C.J., "A narrative of a residance in Kurdistan", London, 1836, vol. 1, P. 96.

اما سيطرة النظام العشائرى على لواء السليمانية ، والذى رافقه نظـام الرعى المتجول ، فقد اثر على الزراعة فى المنطقة من خلال العداء الدائم بين الرعاة والزراع المستقرين • ولقد اوضح درايفر Driver هذا الأثر على النحو التالى :

« ان عادات الرعاة الاكراد تضر بتطوير الارض الزراعية • فهى لا تعوقهم عن مزاولة الزراعة فحسب ، بل تغرس فيهم ايضا احتقارا لنظـام الاستقرار • وان احتكاكهم المستمر بجيرانهم الاكثر تحضرا يجعل الزراعة عملا شاقا وغير مربح لدرجة ان مساحات واسعة من الارض الخصبة تظل قاحلة بلا زرع »[١٥] •

والواقع ان الفلاح فى لواء السليمانية لم يكن فى يوم من الايام واثقا من الافادة من محاصيله الزراعية • فاذا لم تقع حروب تـؤدى الى حرق حقله ، فان العشائر المترحلة والعابثة ، وخاصة عشائر الجاف وهموند ، تهاجم ارضه وتنهب محاصيله •

نخلص من استعراض الاحوال الاقتصادية للواء السليمانية خـلال العصور الماضية الى القول بأن اللواء كان يعانى من تدهور اقتصادى مستمر • وقد ترك هذا التدهور اثـاره على السكان بخلـق حـالة من «النقص فى الضروريات» ، أى نقص فى الغذاء الجيد الكافى وفى البيوت الصالحة وفى الملابس الملائمة • ولابد لمثل هذه الحالة ان تؤثر على السن الذى تكتمـل فيه مرحلة الحيض فتقصر بذلك فترة النضج •[١٦] وفضلا عن ذلك فقد أثر نقص الغذاء فى الوقوف حائلا دون نمو السكان فى اللواء •[١٧]

---

15. Driver, A.R., "Kurdistan and the Kurds" a report published by the Royal Anthropological Institute, 1920, P. 16.

16. Carr-Saunders, A.M., "The Population problem", Oxford 1922, P. 22.

17. Carr-Saunders, "Population", P. 23-24.

العامل الديموغرافي :

ان دراسة اثار العامل الديموغرافي تقتضي دراسة الحركة الطبيعية لسكان اللواء التي تعتمد قبل كل شيء على الاحصاءات الحيوية • لكن الاحصاءات المتوفرة لدينا لمتوسطات المواليد والوفيات ومكوناتهما غير دقيقة وغير كافية ولا تغطي سوى فترة قصيرة •

ولا تستند دراسة الحركة الطبيعية للسكان على الارقام فحسب ، بل تعتمد على الوضع الحضاري ايضا • فالجانب الرياضي (الاحصائي) الذي تمثله متوسطات المواليد والوفيات والانجاب يوضح مقدار الخصوبة الفعلية للسكان، بينما يوضح الجانب الحضاري المتمثل بالاحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الامكانيات الفعلية للنمو السكاني • (١٨) وسنضطر في دراستنا هذه للحركة الطبيعية لسكان اللواء ان نركز على الجانب الحضاري اكثر من تركيزنا على الجانب الرياضي عند تحليلنا لمتوسطات المواليد والوفيات •

المواليـد

من الطبيعي ان تواجه عملية تسجيل المواليد مصاعب جمة ، وخصوصا في الريف ، في بلد يؤلف المتعلمون فيه نسبة ضئيلة ، وهم الذين يدركون أهمية تسجيل المواليد ، بينما يحاول الناس البسطاء جهدهم تجنب هذه العملية خشية من الخدمة العسكرية الالزامية • واذا ما اضطروا الى تسجيل مواليدهم حاول البعض منهم تضليل السلطات المسؤولة بتسجيل الذكور على انهم اناث، أو عدم تسجيل الذكور بتاتا والاقتصار على تسجيل الاناث • ولذلك بات متوقعا عدم دقة ارقام المواليد ولا سيما في حالة الذكور • وعلى اية حال فان أرقام المواليد لا تتوفر لدينا في الوقت الحاضر الا لثلاث سنوات فقط كما اوردها الجدول التالي :

---

18. Trewartha. Glenn, T., "A Case for population geography", Ann. of Assoc. of Amer. Geogr., vol. XI 111, No. 22, 1953, P. 91.

الجدول رقم (٧)(١٩)(×)

الارقام والنسب المئوية للواء السليمانية خلال السنوات ١٩٥٣ و ١٩٥٤ و ١٩٥٥

السنة	الذكور		الاناث		المجموع	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١٩٥٢	٥٧٥	٢٫٣	٤٨٣	٢٫٣	١٠٥٨	٢٫٣
١٩٥٣	١١١٢	٣٫٢	٩٩٨	٣٫٣	٢١٢٦	٣٫٣
١٩٥٤	١٠٦٢	٣٫-	٨٠٥	٢٫٧	١٨٩٧	٣٫-

ان مقارنة متوسط المواليد للواء السليمانية البالغ ٢٩ بالالف بمتوسطات المواليد فى بلدان نامية اخرى تبين لنا انه متوسط واطىء نوعما ، فهو يبلغ ٥١ بالالف في غواتيمالا و ٤٤ بالالف فى مصر (لعام ١٩٥١) و ٤٣٫٨ بالالف فى المكسيك و ٣٩٫٣ فى سيلان • [٢٠] بيد ان هذا المتوسط يصبح مرتفعا نوعما اذا ما قورن بمتوسطات المواليد فى البلاد المتطورة ، اذ يبلغ ١٥٫٧ بالالف فى المملكة المتحدة و ١٤٫٨ بالالف فى النمسا و ١٥٫٥ بالالف فى السويد و ١٩٫٤ بالالف فى فرنسا • [٢١]

---

19. Statistical Abstracts, Baghdad 1954, Compiled from tables No. 264, 265 and 266. P. 263-65.

(×) من الادلة على عدم دقة الاحصاءات المذكورة ما سجلته الاحصاءات اللاحقة للمواليد فى لواء السليمانية على النحو التالى : ١٩٦٠ – (٦١٩٢) ، ١٩٦١ – (٣٧٥٤) ، ١٩٦٢ – (٣٣١٣) ، ١٩٦٣ – (٣١٨٢)، ١٩٦٤ – (٣٣٩١) ، ١٩٦٥ – (٣٢١٠) ، ١٩٦٦ – (٥٢٢٧) ، ١٩٦٧ – (٥٥٦٩) • « احوال السكان فى العراق » للدكتور احمد نجم الدين – معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠ ص ١٦٣ •

20. United Nations, Statistical year-book 1954 , pp. 35-7.

21. Ibid.

ومع ان هذا الرقم الواطىء نسبيا لمتوسط المواليد فى اللواء يعزى جزئيا الى عدم الدقة فى تسجيل المواليد ، الا ان المسؤول الرئيسى عنه عوامل بيولوجية وحضارية • وتتضح هذه الفرضية عند مقارنة متوسط المواليد للواء السليمانية بمتوسطات المواليد للالوية الاخرى كما يبينها الجدول التالى :

الجدول رقم (٨)(٢٢)

النسب المئوية لمتوسطات المواليد فى مختلف الالوية العراقية(×)

اللواء	النسبة المئوية
السليمانية	٣ر٢
بغداد	٢ر٣٤
البصرة	٧ر١٢
الموصل	٩ر١٦
العمارة	١ر٣
كربلاء	٧ر٤
الدليم (الرمادى)	٦ر٢
كركوك	٥ر٥
المنتفك (الناصرية)	١ر٢
الحلة	٢ر٤
الكوت	٧ر٢
الديوانية	٦ر٢
ديالة	٥ر٣
اربيل	٩ر٢

22. Statistical Abstracts, 1954, p. 263.

(×) لقد اوردت الاحصاءات الرسمية نسبة الولادات (بالالف) لبعض الالوية لعام ١٩٦٧ على النحو التالى :

بغداد	٨ر٢٨
العمارة	٦ر١٠

=

ومن الملاحظ هنا بأن النسب المئوية لمتوسطات المواليد فى مختلف ألوية العراق تبدو منخفضة على العموم بشكل غير طبيعى ، مع ان منطق الامـــور يقتضى العكس ، فليس هناك **اية عوائق اجتماعية امام الانجاب** . ومهما يكن الامر فان الجدول المذكور يقدم لنا مقارنة معقولة لمتوسطات المواليـــد فـى الالوية المختلفة . ومن الممكن ان نقدم صورة أفضل لمتوسط المواليد الفعـلى فى لواء السليمانية بتحليل العاملين الرئيسيين اللذين يتحكمان فيه ، وهمـــا متوسط الخصوبة ومتوسط سن الزواج .

الخصوبـة :

ان فحص خصوبة المرأة الكردية يستدعى دراسة الجانب البيولوجـى (الذى يتعلق بالخصوبة الكامنة) والجانب الحضارى (الذى يتعلق بالعوامـل الاجتماعية التى تنظم الخصوبة الفعلية) . فالخصوبة الكامنة Fecundity هى التى يقصد بها مقدرة المرأة المطلقة على الانجاب، فى حين يقصد بالخصوبة الفعلية Fertility مزاولة المرأة لامكانيات الخصوبة الكامنة بشكل عملى حسب العوامل الحضارية السائدة .

ان متوسط الخصوبة الكامنة Rate of fecundity هو مثار خلاف بين الكتاب . فهناك طائفة منهم مثل مالثس Malthus وداروين Darwin وكار سندرز Carr-Saunders تعتقد بأن للخصوبة الكامنة علاقة بالدرجة الحضارية . ويرى افراد هذه الطائفة انه كلما انخفض المستوى الحضارى كلما انخفض متوسط الخصوبة الكامنة ، وذلك لما يصيب الناس من مشـقة

= الناصريـة ٩ر١
الديوانيـة ٩ر٤
(احوال السكان فى العراق) لاحمد نجم الدين ص ١٦٢

فى حياتهم وما يعانونه من نقص فى الغذاء • بينما تذهب طائفة اخرى ، وعلى رأسهم سبنسر Spencer بأن الخصوبة الكامنة تتناقص كلما تقدمت الحضارة • [٢٣] وهناك من يعتقد بأن الانسان مخلوق كسائر مخلوقات الطبيعة ولا يشذ عن بقية مخلوقاتها ، فلابد اذن من ان يتصف بالقاعدة البيولوجية العامة وهى الخصوبة المرتفعة والتى قد تتراوح بين ١٥–٢٠ مولودا للمرأة • [٢٤]

وفى حالة المرأة الكردية تنعدم لدينا الاحصاءات لتبيان خصوبتها الكامنة ، لكن هناك أسبابا مقنعة تدعونا الى الاعتقاد بأن خصوبتها الكامنة قد تأثرت بشكل سلبى بالعوامل الطبيعية • فالتغذية الناقصة مثلا من العوامل الفعالة التى تؤثر على الخصوبة الكامنة تأثيرا سيئا • ويتصف طعام الريفيين الاكراد بنقص واضح فى قيمته الغذائية ، فهو ادنى من المستوى اللائق فى سعراته الحرارية او مواده البناءة للجسم • وقد اثمر هذا النقص سوء تغذية حاد يتمثل فى النسبة العالية من الاصابات بمرض السل بين سكان اللواء •

ويمكن اعتبار المشاق والاعمال المتصلة المرهقة من العوامل الرئيسية الاخرى التى تؤثر فى الخصوبة الكامنة للمرأة الريفية الكرديه • والواقع ان المرأة الريفية الكردية مثقلة بالواجبات ، فهى تساهم – فضلا عن اعمالها البيتية وعنايتها بالحيوانات – فى جميع الأعمال الزراعية عدا الحراثة والحصاد • (وقد تشترك فى الحصاد احيانا) • وهذا يؤدى بلا ريب الى خلق حالة من الارهاق الجسدى الدائم •

---

23. Kuczynski, R.R., "Population movement" Oxford 1936, pp. 345.

24. Landis, Paul. H., "Population Problems", New York 1942, p. 52.

وهناك عامل بيولوجى اخر مسؤول ايضا عن المعدل المتوسط للخصوبة الكامنة فى اللواء ، الا وهو مزاولة المرأة لوظيفتها الجنسية قبل الاوان Premature cohabition • فالعمر المثالى للزوجة الكردية الريفية يتراوح بين ١٤و١٧ عاما ، ومن المعلوم ان سن البلوغ فى منطقة جبلية باردة كالسليمانية لا يتم فى وقت مبكر ، وهو أمر قد يؤثر على خصوبة المرأة تأثيرا سلبيا • غير ان هذه المنطقة ماتزال فى حاجة الى دراسة عميقة والى احصاءات مقنعة •

واخيرا ، فقد يحسن بنا ان نتساءل فيما اذا كان للمناخ اثر على الخصوبة الكامنة فى اللواء؟ ان مثل هذا السؤال لا يمكن الاجابة عليه بالطبع اجابة قاطعة فى الوقت الحاضر ، نظرا لانعدام الاحصاءات التى توضح العلاقة بين الخصوبة والمناخ • بيد ان متوسطات المواليد المرتفعة فى الاقطار الاستوائية والمدارية تشير الى قيام مثل هذه العلاقة وتؤيد وجهة النظر القائلة بأن الخصوبة المرتفعة تواكب الحرارة المرتفعة والرطوبة النسبية المرتفعة • (٢٥)

وينبغى ان نوضح هنا بأن هناك علاقة أكيدة بين متوسط الامطار المرتفع وبين الكثافة العالية للسكان فى اللواء ، الا ان مثل هذه العلاقة ذات وجه اقتصادى لا بيولوجى ، فالزراعة فى اللواء تعتمد اصلا على الامطار والمياه الجوفية ، وبالتالى فان درجة توفر المياه تتحكم فى كثافة السكان •

ان مناقشة العوامل المختلفة التى تؤثر فى الخصوبة الكامنة للمرأة الكردية لا تقودنا الى معرفة متوسط الانجاب الفعلى لها • فالخصوبة الفعلية لا تتطابق الا نادرا مع الخصوبة الكامنة حتى فى اكثر المجتمعات تأخرا • فالخصوبة الفعلية لاية مجموعة من الناس او لاى عنصر من العناصر او لاى شعب من الشعوب لا تعتمد على مقدرتها الجنسية فحسب بل على تراثها

---

25. Carr-saunders, "The population problem" pp. 91-92.

الاجتماعى ايضا • ففى المجتمعات البدائية تتدخل عوامل متعددة دينيـــة واجتماعية فى العلاقات الجنسية ، بينما يخضع الانجاب فى المجتمعات المتطورة لتقيدات عظيمة • ومن الممكن القول عموما بأن الفجوة بين الخصوبة الكامنة والخصوبة الفعلية أشد اتساعا فى المجتمعات المتطورة منها فى المجتمعات غير المتطورة ، ومرجع ذلك بالطبع الى استخدام وسائل منع الحمل فى المجتمعات المتطـــورة •

وتدل الاحوال الاجتماعية فى لواء السليمانية على ان معدل الانجـاب فيه قريب من النهاية البيولوجية القصوى • ففى دراسة الوضع الاجتماعـي لاية منطقة من المناطق تعتبر عوامل معينة مناسبة للخصوبة الفعلية العاليـة • ومن تلك العوامل الاعتماد على الزراعة كأساس للحياة الاقتصادية اذ يساهم الاطفال فى هذه الحالة فى رفع دخل الاسرة ، ومستوى المعيشة الواطـىء اذ لا يكلف اعالة الاطفال شيئا كثيرا ، والنظام الاجتماعى القبلى او الابوى الذى يرحب بالاسرة الكبيرة ، والميول الدينية القوية التي تتنافر وضوابط النسل ، واخيرا الجهل والايمان بالقدرية فى الحياة • [٢٦] وكل هذه العوامل ممثلة تمثيلا حسنا فى لواء السليمانية •

فمن الناحية الاقتصادية تعتبر الزراعة المهنة السائدة فى اللواء • وبما ان الوسائل الزراعية المتبعة بدائية تماما ، وبما ان مكننة الزراعة تنحصر فى حيز ضيق كليا ، فان الايدى العاملة تصبح ذات اهمية بالغة • وقد خلق هذا الوضع من الاسرة الكردية وحدة اقتصادية يتوزع العمل بين افرادهـــا بشكل منظم • ومما زاد فى أهمية حجم الاسرة الكردية تخصص اللـــواء بزراعة التبغ الذى يعتبر المورد الاقتصادى الرئيسى للمنطقـة • وتحتـــاج

---

26. United Nations, "The determinants and consequences of population trends". New York 1953, P. 94.

زراعة التبغ الى أيد عاملة وفيرة • فنقل الشتلات والعناية بها ، وتنقية الحقل من الحشائش الضارة الكثيرة ، ثم لظم الاوراق فى خيوط طويلة وتجفيفها، واخيرا جمع الاوراق الجافة فى بالات ، كل ذلك يقتضى جهودا متصلة تبدأ بزوع الشتلات وتنتهى باعداد البالات • ويحتاج الزارع لاداء هذه الاعمال الى معاونة فعالة • فاذا كان ذا عائلة كبيرة تيسر له الاكتفاء بما لديه من أيد عاملة ، والا اضطر الى استئجار العمال • لذلك يصبح لحجم العائلة أهمية اقتصادية •

ومن وجهة النظر الاجتماعية يرحب مجتمع القرية بالعائلة الكبيرة ويعتبرها رصيدا اجتماعيا هاما • فالبناء الاجتماعى فى مجتمع القرية الذى اما ان يكون عشائريا بالفعل او ما يزال متأثرا بالعادات العشائرية ، يهتم اهتماما خاصا بحجم العائلة ، لا سيما بعدد الرجال فيها • فاذا تركنا جانبا الفروق فى المرتبة الاجتماعية التى تقررها درجة القرابة من الاسرة الحاكمة ودرجة الثراء ، فان التفاضل بين اسرة واخرى يقوم على اساس زيادة افراد احداها من الرجال على الاسرة الاخرى • ويرجع ذلك بالطبع الى سيطرة العادات والقوانين العشائرية فى المجتمع الريفى الكردى • لهذا فان حجم العائلة الكبير يرفع مو مركزها الاجتماعى •

وفضلا عن ذلك كله فان الام ترحب بأكبر عدد ممكن من الاولاد لاسباب كثيرة ، اضافة الى حكم الغريزة الطبيعية ، اذ ان ذلك يعزز مركزها تجاه الزوج • ومع ان مركز المرأة الكردية ليس متدنيا بوجه خاص ، الا انها بعيدة عن ان تكون مساوية للرجل • ولعل أهم الوسائل الفعالة لتعزيز مكانتها هو مقدار ما تلده من أطفال ، لا سيما الاولاد منهم • لذلك يمكن القول بدون تحفظ ان مكانتها تتناسب مع مدى خصوبتها. كذلك فان كثرة عدد اطفالها تحميها من نزوات زوجها الذى قد يفكر بالزواج من امرأة اخرى ،

كما يحميها من غضبه الذى قد يسوقه الى طلاقها • واخيرا فان عدد الاطفال، وخاصة الاولاد ، يمثلون بالنسبة للمرأة رصيدا اقتصاديا للمستقبل كما يمثلون ضمانا لايام الشيخوخة •

وهكذا يمكن القول بان الاب والام يرغبان رغبة قوية فى انجاب اكبر عدد ممكن من الاطفال • ومما يعزز هذه الرغبة ان تربية الاطفال فى الاسرة الريفية لا تقتضى تكاليف كثيرة ، فالاسرة على العموم تعيش فى مستوى منخفض جدا • لذلك فان الاسرة الكردية لا تتبع طرق منع الحمل ولا تلجأ الى الاجهاض • والحقيقة ان الفترة الوحيدة التى يمتنع فيها الزوجان عن الاتصال الجنسى هى فترة الحيض ، وكذلك الشهر الاول الذى يعقب الولادة ، وفضلا عن ذلك فأن الجهل قد جعل وسائل منع الحمل بالنسبة للزوجين امرا غير معروف بتاتا •

وهناك تأثير دينى ايضا على الخصوبة يتمثل فى حث القران الكريم على رعاية الاطفال ، فقد أشير الى هذا المعنى بالاية الكريمة : (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) • وبما ان الاكراد ذوى ميول دينية قوية ، لذلك امتزجت اوامر الاسلام وتعاليمه بحياتهم اليومية امتزاجا شديدا ، وامنوا بأن الله يبعث مع كل مولود رزقه • هذا اضافة الى استسلامهم للقدرية المطلقة •

يمكننا ان نستنتج اذن بأن الفجوة بين الخصوبة المطلقة والخصوبة الفعلية فى لواء السليمانية لا وجود لها ، وبان متوسط الخصوبة الفعلية يتطابق ومتوسط الخصوبة الكامنة • ولا يمكننا ان نحدد مقدار هذا المتوسط بدقة كما سبق ان بيّنا لعدم توفر الاحصاءات،لكن باستطاعتنا ان نقرر باطمئنان انه متوسط مرتفع • ومع ان هذا الاستنتاج يستند بالدرجة الاولى الى العوامل الحضارية التى تلعب دورها فى المنطقة ، الا ان بوسعنا ايضا ان نستشهد

بالاحصاءات القليلة المتوفرة لدينا التى تؤيد استنتاجنا ، وخاصة بالارقـــام المتعلقة بنسبة الخصوبة Fertility ratio (×) • ولقد حصلنا عنـد اجراء العملية الحسابية الخاصة بنسبة الخصوبة للواء السليمانية على رقـم **(٧٨٩)** • ويمكن مقارنة هذه النسبة بنسب الاقطار التالية :

(الجدول رقم (٩)(٢٧)

الخصوبة فى بعض الاقطار المختارة فيما بين عام ١٩٤٥ـ١٩٥١

القطر والسـنة		متوسط الخصوبة
الفلسطينيون المسلمون	ـ١٩٤٤	٨٥٦
جزر ساموا الاميركية	ـ١٩٥٠	٧٤٦
الاردن	ـ١٩٥٠	٦٦٩
فرموزا	ـ١٩٥٠	٦٣٥
تركيــا	ـ١٩٤٥	٥٣٨
مصر	ـ١٩٤٧	٥٣٦
الاراضى المنخفضة	ـ١٩٥٠ـ١٩٥١	٥١٩
اليابان	ـ١٩٥٠	٥٢٥
الولايات المتحدة الاميركيـة	ـ١٩٥٠	٤٧٠
السـويد	ـ١٩٤٩ـ١٩٥٠	٤٣٣
انجلترا وويلز	ـ١٩٥٠ـ١٩٥١	٤٠٥
النمســا	ـ١٩٥١	٣٥٠

(×) تستخرج نسبة الخصوبة بتقسيم عدد الاطفال تحت السـن الخامسة على عدد النساء فى سن الحمل ، اى فيما بين السن ١٥ الى ٤٥عاما•

27. Adams, D., "Current population in Iraq" Middle East Journal, vol. 10. No. 2., 1956.

يتضح من الجدول السابق ان نسبة الخصوبة للواء السليمانية أعلى من أقطار كثيرة ، وهذا دليل على أن نسبة المواليد عالية فى اللواء • غير ان نسبة الخصوبة للواء السليمانية هى ادنى من نسبة الخصوبة العامة للعراق التـــى تبلغ (٨٣٧) • [٢٨] وتدل نسبة الخصوبة العالية للواء على توفر متوسط عال للزواج ، كما تدل على أن الغالبية المطلقة من النساء يتزوجن بعد وصـولهن الى سن البلوغ بوقت قصير •

متوسط الزواج :

ان الزواج يمثل بداية دورة الانجاب فى المجتمع حسب التقاليـــــد السائدة • لذلك فان متوسط الزواج Marriage-rate ، وسن الزواج Marriage-age هما عاملان هامان فى تقرير متوسطات الخصوبة • ومما يؤسف له ان حالة الزواج فى لواء السليمانية لا يمثلها فى الاحصاء العـام لسنة ١٩٤٧ الا جدول ناقص تماما كما يتضح فى الجدول التالى :

الجدول رقم (١٠)(٢٩)

حالة الزواج فى لواء السليمانية

الجنس	العزاب	المتزوجون	المطلقون	الارامل
الذكور	٢٥٢٨٤	٣٦٢٥٦	٨٦	١٧٣٨
الانـاث	٢٩٢٤٣	٣٨٥٤٤	٣١١	١٢٨١٣

ان النظرة الاولى لهذا الجدول تدل على ان عدد الافراد العزاب مـن الرجال والنساء مرتفع جدا اذا ما قورن بعدد المتزوجين ، وخاصة فيما يتعلق بالرجال • ويعتبر الجدول من وجهة النظر هذه مضلل للغاية ، وهذا التضليل

28. Adams, Ibid.

29. Statistical abstracts, 1954, P. 12.

ناجم عن عدم ذكر سن الزواج • والواقع ان جزءا كبيرا من الاعـــداد المذكورة هو دون سن الزواج • وهذه النقطة ذات أهمية خاصة بالنســـبة للواء السليمانية ، ذلك ان حجم الفئة الفتية يمثل الجزء الاعظم من السكان ، كما يوضحه الجدول التالى :

الجدول رقم (١١)(٣٠)

نفوس سكان لواء السليمانية حسب جنسهم وفئات اعمارهم لعام ١٩٥٣

فئة العمر	ذكور	انـاث
دون سن الخامسة	١٩٦٣٤	٢١٥٢٨
من ٥ ـ ٩ سنوات	١٨٨٠٥	٢٢٩٩٦
من ١٠ ـ ١٩ سنة	١٥٥٤٠	٢٥٧٠٣
من ٢٠ ـ ٢٩ سنة	٨١٨٩	١٤٥٨٥
من ٣٠ ـ ٣٩ سنة	١٠٧٥٢	١٣٧٠٤
من ٤٠ ـ ٤٩ سنة	١٢٥٨٤	١١٠٣٣
من ٥٠ ـ ٥٩ سنة	٧٥١٥	٦٩١٦
من ٦٠ ـ ما فوق	٨٧٨٤	٦٩١٦
المجمـــــــوع	١٠١٧٦٧	١٢٤٦٣٣

من الواضح ان جزءا كبيرا من سكان اللواء هم دون سن ١٩ ، وان عددا غير قليل من هؤلاء هم بين سن العاشرة والتاسعة عشرة • ولقد حـذف الجدول الاسبق الذى بين حالة الزواج عدد السكان الذين هم دون العاشرة فقط ، وبما ان سن الزواج العام بالنسبة للذكور يبدأ من العشرين وبالنسبة للاناث يبدأ من الخامسة عشرة فان ذلك يعنى ان جميع افراد السكان الذكور بين ١٠ـ١٩ سنة والبالغ عددهم ١٥٥٤٠ شخصا ، ونصف افراد الســـكان الاناث بين ١٠ـ١٩ سنة والبالغ عددهم ٢٥٧٠٣ شخصا يجب ان يطرح من

30. Statistical abstracts 1954, P. 10.

رقم الأشخاص «العزاب» • وعلى أية حال فان الجدول الأسبق مفيـــد فى أيضاح العدد المرتفع نسبيا للارامل ، ولابد ان تكون نسبة لا بأس بها منهن فى سن الانجاب ، وتعزى هذه الظاهرة الى عدم ارتيـاح المجتمـع لزواج الارامل • ومع ان الجدول لا يمدنا بأية معلومات عن فترة الانجاب لــدى المرأة ، فان الخصوبة العالية فى اللواء تقودنا الى الاستنتاج بأن فترة الانجاب البالغة (٣٠) عاما (بين سن ١٥ـ٤٥ عاما) تستثمر استثمارا كاملا •

وبالرغم من ان جدول الحالة الزواجية غير أهل لامدادنا بفكرة صحيحة عن وضع متوسط الزواج Marriage-rate فى اللواء ، فان الظـــروف الحضارية فى اللواء تؤكد لنا وجود متوسط عال للزواج ، ذلك ان الدوافع الدينية والاجتماعية والاقتصادية جميعها تعزز الزواج (×) • فمن الناحيـة الدينية يشجع الأسلام ، وهو دين الغالبية المطلقة من سكان اللواء ، الزواج ويعتبره واجبا تجاه المجتمع اكثر من كونه مجرد شأن من الشـــــؤون

(×) ان الاحصاءات اللاحقة تؤكد ايضا انخفاض متوسط الزواج فى اللواء كما يوضحه الجدول التالى :

جدول يمثل عدد حوادث الزواج ومعدلاتها فى ألويـة العراق

اللواء	١٩٦٨		١٩٦٧	
	العدد	النسبة الى كل ١٠٠٠ من السكان	العدد	النسبة الى كل ١٠٠٠ من السكان
السليمانية	١١٢١	٢ر٦	١١٩٤	٢ر٨

المصدر : المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ الجهاز المركزى للاحصاء •

ويمكن ان يعزى هذا التناقض بين الرقـــم المنخفض لمتوسط الزواج والحالة الاجتماعية المشجعة على الزواج الى امتناع الكثيرين من ابناء الريف عن تسجيل حوادث الزواج فى المحاكم المدنية •

الشخصية [٣١] ولعل اكثر الاحاديث النبوية شيوعا بين الناس عن أهمية الزواج هو الحديث الشريف القائل : «الزواج نصف الدين» .

ومن الناحية الاجتماعية تعتبر العزوبية والتأخر فى الزواج من الصفات الخلقية التى يرفضها مجتمع القرية . ويتعرض الرجال الذين يمتنعون عن الزواج بدون عائق قاهر الى الريبة والنقد . وفضلا عن ذلك فان اعراف الزواج لدى الاكراد تيسر امر الزواج ، لا سيما ذلك العرف المسمى «الزواج بالتبادل» . (ژن بەژن) . هذه الوسيلة من وسائل الزواج تختصر نفقات الزواج وذلك بالغاء مهر العروس الذى هو على العموم العائق الرئيسى تجاه الزواج .

اما من الناحية الاقتصادية فالزواج امر مرغوب فيه من جانب الرجل ، ذلك أن المرأة تشترك اشتراكا فعليا فى الزراعة ، كما انها تمده بأيدى عاملة من الاولاد والبنات .

واخيرا فان الحياة البدائية للقرية بوسائل تسليتها المحدودة تحمل الرجال على البحث عن متعتهم فى الجنس . ولذلك يتفق الرجال العزاب فى رغبتهم الشديدة بالزواج حالما تسمح لهم ظروفهم المالية . ولعل حبهم التقليدى للعائلة مسؤول ايضا عن تلك الرغبة القوية فى الزواج .

ويمكن القول ان العائق الوحيد للزواج فى اللواء هو المهر المرتفع نسبيا والذى لا يتناسب مع المقدرة الاقتصادية للقرويين . الا ان هذه العقبة تذلل فى العادة بوسائل متعددة تستنبط من صلب النظام الاجتماعى السائد .

وهكذا يمكننا الاستنتاج بان متوسط الزواج مرتفع ارتفاعا معتدلا . وبما ان الخصوبة لا تحدها قيود ، وبما ان متوسط الزواج مرتفع ارتفاعا

---

31. Poponel, Paul, "Eugenic of Islam" in "Eugenics in races and states", Baltimore 1921, P. 444.

معقولا ، وبما ان متوسط الطلاق منخفض عموما ، اذ يعتبر الاكراد الطلاق مشينا (× ×) ، فان من المنطق اذن ان نفترض ارتفاع درجة المواليد فى اللواء لا سيما وان العوامل الاخرى ذات الطبيعة البيولوجية والنفسية كانتشار الامراض التناسلية والشذوذ الجنسى والمشاكل العائلية لا تكاد تترك اثرا مذكورا . وهكذا يمكن الحكم بأن المرأة الكردية قد تلد من الاطفال بقدر ما تلد الامهات الصينيات او الهنديات ، واللواتى قد يلدن ٧ أو ٨ أطفال . [٣٢]

الوفيات

ان أهمية درجة الوفيات تكمن في ايضاح قيمة درجة المواليد ، ذلك ان درجة المواليد المرتفعة التى تقابلها درجة وفيات مرتفعة ايضا لا تمهد السبيل لنمو السكان . والواقع ان فى الامكان تحقق نمو سكانى بالرغم من تطبيق طرق تحديد النسل شرط ان تنخفض درجة الوفيات انخفاضا كافيا . وقد اتبعت هذا الخط شعوب اوربا الغربية والشمالية خلال الخمسين عاما الاخيرة .

ان أرقام الوفيات التى يمكن الركون اليها لم تتوفر فى لواء السليمانية الا مؤخرا . ومع ان تلك الارقام ليست كافية لعكس حقيقة الدرجة العامة للوفيات فى اللواء ، الا ان من المعتقد انها أكثر دقة من ارقام المواليد ، فالناس

(× ×) لقد سجلت فى مدينة السليمانية ١٠٣ حوادث طلاق عام ١٩٦٧ و ٦٣ حادثة طلاق عام ١٩٦٨ .

(المصدر : الجهاز المركزى للاحصاء ــ المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩) .

32. Cook, C. Roberts, "Human Fertility" New York 1951,p.77.

لا يتهربون من تسجيل الوفيات كما يتهربون من تسجيل الولادات • ويوضح الجدول التالى متوسطات الوفيات فى لواء السليمانية للسنوات ١٩٥٢و١٩٥٣ و ١٩٥٤ •

الجدول رقم (١٢)(٣٣)

النسب المئوية للوفيات فى لواء السليمانية

السنة	الذكور		الانـاث		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٥٢	٢٦٨	٢ر٧	٩٣	١ر٣	٣٦١	٢ر١
١٩٥٣	٧٩٨	٤ر٦	١٧٢	١ر٤	٩٧٠	٣ر٣
١٩٥٤	٥٦١	٣ر٤	٩٨	٠ر٧	٦٥٩	٢ر٣

ولا يمكن لهذا الجدول بالطبع ان يوضح تطور الوفيات ، ذلك لانه لا يشمل سوى فترة قصيرة ، لكنه يؤكد بما لا يقبل الشك ارتفاع درجة الوفيات • واذا ما حسبت نسبة الوفيات خلال السنوات الثلاث فانها تبلغ ٢٦ فى الالف ، فى حين ان المستوى المعقول لدرجة الوفيات العامة يحدد عادة بحوالى ١٤ فى الالف • (٣٤) ويتضح ارتفاع درجة الوفيات اذا ما قارناها ايضا بدرجات أقطار أخرى لم تزل فى طور النمو ، فهى تبلغ فى غامبيا ١٩ر٤ فى الالف ، وفى المكسيك ١٥ر٦ فى الالف ، وفى شيلى ١٣ر٢ فى الالف ، وفى سيلان ١٠ر٩ فى الالف ، وذلك حسب احصائية عام ١٩٥٣ • (٣٥)

33. Statistical abstracts, tables 264,265 and 266.P.263-65, 1954.

34. Newsholme, A. "The measurement of progress in public health" Economica 1923, P. 193.

35. United Nations, "Demographic year-book 1956", New York 1957.

وتختلف درجة الوفيات بين السكان حسب فئات السن ، اذ يفترض ان ترتفع هذه الدرجة طرديا مع ارتفاع نسبة كبار السن ، الا ان الوضع الصحى فى اللواء يدعو الى الاعتقاد بان أعلى معدل للوفيات يحدث بين فئة السكان دون السنة الاولى • ومن المعتقد ان درجة وفيات الاطفال الرضع مسؤولة بشكل خاص عن رفع درجة الوفيات العامة ، لا سيما وان نسبة الشيوخ الى مجموع السكان واطئة جدا ، ومن المؤسف اننا لا يمكن ان نستشير ارقام وفيات الاطفال الرضع لعدم توفرها بالنسبة للواء السليمانية • اما ارقام وفيات الاطفال الرضع للعراق عموما كما ذكرت فى حولية هيئة الامم لعام ١٩٥٤ فلا يمكن قبولها لانها تبدو مغايرة للمنطق كليا • وقد وردت تلك الارقام على النحو التالى : ٣ر٩٧ فى الالف لعام ١٩٥٠ ، و ر٨٩ لعام ١٩٥١ ، و ر٥٦ لعام ١٩٥٢ • وقد قدر ادمز Adams مثلا وفيات الاطفال فى المناطق الريفية فى العراق بما يتراوح بين ٢٥٠ الى ٤٠٠ فى الالف •[٣٦] ومن الممكن ان نشير الى تقدير اكثر دقة لدرجة وفيات الاطفال بالاستناد الى ارقام وفيات الاطفال فى بغداد والموصل والبصرة (وهى الارقام الوحيدة المتوفرة لدينا لوفيات الاطفال) كما يوضحها الجدول التالى : (×)

الجدول رقم (١٣)[٣٧]

مواليد ووفيات الاطفال فى بغداد والموصل والبصرة

بغداد :

السنة	المواليد	الوفيات	النسبة (فى كل الف ولادة)
١٩٣٨	٨٨٦٣	٢٢٧٩	٢٥٧

36. Adams, Op. cit.

(٣٧) « مقدمة فى كيان العراق الاجتماعى » لهاشم جواد ، بغداد ١٩٤٦ ص ٢٥ •

(×) ان الاحصاءات الحديثة قد اوردت الارقام التالية لوفيات الاطفال الرضع فى العراق : =

« تابــع »

السنة	المواليد	الوفيات	(النسبة في كل ألف ولادة)
١٩٣٩	٩١١٩	٢١٣١	٢٣٤
١٩٤٠	٩٦٨٢	٢٤٣٧	٢٥٢
١٩٤١	٩٠٣٣	٢١٤٢	٢٧٣
١٩٤٢	٩٣٥٨	٢١٩٣	٢٦٢
١٩٤٣	١١٠٤٩	١٦١٦	١٤٦

جــــدول يمثل عدد الوفيات ووفيات الاطفال المسجلة ومعدل وفيات الاطفال الرضع

السنة	مجموع الوفيات المسجلة	وفيات الاطفال	معدل وفيات الاطفال الرضع لكل الف حــي
١٩٥٧	٢٥٤٤٩	٢٢٤٤	٣٥
١٩٥٨	٢٦٨٨٤	٣٠٢٩	٣٩
١٩٥٩	٢٥١٤٤	٣٠٤٧	١٨
١٩٦٠	٢٩٨٦١	٣٤٧٤	١٨
١٩٦١	٢٩٠٦٦	٣٧٢٤	٢٧
١٩٦٢	٢٨٧٣٣	٤٠١٤	٢٩
١٩٦٣	٢٦٦٠٩	٢٩٧١	٢٢
١٩٦٤	٣٣٣١٤	٣٠٧٦	١٩
١٩٦٥	٣٣٨٩٢	٢٩٥٠	٢٤
١٩٦٦	٣٢٦٥٢	٢٦٦٥	١٨
١٩٦٧	٣٤٢٥٠٠	٢٥٩٨	١٦

المصدر : « احوال السكان فى العراق » للدكتور احمد نجم الدين ، ص١٦٦

« تابـع »

الموصـل :

السنة	المواليد	الوفيات	النسبة (فى كل ألف ولادة)
١٩٣٨	٣٧٦٥	٦٢٤	١٦٦
١٩٣٩	٣٨٨٨	٧٣٠	١٨٨
١٩٤٠	٣٨٤٩	٧٣٣	١٩٠
١٩٤١	٤٠٦١	٦١١	١٥٠
١٩٤٢	٣٧٣٦	٥٤٠	١٤٥
١٩٤٣	٣٨٧٩	٤٤٩	١١٦
البصـرة :			
١٩٣٨	١٧٧٠	٤٣٣	٢٥٠
١٩٣٩	١٧٩٦	٤١٥	٢٣١
١٩٤٠	١٦٦٣	٤٩١	١٣٩
١٩٤١	١٤٩٧	٣٠١	٢٠١
١٩٤٢	١٨١٨	٢٤٦	١٣٥
١٩٤٣	٢١٥١	٣٠١	١٣٦

ان الجدول المذكور اعلاه يوضح بان وفيات الاطفال الرضع فى المدن الكبرى الثلاث بغداد والموصل والبصرة قد بلغ ٢٥٠ بالالف ، مع العلم بأن هذه المدن تنعم بوجود المستشفيات والاطباء ، كما تنعم بمستوى مرتفع للحياة نسبيا . ولا ريب بأن هذا المعدل هو أعلى من معدلات المناطق الريفيـة التى تتوفر فيها الخدمات الصحية بصورة محدودة جدا ، وقد تنعدم احيانـا . صحيح ان متوسطات وفيات الاطفال اخذة فى الانخفاض ، حسب ارقـام الجدول المذكور ، وان تلك المتوسطات قد ازدادت انخفاضا الان بلا شك

فى المدن الكبرى ، لكن هذا الامر يعود الى التقدم السريع الذى تحقق فى السنوات الاخيرة فى ميادين الصحة والتعليم ، مع ارتفاع واضح فى مستوى المعيشة فى المراكز المدنية • اما المناطق الريفية فلم تحرز سوى تقدم بطىء جدا فى حقول الصحة والتعليم • وعلى أية حال فمن الممكن تقدير متوسط وفيات الاطفال فى لواء السليمانية بحوالى ٣٠٠ بالالف • وهذا المتوسط يزيد بكثير عن المتوسطات المعروفة فى الدول المتقدمة ، اذ تتراوح متوسطاتها بين ٢٠ الى ٥٠ بالالف • (٣٨)

وتعزى اسباب ارتفاع متوسط وفيات الاطفال الى الاحوال الاجتماعية والاقتصادية السيئة ، اذ ان متوسط وفيات الاطفال يرتبط عموما بالفقر والحاجة الى الخدمات الصحية • وقد اعتبر بعض الكتاب متوسط وفيات الاطفال المرتفع فى العراق دليلا على نقص التغذية • فقد ذكر الدكتور درهاكوبيان فى دراسته عن الاحوال الصحية فى العراق الاستنتاج التالى :

« بعد ملاحظة طويلة لوفيات الاطفال فى مدينة الموصل بلغت سبعة عشر عاما (بين ١٩٢٧و١٩٤٣) وجدت بأن حوالى ٨٤٪ من اسباب الوفيات تعود الى نقص التغذية • فمن بين ١١٩٩٩ وفاة التى حدثت خلال تلك الفترة ، كان سبب ١٠١٤٦ حالة منها سوء التغذية » • (٣٩)

ان هذا الاستنتاج تؤيده ارقام الاحصاء الصحى السنوى الذى سجل

---

38. U.N., "The determinants and consequences of population trends", P.65.

(٣٩) « الاحوال الصحية فى العراق » للدكتور م• درهاكوبيان ، الموصل ١٩٤٧ ، ص ٧١–٧٢

الاسباب الرئيسة لوفيات الاطفال فى العراق كما عرضها الجدول التالى:(×)

الجـدول رقم (١٤)(٤٠)

سبب الوفيات	عدد الوفيات	النسبة المئوية	عدد الوفيات	النسبة المئوية
الهزال وسوء التغذية	١٠٤٩	٤٣	٩٠٠	٣٧
الاسهال والتهاب الامعاء	٤٩٧	٢٠	٥٠٠	٢١
ذات الرئـة	٣١٢	١٢	٣٢٠	١٣
الكـزاز	٤٦	٢	٨١	٣
الولادة قبل الاوان	٣٩	١ر٥	٢٧	١
الدفتريـا	٢٩	١	٢٧	١
الالتهاب الشعبى الحاد	١٣	٠ر٥	٢٠	٠ر٩
الجـدرى	٩	٠ر٤	١٦	٠ر٨
التهاب السـحايا	٢٢	٠ر٩	١١	٠ر٥
حمى التايفوئيد	٩	٠ر٤	١٠	٠ر٤
الحصـبة	٣١	١	١٠	٠ر٤
امراض غير مشخصة	٢٤٨	٩ر٦	٣٢٢	١٤
امراض اخرى	١٩٩	٧ر٧	١٦٢	٧
المجمـوع	٢٥٤٨	١٠٠	٢٤٠٦	١٠٠

ان اسباب وفيات الاطفال المذكورة فى الجدول تنطبق بشكل كبير على لواء السليمانية ، فالاحصاءات الخاصة باللواء التى تبين أسباب الوفيـات

40. Annual bulletin of health and vital statistics. 1954,pp. 263-65.

(×) لقد اوضحت الاحصاءات الحديثة ان اسباب وفيات الاطفـال تعود الى الامراض التالية :

تكشف عن نسبة عالية ايضا من الاصابة بالاسهال وذات الرئة • (٤١)

وما دامت وفيات الاطفال الرضع تتأثر تأثرا عظيما بالاحوال الاقتصادية والاجتماعية ، فان من الممكن تخفيضها بشكل ملموس بنشر التعليم وتعزيز الصحة العامة وتحسين الخدمات الصحية ورفع مستوى دخل الاسرة • ان تخفيض متوسط وفيات الاطفال يؤثر تأثيرا سريعا على درجة الوفيات العامة ، ذلك لانه اذا ما تجاوز الاطفال عامهم الثانى فان فرصهم فى الحياة تتسع بصورة اكبر •

41. Principal bureau of statistics - statistical abstracts 1954, pp. 263-65.

=

عدد وفيات الاطفال واسبابها للفترة من ١٩٦٠–١٩٦٧

سبب الوفاة	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الالتهاب الرئوى	٧٣٠	٨٠٤	١١٢٠	٧٣٨	٧٣٠	٧٥٤	٦٢١	٦١٤
الاسهال	٩٣٤	١٥١٨	٩٨١	٧٠٩	٦١٥	٦٣٠	٥٥٣	٣١٤
امراض اخرى	٨١٠	١٤٠٢	١٩١٣	١٥٢٤	١٧٣١	١٥٦٦	١٤٩١	١٦٨٠

المصدر « احوال السكان في العراق » لاحمد نجم الدين ص ١٦٧

وعلى أية حال فان وفيات الاطفال هى ليست العامل الوحيد المسؤول عن ارتفاع درجة الوفيات العامة . فنسبة الوفاة بين فئات السن الاخرى مرتفعة ايضا كما يوضحها الجدول التالى :

الجدول رقم (١٥)(٤٢)

عدد الوفيات فى لواء السليمانية حسب الجنس وفئات العمر

فئة العمر	ذكور	اناث
١ سنة	١٨	٨
٢ سنة	١٣	٨
٣ سنة	٦	١
٤ سنة	٧	–
٥ سنة	٤	٢
٦–١٠ سنة	٦٥	٢٠
١١–١٥ سنة	٥٥	١٢
١٦–٢٠ سنة	٦٥	١٠
٢١–٢٥ سنة	٦٨	١١
٢٦–٣٠ سنة	٣٢	١٣
٣١–٤٠ سنة	٤٦	١٧
٤١–٥٠ سنة	٦٣	٢٥
٥١–٦٠ سنة	٥٩	١١
٦١–٧٠ سنة	٧٤	١٠
٧١–٨٠ سنة	٣٥	١٠
٨١–٩٠ سنة	٥	٢
٩١ سنة–فما فوق	٣	–

42. Annual bulletin of health and vital statistics, Baghdad 1954, pp. 49,54,64 and 65.

اما الخضار واللحوم والفواكه فهى من الكماليات النادرة ولا يمكن تناولها الا فى المناسبات الخاصة .

ويتعارض مثل هذا النظام الغذائى مع التغذية الصحيحة . فالنظام الغذائى الصحيح لابد وان يشتمل على نوعين من الاطعمة ، النوعية الاولى وهى تلك التى تشتمل على الاغذية المولدة للطاقة ، وتتكون من الكاربوهيدرات والدهنيات والبروتينات كالحبوب واللحوم والسكر ، والنوعية الثانية وهى التى تشتمل على الاغذية الوقائية وتكون غنية بالفيتامينات والاملاح المعدنية كالحليب ومشتقاته والخضروات الخضراء والفواكه الطازجة والبيض . ولابد ان تحقق الوجبات الغذائية الصحيحة توازنا بين كلا هذين النوعين لكى تضمن مستوى معقولا لصحة الانسان من الناحية الطبيعية ومن ناحية مقاومته للامراض . فالنوع الاول من الغذاء يولد الحرارة والطاقة الضرورية لحركة الجسم كما يمنع الجوع ، بينما يعمل الثانى على تعزيز التطور الطبيعى للاعضاء النامية فى الجسم ويحافظ على مستوى طيب للحالة الصحية . (٤٣)

ومن الطبيعى ان يتعذر تحقق مثل هذا النظام الغذائى للسكان الريفيين لانه أعلى من امكانياتهم الاقتصادية ما دام دخلهم بهذا الانخفاض . ولقد قام الاستاذ ستاسى Stacy بدراسة امكانيات التغذية لدى السكان المدنيين فى العراق ووجد بأن الاسرة التى تتألف من خمسة اشخاص لا يمكن ان تتغذى بشكل مناسب بأقل من عشرة دنانير شهريا (حسب اسعار ١٩٤٤)(٤٤)

---

43. Bigwood, Prof. E.G., Guiding principles for studies on the nutrition of the population, League of Nations' publication, 1939, P.55.

44. Worthington, E.B., "Middle East Science", London 1946, P. 143.

وهذا التقدير لا يزيد كثيرا عما تحتاج اليه الاسرة الريفية لمصاريف غذائها.

ان النتيجة المنطقية لهذا المستوى الغذائي هو سوء التغذية . ويمكن ان يلمس سوء التغذية بين السكان بوجود نسبة عالية من وفيات الاطفال واصابات مرتفعة بمرض السل (حوالى ١٣٧ اصابة خلال عام ١٩٥٤) ، [٤٥] وكلا هذين المرضين يتأثران تأثيرا كبيرا بسوء التغذية . [٤٦]

اما المسكن القروى الكردى فهو مناقض كليا للشروط الصحية . ولعل ابرز نقائصه بناء الاسطبل ملاصقا لغرف الجلوس . فالبشر والحيوانات يتقاسمون الغرف جنبا الى جنب ، مما يجعل البيت مجمعا للقذارة والذباب . ومن عيوبه ايضا تجاهله لاهمية النوافذ اتقاءا لرياح الشتاء الباردة ، مما يجعل الغرف مظلمة ومحرومة من أشعة الشمس . وفضلا عن ذلك كله فان البيت الريفى الكدرى لا يضم سوى غرفة واحدة ، مهما بلغ عدد افراد العائلة ، الافيما ندر . ويمكننا ان نحكم باطمئنان ان وضع المسكن الريفى الكردى مسؤول عن ارتفاع الاصابات بمرض ذات الرئة وبأمراض عديدة اخـرى .

وتعتبر عدم كفاية الملبس سمة بارزة فى الريف الكردى عموما ، وهى نتيجة حتمية من نتائج الفقر . ومن النادر ان يشاهد المرء فى الريف الكردى فلاحا يرتدى ملابس مناسبة ، سوى الرؤساء والاعيان . ولا يغير الفلاحون ملابسهم فى العادة الا اذا تمزقت كليا ولم تعد صالحة للاستعمال . وبما ان الطقس فى لواء السليمانية يتطلب ملابس كافية ، حيث تنخفض درجة الحرارة فى الشتاء دون الصفر المئوى احيانا ، وبما ان الفلاحين يمضون أغلب أوقات النهار فى الحقول خارج بيوتهم ، فان عدم كفاية الملبس تصبح ذات اثر خطير على الصحة العامة .

---

45. Annual report of the Institute of indemic diseases, Baghdad 1954, P.96.

46. League of Nations, Nutrition, Geneva 1937, P.28.

نقص الخدمات الصحية :

ترتبط الاسباب المباشرة للموت بالامراض ، ولا سيما امراض معينة ، حسب كل منطقة من المناطق • فاذا ما حاول الانسان ان يسيطر على البيئـــة الطبيعية فأن تأثير الامراض يتضاءل الى حد كبير • ولهذا السبب فأن للاحتياطات الصحية البيئوية أثرا فعالا على اتجاهات النمو السكانى • ولا يمكن على أية حال ان تتحقق السيطرة الصحية بتوفير الخدمات الصحية فحســب ، بل بتحسين الغذاء واحوال السكن والملبس وبرفع مستوى العادات العامة وخاصة فيما يتعلق منها بقواعد النظافة العامة •[٤٧] ولقد ادى نقص الخـــدمات الصحية فى اللواء الى ارتفــاع نســبة الوفيــات وقد تســببت عن الامراض التاليـــة :

الجدول رقم (١٦)(٤٨)

الاسباب الرئيسية للوفاة فى لواء السليمانية عام ١٩٥٣

سبب الوفـاة	المجموع
ذات الرئـة	٦٩
الملاريـــا	٦٦
الاســـهال	٥٧
أمراض القلـب	٣٤
التهاب الكـلى	٣٠
الســـل	٢٣
الدزانتـرى	١٧
أمراض غير مشـخصة	٢٦٤

47. Al-Witri, Hashim, "Health services in Iraq", Baghdad 1944, P. 23.

48. Annual bulletin of health and vital statistics, pp.59-61.

يوضح هذا الجدول الاسباب الرئيسية الثلاث للوفاة فى اللواء وهى ذات الرئة والملاريا والاسهال • ويؤثر المرض الاول والثالث بشكل كبير على الاطفال دون سن الثانية ، فى حين ان الملاريا تؤثر بوجه خاص على الكهول والشيوخ • كذلك يوضح الجدول بأن الامراض المزمنة وغير المعدية لا تسبب وفيات عالية ، بالرغم من أن الرقم المرتفع للامراض غير المشخصة هو مضلل نوعما • ومن الواضح على أية حال بأن الأمراض الرئيسية هى بيئوية ، وان اسبابها هى التغذية الناقصة التى تؤدى الى الاسهال والنحول ، وعدم كفاية الملبس والمسكن اللذين يؤديان بدورهما الى الاصابة بذات الرئة ، وكثرة المستنقعات التى تشجع على انتشار الملاريا ، واخيرا نقص الاحتياطات الصحية الذى ينجم عنه انتشار مختلف الامراض •

ومما يجدر ذكره ان الجدول المذكور لا يوضح جميع الحقائق عن الاحوال الصحية فى اللواء ، فبعض الامراض وان كانت وفياتها قليلة الا ان اصاباتها واسعة جدا ، مما يؤثر على السكان بشكل غير مباشر • وتأتى الملاريا فى المقدمة من بين هذه الامراض •ويعتبر بعض الكتاب هذا المرض الجرثومى العامل الرئيسى فى عرقلة نمو السكان •[٤٩] ولقد قضت الملاريا بالفعل على سكان بعض القرى الواقعة عند سفوح الجبال فى المنطقة الكردية ، ولا سيما فى ناحيتى شهرزور وبازيان ، قضاءا تاما تقريبا • وقد حققت الملاريا فى هذه الجهات قمة عالية جدا فى اصاباتها ، فكانت بعض القرى تفقد سكانها بنسبة ١٠٪ فى العام • [٥٠] غير ان الاصابات بالملاريا انخفضت فى الاعوام الاخيرة انخفاضا كبيرا فى مختلف جهات البلاد نتيجة للجهود الواسعة فى مكافحتها •

---

49. Ghalib, Dr. Ali, Malaria and Malaria in Iraq, 1944, P.33

50. Ibid, P. 87.

ان هذه الأحوال الصحية فى اللواء تشير الى النقص البالغ فى كل من الخدمات الوقائية والعلاجية • ومثال ذلك ان المياه النقية لا تتوفر الا فـى مراكز الاقضية والنواحي وبعض القرى الكبيرة • وتستقى مياه الشرب فى العادة من نبع القرية العمومى الذى يستخدم فى الوقت نفسه لغسل الملابس• اما الاقذار فتنتشر فى كل شارع وزقاق من أزقة القرية دون ان يكلف احد نفسه برفعها • ولا توجد مراحيض خاصة الا فى بيوت قليلة جدا ، كما تكاد تنعدم المراحيض العمومية الا فى قرى معدودة • وفضلا عن ذلك كله فان نصيب السكان من المستشفيات والقرى ضئيل للغاية • ففى عام **١٩٥٣** كان فى لواء السليمانية **٥** مستشفيات و **٢١** مستوصفا و **٤** عيادات خارجيـــة وصيدليتان و **١٠** أطباء • [٥١] (×) وتتركز هذه الوسائل الصحية فى مراكز محدودة ، وخاصة فى مدينة السليمانية ، فى حين ان الغالبية العظمـــى من القرى ما تزال محرومة من أية خدمات طبية • فمدينة السليمانية مثلا تحظى بسبعة أطباء من مجموع الاطباء العشرة • ومما يزيد فى صعوبة الحصـــول على العلاج الطبى ، بل ويجعل منه أمرا مستحيلا احيانا ، وسائل المواصلات البدائية ووعورة المنطقة • ومهما يكن الامر فأن لواء السليمانية يكاد يكون أفقر لواء فى خدماته الصحية كما يوضح الجدول التالى :

الجـدول رقم (١٧)(٥٢)

الخدمات الصحية فى العراق

السليمانية	٢٢٦٤٠٠	٥	١٠	٢١٠
بغـداد	٨١٧٢٠٥	٢٥	٥٥١	١٨٤٩
البصرة	٣٦٨٧٩٩	١١	٦٣	٢٧٩

51. Statistical abstracts 1954, pp. 284-8.

(×) بلغ عدد المستشفيات فى لواء السليمانية حسب احصاء ١٩٦٨ خمس مستشفيات وتشتمل على ٤٦٥ سريرا كما بلغ مجموع ذوى المهـــن الطبية ٥١ شخصا •

52. Statistical abstracts, 1955.

« تابـع »

اللواء	عدد السكان	المستشفيات	الاطباء	اشخاص آخرون يحملون اجازة تطبيب
الموصل	٥٩٥١٩٠	٨	٦٠	٤٣٤
العمارة	٣٠٧٠٢١	٦	١٧	١٠٤
كربلاء	٢٧٤٢٦٤	٤	١٩	١٣٢
الدليم	١٩٢٩٨٣	٥	١٣	٩٠
كركوك	٢٨٦١١٥	٥	٤٨	١٥٢
المنتفك (الناصرية)	٣٧١٨٦٧	٦	١٥	١١٢
الحلة	٢٦١٢٠٦	٦	١٧	١٤٨
الكوت	٢٢٤٩٣٨	٣	١٠	٨٥
الديوانية	٣٧٨١١٨	٦	٢٠	١٥١
ديـالى	٢٧٢٤١٣	٣	١٩	١٨٦
اربيـل	٢٣٩٧٧٦	٥	١٢	١١٢
المجموع	٤٫٨١٦٫١٨٥	٩٨	٨٧٤	٣٩٣٦

ان الجدول المذكور يوضح نقص الخدمات الصحية فى اللواء حتى بالمقارنة مع الالوية الاخرى ، كما يبين حاجة اللواء الشديدة الى الخدمات الصحيـة العلاجية والوقائية • (×) ولابد ان تسد حاجة اللواء بعـدد اكبر من الخدمات الصحية بما فيها المستشـفيات والاطباء والمسـتوصفات والموظفين الصحيين • اما فى القرى الصغيرة التى لا يمكن ان تقوم فيهـا المستشفيات لاسعاف السكان ، فلابد من انشاء مستوصفات صغيرة تحتوى على عدد صغير من الموظفين الصحيين وعلى عدد من الاطباء الزائريـن • ومـن

(×) ان نقص الخدمات الصحية فى لواء السليمانية ما يزال قائمـا بالقياس الى الالوية الاخرى كما يوضحه الجدول التالى : =

جدول يمثل توزيع السكان وذوى المهن الطبية والنسبة المئوية لهم والمستشفيات وعدد الاسرة على محافظات العراق عام ١٩٦٥

المحافظة	عدد السكان	نسبة السكان الى المجموع الكلي	عدد ذوى المهن الطبية	نصيب كل محافظة من مجموع ذوى المهن الطبية ٪	عدد المستشفيات	عدد الاسرة
الموصل ودهوك	٩٥٤١٥٧	١١ر٤	٨٦	٧ر٠	١٣	١٢٩٢
اربيل	٣٦٠٢٨٥	٤ر٣	٢٥	٢ر٠	٧	٦٣٥
السليمانية	٤٠٨٢٢٠	٤ر٩	١٨	١ر٤	٥	٣٩٥
كركوك	٤٦٢٠٢٧	٤ر٣	٢٥	٢ر٠	١٠	٥٤١
ديالى	٤٠٠٠٤٩	٤ر٨	٤٣	٣ر٤	٨	٣٧٦
الرمادى	٣١٩٢٨٩	٣ر٨	٤٣	٣ر٤	٩	٤٠٦
بغداد	٢١٢٤٣٢٣	٢٦ر٢	٦٣٣	٥٠ر_	٤١	٧١١٥
الكوت	٣٣٥٤٩٥	٤ر_	٢٨	٢ر٣	٦	٤١٠
الحلة	٤٤٨٠٢٣	٥ر٢	٦١	٤ر٨	٧	٧٠٨
كربلاء	٣٣٩٦٩٢	٤ر١	٦٤	٥ر_	٤	٥٩٨
الديوانية والسماوة	٥٤٨٨٣٠	٦ر٦	٣٦	٥ر_	٩	٧٢٨
العمارة	٣٤٦٦٦٣	٤ر٢	٣٨	٣ر_	٦	٦٦٨
الناصرية	٥٠٠٠٣٣	٦ر_	٢٩	٢ر٢	٩	٣٢٨
البصرة	٦٧٣٦٢٣	٨ر١	١١٠	٨ر٨	١٦	١٢٠٦
المجموع	٨ر٢٢٠ر٧٠٩	١٠٠	١٢٦٢	١٠٠		

المصدر : المجموعة الاحصائية السنوية للسنوات من ١٩٥٨ـ١٩٦٨ .

الضرورى توسيع التدابير الصحية الوقائية بالقدر الذى توسع به التدابير الصحية العلاجية • وهذه التدابير تشتمل على تزويد القرى بالمياه النقية وبالمراحيض والحمامات العامة ، وعلى توسيع الدعاية الصحية والاهتمام بنظافة القرى • وسيؤدى اتخاذ التدابير الوقائية الى مقاومة كثير من الامراض الوبائية والى التخفيف من وطأة الامراض المستوطنة • (٥٣)

مقارنة بين درجة الوفاة فى لواء السليمانية وبقية ألوية العراق :

بالرغم من ان مثل هذه المقارنة تستدعى وجود احصاءات طويلة المدى ، الا ان الاحصاءات ذات الثلاثة اعوام المتوفرة لدينا قد تمدنا بمقارنة عامة فى الموضوع • ويوضح الجدول التالى نسب الوفيات فى جميع ألوية العراق للسنوات ١٩٥٢، و ١٩٥٣ ، و ١٩٥٤ •

الجدول رقم (١٨)(٥٤)

نسبة الوفيات (بالمئة) فى العراق لعام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ و ١٩٥٤ حسب الالوية

اللواء	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤
السليمانية	٢ر١	٣ر٣	٢ر٣
بغداد	٤٠ر٣	٢٤ر٢	٢٦ر٢
البصرة	١١ر-	١٠ر٢	١١ر-
الموصل	١١ر٣	٨ر٢	٧ر٦
العمارة	٣ر-	٣ر٦	٤ر١
كربلاء	٧ر٣	٨ر-	٩ر٧
الدليم	١ر٢	١ر٤	٠ر٩
كركوك	٢ر-	٢ر٦	١ر٧

53. Lord Salter, "The development of Iraq", Baghdad 1954, P. 10.

54. Statistical abstracts, pp. 263-65.

« تابع »

اللواء	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤
المنتفك (الناصرية)	٢ر٦	١٠ر١	٩ر١
الحلة	٤ر٢	٥ر–	٤ر٩
الكوت	٤ر٨	٥ر٦	٥ر٦
الديوانية	٥ر٦	١١ر٩	١٢ر١
ديالى	٢ر٢	٣ر١	٣ر١
اربيل	٢ر١	٢ر٨	١ر٧

يبين الجدول المذكور انخفاضا واضحا لنسبة الوفيات فى لواء السليمانية بمقارنته بالالوية الاخرى • ففيما عدا لواء الدليم الذى يتميز بأقل مقدار من السكان، فان نسبة الوفيات في لواء السليمانية هي أشد النسب انخفاضاً (×) ولا تعود هذه الظاهرة الى نشر الاجراءات الصحية فى اللواء اكثر من بقية الالوية الاخرى ، بل هى ثمرة لعوامل مختلفة طبيعية واقتصادية واجتماعية، ويمكن اجمالها بما يلى :

أثر المناخ :

ان مناخ لواء السليمانية يتطابق مع المناخ المثالى الذى حدده ماركهام Markham ، [٥٥] فهو يتصف بشتاء بارد رطب يبلغ متوسط حرارته حوالى ٤٠ ف ، وصيف معتدل جاف يبلغ متوسط حرارته حوالى ٧٠ ف • اما بقية ألوية العراق الوسطى والجنوبية فتتصف بصيف حار جاف يبلغ متوسط حرارته حوالى ١٠٠ ف ، وشتاء دافىء يبلغ متوسط حرارته حوالى ٥٠ ف • ويبلغ متوسط الرطوبة النسبية فى لواء السليمانية حوالى ٢٥٪ ، بينما يصل المتوسط فى ألوية العراق الوسطى والجنوبية الى حوالى ٤٠٪ •

---

55. Markham, S., Climate and energy of Nations, London 1942, P.25.

(×) يمكن ان نلمس انخفاض نسبة الوفيات فى لواء السليمانية بالنسبة للالوية الاخرى فى الجدول التالى الذى يسجل الوفيات خلال الفترة من ٥٧ ـ ٦٧ =

=

جدول يبين عدد الوفيات المسجلة فى العراق حسب المحافظات
خلال الفترة من ١٩٥٧ - ١٩٦٧

المحافظة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الموصل	١٧٦٥	٢٠٩٨	٢٢٩٤	٢٨٣٨	٢٣٦٠	٢٣٧٤	٢١٤٦	٢٩٦٤	٢٥٥٩	٣١٧٤	٣١٣٨
كركوك	٤٠٧	٧٥٨	٧٩٦	١٠٧٢	٨٨٤	٧٠٠	٦٠٠	٩٣٧	٦٧٢	٨١٥	٧٨٧
اربيل	١٥٩	١٦٠	١٦٠	٤٧٤	٣٦٤	٣٠٧	٣٦٨	٦٥٨	٤٦٠	٥٦٧	٦٠١
السليمانية	٨٢١	٨٠٦	٥١٧	٦٨٣	٦٣٩	٥١٠	٣١٧	٥١١	٤٧٩	٦٨٠	٦٨٦
بغداد	٧٠٦٢	٧٦٣٧	٦٢٧٨	٩٠٥٢	٩٥٥٦	٩٩٥٢	٨٩٧٣	١٠٧٠٤	١١٩٥١	١٠٣٦٨	١٣٠٧٣
ديالى	٨٨٩	٨٠٦	٩١٣	٨٩٠	٩٥٢	٤٦٥	٣١٧	٦١٢	٦٣٢	٦٨٢	٢٢٤
الرمادى	٣١٣	٢٤٤	١٩٧	٣٣٤	٣٠٥	٣٢٦	٣٨٥	٧٩٧	٤٥٥	٦٢٣	٤٨٩
الكوت	١٤٤٦	١٤٩٥	١٦٤٠	١٧٥٤	١٦٣٨	١٦٣٥	١٦٤٩	٢٠٢٤	١٨٠٦	١٩٥٦	١٨٩٦
الحلة	١٠٥٧	١١٧٥	١٣٦١	١٢٥٩	١٢٠٥	١٠٢٤	٩٩٥	١٦٨٧	٢٠٢٨	١٨١٤	٦٤٢
كربلاء	١٦٣٥	١٧٠٤	١٤٢٦	١٤١٧	١٦٦٦	٢١٣٤	٢٠٠٦	٢٢٢٦	٢٦٠٩	٢١٨٠	٢٠١٣
الديوانية	٢٤٣٥	٢٦٩٤	٢٧١٠	٢٩٧٥	٢٤٤٧	٢٤١٢	٢٠٨٤	٢٦٢٤	٢٧١٧	٢٥٦٦	١٨٥٨
الناصرية	٢٨٦١	٢٣١٧	١٩٩٨	٢٢٨٩	٢٢٠٢	٢٤٢٤	٢٠٤٥	٢١٨٣	٢٢٨٧	٢٣٥٠	٣٢٤٩
العمارة	١٢٩١	١١٧٤	١٤٤٠	١٥٠٦	١٥٨٧	١٤٣٥	١٥١٥	١٩٠٢	١٨٦٣	١٨٥٠	١٩٣٨
البصرة	٣٣٠٨	٣٧١٥	٣٤١٤	٣٢١٨	٣٢٦١	٣٠٣٤	٣٢٠٩	٣٤٩٠	٣٣٧٥	٣١٠٧	٣٦٥٦
المجموع	٢٥٤٤٩	٢٦٨٨٤	٢٥١٤٤	٢٩٨٦١	٢٩٠٦٦	٢٨٧٣٢	٢٦٦٠٩	٣٣٣١٤	٣٣٨٩٢	٣٢٦٥٢	٣٤٢٥٠

المصدر : المجموعات الاحصائية السنوية للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٨ ءالجهاز المركزى للاحصاء .

ولا ريب ان مثل هذا النوع من المناخ يؤثر فى تخفيض درجة الوفيات فى لواء السليمانية ، بينما يؤثر فى رفعها فى الالوية الوسطى والجنوبية . وقد وجد هنتنجتون Huntington بأن الجو الحار الرطب يتفق ونسبة الوفيات العالية . (٥٦) كذلك يؤكد نيوشولم Newsholme بأن الشتاء الدافىء والصيف المعتدل كلاهما يؤديان الى تخفيض نسبة الوفيات ، فالشتاء الدافىء ينفع الكهول والشيوخ ، بينما يفيد الصيف المعتدل الجماعات الفتية ولا سيما الاطفال . (٥٧) وينبغى ان نتذكر بأن نسبة وفيات الاطفال فى لواء السليمانية هى بالفعل أوطأ من مثيلاتها فى الالوية الوسطى والجنوبية وانها مسؤولة الى حد كبير عن توسيع الفجوة بين درجة الوفيات العامة فيما بين لواء السليمانية وبقية الوية العراق .

اثر نظام الرى :

ان نظام الرى المتبع فى لواء السليمانية ، والذى يعتمد على المياه الجوفية، قد أنقذ المنطقة من بعض الامراض الريفية الخطرة كالانكلستوما والبلهارزيا اللذان يكاد ينعدم وجودهما فى اللواء . ومن الملاحظ ان الاصابات بهذين المرضين عالية جدا فى الالوية الوسطى والجنوبية نظرا لاعتماد هذه الجهات فى ريها على دجلة والفرات وفروعهما وقنواتهما . ويتضح ذلك بالرجوع الى الاحصاءات المرضية لعام ١٩٥٣ فى البلهارزيا والانكلستوما ، فقد بلغت فى لواء الديوانية ٣٠٦ اصابة و ٢٠٦ اصابة على التوالى وفى لواء المنتفك (الناصرية) ٨٧٨ اصابة و ٦٨٢ اصابة على التوالى،بينما بلغت اصابات البلهارزيا

---

56. Huntington, E., "Weather and health", Washington 1930, pp.37-40.

57. Newsholme, Sir A., "Vital statistics", London 1923,P.296.

فى لواء السليمانية ١٧ اصابة ، ولم تحدث أية اصابة فى الانكلستوما ◆ [٥٨]
ومما لا ريب فيه ان خلو اللواء من هذه الاصابات قد خفض درجة الوفيات فيه ، بينما رفعها فى الالوية الاخرى ◆ ان اثار هذين المرضين لا تحتاج الى ايضاح ، فالبلهارزيا تسبب نحولا عاما يضعف مقاومة الجسم بينما تسبب الانكلستوما الانيميا (فقر الدم) والهزال وضعف القلب ◆ لذلك فان خطر هذين المرضين لا يكمن فى ارتفاع وفياتهما فحسب ، بل فيما تسببانه من امراض اخرى بصورة غير مباشرة ◆

اثر الملكية الارضية :

ان لنظام الملكية الارضية تأثيرا غير مباشر على السكان ، وهو تأثير ايجابى نسبيا فى حالة لواء السليمانية ، وسلبى فى بقية ألوية العراق ولا سيما الالوية الجنوبية ◆ ومع ان نظام الملكية الارضية فى لواء السليمانية بعيد عن الكمال ، الا انه أفضل حالا مما هو عليه فى الاجزاء الوسطى والجنوبية من البلاد ◆ (×) ويمكن ان نحدد هذه الافضلية فى ثلاث نقاط :

الاولى : وجود عدد اكبر من الزراع الصغار فى لواء السليمانية الذين يمتلكون ارضهم ويتولون زراعتها بأنفسهم ◆

الثانية: وجود طبقة من الفلاحين المؤجرين فى لواء السليمانية تتمتع باستقلال مشابه لاستقلال طبقة الملاكين الصغار ◆ اما فى المنطقة العربية فتنحصر المزايا التى يتمتع بها أفراد هاتين الطبقتين فى عدد محدود من السراكيل، بينما يعامل بقية الفلاحين معاملة العمال الزراعيين ◆

---

58. Annual bulletin of health and vital statistics 1958, P.14 and 17.

(×) لقد تغير نظام الملكية الارضية تغييرا جوهريا لصالح الفلاح منذ ثورة ١٤ تموز ــ ١٩٥٨ وذلك بتشريع قوانين الاصلاح الزراعى ◆

الثالثة : ارتفاع نصيب الفلاح من المحصول فى لواء السليمانية بالقياس الى نصيبه فى الالوية الاخرى ، ولا سيما فى المنطقة الجنوبية .

وهكذا اصبح الوضع الاقتصادى للسكان الريفيين فى لواء السليمانية أفضل من وضعهم فى معظم الالوية الاخرى ، ولا سيما الالوية الجنوبية ، وقد أثر هذا الوضع بالطبع فى تخفيض درجة الوفيات فى اللواء .

اثر التنظيم الاجتماعى والسياسى :

لقد أثر هذا العامل فى سكان اللواء تأثيرا ايجابيا نسبيا ، بينما كان ذو تأثير سلبى فى سكان معظم الالوية الاخرى . ولكى نفهم طبيعة هذا العامل لابد لنا ان نتذكر بأن النظام العشائرى قد ساد العراق لزمن طويل ، وقد ترك هذا النظام اثارا سيئة فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية .

فمن الناحية الاقتصادية كان السكان العشائريون يعانون من عدم الثبات فى حرفتهم ، وكانوا يتأرجحون دائما بين الزراعة والرعى . بل ان الزراع أنفسهم كانوا يزاولون الزراعة شبه المتنقلة وهى حرفة تشبه فى مظاهرها الاجتماعية حرفة الرعى . وفضلا عن ذلك ، فقد كان هناك حالة من الصراع الدائم بين العشائر المختلفة نجمت عن طبيعة وضعها الاقتصادى، وهو صراع بين الزراع المستقرين من جهة والرعاة الرحل من الجهة الاخرى ، وكذلك الصراع بين العشائر المختلفة حول المراعى والاراضى الزراعية .

أما من الناحية الاجتماعية فقد أثر النظام العشائرى على نمو السكان من خلال مزاولة العادات والتقاليد العشائرية التى ترتبط ارتباطا قويا بظاهرتى القتال والثأر. ان هذه الصفات البارزة فى النظام العشائرى قد أثرت على استقرار السكان وزجتهم فى حروب متصلة .

ولقد عانى لواء السليمانية من مساوىء النظام العشائرى أقل مما عانت

منه بقية الالوية الاخرى ، لا سيما منذ اوائل هذا القرن ، كما ان تحلل النظام العشائرى فى اللواء قد بدأ منذ وقت طويل نسبيا ، بينما ظلت أغلب الالوية ، وخصوصا الجنوبية منها ، تعانى من مساوىء هذا النظام .

موازنة بين متوسطات المواليد والوفيات فى لواء السليمانية :

ان عدم توفر احصاءات ديموغرافية طويلة الامد قد جعل من المتعذر علينا ان نقرر اى عامل كان له الاثر الاكبر فى التحكم باتجاه النمو السكانى فى لواء السليمانية خلال العهود الماضية . ومع ذلك ففى وسعنا القول بان بطء نمو السكان فى تلك الفترة يرجع الى الحروب المدمرة والاوبئة الكاسحة والمجاعات الفتاكة وفقدان الاحتياطات الصحية فقدانا تاما . وعلى اية حال فقد بدأ اتجاه النمو السكانى فى الارتفاع ببطء منذ عام ١٩٣٥ ، فقد حدثت زيادة صافية Net increase قدرها ٤٢١٩٦ شخصا فيما بين عام ١٩٣٥ و ١٩٤٧م ، كما حدثت زيادة اخرى مقدارها ١١٩٠٦ شخصا فيما بين ١٩٤٧ – ١٩٥٥ . (×) من الواضح ان زيادة السكان مضطردة فى اللواء . فقد بلغ مجموع سكان اللواء حسب احصاء عام ١٩٦٥ حوالى ٤٠٨ر٢٢٠ نسمة وقد قدر عدد نفوس اللواء بحوالى ٤٧١ر٨٥٦ نسمة لسنة ١٩٧٠ و ٤٨٧ر٤٧٩ نسمة لسنة ١٩٧١ و ٥٠٣ر٧٠٨ نسمة لسنة ١٩٧٢ .
فاذا ما فحصنا فترة النمو هذه لوجدنا بان متوسطات المواليد لم ترتفع عن مستواها العام بالنظر لان العوامل التى تتحكم فى الخصوبة قد بقيت كما هى ، فى حين ان متوسط الوفيات قد انخفض بسبب الاستقرار السياسى وارتفاع المستوى الصحى . ان هذه النتيجة تقودنا الى

(×) من الواضح ان زيادة السكان مضطردة في اللواء فقد بلغ مجموع سكان اللواء حسب احصاء عام ١٩٦٥ حوالي ٤٠٨ر٢٢٠ . وقد قدر عدد نفوس اللواء بحوالي ٤٧١ر٨٥٦ نسمة لسنة ١٩٧٠ و ٤٨٧ر٤٧٩ نسمة لسنة ١٩٧١ و ٥٠٣ر٧٠٨ لسنة ١٩٧٢ .

الاعتقاد بأن متوسط الوفيات كان العامل المؤثر فى اتجاه النمو السكانى فى اللواء • غير ان هناك عاملا اخر ايضا ربما كان له اثر فعال فى زيادة سكان اللواء وهو عامل الهجرة الداخلية من الالوية الاخرى او الهجرة الخارجية من البلاد الايرانية بوجه خاص • وبما ان الارقام التى تسجل حالة الهجرة فى اللواء غير متوفرة لدينا ، لذلك لا يمكن ان نعطى تقديرا صحيحا لهذا العامل • الا اننا يمكن ان نحكم باطمئنان على اية حال ان عامل الهجرة لم يكن ذو تأثير فعال فى زيادة سكان اللواء(×) •

امكانات النمو الطبيعى

ان لسكان لواء السليمانية امكانات نمو واسع ، طبقا لما تظهره العوامل البيولوجية والاقتصادية •

ويتوقف على الناحية البيولوجية أهمية عظمى فى تقرير نمو السكان • ويتحكم فى هذه الناحية عدد النساء اللواتى فى سن الحمل Child bearing age وقد أكد كثير من الكتاب أهمية هذا العدد باعتباره العامل الحاسم فى نسبة

(×) فى دراسة حديثة عن سكان العراق توصل الكاتب الى الاستنتاج التالى عن اهمية الهجرة فى زيادة سكان الالوية المختلفة : « ان معدلات الهجرة الصافية كما وردت فى هذا الجدول تشير الى ان حركة التنقل بين الالوية الشمالية لم تكن نشيطة بالقدر الذى كانت عليه فى الالوية الوسطى والجنوبية ، كما يظهر ايضا ان الالوية التى ازداد عدد سكانها نتيجة لهذه الحركة هى فقط على التوالى ، لواء بغداد والبصرة وكركوك ثم الموصل ، ومن بين الالوية التى تناقص عدد سكانها سنويا ساهم لواء العمارة بعدد اكبر فى ارسال المهاجرين » •

المصدر : « سكان العراق » لفاضل الانصارى ، دمشق ١٩٧٠ ص١١١

اما الاحصاءات التى توضح حركة الهجرة الى داخل اللواء وخارجه فقد وردت على النحو التالى : =

=

جدول يوضح الهجرة الداخليـــة الى مراكز الالويـة

اللواء	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
السليمانية	١٦٧٩	٣٥٨٢	٢١٧١	١٠٣٢	١١٣٥	١١٩٨	٣٦٧	٣٨٦	٢٢٧

جدول يوضح الهجرة من مراكز الالوية الى المراكز الاخرى

اللواء	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦
السليمانية	١٨٥٩	٥٥٣٢	١٨٨٢	٧٥٧	٢٠٧٢	٨٨٦	٤١٧	١٦٨	١٧٢

المصدر : احوال السكان فى العراق ـ للدكتور احمد نجم الدين ، ص ١١٦-١١٧ •

المواليد Natality وهو المسؤول عن تعويض الخسارة فى الوفيات .[٥٩]

ان النساء اللواتى فى سن الحمل ، أى اللواتى تتراوح أعمارهن بين ١٥ ـ ٤٥ عاما ، يكون الاغلبية فى لواء السليمانية ، ويزيد عددهن على عدد السكان الذكور من نفس فئات السن كما يوضح ذلك الجدول التالى :

الجدول رقم (١٩)(٦٠)

النسب المئوية لسكان لواء السليمانية حسب فئات السن والجنس

العمر بين	ذكور	اناث	كلا الجنسين
صفر ـ ٤	٨ر٨	١٠ر١	١٨ر٩
٥ـ٩	٨ر٤	١٠ر٢	١٨ر٦
١٠ـ١٩	٧ر١	٨ر٨	١٥ر٩
٢٠ـ٢٩	٣ر٩	٦ر٥	١٠ر٤
٣٠ـ٣٩	٥ر١	٦ر١	١١ر٢
٤٠ـ٤٩	٥ر٤	٥ر١	١٠ر٥
٥٠ـ٥٩	٣ر٥	٣ر٤	٦ر٩
٦٠ـ فما فوق	٤ر١	٣ر٥	٧ر٦
المجموع	٤٦ر٣	٥٣ر٧	١٠٠

59. Kuczynsky, R.R., "The measurement of population", London 1935, pp. 206-7.

Also: Carr-Saunders, "World population", London 1936, pp. 117-18.

60. Computed from Statistical abstracts, table 6, P.10, 1954.

ومع ان هذا الجدول قد تأثر تأثرا خطيرا بالصعوبات التى تكتنف احصاء النفوس العام ولا سيما ما يتعلق منها باخفاء حقيقة عدد الذكور فى سن التجنيد ، الا انه مع ذلك يظهر زيادة واضحة للاناث على الذكور ، وخاصة ممن فى سن الانجاب • كذلك يوضح لنا الجدول بأن النسبة المئوية للاناث اللواتى فى أفضل سنى حياتهن هى أعلى من نسبة الذكور•(×) وهذه الظاهرة لها أهمية خاصة من وجهة النظر البيولوجية • ويظهر الجدول ايضا نسبة عالية من فئات السن الشباب من كلا الجنسين ، وهذا دليل على ارتفاع متوسط المواليد والوفيات ، كما انه دليل على المعدل الواطيء لأمد الحياة expectation of life والذى قدره احد الكتاب بحوالى ستة وعشرين عاما • [٦١] ومن الجدير بالذكر ان جميع هذه المظاهر البيولوجية السلبية يمكن عكسها الى جوانب ايجابية وذلك برفع مستوى الاحوال الصحية ومستوى الحياة عموما مما يفسح المجال امام النمو الطبيعى الواسع لسكان اللواء •

وتساهم أحوال اللواء الاقتصادية ايضا فى افساح المجال امام النمو الطبيعى للسكان ، ذلك انه يتمتع بامكانات اقتصادية واسعة لم تستثمر بعد • فهناك اراضى زراعية واسعة مهملة وغير مستثمرة بالنظر لنقص مياه الري وفقر المزارعين • ولقد أصاب التخريب نطاق الغابات العظيم فى اللواء نتيجة للاستثمار السيء ، فى حين ان فى الاستطاعة استغلاله فى صناعات عديدة •

ان تحسين وتطوير اقتصاد اللواء بالغاء النظام الاقطاعى والتعويض عنه بنظام الملكية الصغيرة ، وكذلك انشاء مشاريع الرى وتمديد شبكة واسعة

---

61. Jewad, Hashim, "Social structure of Iraq", 1945,P. 17.

(×) ان احصاءات السكان اللاحقة قد اوضحت زيادة عدد الذكور على الاناث فى اللواء كما يظهر الجدول التالى : =

للمواصلات ، وخلق نهضة صناعية ، كل ذلك سيؤدى حتما الى رفع مستوى الدخل العام ، ومن ثم يمهد الطريق امام نمو السكان نموا سريعا .

ومن المتوقع ان يحدث نمو واضح فى السكان فى المستقبل القريب ،(× ×)

اللـــواء	١٩٤٧		١٩٥٧		١٩٦٥	
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	اناث	ذكور
السليمانية	١٠١٧٦٧	١٢٤٦٣٣	١٥٨٦٢٤	١٤٦٢٧١	٢١٠٢٦٢	١٩٧٩٥٨

المصدر : المجموعة الاحصائية للجهاز المركزى للاحصـــاء لعام ١٩٦٨ ، جدول رقم ٣١

(× ×) من الواضح ان سكان اللواء قد تضاعفوا خلال العشريـــن سنة فيما بين ١٩٤٧ و ١٩٦٧ كما يوضحه الجدول التالى غير ان نســـبة الزيادة لم ترتفع كثيرا حسب الاحصاءات الرسمية .

عـدد السكان بالآلاف

اللـــواء	١٩١٩	١٩٣٠	١٩٣٥	١٩٤٢	١٩٤٧	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٦٥	١٩٦٧	١٩٦٨
السليمانية	١٥٥	٩٤	١٧٥	١٦٤	٢٢٦	٣٠٥	٣٠٠	٤٠٨	٤١٧	٤٢٥

عدد السكان والنسبة المئوية للزيادة للاعوام ١٩٤٧ و ١٩٥٧ و ١٩٦٧

اللـــواء	عدد السكان		النسبة المئوية		النسبة المئوية للزيادة ٪
	١٩٤٧	١٩٥٧	للزيادة ٪	١٩٦٧	
السليمانية	٢٢٦٤٠٠	٣٠٤٨٩٥	٣٤ر٧٪	٤١٧٣٤٦	٣٣ر٦٪

المصدر : كتاب الجيب السنوي للاحصاءات العامة .

وكذلك قفز عدد سكان اللواء حسب تقديرات عام ١٩٧٠ (٤٧١ر٨٥٦ نسمة) و ١٩٧١ (٤٨٧ر٤٧٩ نسمة) و ١٩٧٢ (٥٠٣ر٧٠٨ نسمة) .

وذلك بتطبيق منهاج واسع للاعمار الاقتصادى والاجتماعى تدعمه واردات النفط • وسيؤدى التطور الاجتماعى الى تخفيض نسبة الوفيات بتوسيع الخدمات الطبية والصحية والتعليمية ، فى حين ان نسبة المواليد ستظل ثابتة لفترة طويلة ، بل وقد ترتفع ارتفاعا بسيطا عن وضعها الحالى نتيجة ارتفاع مستوى الحياة • وسيؤدى التطور الاقتصادى والاصلاح الزراعى الى رفع دخل الاسرة وبذلك يسبب انخفاضا اخر فى نسبة الوفيات • وعلى نقيض بعض الدول الشرقية والاسيوية كالهند ومصر فأن العراق يعانى من الافتقار السكانى وان أى نمو فى سكانه يعتبر كسبا اقتصاديا • والواقع انه اذا أريد تحقيق تطور اقتصادي كامل فلابد من تحقيق نمو كبير فى السكان لمعالجة مشكلة قلة الايدى العاملة • ومن جهة اخرى فان موارد البلاد الاقتصادية ، ولا سيما الموارد الزراعية ، ستكون قادرة على مواجهة النمو الكبير فى السكان ما دامت كثافتهم المثلى ما تزال بعيدة عن الكمال • [٦٢]

- ٢ -

توزيع السكان

لقد اختلف الجغرافيون حول العوامل المتحكمة فى توزيع السكان • فلقد زعم البعض منهم ، مثل الانسة الين سمبل E. Semple بأن العوامل الطبيعية هى المسؤولة الوحيدة عن انماط هذا التوزيع • [٦٣] وذهب البعض الاخر من اولئك الحتميين ، مثل هنتنجتون E. Huntington وتايلور G. Taylor الى القول بأن عنصرا معينا من عناصر البيئة الطبيعية ، وهو

62. Delton, Dr. Hugh, "The theory of population" Economica, vol. VIII, No. 22-24, March 1928, pp. 30-31.

63. See: Semple, Ellen, "Influences of geographical environment", London 1911.

المناخ يتحمل المسؤولية الكبرى فى هذا التوزيع ⋅ (٦٤) غير ان الجغرافيين عموما يميلون الى الاعتقاد بأن العامل البشرى يخفف الى حد كبير من تأثير العامل الطبيعى ، وان كليهما يتفاعلان بصورة معقدة للغاية ⋅ فبينما يمكننا أن نتلمس مفعول العامل الطبيعى فى تأثيرات المناخ والتضاريس والتربات والموارد المعدنية ، فان مفعول العامل البشرى يتجلى فى أنماط النشاط الاقتصادي وفى التنظيمات الاجتماعية والسياسية للسكان ⋅

ويعتبر المناخ أهم عامل طبيعى يؤثر على السكان ، فهو يتحكم فى موارد المياه ويؤثر على التربات ويقرر انواع النباتات والمزروعات ⋅ وتلعب التربة دورا فى الحياة الاقتصادية للسكان حسب نوعيتها وطريقة تكونها ⋅ اما التضاريس ونوعيتها فلها أثر واضح على السكان ⋅ فالارتفاع المتزايد مثلا يضر بالنشاط البشرى عن طريق تقصير فصول الزراعة ⋅ كما ان اتجاه المرتفعات يقرر فوائد او مضار المنطقة بالنسبة الى الامطار واشعة الشمس ⋅ كذلك يتحكم شكل التضاريس فى الاستيطان البشرى ، وخصوصا فى المناطق المرتفعة ، حسب درجة انحدار السفوح ووجود المدرجات على جوانب الوادى ومدى توفر السهول ⋅ فبينما تهيىء المنحدرات البسيطة والسهول ارضا صالحة للزراعة ، فان توفر المدرجات فوق الجبال يزيد من امكانية سكنى المنطقة بتوفير تربة ذات تصريف جيد وارض مستوية صالحة للزراعة والاستقرار ⋅ (٦٥) ويقرر الموقع الجغرافى علاقات المكان مع المناطق المجاورة الاخرى ومدى صلته بالاسواق ⋅

---

64. See: Huntington, E. "Civilization and climate", New Haven 1915.

Also: Taylor, G. "Environment and race", London 1927.

65. Hannam, R. "The function of mountain settlement in relation to their physical environment", a thesis of M.A. submitted to London University in 1954, P.15.

وتتمثل اثار العامل البشرى على السكان فى أنماط النشاطات الاقتصادية بوجه خاص • فنوع الزراعة ، ان كانت واسعة ام كثيفة ، ونوع المحاصيل ، وطرق الزراعة ، كل ذلك يقرر علاقة الانسان بالارض • ودرجة التصنيع توضح ايضا مدى تجمع السكان فى مناطق معينة • اما اثار النظام السياسى والاجتماعى على توزيع السكان فهى مهمة للغاية • فالاستقرار السياسى والسيطرة الحكومية الفعالة تجعل بعض المناطق صالحة للاستقرار ، وبعكس ذلك فقد يتعذر استيطانها • كما ان توفر الخدمات الصحية فى المناطق الموبوءة ، كالجهات التى تنتشر فيها الملاريا مثلا ، قد تجعلها اكثر جاذبية للسكان •

وهكذا نلاحظ بأن اثار العوامل الطبيعية والبشرية على درجة الاستقرار البشرى معقدة للغاية بحيث يتعذر الموازنة بينها • وسنحاول فى دراستنا لتوزيع السكان فى اللواء ان نتبع جهد الامكان اثار هذين العاملين •

ولابد ان نوضح بأن دراستنا لن تكون قائمة على الاساس الاقليمى بل على الاساس الادارى • وهذا المنهج بالطبع لن يعكس بدقة اثار العوامل الطبيعية ، لان الوحدات الادارية ليست متطابقة مع الاقاليم الجغرافية فى غالب الاحوال • وليس امامنا خيار ، لان الاحصاءات القليلة المتوفرة لدينا مرتبة كليا على اساس التقسيمات الادارية • ولكى نقرب جهد استطاعتنا الوحدات الادارية الى الوحدات الاقليمية الجغرافية فاننا سنتناول بالدراسة اصغر تلك الوحدات وهى « الناحية » • ويشتمل العراق على اربع عشرة وحدة ادارية كبيرة يطلق عليها اسم « لواء » (×) • كما يشتمل كل لواء من تلك الالوية

(×) يشتمل العراق حسب التقسيم الادارى الجديد على ستة عشر وحدة ادارية كبيرة يطلق عليها اسم « المحافظات » • فلقد استحدثت محافظتين جديدتين هما « محافظة دهوك » و « محافظة السماوة » • كما غيرت اسماء بعض المحافظات القديمة على النحو التالى : =

على وحدات اصغر تختلف فى عددها حسب مساحتها واهميتها تسمى «الاقضية» •
وينقسم « القضاء » ايضا الى عدة وحدات يطلق على كل منها اسم «ناحية» •

ولقد كان لواء السليمانية حتى عام ١٩٥٦ مقسما الى اربعة أقضية واربعة عشر ناحية • وفى عام ١٩٥٦ الحقت الحكومة باللواء قضاء اخر هو قضاء « رانية » الذي ينقسم بدوره الى ثلاث نواحى هى « ناودشت » و « جناران » و « ارانية » وفى هذه الدراسة سنلتزم بالتقسيم القديم للواء بالنظر لان جميع الاحصاءات المتوفرة لدينا عنه قائمة على اساس التقسيم القديم (×) • وقد وردت اقسامه الادارية ومساحاتها وسكانها حسب احصاء عام ١٩٤٧ على النحو التالى :

الجدول رقم (٢٠)(٦٦)

الوحدات الادارية فى لواء السليمانية حسب مساحاتها وسكانها وكثافاتها

(احصاء عام ١٩٤٧)

القضاء	الناحية	المساحة كم٢	السكان	الكثافة بالكيلومتر المربع
السليمانية		٣١٤٠	٧٩٨١٣	٢٥ر٤
	سرجنار	٦٧٥	٤٣٠٤٩	٦٣ر٧
	تانجرو	٥٩٣	١٠٤٩٠	١٧ر٧

= العمارة = ميسان ، الديوانية = القادسية
الكوت = واسط ، الناصرية = ذىقار
الحلة = بابل ، الموصل = نينوى
الرمادى = الانبار ، السماوة = المثنى

(×) حدثت تغييرات اخرى على التقسيمات الادارية للواء السليمانية فى الوقت الحاضر ، وابرزها تحويل « ناحية » بنجوين القديمة التابعة الى قضاء حلبجة الى « قضاء » •

(٦٦) « اطلس العراق الادارى » للدكتور احمد سوسة ـ مطبعة المساحة بغداد ١٩٥٢ ، ص ٢٥ •

القضاء الناحية	المساحة كم٢	السكان	الكثافة بالكيلومتر المربع
قره داغ	٧٠٥	١٠١١٧	١٤ر٣
سورداش	٧١١	١١٩٥٧	١٦ر٨
بازيان	٤٥٦	٤٢٠٠	٩ر٢
حلبجة	٣١٥٣	٧٠٤٩٣	٢٢ر٣
شهرزور	٩١٠	٢٢٧٤١	٢٤ر٩
خورمال	٧٢٨	١٩٥٧٧	٢٦ر٩
وارماواه	٤٥٨	٦٨٥٧	١٥ر-
بنجوين	١٠٥٧	٢١٣١٨	٢٠ر-
شهربازار	٢٠٤٣	٣٨٩٩١	١٩ر١
جوارته	١٠٧٤	١٧٣٤١	١٦ر١
ماوت	٥٢٥	١١٥٩٤	٢٢ر٤
سروجك	٤٤٤	١٠٠٥٦	٢٢ر٦
بشدر	١٢١٦	٣٦١٠٣	٢٩ر٧
قلعة دزة	٥٠٩	٢٢٦٣٢	٤٤ر٢
مركه (بنجرد)	٧٠٧	١٣٤٧١	١٩ر-
المجموع العام	٩٥٥٢	٢٢٥٤٠٠	٢٣ر٧

اما احصاء عام **١٩٥٧** فقد وزع سكان اللواء على الوحدات الادارية المذكورة على النحو التالى :



خارطة الاقسام الادارية للواء السليمانية

ملحق لجدول رقم ٢٠

سكان لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٥٧

القضاء	الناحية	عدد الذكور	عدد الاناث	المجموع
السليمانية				١٠٨٧٨٨
	سرجنار	٣١٦٦٠	٢٨٧٢٠	
	تانجرو	٦٤٥٦	٦٢٠٣	
	قره داغ	١١٤٢٦	٧١٢٣	
	سورداش	٥٩٠٩	٥٥٩٩	
	بازيان	٢٩٧٢	٢٧٢٠	
حلبجة				٧٤٥٥٠
	حلبجة	٨٣٤٦	٧٨١٢	١٦١٥٨
	خورمال	٩٣٨٢	٨٨٤٠	١٨٢٢٢
	بنجوين	١٠٢٧٥	١١٢٧٩	٢١٥٥٤
	شهرزور	٤٥٣٢	٤٤١٧	٨٩٤٩
	وارماوه	٥٢٠٤	٤٤٦٣	٩٦٦٧
شهربازار				٧١٠٦٧ ٤١٠٦٦
	جوارته	٥٦٣٢	٥٣٨٩	
	ماوت	٦١٣٤	٦٠٧٥	
	سروجك	٤٨٥٧	٤٦٦٩	
	سيويل	٥٥٦٦	٢٧٤٤	

« تابــع »

القضاء	الناحية	عدد الذكور	عدد الاناث	المجموع
بشـــدر				٣٤٣٥٩
	بشـــدر	٢٥٠٨	٢٣١٠	
	قلعة دزة	٨٤٨٨	٧٧٠٩	
	بنجرد (مركه)	٦٨٩٨	٦٤٤٦	
رانيـــة				٣٧٠٦٠
	رانيـــة	٩٥٢٧	٩٠٩٠	
	جاناران	٣٦٦٣	٤٣٨٢	
	ناوداشت	٥٣١٠	٥٠٨٨	
المجموع		١٥٤٧٤٦	١٤١٠٧٦	٢٩٥٨٢٢(×)

(×) لقد اورد احصاء عام ١٩٦٥ الارقام التالية عن سكان لــواء السليمانية واقسامه الادارية : =

=

القضاء والناحية	المساحة كم٢	المجموع العام للسكان	عددسكان الضاحية (الريفيون)	عددسكان المركز (المدنيون)	الكثافة العامة كم٢	كثافة سكان الضاحية كم٢ (الريفيون)	سكان المركز بالكم٢ (المدنيون)
قضاء السليمانية							
م٠ق٠خ٠ السليمانية	–	٨٦٨٢٢	–	٨٦٨٢٢	–	–	–
ن٠ تانجرو (م٠ن٠هريست)	٥٦٥	١٧٢١٤	١٦٣٠٧	٩٠٧	٢٨ر٨	٢٨ر٨	١ر٦
ن٠ قرهداغ	٧١٩	١٥٥٤١	١٤٤٠٦	١١٣٥	٢١ر٧	٢٠ر٢	١ر٥
ن٠ سرداش	٥٧٣	٢١٨٥٩	٢١٣٨٥	٤٧٤	٣٨ر٣	٣٧ر٣	٠ر٧
ن٠ بازيان (تاينال)	١٧٦	٨٢٦١	٨٠٩٩	١٦٢	٤٦ر٣	٤٦ ر	٠ر٣
ن٠ سرجنار	٨٣٥	١١٥١١	١١٥١١	–	١٣ر٧	١٣ر٧	–
قضاء حلبجة							
م٠ق٠ حلبجة	–	١٢١٠١	٨٩٥	١١٢٠٦	–	–	–
ن٠ شهرزور (م٠ن٠سيد صادق)	٥٢٧	١١٨٩٧	٩١٩٧	٢٧٠٠	٢٢ر٥	١٧ر٤	٥ر١
ن٠ سيروان (م٠ن٠ كيله سبى)	٨٧٣	٢٠٦٠٣	١٩٩٧١	٦٣٢	٢٣ر٦	٢٢ر٨	٠ر٧
ن٠ خورمال	٢٢٦	٢٢٩٥٥	٢١٩٣٠	١٠٢٥	١٠١ر٥	٩٦ر١	٤ر٥
ن٠ دربندى خان	٥٢١	١٣٤٤٤	١٠٩٣٩	٢٥٠٥	٢٥ر٨	٢١	٤ر٨

=

قضاء بنجوين							
م٠ق٠ بنجوين	٤٢٧	١٤٨٢٨	٩٥١٩	٥٣٠٣٩	٣٤ر٧	٢٢ر٢	١٢ر٤
ن٠ كرمك	٦٤٢	١٠٥٣٩	١٠٣١٥	٢٢٤	١٦ر٤	١٥ر٥	٠ر٩
قضاء شهربازار							
م٠ق٠ جوارته	٧٠٣	١٤٩٦٣	١٢٦٣٧	٢٣٢٦	٢١ر٢	١٧ر٩	٣ر٣
ن٠ ماوت	٥٥٩	١٥٧٣٦	١٤٥٨٩	١١٣٧	٢٧ر٩	٢٦ـر	٢ـر
ن٠سروجك (م٠ن٠ برزنجة)	٤٦٩	١٢٧٦٨	١١٠٥٩	١٧٠٩	٢٧ر٢	٢٣ر٥	٣ر٦
ن٠سيويل (م٠ن٠ باستى)	٤٧٩	٦٨٨٤	٦٥٦٤	٣٢٠	١٤ر٢	١٣ر٧	٠ر٧
قضاء بشدر							
م٠ق٠ قلعة دزة	–	٦٢٥٠	–	٦٢٥٠	–	–	–
ن٠ قلعة دزة	٥١٧	٢١٠٨٥	٢١٠٨٥	–	٤٠ر٧	٤٠ر٧	–
ن٠مركه (م٠ن بنكرد)	٦٤٩	١٦١٧٢	١٥٣٦٨	٦٠٥	٢٤ر٧	٢٣ر٧	١ر٢
قضاء رانية							
م٠ق٠ رانية	–	٩٥٧٣٧	٥٦٤٧	٤٠٩٠	–	–	–
ن٠جناران (م٠ن٠ خلكان)	٥٥٥	٧٨٧٢	٦٧٩٤	١٠٧٨	١٢ر٢	١٠ر٣	١ر٩
ن٠ ناودشت (م٠ن٠ سنكسر)	٩٨٩	١٣٦٣١	١٣١٩٩	٤٣٢	١٣ر٣	١٣	٠ر٣
ن٠ رانية (م٠ن٠ جوارقورته)	٩٨٩	١٥٥٥٧	١٥٥٥٧	–	١٥ر٧	١٥ر٧	–
مجموع المحافظة	١١٩٩٣	٤٠٨٢٢٠	٢٧٦٩٧٢	١٣١٢٤٨	٣٤ـر	٢٣ر١	١٠ر٩

المصدر : « احوال السكان فى العراق » للدكتور احمد نجم‌الدين ، القاهرة ١٩٧٠ ص ٣٥ ـ ٣٦

ولعل من المفيد ان نفحص بشكل اولى كثافة السكان فى لواء السليمانية ككل قبل ان نفحص كثافة «نواحيه» واحدة واحدة . فالكثافة العامة للـواء السليمانية (التى تبلغ ٢٣٫٧) للكيلومتر المربع تمثل كثافة منخفضة حتـى بالنسبة لاقليم جبلى (×) . ويمكن ان نقارن ذلك الرقم بارقام مناطق جبلية اخرى فى العالم ، فنجد ان الكثافة فى اسكتلندا مثلا بلغت ٦٥ نسـمة الكيلومتر المربع ، وفى لبنان ١٣٠ نسمة للكيلومتر المربع (حسب احصاء عام ١٩٥٢) [٦٧] . اما اذا درسنا كثافة لواء السليمانية ، باعتباره لواءا كرديا فانه لا يعتبر منخفض الكثافة اذا ما قورن بالالوية الكردية الاخرى . فكثافـة السكان فى لواء اربيل ، وهو لواء كردى محض ، بلغت ٣٣٫٣ نسـمة للكيلومتر المربع ، فى حين ان كثافة لوائى الموصل وكركوك ، اللذين يكون الاكراد نسبة كبيرة من سكانهما ، بلغت ٢٠٫١ نسمة للكيلومتر المربع ، و ١٤ نسمة للكيلومتر المربع على التوالى [٦٨] . واذا ما قورنت كثافة لواء السليمانية بكثافات بقية الالوية السهلية التى تعتمد على الرى الصناعى ، حيث تتوفـر فيها الميـاه والاراضى الزراعية الواسعة ، وجدنا كثافـة لـواء السـليمانية متوسطة عموما ، كما يتضح من الجدول التالى :

الجـدول رقم ٢١ (٦٩)
الوحدات الادارية للعراق حسب مساحاتها وسكانها وكثافاتها
(احصاء سنة ١٩٤٧)

اللـواء	المساحة كم٢	السكان	الكثافة فى الكيلومتر المربع
السليمانية	٩٥٤٣	٢٢٦٤٠٠	٢٣٫٧

(×) يمكن ان نأخذ فكرة اكثر دقة عن كثافة لواء السليمانية اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار الكثافة الزراعية فيها باعتبارها منطقة زراعية بالدرجة الاولى . (تمثل الكثافة الزراعية نسبة عدد سكان الارياف الى المساحـة الصالحة للزراعة) . وتبلغ فى حالة اللواء (٨٠) نسمة ، كما اوردتهـا الاحصاءات الحديثة .

67. Statistical year-book 1954, United Nations, PP.22-31.

68. Principal bureau of statistics - statistical abstracts, 1954, P.4.

69. Statistical abstracts, 1954. PP. 1-4.

« تابـع »

اللواء	المساحة كم٢	السكان	الكثافة في الكيلومترمربع
بغداد	١٢٧٥٢	٨١٧٢٠٥	٦٤ر_
البصرة	١٢٢٩٥	٣٦٨٧٩٩	٣٠ر_
الموصل	٢٩٥٦٨	٥٩٥١٩٠	٢٠ر_
العمـارة	١٨٣٧٧	٣٠٧٠٢١	١٦ر٧
كربـلاء	١٠٦٠	٢٧٤٢٦٤	٤٥ر٢
الدليم	٤٠٧٩٤	١٩٢٩٨٣	٤ر٧
كركـوك	٢٠٣٥٥	٢٨٦٠٠٥	١٤ر_
المنتفك (الناصرية)	١٤٨٠٠	٣٧١٨٦٧	٢٥ر١
الحـلة	٥٤٤٧	٢٦١٢٠٦	٤٧ر٩
الكـوت	١٦٥٥٤	٢٢٤٩٣٨	١٣ر٥
الديوانية	١٥٠٨٦	٣٧٨١١٨	٢٥ر_
ديـالى	١٦١٢١	٢٧٢٤١٣	١٦ر٨
اربيـل	١٧٩٨١	٢٣٩٧٧٦	١٣ر٣
المجموع	٢٣٥٧٣٣	٤٨١٦١٨٥	–

من الواضح ان هناك فروقا كبيرة بين كثافة لواء السليمانية وكثافـة بعض الالوية العربية فى وسط وجنوب العراق • وبما ان الزراعـة هى الحرفة الاولى لغالبية سكان البلاد فان فى وسعنا ان نستنتج بأن العوامـل الطبيعية المتعلقة بالتربة والمياه يتحكمان بشكل رئيسى فى كثافة السـكان • اما العوامل البشرية الاخرى ، كشكل الملكية الارضية ، والاساليب الزراعية، والتنظيم الاجتماعى والسياسى ، فقد لعبت دورا ثانويا فى تكييف الكثافات المذكورة فى الجدول اعلاه • غير ان الجدول يكشـف ايضا عن انخفاض

كثافة السكان فى بعض ألوية المنطقة العربية • ذلك ان توفر الاراضى الزراعية والمياه فى تلك الالوية السهلية لا يعنى بالضرورة ارتفاع كثافة السكان فيها ، لان متطلبات الزراعة الناجحة قد لا تكون متوفرة فيها • فمشـــاريع الرى والصرف والسيطرة على المياه هى العامل الحاسم فى تقرير مدى صـــلاحيتها للزراعة ، وبالتالى مدى ازدحام السكان فيها • ولهذا فان ارتفاع كثافة سكان المنطقة السهلية من العراق القديم يعزى بالدرجة الاولى الى قيام مشاريع رى واسعة (٧٠) • ومن المعلوم ان اراضى السهول الوسطى والجنوبية لا تســتغل فى الزراعة فى الوقت الحاضر الا بقدر محدود نظرا لعدم كفاية مشـــاريع الرى والصرف (×) •

70. Sousa, A., "Irrigation in Iraq" 1945, P. 22 f.f.

(×) لقد طرأت تبدلات واسعة على الاوضاع الزراعية والاقتصادية فى البلاد منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وقد تغيرت تبعا لذلك كثافات السكان فى الالوية المختلفة ، وقد وردت احصاءاتها فى احد المراجع الحديثـة على النحو التالى :

عدد السكان والكثافة والنسب المئوية لمحافظات العراق حسب احصاء ١٩٦٥

المحافظـة	الكثافة كم٢	عـــدد السكان	النسبة المئوية لمجموع السكان	المساحة كم٢	النسبة المئوية الى المساحة العـامة
بغداد	١٠٨ر٨	٢١٢٤٣٢٣	٢٦ر٢	١٩٩٢٢	٤ر٥
الحلة	ـــر٦٥	٤٤٨٠٣٣	٥ر٢	٦٨٨٩	١ر٦
كربلاء	٤٧ر٣	٣٣٩٦٩٢	٤ر١	٧١٧٠	١ر٦
الديوانية	٤٣ر٤	٤٠٥٦٨١	٤ر٩	٩٣٥٩	٢ر١
البصرة	٣٧ر٣	٦٧٣٦٢٣	٨ر١	١٨٠٢٢	٤ر١
الناصرية	٣٤ر٥	٥٠٠٠٣٣	ـــر٦	١٤٤٥٢	٣ر٣
السليمانية	٣٤	٤٠٨٢٢٠	٤ر٩	١١٩٩٣	٢ر٧
ديـالى	٢٥	٤٠٠٠٤٩	٤ر٨	١٥٧٤٢	٣ر٦
كركوك	٢٣ر٦	٤٦٢٠٢٧	٥ر٥	١٩٥٤٣	٤ر٥

المصدر : « احوال السكان في العراق » لاحمد نجم الدين ص ٦١

=

اربيل	٢٣ر٥	٣٦٠٢٨٥	٣ر٤	١٥٣١٥	٣ر٥
الكوت	٢٢ر٦	٣٣٥٤٩٥	٤ر–	١٤٨١٤	٣ر٤
الموصل	١٩ر١	٩٠٠٧	٩ر٦	٤٠٩٥٥	٩ر٤
العمارة	١٨ر٩	٣٤٦٦٦٣	٤ر٢	١٧٩٤٥	٤ر١
دهوك	١٥ر٣	١٥٣٣١٣	١ر٨	٤٠٩٥٥	٩ر٤
الرمادى	٢ر٣	٣١٩٢٨٩	٣ر٨	١٣٧٩٦٩	٣١ر٥
السماوة	١ر٩	١٤٣٠٤٩	١ر٧	٧٣٩٨٤	١٦ر٩

المصدر : « احوال السكان فى العراق » لاحمد نجم الدين، ص ٠٦١

ويمكن ان نأخذ فكرة اوضح عن الكثافة الحقيقية لسكان لـــواء السليمانية بالنسبة لبقية الالوية وذلك عن طريق معرفة الكثافة الزراعية التى اوردتها الاحصاءات الحديثة على النحو التالى :ـ

الكثافة الزراعية لمحافظات العراق

المحافظة	المساحة الصالحة للزراعة كم٢	المجموع العام للسكان عام ٩٦٥م	الكثافة الزراعية بالنسبة لمجموع السكان بالكم٢	عدد سكان الارياف عام ٩٦٥	الكثافة الزراعية بالنسبة لسكان الارياف بالكم٢
موصل ودهوك	١٧٥٣٨	٩٥٤١٥٧	٥٤	٥٦٤٤٧٧	٣٢
اربيل	٥٩٨٤	٣٦٠٢٨٥	٦٠	٢٢٦٠٦٨	٣٧
السليمانية	٣٤٥٣	٤٠٨٢٢٠	١١٨	٢٧٦٩٧٢	٨٠
كركوك	٨٧١٩	٤٦٢٠٢٧	٥٣	٢٣٨٠٢٢	٢٧
ديالى	٧٣٤٢	٤٠٠٠٤٩	٥٤	٢٦٣١٢٢	٣٦
الرمادى	١١٤١	٣١٩٢٨٩	٢٨٠	١٩٥٨٨٩	١٧١
بغداد	٥٥٣٨	٢١٢٤٣٢٣	٢٨٥	١٠١٥٨٢٦	١٨٣
الكوت	٦٠٣٠	٣٣٥٤٩٥	٥٦	٢٣١٦٤٦	٣٨
الحلة	٣٤٩١	٤٤٨٠٢٢	١٢٥	٢٨٤٢٩٠	٨١
كربلاء	٤٦٠	٣٣٩٦٩٢	٧٣٨	٩٢٩٠٩	٢٠٢
الديوانيـة والسماوة	٥٥٣٤	٥٤٨٨٣٠	٩٩	٣٦٧٧٧٧	٦٦
الناصرية	٥١٩٣	٥٠٠٠٣٣	٩٦	٣٦٤١٣١	٧٠
البصرة	٨١٦	٦٧٣٦٢٣	٨٢٥	٦٧٣٦٢٣	٣٠٧
العمارة	٤١٢٣	٣٤٦٦٦٢	٨٤	٢٤٢٤٠٧	٥٨

المصدر : « احوال السكان فى العراق » للدكتور احمد نجم الدين ص ٩٠

هذا من جهة،ومن جهة اخرى فان نظام الفيضان لنهرى دجلة والفرات اللذين يؤثران بشكل رئيسى على الزراعة فى المنطقة الوسطى والجنوبية من البلاد ، هو فى غير مصلحة الزراعة عموما • فهو يبدأ فى أوائل شهر شباط (فبراير) ، وينتهى فى أوائل مايس ، حيث تكون المزروعات الشتوية فى حاجة ضئيلة لمياه الانهار بالنظر لتوفر الامطار • واذا بلغ الفيضان قمة عالية بصورة غير اعتيادية أدى الى اتلاف المحاصيل الزراعية وهى ظاهرة تتكرر كل ثلاث او اربع سنوات • وفى خلال فترة الصيف التى تبدأ من شهر حزيران (يونيو) حتى نهاية ايلول (سبتمبر) يبلغ النهران اشد مستوياتهما انخفاضا ، فتعانى الزراعة من نقص شديد فى المياه • ويصبح عجز المياه اشد تأثيرا فى الزراعة نظرا لانقطاع الامطار فى هذا الفصل • ان هذه الصورة العامة للحالة الزراعية فى المنطقة السهلية تفسر لنا اسباب انخفاض كثافة السكان في بعض ألويتها ، حيث تعاني تلك الالوية من نقص فى الجهود البشرية المبذولة •

أما ما يتعلق بلواء السليمانية فان نقص الجهود البشرية المبذولة لم يؤثر على الزراعة وبالتالى على كثافة السكان تأثيرا رئيسيا ، نظرا لتوفر بعض الظروف الجغرافية الصالحة • ففيما يخص المياه يعتمد لواء السليمانية على الطبيعة اكثر من اعتماده على الجهود البشرية • فهو يتلقى كمية اكبر من مياه الامطار ، كما تدوم فترة سقوطها زمنا أطول • كذلك تمون الينابيع الكثيرة المزروعات الصيفية بحاجتها من المياه • أما فيضان دجلة فلا يكاد يترك على الحالة الزراعية فى اللواء أى تأثير • ولا تشكو اراضى اللواء الزراعية من ظاهرة ملوحة التربة المتفشية فى المنطقة الوسطى والجنوبية ، الا فى مناطق محدودة جدا •

وهكذا نرى انه بالرغم من ان اللواء يشكو من نقص فى الجهود البشرية المبذولة فى ميدان الزراعة فان نسبة الاراضى الزراعية فيه اعلى من نسبتها فى الالوية العربية السهلية فى وسط وجنوب البلاد • ويوضح الجدول التالى هذه الظاهرة •

الجدول رقم (٢٢)(٧١)

الاراضى الصالحة للزراعة والاراضى غير المزروعة فى الالوية (عام ١٩٥٢)

اللواء	مجموع المساحة كم٢	الاراضي الصالحة كم٢	الاراضي الزراعية كم٢	النسبة المؤية للاراضي المزروعة الى مجموع المساحة ./.
السليمانية	٩٥٥٢	٣٥٥١	٢٥٥٠	٣٧
بغـداد	١٢٧٨٠	٤٨٧٠	٢٧٧٨	٢١
البصرة	١٢٣٠٣	٧٨٠	٥٤٤	٤
الموصل	٢٩٧٧٠	١٥٠٤٠	٢٩٠٥٨	٥٣
العمـارة	١٨٣٩٥	٦٦٨٠	١٤١٢	٨
كربلاء	٦٠٦٥	٦٨٠	٢٢٢	٤
الدليم	٤٠٨٩٨	١٥٧٠	١٠٩١	٣
كركوك	٢٠٣٧٦	١٥٢٦٠	٥٧٤٣	٢٨
المنتفك (الناصرية)	١٤٨١٤	٥٠٨٠	٣٩٥٣	٢٦
الحـلة	٥٤٥١	٦٥٣٠	٢٥٦٤	٤٧
الكـوت	١٦٣٠٩	١٠٧١٠	١٠٧٧٤	٦٦
الديوانية	١٥١٠٠	١١٤٧٠	٣٦٨٦	٢٤
ديـالى	١٦١٣٧	٣٨٢٠	٣٠٠٢	١٨
اربيـل	١٨١٧٠	٧١٦٠	٤٥٥٧	٢٥

وهكذا يوضح الجدول اعلاه ان نسبة الاراضى المستغلة فى الزراعـة من مجموع مساحة اللواء هى اعلى من نسبة جميع الالوية الاخرى عـدا الموصل والحلة والكوت (×) • ولا ريب ان العوامل الطبيعية الصـالحة

71. Computed from statistics derived from Sosa's "Administrative Atlas of Iraq" 1952, P.3, and Dawson's "Inquiry into land tenure", P. 11, 1930.

(×) ان الاحصاءات الحديثة تبين بان هذه الظاهرة ما تزال متمثلة فى لواء السليمانية كما يوضحها الجدول التالى :

=

جدول يمثل المساحة الكلية والصالحة للزراعة والمزروعة فى المحافظات العراقية

المحافظة	المساحة الكلية للمحافظة مشارة	المساحة الكلية للمحافظة كم٢	المساحة الصالحة للزراعة مشارة	المساحة الصالحة للزراعة كم٢	المساحة المزروعة فعلا لموسم ١٩٥٧ـ١٩٥٨ مشارة	المساحة المزروعة فعلا لموسم ١٩٥٧ـ١٩٥٨ كم٢	نسبة الاراضى المزروعة الى المساحة الصالحة للزراعة ٪
الموصل ودهوك	٢٠٣٥٢٤٠٠	٥٠٨٨١	٧٠١٥٤٦٢	١٧٣٥٨	٣٥٧٧٦٥٠	٨٨٩١	٥٠ر٧
اربيل	٦١٢٦٠٠٠	١٥٣١٥	٢٣٩٣٩٠٣	٥٩٨٤	١٢٣٤٨٢٩	٣١٢٩	٥٢ر٣
السليمانية	٤٧٩٧٢٠٠	١١٩٩٣	١٣٨١٢٥٢	٣٤٥٣	٨٨٤٤٠٠١	٢٢٠٩	٦٤
كركوك	٧٨١٧٢٠٠	١٩٥٣٤	٣٤٨٧٧٢٥	٨٧١٩	١٧٤٣٨٦٣	٤٣٩٤	٥٠ر٤
ديالى	٦٢٩٦٨٠٠	١٥٧٤٢	٢٩٣٦٩١٩	٧٣٤٢	١٦١٥٣٠٥	٤٠١٦	٥٤ر٧
الرمادى	٥٥١٨٧٦٠٠	١٣٧٩٦٩	٤٥٦٤٥٨	١١٤١	٢٦٩٣١٠	٦٧٣	٥٩
بغداد	٧٩٦٨٨٠٠	١٩٩٢٢	٢٢١٥٥١٣	٥٥٣٨	١١٠٧٧٥٦	٢٣٦٩	٥٠
الكوت	٥٩٢٥٦٠٠	١٤٨١٤	٢٤١٢٢٧٢	٦٠٣٠	١٣٣٨٨١٠	٣٢٨٦	٥٤ر٥
الحلة	٢٧٥٥٦٠٠	٦٨٨٩	١٣٩٦٧٠٠	٣٤٩١	٨٦٥٩٥٤	٢١٦٤	٦٢
كربلاء	٢٨٧٠٨٠٠	٧١٧٠	١٨٤٠٤٧	٤٦٠	١٢١٤٧١	٣٠٤	٦٦ر٣
الديوانية والسماوة	٣٣٣٣٧٢٠٠	٨٣٣٤٣	٢٢١٣٨١٠	٥٥٣٤	١٣٦٥٩٢٠	٣٤١٤	٦١ر٧
الناصرية	٥٧٨٠٨٠٠	١٤٤٥٢	٢٠٧٥٤٩٣	٥١٩٣	١٣٦٩٨٢٥	٣٤٣٢	٦٦ر١
العمارة	٧١٧٨٠٠٠	١٧٩٤٥	١٦٤٩٤٨٧	٤١٢٣	٨٠٨٢٤٨	٢٠١٧	٤٨ر٩
البصرة	٧٢٠٨٨٠٠	١٨٠٢٢	٣٢٦٥١٥	٨١٦	٢٥٩٢٣٢	٦٤٧	٧٩ر٤

المصدر : «احوال السكان فى العراق» لاحمد نجم الدين ، ص ٨٢.

لعبت دورا رئيسيا فى هذه الظاهرة ، غير ان العوامل البشرية كانت ذات أثر كبير ايضا • ويتمثل التأثير الايجابى للعامل البشرى فى نظا مالملكية الزراعية السائد فى اللواء • فالملكيات الصغيرة اكثر عددا مما هى عليه فى معظم الالوية الاخرى كما يوضح الجدول التالى :

الجدول رقم (٢٣)(٧٢)

عدد ومساحات الملكيات حسب الالوية (عام ١٩٥٤)

اللـواء	مساحة الاراضى المكونة للملكيات كم٢	عدد الملكيات	معدل حجم الملكيات بالهكتـار
السليمانية	٢٦٨٥	١٧٦٢٨	١٥
بغـداد	٣٨٨٧	٣٨٢٣	١٠٢
البصرة	١١٢١	١٨٠١٣	٦
الموصل	١٠٠٦٦	٣١٥٣٢	٣٢
العمـارة	٨٣١٢	٤٨٣	١٧٢١
كربلاء	٦٥٣	١٠٠٣	٦٥
الدليم	١٢٣٩	١٦٧٢	٧٤
كركوك	٨٥٦٢	٧٤٠٩	١١٦
المنتفك (الناصرية)	٤٤٣٣	٢٥٠٢	١١٧
الحـلة	٣٤٠٨	١١٤٣٨	١١٩
الكـوت	٤١٦٢	١٥٣١	٢٧٢
الديوانية	٥٠٧٢	٤٥٩٥	١١٠
ديـالى	٥٢٤٩	٨٢١٧	٦٤
اربـيل	٤٩٩٥	١٥١٩٩	٣٣

72. Statistical abstracts, P.65.

وهكذا فقد ترك نظام الملكية الزراعية الصغيرة فى لواء السليمانية اثارا ايجابية على الاحوال الزراعية ، وعلى احوال فلاحى اللواء • ويتمتع الفلاح الكردى ايضا بمزايا اخرى حرم منها الفلاح فى المنطقة العربية • فالفلاح العربى لا يعدو عن كونه عاملا زراعيا يعمل هذا العام فى هذه الارض وقد يعمل فى ارض اخرى فى العام المقبل ، بينما يكتسب الفلاح فى لواء السليمانية حقا تقليديا فى الارض التى يزاول زراعتها ، وهذا الحق خاضع بالطبع لاتفاق خاص مع الملاك ، ولا يجوز للمالك عرفا تأجير ارضه الى فلاح اخر ، كما ان من حق ورثة الفلاح ايضا تولى زراعة تلك الارض • وفضلا عن ذلك فان شروط الايجار فى لواء السليمانية افضل بكثير من الشروط السائدة فى الالوية العربية • فبينما يحصل الزارع فى لواء السليمانية عموما على ٩/١٠ المحصول الشتوى و ٢/٣ المحصول الصيفى ، فان الزارع فى المنطقة السهلية يحصل على ٢/٥ المحصول الصيفى والشتوى (×) • وقد شجعت هذه الشروط المجحفة الفلاحين فى الالوية الجنوبية على ترك الارياف والهجرة الى المدن الكبرى بحثا عن اعمال خارج ميدان الزراعة •

هذا ما يتعلق بكثافة السكان العامة فى لواء السليمانية • اما ما يتعلق بكثافة السكان فى الوحدات الادارية المختلفة للواء فقد تأثرت بكلا العاملين الطبيعى والبشرى • وتختلف تأثيرات العامل الطبيعى حسب نوع التربة والتضاريس والمناخ فى الوحدة الادارية ، بينما يمتد تأثير العامل البشرى الى امور متعددة تتعلق بنظام التصرف بالارض ونوع المحاصيل الزراعية وكفاءة المواصلات ومدى التطور الاجتماعى والسياسى والثقافى • ولقد

(×) لقد غيرت قوانين الاصلاح الزراعى التى شرعت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ العلاقة بين المالك والفلاح تغييرا اساسيا •

تعرضت كل (ناحية) من نواحى اللواء الى عدد من تلك العوامل المتشـــابكة التى أدت الى رفع او خفض كثافة السكان فيها ٠

وتتمثل اعلى كثافة للسكان فى ناحية سرجنار ، اذ تبلغ ٦٣ر٧ نسـمة للكيلومتر المربع ٠ ولا ريب ان العامل الحاسم فى رفع كثافة هذه «الناحيـة» هو درجة التحضر فيها (أى عدد السكان المدنيين) فمن مجموع سكان الناحية البالغ عددهم ٤٣٠٤٩ نسمة ، يبلغ عدد نفوس سكان مدينة السليمانية ـ وهى مركز الناحية ـ حوالى ٣٣٥١٠ نسمة [٧٣] ٠ وان المزايا الجغرافية التـى أدت الى خلق هذا المركز المدنى الذى هو اعظم مركز فى اللواء تكمن فـى موقعها المتوسط وفى وقوعها على الطريق الذى يربط بين بغـداد وايران ٠ كذلك اسهم العامل السياسى اسهاما فعالا فى نمو مدينة السليمانية ، فقد كانت مركزا لامارة بابان منذ ما يزيد على قرن ونصف ، وقد بقيت مركزا للـواء حتى الوقت الحاضر ٠

وينعكس تأثير العامل الطبيعى الايجابى على سكان ناحية سرجنار فـى اتساع الاراضى الصالحة للزراعة ووفرة المياه ٠ فهناك سهل واسع يمتـــد فى جنوبى مدينة السليمانية ، حتى يتصل بسهل شهرزور ، بينما يمون نهر جمى شقلاوة وروافده العديدة المحاصيل الزراعية بمياه كافية ، وسـاهمت كفاية المواصلات بدور ايجابى ، اذ يسرت نقل المحاصيل الزراعية مـــن الحقول المجاورة الى مدينة السليمانية ٠

وتأتى ناحية قلعة دزة الثانية فى كثافة سكانها ، اذ تبلغ ٤٤ر٢ نسـمة فى الكيلومتر المربع ٠ والواقع ان العامل الجغرافى لا يبرر مثل هذه الكثافة المرتفعة لولا تأثير العامل البشرى الفعال ٠ فموقع «الناحية» من وجهة النظر

---

(٧٣) « اطلس العراق الادارى » لاحمد سوسة ، ص ٣٥ ٠

الجغرافية لا يعتبر جذابا ، اذ انها تقع في أقصى الطرف الشمالي للواء ، وقد أصبحت بذلك أشد نواحي اللواء انعزالا . وبالرغم من وفرة المياه فيها ، الا ان اراضيها الصالحة للزراعة محدودة لوعورة سطحها . غير ان ناحية قلعة دزة تمتعت بمزية بشرية هامة هي الاستقرار السياسي . فقد ظلت هذه «الناحية» قرونا طويلة موطنا للزراع المستقرين حتى اجتاحتها عشيرة رعوية هي «عشيرة مير أو دلي» قدمت من ايران . ولم يشتبك السكان في صراع مع تلك العشيرة الغازية بل استسلموا لسيطرتها ، واندمجوا عمليا فيها . وقد أصبحت العشيرة الغازية ، التي سميت «بشدر» ، كبيرة ومزدهرة ، كما اصبحت تتألف من طبقتين ، هما طبقة المحاربين الذين كانوا من القوة بحيث لم تكن تجرأ العشائر الاخرى على محاربتهم ، وطبقة الزراع الذين انصرفوا الى مزاولة حرفتهم باطمئنان . وقد اثر هذا الاستقرار السياسي على اقتصاد «الناحية» تأثيرا ايجابيا . وبما ان التبغ كان دائما العمود الفقري لاقتصاد اللواء فقد تميز بالازدهار . وقد ساعد على نجاحه عوامل طبيعية اخرى هي التربة الملائمة والمياه الوفيرة . لذلك انفردت «الناحية» بأكبر نصيب في التخصيصات الحكومية لزراعة التبغ من بين نواحي «اللواء» . فقد بلغت حصة قضاء بشدر لعام ١٩٥٤ (بناحيته قلعة دزة وبنگرد) حوالى ٦٠٠٠ دونما ، بينما بلغت حصة قضاء السليمانية ، بنواحيه الخمس ٧٧٥٠ دونما ، كما بلغت حصة قضاء شهربازار بنواحيه الثلاث ٣٠٠٠ دونما ، وخصص لقضاء حلبجة بنواحيه الاربع ٤٦٠٠ دونما [٧٤] . وهكذا لعب ازدهار المحصول الرئيسي في ناحية قلعة دزة دورا رئيسيا في رفع كثافة سكان الناحية .

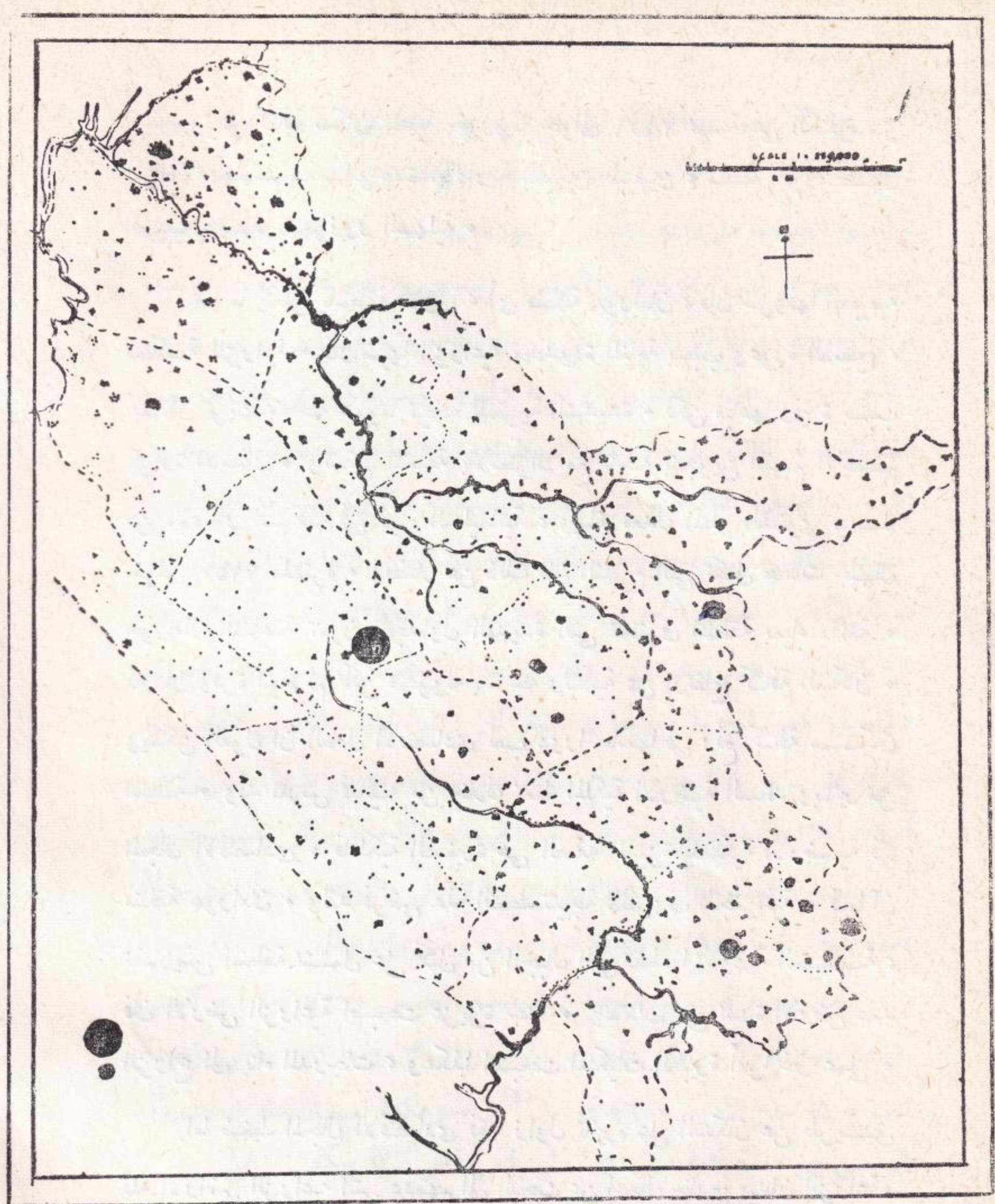
---

(٧٤) مستقاة من احصاءات غير منشورة لمديرية انحصار التبغ العامة (لعام ١٩٥٥) .

وتبلغ كثافة سكان ناحية خورمال حوالى ٢٦ر٢٦ نسمة فى الكيلومتر المربع • وتضم هذه الوحدة الادارية اقليمين طبيعيين ، منطقة هورمان الجبلية ومنطقة شهرزور السهلية •

فاما ما يتعلق بالمنطقة الاولى ، أى منطقة هورامان ، فان ظروفها الطبيعية معاكسة للزراعة • فأراضيها الزراعية محدودة للغاية بسبب وعورة السطح ، كما ان تربتها ضحلة عموما نتيجة للتعرية الشديدة • لكن مياهها وفيرة بسبب غزارة الامطار • وتتلقى المنطقة بالاشتراك مع ناحية بنجوين القسم الاعظم من الامطار الساقطة فى لواء السليمانية ، ويبلغ معدل المطر السنوى فيها حوالى ١١٥٠ ملمترا • وفضلا عن ذلك فان الثلوج التى تكلل هامات جبال هورامان الشاهقة تمون الجداول العديدة التى تخترق المنطقة بمياه دائمة • غير ان وفرة المياه لم تكن مسؤولة بدرجة رئيسية عن ارتفاع كثافة السكان • ويمكن القول ان العامل الاقتصادى لعب دورا حاسما فى رفع كثافة سكان المنطقة • وقد مارس فعاليته من خلال نمط الملكية الارضية السائد وبتأثير من المجال الاقتصادى • فالملكية الصغيرة هى الصفة المميزة للملكية الارضية فى منطقة هورامان • ولقد فرض هذا النمط نتيجة للظروف الجغرافية • فبما ان تضاريس المنطقة تشتمل على كتل من الجبال التى تقطعها الاودية العميقة ، فان الارض الزراعية اصبحت عزيزة جدا • وللتغلب على ندرة الارض عمد الزراع الى بناء المدرجات ، وهكذا اصبحت الملكيات الكبيرة أمرا غير عملى •

اما ضغط المجال الاقتصادى فقد زاول تأثيره على السكان عن طريق قلة الاراضى الزراعية التى دفعتهم الى البحث عن اعمال خارج ميدان الزراعة • فنشأت فى المنطقة نتيجة لذلك صناعات محلية كصناعة الاقمشة وصناعة السجاد وصناعة الاحذية • ونشأ مركزان مدنيان كبيران فى المنطقة هما الطويلة ،



خارطة توزيع السكان فى لواء السليمانية
حسب احصاء عام ١٩٥٧ (كل نقطة تمثل ١٠٠٠ نسمة ٠ وتمثل النقطة
الكبرى نفوس مدينة السليمانية البالغ ٣٣٥١٠ والنقطة الوسطى نفوس
مدينـة حلبجة البالغ ٦٢٩٢)

التى يبلغ عدد سكانها ٢٩٣١ نسمة وبيارة التى يبلغ عدد نفوسـها ١٤٣٢ نسـمة (٧٥) .

ولقد اسهم الاستقرار السياسى لهذه المنطقة ايضا فى نمو سكانها . ومع ان اغلب سكانها يرجعون الى عشيرة معينة ، هى عشيرة هورامان ، لكن اغلبيتهم الساحقة اهملوا ارتباطاتهم العشائرية من زمن طويل بسبب وعورة المنطقـة وتطورها الاقتصادى . ولقد وقى هذا الاتجاه المنطقة من اثار الصراع والحروب العشائرية وضمن للسكان استقرارا دائما . لهذا فقد وجدت فيها قرى بعيدة القدم ، يرجع عمر بعضها الى اكثر من الف عام ، وهى صفة لا يمكن تلمسها فى قرى لواء السـليمانية .

اما المنطقة الثانية من مناطق ناحية خورمال فتضم جزءا من سـهل شهرزور . وخلافا لما عليه الحال فى منطقة هورامان ، فان هذه المنطقة تضم أراضى واسعة صالحة للزراعة ترويها مياه كافية . والواقع ان البيئة الطبيعية صالحة جدا لنمو السكان ، الا ان الكثافة هنا مع ذلك أقل من كثافة المنطقة السابقة . ويرجع ذلك الى عوامل بشرية سنعرض لها عند الحديث عن كثافة سكان ناحية شهرزور . والحقيقة ان المسؤول عن الكثافة العالية نسبيا لناحية خورمال هى منطقة هورامان وليست منطقة شهرزور .

وتبلغ كثافة السكان فى ناحية شهرزور حوالى ٢٤٫٦ نسمة للكيلومتر المربع بالرغم من ان مزاياها الطبيعية تفوق على جميع «نواحى اللواء» ، وكان المفروض ان تتمثل فيها اعلى كثافة للسكان . ولقد وصفت بعض المراجـع

---

75. Census of Iraq, 1947, P. 118. P. 166.

التاريخية المنطقة قبل ما يزيد على الف عام بانها مليئة بالقرى المزدحمة بالسكان وانها تشتمل على حكام عظام [٧٦] .

وتتميز هذه الناحية بوفرة الاراضي الزراعية ، فهي تضم اعظم سهول اللواء وهو سهل شهرزور . وتمون هذا السهل بالمياه مجاري وجداول عديدة دائمة الجريان ، كما يتجاوز معدل مطره السنوي ١٠٠٠ ملمترا . وتتصف تربته بالخصوبة العالية . وقد ادرج جبس Gibbs اراضي هذا السهل في تصنيفه العام لاراضي العراق مع الصنف رقم ـ١ـ ورقم ـ٢ـ . ووصف الصنف رقم ـ١ـ بقوله : (ان اراضي هذا الصنف عرضة لتحفظات طفيفة جدا في استعمالها ، انها ارض جيدة جدا ويمكن زراعتها باطمئنان بالاساليب الاعتيادية) .

كما وصف الصنف رقم ـ٢ـ بقوله : (ان ارض هذا الصنف عرضة لتحفظات معتدلة في استخدامها لانتاج المحاصيل . انها ارض جيدة ويمكن ان تزرع بأمان على ان تتبع في زراعتها اساليب خاصة يمكن تطبيقها بسهولة)[٧٧] .

ان هذه المزايا الطبيعية في ناحية شهرزور قد قوبلت بعيوب خطيرة عرقلت نمو السكان نجمت عن الاحوال الصحية والوضع السياسي للمنطقة .

ولقد لعبت الاحوال الصحية في سهل شهرزور دورا رئيسا في عرقلة استثمار السهل في الزراعة . فهناك مناطق منخفضة تتجمع فيها مياه الامطار فتتحول الى مستنقعات واسعة . وقد ادت هذه المستنقعات الى تفشي الملاريا في المنطقة بدرجة خطيرة . وتدل احصاءات مديرية صحة لواء السليمانية ان حوالي ٨٠٪ من سكان شهرزور كانوا يصابون بالملاريا . واذا كانت نسبة

---

(٧٦) « معجم البلدان » للطبري ، الجزء الخامس ، ص ٣١٢

77. Gibbs, op. cit.

الوفيات الناتجة عن الملاريا منخفضة عموما بين فئات السن الفتية والكهلة ، فانها كانت عالية بين الاطفال ، اذ بلغت حوالى ٧٠٪[٧٨] • هذا فضلا عن تأثيرها غير المباشر على الصحة العامة •

اما الوضع السياسى فى المنطقة فقد ترك بالمثل آثارا سلبية على السكان • فلقد وقع اختيار قبيلة الجاف على سهل شهرزور حينما هجرت البلاد الايرانية فى اواخر القرن الثامن عشر واتخذت العراق مسكنا لها[٧٩] • وقد زاولت حياتها الرعوية المألوفة ، ولم تستفد الا بدرجة محدودة جدا من اراضى السهل الزراعية • وانعكست اثار حياتها الرعوية على الزراع المستقرين فى المناطق المجاورة الذين زهدوا بدورهم فى استثمار اراضى السهل لما كانوا يلاقونه من اضطهاد افرادها • ففضلا عن الغارات المتصلة التى كان يمارسها ابناء العشيرة على اراضى الزراع المستقرين وقت الحصاد ، فقد كانت قطعانهم تسبب تلفا عظيما للمزروعات اثناء هجرتها الربيعية والخريفية • وهكذا اضطر غالبية الزراع الى النزوح عن سهل شهرزور • فلم يكن يضم السهل حتى نهاية القرن التاسع عشر سوى قرى قليلة متناثرة[٨٠] •

وهناك عامل اخر اثر على كثافة السكان ايضا تأثيرا سلبيا وهو السياسة الزراعية المضطربة، فالتبغ كما سبق ان ذكرنا هو المحصول الرئيسى فى جميع انحاء اللواء ، غير انه فى حالة سهل شهرزور لم يكن مزدهرا فى يوم

---

(٧٨) مستقاة من احصاءات غير منشورة لمديرية صحة لواء السليمانية (لعام ١٩٥٥) •

79. Soane, E.B. "To Mesopotamia and Kurdistan in disguise", 2nd, edit., London 1926, P.217.

80. Manwell, "Kurdistan", Geog. Jour., vol. 111, Feb. 1894, P. 22.

من الايام ، لا في نوعه ولا في غلته • وقد أدى ذلك الى عدم اتباع الزراع سياسة زراعية مستقرة • فقد انصرفوا فى بعض السنوات كليا عن زراعة التبغ واتجهوا الى زراعة القطن • وبما ان القطن نبات حساس فقد كان يتعرض فى غالب الاحيان الى اضرار خطيرة بسبب جهل الفلاح والاهمال العام • وقد عرقلت هذه السياسة الزراعية المتقلبة ازدهار اقتصاد المنطقة •

وعلى أية حال فقد اخذت كثافة السكان فى «الناحية» بالارتفاع مؤخرا، اذ ان معظم أفراد عشيرة الجاف قد استقروا وانصرفوا الى احتراف الزراعة، كما تقلصت حوادث الاغارة على المزارعين حتى باتت نادرة • ولا ريب ان نجاح مشروع مكافحة الملاريا الذى تقوم به منظمة الصحة العالمية سيحقق ارتفاعا ملموسا فى كثافة السكان •

اما ناحيتي ماوت وسروجك (وكلتاهما تتبعان قضاء شهربازار) فقد بلغت كثافة السكان فى كل منهما ٢٢٫٥ نسمة و ٢٢٫٦ نسمة فى الكيلومتر المربع على التوالى • وقد تأثرت كثافة هاتين الناحيتين بالعامل الطبيعى على وجه الخصوص • فكلتاهما تتصفان بطوبوغرافية وعرة ولا يمتلكان من الارض الزراعية سوى قدرا محدودا • الا ان هذا التأثير السلبى قد خففت من وطأته عوامل ايجابية تتمثل فى وفرة المياه فى المنطقة وفى خصوبة التربة وملائمتها لزراعة التبغ • كما ان شيوع الملكية الارضية الصغيرة بسبب ندرة الارض الزراعية قد رفع من مستوى الزراع • وبالرغم من أهمية المنطقة كمركز سوقي للمناطق المجاورة ، الا ان تخلف طرق المواصلات قد عرقلت تطورها الاقتصادى •

ولعل اخر «ناحية» فى اللواء تتصف بكثافة مرتفعة نسبيا هى ناحية «پنجوين» ، وتبلغ كثافتها ٢٠٫١ نسمة فى الكيلومتر المربع • ويمكن القول ان المياه الوفيرة هى العامل الايجابى الوحيد فى «الناحية» فهى تنال اعلى حصة

من التساقط فى اللواء (حوالى ١٢٠٠ ملمترا فى العام)، كما ان الثلوج التى تكلل قمم الجبال الشامخة تمون جداول وينابيع «الناحية» الكثيرة بمياه دائمة، غير ان وعورة السطح قد حدت بدرجة خطيرة من التوسع الزراعى.

واذا التفتنا الى «النواحى» المنخفضة الكثافة فان ناحية بازيان ستجذب انتباهنا بوجه خاص، فهى اشد نواحى اللواء انخفاضا فى كثافة سكانها حيث تبلغ ٩ر٢ نسمة للكيلومتر المربع. ومما لا ريب فيه ان العوامل الطبيعية ليست مسؤولة عن انخفاض الكثافة. «فالناحية» غنية بمياهها التى تتمثل بالينابيع الوفيرة والجداول العديدة وابرزها نهر تاينال. كما انها غنية ايضا بأراضيها الزراعية. فبالرغم من انتشار التلال فيها الا ان تلالها قليلة الارتفاع وذات سفوح بسيطة الانحدار تسمح بقيام الزراعة. وتتخلل تلالها ايضا عدة سهول هامة ابرزها سهل بازيان. فالعوامل الطبيعية اذن ذات جانب ايجابى الا ان العوامل البشرية لعبت دورا سلبيا خطيرا. وتمثل هذا الدور فى الوضع السياسى المضطرب وفى الاحوال الصحية المتدهورة. فلقد خضعت منطقة بازيان لفترة طويلة لارهاب عشيرة الهموند التى كانت تكسب عيشها عن طريق النهب والسلب. ولم يستطع الزراع حماية محاصيلهم بالرغم من انهم كانوا يدفعون الضرائب لزعماء العشيرة. وقد اثر انعدام الامن والاستقرار فى المنطقة تأثيرا سيئا وهجرها غالبية الفلاحين.

اما اسباب التدهور الصحى فى «الناحية» فتعود الى تفشى الملاريا بين السكان على نطاق واسع. فقد اظهرت احصاءات مديرية صحة لواء السليمانية بأن حوالى ٧٠٪ من سكان الناحية كانوا عرضة للاصابة بالملاريا، كما كشفت عن نسبة عالية للوفاة بينهم. وفضلا عن ذلك، فقد أدى انتشار الملكيات الكبيرة فى المنطقة وفرض شروط باهضة لايجارها الى نفور الزراع من خارج المنطقة، مما أضاف سببا اخر لانخفاض كثافة سكانها.

وتبلغ كثافة ناحيتي سورداش وقره داغ (وكلتاهما تابعتان الى لـــــواء السليمانية) ١٦ر٨ نسمة و ١٤ر٣ نسمة فى الكيلومتر المربع على التوالى . وقد أثر على كثافة الناحيتين عاملا التضاريس والمناخ . ففى ناحية قره داغ تمتد بضعة سلاسل جبلية ولا تكاد تترك سوى اراضى سهلية محدودة صــــالحة للزراعة ، وابرز تلك السلاسل جبال قره داغ ، وفى ناحية سورداش تنتشر كتل جبلية عظيمة مقطعة فى جميع جهات الناحية ، وابرزها جبل بيره مكرون وجبل سرمبند .

وتعانى كلتا الناحيتين ايضا من نقص الميـــاه ، فلا تكـاد تشـتمل أى من الناحيتين على مجرى مائى دائم الجريان ذى قيمة حقيقية . كما ان حصتهما من المطر السنوى منخفضة نوعما ، فناحية قره داغ تتلقى حوالى ٧٠٠ ملمترا فى العام ، وتتلقى ناحية سورداش حوالى ٧٥٠ ملمترا ، وقد أدى ذلك الى فقرهما فى المياه الجوفية .

وتعزى كثافة ناحية وارماوه المنخفضة البالغة ١٥ نسمة فى الكيلومتر المربع الى كل من العامل الطبيعى الذى يتمثل فى ندرة الاراضى الزراعيــــة والى العامل البشرى الذى يتمثل فى ممارسة حياة شبه رعوية . ولقد تأثرت كثافة ناحية چوارته البالغة ١٦ر١ نسمة فى الكيلومتر المربع بالوضــــــــع الطوبوغرافى . فسلاسل الجبال التى تخترق «الناحية» من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ، والتلال العديدة التى تنتشر فى كل مكان فيها ، لا تكاد تترك سوى مساحة محدودة جدا للزراعة . ومما زاد فى تدهور اقتصـــــــاد المنطقة ندرة المواصلات ووعورة المنطقة .

اما ناحية تانجرو فيمكن اعتبارها ذات كثافة منخفضة اذا أخذت بنظـر الاعتبار مزاياها الجغرافية . فأراضيها الزراعية وفيرة وخصبة ، لا سيما وادي تانجرو ، ومياهها غزيرة ودائمة ، ومع ذلك فلا تتجاوز كثافتها ١٧ر٧ نسمة

للكيلومتر المربع • ومن ابرز عواملها السلبية النظام الاقطاعي السائد في المنطقة والذي فرض شروطا مجحفة على الزراع لايجار الارض • كذلك أدى انتشار الملاريا بين السكان الى اضعاف جاذبيتها ، وتشير احصاءات مديرية صحة لواء السليمانية ان حوالى ٧٠٪ من السكان كانوا عرضة للاصابة بهذا المرض •

ولقد أثر على كثافة سكان ناحية مركه البالغة ١٩ نسمة للكيلومتر المربع عاملا التربة والمياه ، فمعظم جهات «الناحية» قد تعرضت لتعرية شديدة أدت الى تعذر زراعة سفوح الجبال • هذا فضلا عن خشونة التربة وضحالتها في معظم الاودية المنحصرة بين المرتفعات ما عدا سهل مركه •

كذلك لعبت قلة المياه دورا فعالا في تضييق المجال الاقتصادي للناحية • فلا يكاد يروى الناحية سوى مجار مائية قليلة جدا ، عدا نهر الزاب الصغير الذي يستغل بشكل محدود للغاية في الري ، اضافة الى فقرها في المياه الجوفية •

- ٣ -
استيطان السكان

تتحكم في استيطان السكان في لواء السليمانية نفس العوامل التي اشرنا اليها عند الحديث عن توزيع السكان • والواقع ان دراسة نمط الاستيطان وشكل القرية وطراز البيت يوضح بجلاء تظافر العوامل الطبيعية والبشرية •

النمط السكني

يتبع النمط السكني الريفي في لواء السليمانية نموذج السكني المتجمعة Concentrated habitat التي تتخذ شكل قرى صغيرة متراصة Compact villages وتتبعثر هذه القرى في اللواء في غير نظام ، وتبعد

عن بعضها البعض الاخر عدة كيلومترات . ومن الصعب ان نقرر العامل المتحكم فى خلق هذه التجمعات ، غير ان فى استطاعتنا الاشارة الى عاملين مختلفين فى طبيعتهما هما العامل الهيدرولوجى والعامل التأريخى .

ويكتسب العامل الهيدرولوجى أهمية خاصة لا سيما وان الاستيطان الدائم فى لواء السليمانية يعتمد كليا على مدى توفر المياه الباطنية . وهذه حال معظم المناطق شبه الجافة التى لا تتوفر المياه فى كل موضع فيها او فى كل وقت . فمعدل المطر السنوى فى اللواء لا يزيد على ٦٠٠ ملمترا ، وهو ينحصر بخمسة أشهر فقط . كما ان الانهار التى تخترق اللواء ، كنهر الزاب الصغير ونهر سيروان ، ذات أهمية ثانوية فى الرى بالنظر لكونها تجرى فى اخاديد وأودية عميقة . لذلك أصبحت الينابيع المراكز الوحيدة للاستيطان ، حيث يعتمد عليها كليا الانسان والحيوان والزراعة . ولعل اهمية دور الينابيع فى اللواء تتضح فى مدى عمر القرية الكردية . فعمر القرية الكردية فى لواء السليمانية قصير عموما ولا يتجاوز بضعة عشرات من السنين . وهذا العمر القصير يعزى بشكل رئيسى الى طبيعة موارد المياه ، اذ يضطر السكان بسبب شحة مياه الينابيع الى الانتقال من منطقة الى اخرى من وقت لاخر . ولعل أسلوب الزراعة شبه المتنقلة مسؤول ايضا عن هذه الهجرة الدورية .

وهناك ظاهرة اخرى توضح اثر العامل الهيدرولوجى على الاستيطان الريفى ، وهى ظاهرة التوازن بين طاقة مورد المياه وعدد سكان القرية . فلابد ان يتناسب عدد سكان القرية دائما مع كمية المياه المتوفرة ، مما يضطر الزيادة فى السكان الى النزوح الى أماكن اخرى . لذلك فان القرية الكردية فى اللواء قد حافظت على عدد ثابت تقريبا من السكان وكأن سكانها لا ينمون ابدا .

ولقد مارس العامل الهيدرولوجى تأثيره فى تركيز الاستيطان عن طريق موضع مصدر المياه ومدى امكانية الوصول اليه . ويتخذ موضع

مصدر المياه أهمية خاصة فى اللواء من حيث تأثيره على الزراعة . فمن المعلوم ان رى المحاصيل الصيفية يعتمد كليا على المياه الجوفية التى تستقى اما من الينابيع الطبيعية ، او من الينابيع الصناعية (الكهاريز) . لذلك اصبح من الضرورى مراقبة تلك الينابيع بدقة لضمان توزيع المياه بين الفلاحين وحمايتهم من سيطرة رجل معين . وقد شجع ذلك على استيطان الفلاحين بالقرب من مصدر المياه . هذا فضلا عن ان أراضى الزراعة الصيفية تحيط عادة بمصدر المياه . لذلك فان حقول المزروعات الصيفية تمتد امام وحول بيوت القرية وتكون جزءا لا يتجزء منها . لهذا فان تعبير (القرية) او (الجرية) الكردية يشمل كلا من البيوت والاراضى الزراعية المحيطة بها ، وليس المركز السكنى فحسب . وهكذا اصبحت الزراعة الصيفية المعتمدة على الرى الصناعى مسؤولة عن نمط الاستيطان المتجمع فى اللواء . والحقيقة ان هذا النمط هو الشائع فى جميع المناطق التى يسودها مناخ البحر المتوسط ، حيث يتجمع السكان فى قرى متراصة او فى مدن صغيرة تقع بجوار مورد المياه . ومن الممكن القول بأن المطر الفصلى يصاحبه نمط السكنى المتجمعة ، بينما يتمثل فى المناطق ذات المطر الموزع على فصول السنة توزيعا منتظما نمط السكنى المتفرقة [٨١] .

ويرتبط تأثير مدى امكانية الوصول الى المياه بالحياة اليومية للقرويين . فالحصول على المياه فى المناطق الريفية لا يتم الا بالوسائل المباشرة لعدم توفر الامكانات الحديثة . لذلك تتجمع بيوت القرية فى العادة بجوار الينبوع الطبيعى او الكهريز الذى يستخدم للشرب والاستحمام والغسل . ومرة ثانية نرى بأن عدم توزيع المطر على فصول السنة وتركزه فى فصل معين قد

81. Fawcett, C.B., "Distribution of rural settlement", Geog. Journ., vol. XC111, No. 2, Feb., 1939, P. 154.

حدد امكانية الوصول الى المياه بمواضع معينة ، بينما تتوفر الميـــاه دائما فى المناطق ذات المطر الدائم للانسان وقطعانه على السواء [٨٢] .

وهناك عوامل طبيعية اخرى ذات اثر ثانوى على النمط السكنى . فشكل التضاريس مثلا لم يلعب دورا رئيسيا فى حالة اللواء لان الاراضى الزراعيـة التى لا تتوفر فيها المياه لا تجتذب السكان . ولعل ابرز الامثلة على ذلك منطقة هورامان ، فمع ان الاراضى الزراعية فيها محدودة للغاية ، الا انها مع ذلـك ذات كثافة عالية نسبيا بسبب توفر المياه .

كذلك كان للتربة تأثير ثانوى على توطن السكان ، اذا لم نأخذ بعين الاعتبار علاقتها بالعامل الهيدرولوجى . فمن المعلوم ان التربة الجيرية ـ التى تكون غالبية تربة اللواء ـ تؤدى عموما الى السكنى المتركزة بسبب نـــدرة المياه السطحية فيها . وعلى أية حال فان تربة اللواء الفقيرة لم تخلف ســوى اثارا بسيطة على السكنى ، وذلك بسبب النظام الزراعى السائد ونوع المحصول الرئيسى فى اللواء . فالنظام الزراعى المتبع ، وهو زراعة البور ، والمحصـول الزراعى السائد ، وهو التبغ ، لا يستهلكان خصوبة التربة . ومع ذلك فان التربة الجبلية الفقيرة فى اللواء قد اضطرت السكان الى التجمع فى الاحواض السهلية والاودية حيثما تتوفر تربة غنية وعميقة .

اما العامل التأريخى فقد اثر على نمط الاستيطان عن طريق انعـــدام الامن الذى كان صفة ملازمة للحياة الريفية لعصور طويلة . وقد سبق ان اوضحنا بأن التنافس بين الامبراطورية العثمانية والدولةالايرانية من جهـة ، وسيادة النظام العشائرى بما يرافقه من حروب متصلة من جهة اخرى ، قد خلق حالة دائمة من انعدام الامن . ولم تكن مثل هذه الحالة مساعدة بالطبع على تفرق السكنى . فلم يكن الزارع قادرا على الصمود أمام غارات العشائر

---

(٨٢) المصدر السابق .

الرحالة بمفرده ، كما لم يكن باستطاعته مواجهة عصابات قطاع الطرق فـى مثل هذه الاراضى الوعرة المحرومة كليا من حماية الحكومة • لذلك اضطر ان ينشد الحماية بالانضواء الى الجماعة • ولعل هذا العامل كان من اهـم العوامل التى دعمت النظام العشائرى ، اذ ضمن الفرد عن طريقه حمايــة جماعية • وحتى فى القرى غير العشائرية يعتبر «المجتمع» نفسه مســؤولا بالتضامن عن حماية أى فرد من افراده تجاه اى اعتداء يقع من الخارج •

وهناك عوامل بشرية اخرى اثرت بالمثل على نمط الاستيطان الريفـى ومن أهمها عامل الملكية الارضية الذى يتمثل بسيادة النظام الاقطاعى فـى المنطقة • ففضلا عن الاقطاعيات التى كان يمتلكها الاغوات ، فان الاراضـى الزراعية التى تعود ملكيتها اسميا الى مجموع العشيرة ، كانت فى واقع الحال عبارة عن اقطاعيات كبيرة لرؤساء العشائر • ولم يكن الزراع سوى مؤجرين يتولون زراعة بضعة قطع من اراضى متناثرة • ولقد أدى النظام الاقطاعى الى نشوء نظام الحقول المفتوحة الذى تتعذر فيه السكنى المتفرقة • صحيح ان كل زارع يمتلك حقا موروثا متعارف عليه فى زراعة مساحة من اراضى القرية ، الا ان تلك المساحة ليست محددة بقطعة معينة من الارض ، وفى كل عـام تقريبا يعاد توزيع اراضى القرية بين الفلاحين • ولذلك فلم يكن ممكنـا ان تتطور الحقول المستقلة المنعزلة عدا حقول قليلة يمتلكها زراع مســتقلون ، ولم يكن ممكنا ان يسود فى اللواء نظام الحقل المستقل Homestead الذى يبنى بمقتضاه كل زارع بيته فى حقله• وهكذا اسهم النظام الاقطاعى اسهاما فعالا فى نمط السكنى المتجمعة لان الزارع لا يمتلك الحرية ولا الاستقلال الاقتصادى ولم يكن فى حقيقة أمره سوى عامل زراعى بشكل او باخـر • ولقد توصل الاستاذ بياسوتى Biasutti فى دراسته لنمط السكنى الريفى

فى ايطاليـــا الى ان المقاطعات الواسعة مرتبطة بالسكنى المتجمعة (٨٣) • كما وجد ايضا بأن (نظام الحقل المفتوح قد يسر تجمع السكان الريفيين فى قرى متراصة حيث اصبحوا تحت سيطرة المالك بشكل اكبر ، وفى ذات الوقـــت توجب عليه ان يوفر لهم الحماية) (٨٤) •

واخيرا فلابد ان نضيف الى العوامل المذكورة العامل الاجتماعى الذى شجع على التجمع فى قرى متراصة عن طريق التنظيم الاجتماعى القائـــم والتقاليد الاجتماعية السائدة • فروح مجتمع القرية بالتزاماته الاجتماعيـــة القوية تسود بشكل ملفت للنظر فى جميع قرى لواء السليمانية خاصة وبقية الالوية الكردية عامة ، وهى ظاهرة معروفة فى جميع المناطق التى لم تستكمل تطورها الاجتماعى بعد • ولقد اثرت هذه الروح بلا شك تأثيرا عظيما عـلى النمط السكنى،وكانت عقبة تجاه تطور السكنى حسب الاحوال الفيزيوغرافية• وقد اقتبس اوروسو Aurousseau الاستنتاج التالى من الدراسة الجغرافية التى قام بها كريفيت تايلور G. Taylor لمنطقة Prevet Deschanel والتى تبين بشكل واضح اثر هذا العامل ، فقد ذكر :
اثر هذا العامل ، فقد ذكر :

(يميل كل اقليم طبيعى فى البلدان المتحضرة التى تمتلك درجة عالية من الحرية الاجتماعية الى تطوير شكل خاص متميز لسكانه الريفيين ، بينمـــا يصبح عامل التنظيم الاجتماعى فى الاقطار الاكثر تخلفا أقوى من العامـــل الفزيوغرافى • وكلما تقدم سكان الاقليم فى رتب الحضارة كلما ضـــعف سلطان العامل الاجتماعى واستعيض عنه بتكيف اكثر مطابقة للاحــــوال

---

83. Biasutti, Prof. R., "rural settlement in Italy", Inter. Geog. congress, Cambridge 1928, P. 358.

84. Fawcett, op. cit., P. 154:

الفزيوغرافية) (٨٥) .

وللتقاليد الاجتماعية ايضا اثر واضح على تجمع السكان الريفيين في قرى متراصة . ومع ان بعض المناطق قد منحت سكانها حرية استيطانها كما يشاءوون ، لكنهم مع ذلك تشبثوا بطريقتهم القديمة المألوفة في التجمع . وقد اشار الاستاذ بياسوتي الى امثال هذه الحالات بقوله : (ويظل الامر في الغالب غير مفهوم لماذا احتفظت بعض المناطق بقراها القديمة المتراصة ، بينما تخلت مناطق اخرى عن هذا النمط السكني او هي في سبيلها الى التخلي عنه) (٨٦) . ولا ريب ان قوة التقاليد هي المسؤولة عن هذا الغموض الذي اشار اليه الاستاذ بياسوتي في امثال تلك الحالات .

وهناك عامل اجتماعي اخر لعب دوره في تشكيل النمط السكني في لواء السليمانية وهو العامل الديني . ويكتسب هذا العامل أهمية خاصة في قرى ناحية قره داغ حيث تستوطن اسر دينية بأعداد كبيرة يطلق عليها اسم «الشيوخ» . وقد اجتذبت هذه الاسر عددا من الفلاحين من جهات مختلفة من اللواء لما تتمتع به من مكانة دينية . والواقع ان هذه الظاهرة مألوفة على نطاق واسع في كردستان العراق ، لكنها غير معروفة في المناطق العربية . ولا تكاد تخلو أية ناحية من نواحي لواء السليمانية من قرى ـ بعضها كبير نسبيا ـ قد نشأت في الاصل عن تجمع الفلاحين حول المركز الذي استوطنته اسرة دينية معينة .

منظر القرية

تتشابه قرى لواء السليمانية تشابها كبيرا في مظاهرها الطبيعية . وتتصف بصفتين واضحتين : الاولى موضع خاص ، والثانية هندسة معينة .

---

85. Aurousseau. M., "Arrangement of rural population". Geog. Rev., No. 4, October, 1920.

86. Biasutti, op. cit., P. 358:

موضع القرية :

يتمثل الموضع الخاص للقريــة الكرديــة الجبليــة باختيــــــار مكان مرتفع فوق منحدر جبل او ربوة • ولا شك ان طبيعة البنـاء الطوبوغرافى للواء مسؤولة جزئيا عن اختيار مثل هذا الموضع ، الا ان سكان المناطق السهلية يشيدون قراهم فوق رابية صناعية ايضا • ولقد عزا ليــــج Leach هذه الظاهرة عند دراسته لمنطقة ذات طوبوغرافية مشابهة هى منطقة راوندوز فى لواء أربيل الى ندرة الارض الزراعية [٨٧] • ويبدو هذا التعليل معقولا لاول وهلة ، لكن دراسة النظام الزراعى لتلك المناطق يثبت بأن ندرة الارض غير معروفة فيها • فالماء هو العامل المتحكم فى الزراعة فى لواء السليمانية وليس الارض (وكذلك حال قضاء راوندوز) ، وبما ان مياه الرى لا تكفى جميــع الاراضى الصالحة للزراعة فى القرية ، لذلك يترك جزءا كبيرا من اراضــى القرية بورا كل عام • ومن المعلوم ان النظام الزراعى المتبع فى العراق ، بما فى ذلك المنطقة الكردية ، هو زراعة البور او الزراعة شبه المتنقلة ، وهو دليل على عدم وجود نقص فى الاراضى الزراعية • اما المناطق التى تقاسى من ندرة الارض الزراعية ، كمنطقة هورامان وبعض جهات قضاء شهربازار ، فلا تتبع نظام زراعة البور بل تضطر الى استغلال كل قطعة صالحة من الارض على مدار العــــام •

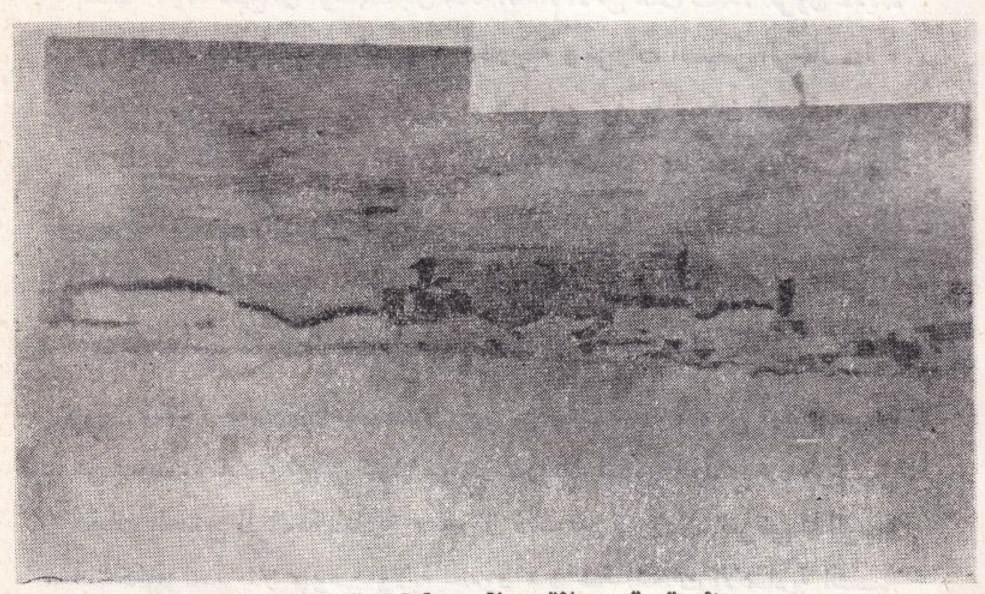
ان اختيار مثل هذا الموضع للقرية الكردية لا يرجع الى اســــباب اقتصادية اذن ، بل يهدف الى تحقيق الحماية من عوادى الطبيعة ومن اعتداءات الانسان • فالحماية من الطبيعة امر يقتضيه مناخ المنطقة ، وتهدف الحماية الى تجنب عوادى الرياح الباردة والامطار والثلوج • وتتحقق الحماية من الريــاح

---

87. Leach, Dr. E.R.. "Social and economic organization of the Rawanduz Kurds", published by London School of Economic and Political Science. 1940, P. 48.



صورة تمثل النظام الهرمي لبيوت القرية الكردية الجبليـة



منظر قرية من القرى السـهلية في لواء كركوك

الباردة ببناء البيوت على المنحدرات المواجهة للجنوب ، وهى الجهة المعاكسة لهبوب الرياح الباردة ، بينما تدفن ظهورها المواجهة للرياح الباردة الى النصف تقريبا • وهذه الهندسة قد اكسبت البيوت القروية الجبلية فى كردستان العراق منظرا متميزا ،فظهورها تبدو من الخارج مرتفعة بضعة أقدام فقط عن الارض، بينما يصل ارتفاعها من الداخل قرابة ثلاثة أمتار •

وتتوفر الحماية من الثلج بواسطة هندسة سطح البيت ، فالسطوح عبارة عن جزء من طرقات القرية او شرفات للبيوت التى تعلوها ، وهذا الوضع ييسر التخلص من الثلوج عند تراكمها • كذلك تتوفر الحماية من سيول الامطار بتوجيهها نحو الوادى الذى يمتد فى أسفل القرية ، وذلك عن طريق قنوات طبيعية او صناعية تصب فيه •

واما الحماية من الانسان فأمر فرضه الوضع السياسى المضطرب فى المنطقة ، وقد سبق ان أوضحنا بأن حالة انعدام الامن ظلت سائدة لقرون عديدة فى لواء السليمانية نتيجة للحروب الخارجية ولغزوات العشائر الرحالة • لذلك اصبح «الدفاع» حاجة ضرورية لابد من توفرها لسكان القرية • ومع ان القرية الكردية لا تبنى على قمة المرتفع لاعتبارات عديدة (منها صعوبة وصول الانسان والحيوان الى البيوت) ، الا انه ليس من الصعب الفرار الى قمة المرتفع اذا اقتضت الضرورة • ولقد اكد ريج Rich اهمية «الدفاع» كهدف اساسى للقرويين لدى اختيارهم لمواضع قراهم ، فقد قال :

(لقد لاحظت ان أغلب القرى فى كردستان قد انشأت فى أودية بعيدة عن محط الانظار ، او فى زوايا محمية ، وذلك لتجنب الوقوع فى طريق قطعات الجيش الرائحة الغادية • غير ان ذلك قد لا يؤدى الغرض المطلوب • فمنطقة قزلجة مثلا ، وهى ولاية حدود ، عرضة للنكبات الاعتيادية التى تسببها الحروب الشرقية • فلقد خربت كليا مرارا عديدة فى غضون السنوات

العشرين الماضية من قبل الفرس وامان الله خان ، كما ان جماعات الاكراد المناوئين ليسوا اكثر رأفة من الفرس تجاه قرى الجماعات المعادية) (٨٨) •

وهناك عوامل متعددة أخرى ، اضافة الى هدف الحماية ، اثرت فى اختيار «موقع» القرية الكردية ، واهمها عامل مصدر المياه • وقد سبق ان اوضحنا ضرورة بناء البيوت بجوار أو بقرب مصدر المياه • وبما ان الينابيع او الكهاريز هى اكثر توفرا على منحدرات الجبال ، حيث تتواجد حافات صخرية جيرية ذات طبقات مائلة او ذات انكسارات ، فقد بات من المفضل اختيار موضع القرية فوق المنحدر بجوار الينبوع • وتتضح اثار هذا العامل فى انتقال القرية الى اكثر من موضع فى المنطقة ذاتها بسبب جفاف مصدر المياه • فكثيرا ما تهجر القرية موقعها القديم فوق سطح الجبل وتهبط الى موضع جديد مجاور • ولذلك فمن المألوف وجود قرى عديدة فى اللواء باسمين ، الاول باسم «العليا» وتوجد عادة فوق منحدرات الجبل ، والثانى باسم «السفلى» وتوجد فى السهل المجاور • وتكون الاولى عادة اما مهجورة تماما او فى طريقها الى الانقراض ، بينما تكون الثانية مزدحمة • وان المثل الذى ذكره فيدال دى لا بلاش La Blache عن منطقة البرانية وهو (انتقل دائما الى الاسفل ولا تنتقل الى الاعلى مرة ثانية ابدا) (٨٩) ينطبق تماما على لواء السليمانية • وهذا الانتقال نحو الاسفل ناتج عن تناقص مستوى المياه الجوفية بسبب زيادة استعمال المياه •

هندسة القرية :

ان هندسة القرية الجبلية الكردية على نسق واحد فى اغلب جهات لواء السليمانية • وتتخذ هيئة شرفة غير منتظمة ذات شكل مستطيل • وتبدأ

---

88. Rich, op. cit., P. 175.

89. Ahlmann, H.W., "The geographic study of settlement". Geog. Journ., No. 18, 1928, P. 110.

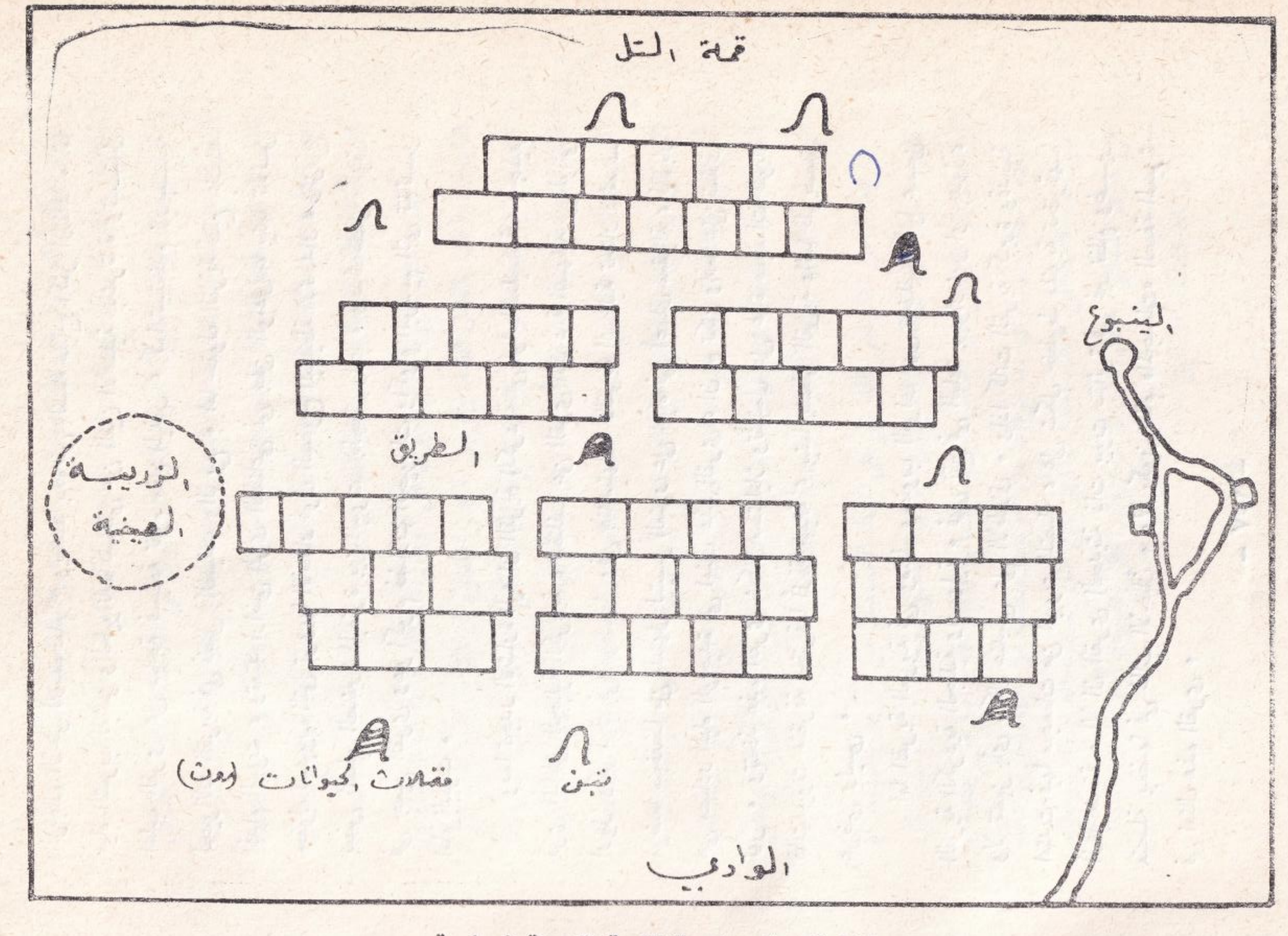
الابنية قرب الوادى وتأخذ بالارتفاع فوق المنحدر وعلى شكل صفوف من المدرجات حتى منتصف المنحدر او اعلى قليلا • ونظرا لوعورة المنحدر وبسبب هندسة البيت الخاصة تصبح اغلب السطوح جزءا من طرقات القرية او مساحات امامية للبيوت العليا • وتتجمع البيوت أحيانا فى صف طويل واحد يحتل جميع المدرج ، الا ان من المألوف ان يشتمل كل مدرج على عدة مجمعات تفصلها طرق ضيقة • ويشتمل كل مجمع على بضعة بيوت متصلة تختلف فى عددها ، لكنها تتراوح على العموم بين ٤ و ٦ بيوت • وتقطن هذه البيوت اسر تربط بينها قرابة قوية ، الا ان اعتبارات القرابة ليست مسؤولة بشكل رئيسى عن هندسة البيوت • ويعزى طراز الهندسة الى اسباب اقتصادية ودفاعية فى آن واحد • ويتمثل الباعث الاقتصادى باستخدام جميع جدران وحواجز البيت استخداما مضاعفا ، وبذلك تنخفض نفقات البناء ، كما يتحقق الهدف الدفاعى بالوحدة المتراصة التى تنشأ نتيجة لهندسة القرية والتى تساعد بشكل فعال على صد الهجوم الخارجى •

ان المدرجات المشتملة على تجمعات البيوت تأخذ فى التقلص كلما ارتفعنا الى اعلى ويتناقص عدد بيوتها حتى يصبح المدرج الاعلى عبارة عن مجمع واحد يشتمل على بيوت قليلة • وهكذا تأخذ القرية شكلا هرميا او مثلثا قاعدته بالقرب من الوادى وقمته او رأسه فى منتصف المنحدر • ويمتد طريق عرضى وسط القرية يشطرها الى قسمين ويصل بين الوادى وقمة المرتفع • وتوجد فى القرية أزقة ضيقة ملتوية تفصل بين مجمعات البيوت ، بينما يمتد طريق عرضى اخر فى امتداد المدرجات يشطر القرية الى قسم علوى واخر سفلى • ويوجد الى جوار القرية نبع محاط بجدار حجرى واطىء يستقى مياهه من ينبوع طبيعى او صناعى (كهريز) • وتحول مياه الينبوع فى الغالب بواسطة قناتين الى حوضين ، يستخدم النساء احدهما للاستحمام والغسيل ويستخدم

الرجال الاخر للاستحمام • ويحيط بحوض النساء سياج اكثر ارتفاعا • اما مياه الشرب للبشر والحيوانات فتستقى من العين الاصلية مباشرة • وتشتمل اغلب القرى على ساحة فسيحة تقوم مقام الميدان ، كما تستخدم زريبة لحيوانات القرية فى فصلى الصيف والربيع • اما حقول القرية فتقع عند أقدام البيوت ، وتمتد اراضى الرى الصناعى فى بطن الوادى ، بينما تتناثر حقول الحبوب التى ترويها الامطار فوق السفوح البسيطة الانحدار ، وتزرع بعض القطع الصغيرة المبعثرة بين البيوت بالخضروات • وهناك منظر مألوف فى جميع القرى وهو اكوام فضلات الحيوانات واكوام البرسيم التى تتناثر امام البيوت •

ومما تجدر الاشارة اليه ان القرية الكردية فى لواء السليمانية ، وجميع قرى المناطق الجبلية الكردية ، تختلف عن القرى الكردية السهلية فى لوائى اربيل وكركوك فى موضعها وفى هندستها • فالقرية السهلية تختار دائما موضعا منخفضا من السهل ليتيسر العثور على المياه فى أعماق معقولة ، فالابار هى مصادر المياه الوحيدة فى امثال هذه القرى ، ان لم تكن واقعة على ضفاف نهر • وتتخذ هذه القرى شكلا مستطيلا وتشتمل على عدة مجمعات طويلة ذات بيوت متفرقة تخترقها أزقة ضيقة ، بينما يشطر القرية دائما طريق عرضى رئيسى •

اما القرية العربية فى وسط وجنوب العراق فهى تختلف كليا عن القرية الكردية الجبلية والسهلية • فهى تقع فى العادة بجوار نهر او جدول ، ولا تتميز بأى شكل هندسى على الاطلاق • واذا كانت القرية كبيرة وقديمة امتدت فيها مجمعات من البيوت المتصلة ، على شكل خطوط ملتوية تخترقها أزقة ضيقة • الا ان القرى الحديثة ذات بيوت متناثرة فى غير نظام وغير متصلة ببعضها فى غالب الاحيان • ولا يكون نظام «المجمعات» الصفة المميزة فى امثال هذه القرى •



تخطيط يمثل هندسة القرية الكردية الجبليـة

ولابد ان نذكر اخيرا بأن اغلب قرى لواء السليمانية تقع بعيـدة عن الطرق العامة • والواقع ان توزيع القرى فى اللواء مستقل تمام الاستقلال عن نظام المواصلات فيه •، ويعود ذلك الى حداثة طرق المواصلات فى المنطقة والى اهتمامها بربط المدن الرئيسية فحسب ، فضلا عن كونها تهدف الى اغراض سياسية اكثر مما تبتغيه من فوائد اقتصادية • لذلك فان أغلب القرى تتبـع طرقا وعرة للوصول الى اقرب مركز مدنى،وهو اما ان يكون مركز «الناحية» او «القضاء» او «اللواء» • ويفضل سكان معظم القرى القريبة من مدينـة السليمانية الاتصال المباشر بها بدلا من الاتصال بمركز «الناحية» او «القضاء»، بالرغم من ان الرحلة اليها قد تستغرق يومين او اكثر • وأهم وسائل النقـل القروى الحيوانات ، وخاصة البغال والحمير ، وفى اثناء فصل الصيف يقوم القرويون بالرحلة الى اقرب مركز مدنى كل يوم ، الا ان تلك الرحـلات اليومية تصبح اسبوعية فى فصل الشتاء ، وقد تحدث مرة واحدة كل اسبوعين حسب الاحوال الجوية •، وقد تنعزل بعض القرى عن مدينة السليمانية لاكثر من ثلاثة أشهر فى بعض السنوات •

نموذج البيت

تتشابه نماذج البيوت القروية الجبلية فى اغلب جهات لواء السليمانية، وهى تكشف عن تأثير العوامل الطبيعية والبشرية فى هندستها وموادهـا واثاثهـا •

هندسة البيت :

فاما ما يتعلق بهندسة البيت ، فان هناك شكلا عاما متميزا فى جميع انحاء اللواء ، بالرغم من وجود بعض الاختلافات المحلية •، ويتخذ البيت عادة شكلا مستطيلا ، وتؤدى الباب الرئيسة الى سفح التل ، ويرتفع الجدار الخلفـى بضعة اقدام فقط • وتحمى هذه الهندسة البيت من الرياح الباردة والامطار

إسطبل

إسطبل

غرفة النوم

غرفة النوم

إسطبل

شرفة

شرفة

مقعد خشبي

سقيفة

سقيفة لوضع جرة المياه واللبن

ساحة البيت

مخزن الأخشاب

مدخل

تخطيط يمثل هندسة البيت القروى الكردى

من جهة ، كما تيسر وصول الانسان والحيوان اليه من الجهة الاخرى •
ويميل السقف ميلانا بسيطا ليساعد على انحدار الامطار والثلوج ، الا انه يكون مستويا عموما • وبالرغم من ان طبيعة المناخ في المنطقة كانت تقتضي بناء سقوف هرمية او منحدرة ، الا ان موضع البيت فوق منحدرات التلال ، التي قد تكون شديدة احيانا ، اقتضى اقامة سطوح مستوية لتوفر مساحة اضافية الى ارض المنحدر ، وهكذا اصبح من المألوف ان يعتبر سطح البيت القروي جزءا من الطريق العام او ساحة للبيت الذي يعلوه •

ويشتمل البيت على بضعة غرف تختلف بعددها حسب امكانية القروي ، الا ان غرفة الجلوس والنوم واحدة دائما مهما بلغ عدد افراد الاسرة • وقد تخصص غرفة صغيرة للضيوف في بعض الاحيان • وتستخدم بقية الغرف لايواء الحيوانات ولحفظ المؤونة • وتبلغ مساحة غرفة الجلوس حوالي عشرين مترا مربعا (٤م × ٥م) ، وهي اكبر الغرف عادة • واذا ما استخدمت لحفظ المؤونة ، كما يحدث احيانا ، اتسعت مساحتها وقسمت بجدار نصفي الى قسمين : احدهما وهو الاوسع للاستخدام البشري ، والثاني لحفظ المؤونة • اما اذا استخدمت للانسان والحيوان والمؤونة ، كما هو الحال في كثير من قرى ناحية بنجوين ، فان مساحتها تتجاوز عندئذ الستين مترا (٩م × ٧م) ، كما انها تقسم الى اقسام ثلاثة بحوائط نصفية • وتنار غرف البيت بثقوب صغيرة تقوم مقام النوافذ وهي عارية من الزجاج ، وتنفذ منها احزمة ضئيلة من نور الشمس ، لذلك تبدو الغرف مظلمة تقريبا في جميع اوقات النهار •
اما ابواب الغرف فصغيرة على العموم ، ولا تسمح بمرور الشخص الاعتيادي من دون ان يحني قامته •

ولقد صممت غرف البيت الريفي الكردي بمساحاته المحدودة ونوافذه الضيقة وابوابه الصغيرة لتحقق الحماية ايضا من الطبيعة والانسان : فالشتاء

الطويل برياحه الباردة وثلوجه يفرض هذا النمط الخاص من الغرف الضيقة المقفلة ، بينما تتخذ الاحتياطات ضد غارات الاعداء بتضييق المداخل الى البيت والغرف • ويعزى صغر مساحات الغرف الى عامل اقتصادى ايضا ، فأعمدة السقوف الخشبية الضخمة باهضة التكاليف نسبيا ، وقد لا يتيسر للقروى شراءها • ويتم تدفئة غرفة الجلوس بواسطة موقد يحفر فى وسطها ، ويعلوه انبوب يخترق السقف لخروج الدخان • وقد تستخدم فى احوال نادرة مدافىء حديدية • ومهما يكن الأمر فان هواء الغرفة يبدو خانقا ومشبعا بالرطوبة دوما •

وتختلف الغرف الاخرى فى احجامها وعددها ، غير انها صغيرة عموما ولا تتجاوز الاربع • وتستخدم احداها لحفظ المؤونة ولخزن الحبوب والاصواف والفاكهة ، والثانية لخزن العلف ، والثالثة لايواء الحيوانات الكبيرة كالابقار والبغال والحمير ، والرابعة لايواء الاغنام والماعز والحيوانات الصغيرة • وفى حالات قليلة تشارك الحيوانات الكبيرة القرويين غرفة نومهم • اما الحصان فيحتل موضعه ـ ان وجد ـ فى غرفة النوم دائما • وتتميز غرف الحيوانات بهندسة خاصة ، فهى ذات ابواب داخلية تؤدى احداها الى الاخرى ، اى ان لجميع الغرف مدخلا واحدا يطل على باحة البيت • وقد تبدو هذه الهندسة غريبة للوهلة الاولى ، غير انها فى الحقيقة ثمرة لعوامل طبيعية وبشرية • فما دام القروى يعتبر حيواناته اثمن ممتلكاته ، ولعل ذلك تقليد ورثه عن حياته الرعوية القديمة ، فهو يحاول اقصى جهده ان يضمن سلامتها من عوادى الطبيعة واعتداء الانسان • ولا ريب ان هندسة الاسطبلات الحالية تعيق الوصول الى الحيوانات كما تعرقل سرقتها • ولقد اضعف التطور السياسى وسيادة الامن فى المنطقة الخوف التقليدى فى نفس القروى على مصير حيواناته وانعكس هذا الاطمئنان النسبى فى التغييرات الطفيفة التى حدثت فى

هندسة البيت ، فأصبحت ابوابه ونوافذه اكبر حجما ، كما اتخذت اسطبلاته مداخل مستقلة •

ويلحق بالبيت القروى الكردى شرفة او باحة يختلف اتساعها حسب مدى انحدار الارض • وتمضى الاسرة فى هذه الباحة طوال النهار اثناء الصيف مستفيدة من النسائم الباردة التى تهب عبر الجبال ، كما يستخدم جزءا منها زريبة صيفية كما هو الحال فى قرى ناحيتى قره داغ وبنجوين • وقد تسيج هذه الباحة فى بعض القرى بسياج خشبى يفصلها عن باحات البيوت الاخرى • وقد تشتمل الباحة ايضا على مقعد حجرى طويل يستعمل لنوم الرجال صيفا ، وعلى سقيفة مرتفعة من اغصان الاشجار تخصص لنوم النساء فى فصل الصيف ايضا •

ومن المألوف ان يهجر سكان القرى الكردية الجبلية بيوتهم عند حلول فصل الصيف ويهبطون الى السهل او الوادى المجاور ويشيدون لهم اكواخا مؤقتة من اغصان الاشجار يطلقون عليها اسم «كپر» • وتتجمع هذه «الكپر» بجوار بعضها البعض على شكل دائرة كبيرة ، وتأوى حيوانات القرية الى الباحة التى تطوقها «الكپر» حماية لها من اللصوص • ويتميز «الكپر» بسهولة اقامته وسهولة رفعه ، وهو مصمم للاستفادة من النسائم الباردة التى تهب عبر الجبال المجاورة • ولا تكاد مساحته تتجاوز خمسة عشر مترا مربعا (٣م × ٥م) • ويشطره عادة حائط من «الچيغ» الى نصفين ، يستخدم احدهما للنساء والطبخ وحفظ الاثاث ، ويخصص الثانى للرجال والضيوف •

ويختلف البيت القروى الكردى فى سهول لوائى اربيل وكركوك كليا عن النموذج الجبلى المذكور الذى يسود فى لواء السليمانية • فهو يتميز بشكل مربع وبسقف مقوس ، وغرفه مستقله عن بعضها • وتحتل غرفة النوم والجلوس الجزء الرئيسى من البيت ، وتبلغ مساحتها حوالى اربعين مترا



مجموعة من الكبرات

مربعا (٨م × ٥م) ، وهى تقسم الى اقسام ثلاثة بحوائط نصفية ، ويعتبر كل قسم منها مستقلا بذاته • ومن النادر ان يشارك الحيوان القرويين غرفة نومهم • وتنعدم النوافذ الحقيقية فى هذه الغرف ، لكن الثقوب الكبيرة تتناثر بعدد كبير فى الجدران فتسمح باضاءة الغرفة اضاءة جيدة نسبيا • وتتميز بقية غرف البيت بصغرها ، وقد لا تزيد مساحة أى منها على ثلاثة أمتار مربعة، وهى تستخدم لايواء الحيوانات والطيور ، كما تستعمل مخازن لحفظ العلف والوقود • وتتناثر الحفر فى باحة البيت وهى مداخل لاقبية تحت الارض تخزن فيها الغلال •

اما البيت القروى العربى الشائع فى وسط وجنوب العراق فيختلف عن كلا النموذجين المذكورين اعلاه • فهو ذو شكل مستطيل وسطح مستو ويشتمل على غرفة واحدة فقط غير مجزأة تستخدم للانسان ولايواء

الحيوانات ولحفظ المؤونة . وقد يخصص القروى غرفة مستقلة لحيواناته اذا اقتنى منها عددا غير قليل . وفى معظم القرى العربية ينحدر مستوى البيت الريفى الى مجرد كوخ بسيط يقام من الطين والحصران ولا تتجاوز مساحته بضعة امتار . ومن المؤكد ان البيت القروى العربى اسوء حالا من البيت القروى الكردى ، ولعل مرد ذلك الى حالة عدم الاستقرار التى يعانيها الفلاح العربى الناتجة عن النظام الاقطاعى وعن التنظيم الاجتماعى العشائرى السائد .

من الواضح اذن ان البيت القروى الكردى ردىء على العموم ومناف فى هندسته وبنائه للشروط الصحية . وهذا امر طبيعى نظرا لما يقاسيه الفلاح من فقر مدقع يدفعه الى الاقتصاد فى مواد البناء والاكتفاء بأبسطها ، كما يحمله على الاعتماد على نفسه فى بناء بيته دون معاونة من البنائين المختصين . وما لم تساهم الدولة فى تطوير وتحسين المستوى الحالى للبيوت القروية بمنح القرويين قروضا خاصة ، فان هذا المستوى المتدهور سيدوم لوقت طويل . ان مساهمة الدولة فى امثال هذه المشاريع امر مألوف فى اقطار متمدنة كثيرة، اذ تمنح الحكومة قروضا خاصة لبناء بيوت للاسر الريفية [٩٠] . ويتطلب الامر كذلك انشاء دائرة للاسكان تأخذ على عاتقها تخطيط السكنى الريفية. وهذه الناحية ذات أهمية خاصة ما دامت احوال السكنى مسؤولة الى حد كبير عن تدهور صحة السكان الريفيين .

مواد البناء :

تتناسب مواد البناء فى البيت القروى الكردى الجبلى كليا مع البيئة الطبيعية . فالجدران تبنى من حجر يقطع من الجبال المجاورة ، ويستخدم

---

90. League of Nations. "Urban and rural housing", Geneve, 1939, P. XXXV1.

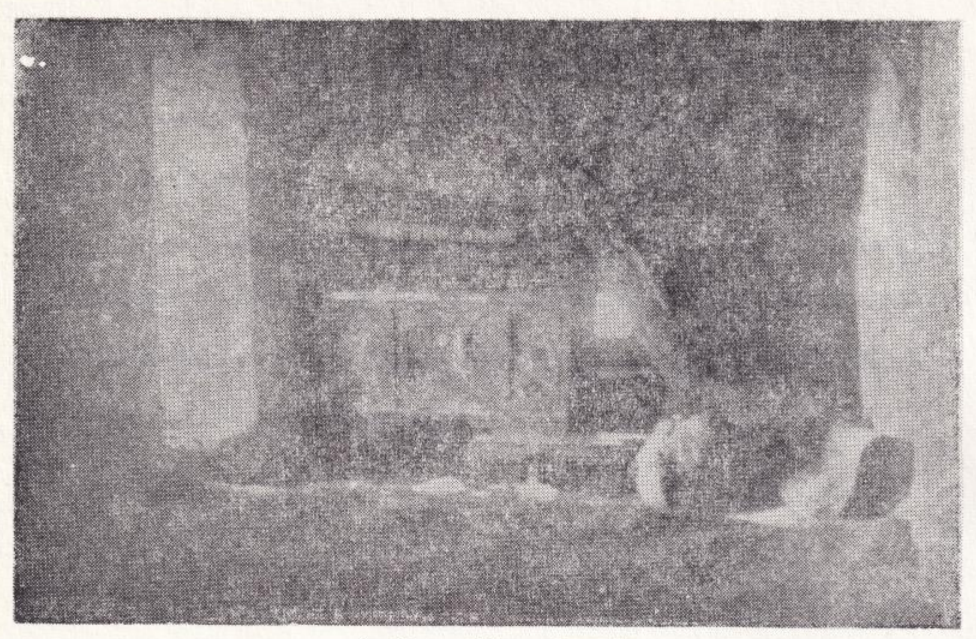
لتماسكها طين يصنع من اتربة السهول • وفي معظم قرى منطقة هورامان ، لا سيما قريتي الطويلة وبياره ، يستغنى عن الطين نهائيا ، ولعل مرجع ذلك الى طبيعة المنطقة الصخرية والى ندرة السهول فيها • وفي سهل شـــهرزور والسهول المشابهة الاخرى تبنى جدران بعض البيوت من الطابوق ، او من الطين والحجارة الصغيرة • اما البيوت القروية الكردية في المناطق السـهلية من لوائي اربيل وكركوك فتبنى جدرانها من اللبن فقط • ويستخدم اللبن ايضا في بناء القرى العربية في وسط وجنوب البلاد •

اما سقف البيت الجبلي الكردي فيتكون من الواح خشبية ذات متانـة محدودة • ويعتمد حجم الغرفة عادة على تلك الالواح ، وهي تستحصل من اشجار البلوط او الزان • وتستخدم هذه الاخشاب لبناء سقوف البيوت فـي جميع المناطق الكردية ، السهلية منها والجبلية • اما سقوف البيوت القروية العربية فتصنع من اخشاب النخيل •

وتغطى الواح السقف بطبقة من الاغصان الرفيعة تعلوها طبقة من الطين وبقايا اوراق الاشجار ، وتعلو هذه الطبقات جميعا طبقة من الحجارة الصغيرة • ولا ريب ان الطبقة الاخيرة تجعل بناء السقف صلبا ومتينا • وبما ان الالواح الخشبية هي اثمن مواد البناء لذلك يعمد القرويون الى انتزاع السقوف كلما هجروا بيوتهم •

اثاث البيت :

يتميز اثاث البيت القروي الكردي بالبساطة المتناهية ، وهو يعكس فقر القروي وحياته البدائية • وتشتمل غرفة الجلوس على عدة أبسطة من الشعر ذات صنع محلي تستخدم للجلوس والنوم • وتطوى هذه الابسطة اثناء النهار مع بضعة بطانيات ووسائد وتحفظ في احدى زوايا الغرفة • وهناك صندوق خشبي طويل مزين بالصور واحيانا بالمرايا ، يستعمل منضدة للزينة وخزانة للملابس • ولا يخلو أي بيت قروي من سرير خاص للاطفال الرضع •



اثاث البيت الكردي الريفي

وتعتبر ادوات الشاى من ابرز اثاث البيت القروى ، وتحفظ فى العادة فوق رف فى غرفة الجلوس ، وتشتمل على أقداح صغيرة للشاى وسلطانية خشبية للسكر و «سماور» صغير . اما بقية اثاث البيت فيشتمل على أدوات المطبخ التى تتألف من قدور نحاسية وبضعة صحون معدنية وسلطانية خشبية لحفظ اللبن الرائب .

ومن اللوازم التى يحتفظ بها كل بيت ريفى (المشكه) و (الكنو) . و (المشكه) عبارة عن قربة من الجلد تحفظ فيها المياه ، كما تستعمل لصناعة اللبن الحامض . وهى تعلق فى بناء مفتوح يقام فى باحة البيت . اما (الكنو) فيصنع من الصلصال على شكل مستطيل ذى فتحة فى اعلاه وثقب فى قاعدته ، ويستخدم لخزن الغلال . ونظرا لقسوة الشتاء فى المنطقة الجبلية وصعوبة المواصلات فيها ، فان القروى الكردى يهتم بتوفير مؤونته لفصل الشتاء اهتماما عظيما .

ولا يخلو أى بيت ريفى من كومة من الاخشاب تستخدم للوقـــود ، ولا تستعمل فضلات الحيوانات المجففة الا على نطاق ضيق ، بعكس الحال فى القرى العربيـــة •

ومن لوازم البيت الريفى ايضا الكيروسين الذى ينحصر استخدامه فى المصابيح الزيتية • غير ان القروى يقتصد عادة فى استعماله لتلك المصـابيح الخافتة الضوء ، وكثيرا ما يتجمع أفراد الاسرة حول النار لتناول طعام العشاء بينما يغرق البيت فى ظلام دامس •

الفصل الثالث

أنماط الحياة الكردية

ـ ١ ـ

الرعاة

كانت البداوة ، وهى بالمعنى الجغرافى التنقل من موضع الى اخر ، مرحلة فى التاريخ البشرى صاحبت الرعى • وكان الرعاة مضطرين الى اتباع قطعانهم اثناء تجوالها للبحث عن مراعى جديدة لسد حاجاتها الطبيعية الى الغذاء • وقد انتهت هذه المرحلة فى اغلب اجزاء العالم بتبنى الزراعة [١]• اما فى كردستان فقد كانت عملية الانتقال من الرعى الى الزراعة عملية بطيئة مر خلالها السكان بمرحلة وسطى هى شبه الترحل • غير ان الاكراد برهنوا ـ على أية حال ـ بانهم على استعداد للتخلى عن حياة البداوة حالما تتهيأ لهم حرفة بديلة مناسبة • وقد رسم هاى Hay مقارنة بينهم وبين البدو العرب فى هذه الناحية وتوصل الى الاستنتاج التالى :

---

1. Martrou, Louis, "A study in nomadism", Scottotish Geographical Magazine, 1910, P.488.

(هناك هذا الفرق الواضح بين العربى والكردى ، فبينما يكون العربى ـ فى أغلب الحالات ـ مترحلا بمحض اختياره ، يكون الكردى مترحلا استجابة للضرورة او لضغط العادة ، وهو على استعداد للاستقرار حالما يجد الظروف المناسبة) [٢] .

ومع ان هاى Hay لم يخطىء الحكم بصدد موقف الاكراد الرحل الا انه لم يكن مصيبا فى الحكم على البدو العرب . فميل البدوى العربى الى الترحل ليس غريزة متأصلة فيه تنبع من تكوينه العنصرى ، بل هو استجابة لمتطلبات البيئة الطبيعية اصلا ، ثم ترسخ هذا الميل فى نفسه بفعل العادة والتنظيم السياسى القبلى . ولقد شجعت البيئة الطبيعية فى كردستان الأكراد على ترك الترحل ، بينما كان للبيئة الصحراوية اثر عكسى على العرب . ففى كردستان تتوفر المياه للزراعة الصيفية ، كما تتوفر الامطار للزراعة الشتوية . وفضلا عن ذلك فان طريقة ترحل الاكراد لعبت دورا فى سهولة تحولهم الى الاستقرار . فالترحل الكردى هو نوع من الانتقال الفصلى الذى يختلف تمام الاختلاف عن التنقل الدائم الذى يتميز به ترحل عرب الصحراء . فالرعاة الاكراد يمضون فصل الصيف فوق روابى الجبال حيث يجدون بانتظارهم مراعى جديدة ، ثم يهبطون بقطعانهم ثانية الى السهول فى نهاية الصيف حيث تكون المراعى الشتوية قد استعادت حيويتها × [٣] . وهكذا تميز الترحل

---

2. Hay, W.R., "Two years in Kurdistan", London 1921. P. 44.

× (٣) ان هذا الانتقال الفصلى المنظم للرعاة الاكراد فى كردستان العراق ينطبق على الرعاة الاكراد فى جميع جهات كردستان . فقد وصف راولنسون Rawlinson تحركات قبائل البختيارى فى كردستان ايران على النحو التالى : (ان ابناء تلك القبائل ينفرون بطبعهم من الزراعة، ولغاية خمسة عشر عاما خلت كانوا يرحلون فى مجموعات الى المراعى الدافئة في كردستان لدى اقتراب الشتاء ، وعند حلول الربيع يعودون الى مرابعهم =

الكردى بحركة منظمة محدودة وبمناطق ثابتة • اما الترحل العـــربى فلا يخضع لمثل هذه القيود • صحيح ان ترحل البدو العرب يخضع لنظام معين تقرره حالة الميـاه فى منطقة الرعى ، الا ان حالة المياه فى منطقة ما مـــن الصحراء لا يمكن تحديدها سلفا نظرا لتميز المطر الصحراوى بذبذبة عالية • ومع ذلك فان حركة البدو تتجه عموما نحو قلب الصحراء فى فصل الشتاء والربيع ، حيث يتواجد الكلأ نتيجة للمطر الربيعى والشتوى ، وتنكمش نحو هوامش الصحراء فى فصلى الخريف والصيف حيث تتوفر مياه الابار والاودية والانهـــار •

وهكذا يتضح بان هناك فروقا واضحة بين الرعاة الاكراد والرعـــاة العرب • فبينما يمتلك الرعاة الاكراد مناطق شتوية وصيفية ثابتة ، يطـــوف الرعاة العرب فى الصحراء حسب تغيرات الفصول (٤) × • لذلك فان الرعاة

= في بلكاس حول كوه وعلى حواف السلاسل الجبلية العظيمة من اصفهان حتى بيروجيرد) •

Rawlinson, H.C., "Notes on March from Zahab to Khuzistan in 1836", J.R.G.S. vol. 1X, 1836.

× (٤) هناك فروق اخرى تميز الترحل الكردى عن الترحل العربى• فالترحل الكردى خاضع لمواقيت معينة تقريبا • اما الترحل العربى فيحدد موعده رئيس العشيرة حسب الظروف • وقد وصف البعلى طريقة بـدء الترحل العربى على النحو التالى: (يجتمع مجلس الشيوخ فى الخيمةالكبرى ليقرر بدء الرحيل ، اذا لم يترك الامر لرغبة شيخ العشيرة نفسه •ويرسل الشيخ فى العادة شخصا او اكثر لفحص المرعى الجديد ويقوم جـيران الشيخ بمراقبة خيمته ليروا متى تبدأ نساؤه بطويها • وحينما تطوى خيمة الشيخ يدرك افراد العشيرة بان قرار الرحيل الى مرعى اخر قد اتخذ ، وتبدأ النساء برفع اعمدة الخيم ثم طويها ثم جمع الاعمدة فى حزمة • واذا بقيت خيمة الشيخ قائمة الى ما بعد الغروب بات مفهوما ان قرار الارتحال قد الغي) •

Baali, F., "The Southern Bedwins of Iraq", a thesis of M.A. submitted to the University of Kansas in 1957, P. 26.

الاكراد يتركون بعض ممتلكاتهم مع اقربائهم الذين يستقرون بشكل دائم في مرابعهم الشتوية بينما يحمل البدو العرب جميع ممتلكاتهم معهم اثناء تجوالهم • وهناك فرق اخر بينهما يتمثل بمزاولة الرعاة الاكراد للزراعة في مرابعهم الصيفية ، وان كانت على نطاق ضيق ، بينما يمتنع البدو العرب عن الزراعة امتناعا كليا ، بل ويحتقرون الاقوام التي تمتهنها • وهكذا فقد يبدو مفهوما التطور السريع الذي شهده الرعاة الاكراد نحو الاستقرار •

تطور الاكراد الرحل نحو الاستقرار :

لقد اخذ ميل الاكراد الرحل نحو الاستقرار ، والذي تعززه العوامل الجغرافية والبشرية ، يتوضح منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وأثمر حتى اوائل الثلاثينات من هذا القرن ، فانخفض عدد الرعاة الرحل في كردستان العراق انخفاضا عظيما • ولم يتبق من العشائر الكردية المترحلة في الوقت الحاضر سوى عدد قليل ابرزها اجزاء من عشيرة الهركي في لواء اربيل وعشيرة السورجي في لوائي الموصل وأربيل وعشيرة آكو في لواء السليمانية • اما العشائر الاخرى فهي اما ان تكون قد استقرت نهائيا او انها في طريقها الى الاستقرار (شبه رحل) • ولقد ادرج مارك سايكس Sykes اسماء عدد من عشائر لواء السليمانية في اوائل هذا القرن باعتبارها عشائر مترحلة، وقد اشتمل جدوله على العشائر التالية :

الجدول رقم (٢٤)

عشائر لواء السليمانية(٥)

العشيرة	أقسامها	عددها	طريقة حياتها
هوراماني	هوراماني ، تاخت ، اوهاوراماني ، لاهور	٤٠٠٠ عائلة	مستقرة
ميريواني	–	١٢٢٥ =	=

5. Sykes, Mark, "The Kurdish tribes of the Ottoman Empire", Jour. Roy. Anthr. Inst., vol., 8, London 1908.

« تابع »

العشيرة	اقسامها	عددها	طريقة حياتها
شنجبيني	–	٣٠٠ =	رحل
الجاف	هاروني	٨٠٠ =	=
	عزيزى ميكائلى	٢٠٠٠ =	=
	اسماعيلى	١٥٠٠ =	=
	ترخانى	٥٠٠ =	=
	سادانى	٣٠٠ =	=
	باداغى	٢٥٠ =	=
	باشكى	٣٠٠ =	=
	أمالا	٤٠٠ =	=
	يوسف جانى	٥٠٠ =	=
	كمالى	٥٠٠ =	=
	يزدان بخشى	٩٠٠ =	=
	جلالى	٢٠٠٠ =	=
	بشت ماله	٥٠ =	=
	بيسارى	٢٠٠ =	=
	يارويزى	٢٠٠ =	=
	شيخ اسماعيلى	١٠٠٠ =	=
	عيسايى	٣٠٠ =	=
	ريشو بورى	١٠٠٠ =	غالبيتهم مستقرون
	شاطرى	١٨٠٠ =	= =
	نورالى	١٥٠ =	مستقرون
	تاوغوزى	٢٠٠ =	=
	صوفياوند	٦٠ =	=

« تابـع »

العشيرة	اقسامها	عددها	طريقة حياتها
بشـــدر	عباس مامند اغاوبابكرى اغا	٢٠٠٠ =	=
اسماعيلى		٦٠٠ =	=
عزيـزى			
	سيتبسير		
	بكزاده (جلبى)	١٠٠٠ عائلة	رحل
	رشـواند		
	رموانـد		
	سافراونـد		
	كفروشى	٤٨٠ عائلة	مستقرون
	بيرياى		
	سوفياونـد		

ولم يتبق في نهاية الربع الاول من القرن العشرين من هذه القائمـــة الطويلة من اسماء العشائر المترحلة وشبه المترحلة سوى بضعة عشائر ظلت محتفظة بنظام حياتها القديم • فقد ذكر التقرير الادارى لمنطقة لواء السليمانية الذى صدر عام ١٩١٩ بأن العشائر الرحل فى اللواء تشتمل على عشيرة الجاف واسماعيل عزيزى وشنجيبنى وشنكى وبيران وبشدر وآكو ومندامـــير وشاروش ومنجو رونا واوجاغ ومامش التابعة لبشدر • وتتبع هذه العشائر جميعها ـ عدا الجاف واسماعيل عزيزى وشنجيبنى وشنكى ـ منطقة رانيـة وقلعة دزة حيث تمضى الشتاء هناك ، بينما تنتقل فى فصل الصيف الى الحدود الايرانية • وقد اورد التقرير المذكور اسماء عشائر اخرى فى اللواء ذكـر انها مستقرة وهى هماوند وشيخ بوزيانى وجابرى وتفروشى وشيواكـلى واوهرامانى وشريف بانى وناورولى (٦) • ويمضى التقرير الى القول بانـه

6. Administrative report on Sulaimani Division, 1919, P. 4.

بالرغم من ان بشدر قد ذكرت مع القبائل المترحلة الا ان غالبية اعضائها قد أصبحوا مستقرين • وقد قدر التقرير عدد السكان الرحل فى اللواء بحوالى ٤٠،٠٠٠ نسمة • وفى عام ١٩٣٠ ، اى بعد مضى عشرة أعوام ، قدر دوسون Dawson السكان الرحل فى اللواء بحوالى ١٥٠٠٠ نسمة فقط [٧] •

ولم يتبق فى الوقت الحاضر من العشائر الرحل سوى افخاذ صغيرة ، وهى تمارس حياة شبه مستقرة • وبالرغم من عدم توفر الاحصاءات الرسمية التى توضح اعداد العشائر الرحل ، الا ان من المحتمل الا يتجاوز عددهم فى الوقت الحاضر ثلث الرقم الذى اورده دوسون أو ربما اقل بكثير •

ولقد وصف تقرير لعصبة الامم عملية تحول العشائر الكردية المترحلة نحو الاستقرار على النحو التالى :

(تقوم العشائر الرحل بشراء الارض فى مناطق مراعيها الشتوية والصيفية • فمع ان العشائر الرحالة تختص بمراعى ثابتة تقريبا ، أى ان تلك المراعى تشتمل على بقاع محددة تحديدا تقريبيا ، الا ان ملكيتها لا تعود الى العشيرة بالضرورة بل تقوم باستئجارها من مالكيها الحقيقيين • وقد تعود ملكية تلك المراعى فى بعض الاحيان الى رئيس العشيرة نفسه • ان هذه العملية تشجع على تحول جزء من تلك العشائر التى تتبع سنة التطور الى الاستقرار ، بينما يبقى جزؤها الاخر مترحلا • ويمضى الجزء المترحل فصل الشتاء فى اراضى الجزء المستقر من العشيرة • وقد تتحول بعض العشائر المترحلة بأجمعها الى الاستقرار فى مناطق معينة • وفى بعض الحالات يستقر جزء من العشيرة فى المرابع الشتوية ، بينما يستقر الجزء الاخر منها فى المرابع الصيفية • ثم يبدأ الجزء المترحل من العشيرة بالاضمحلال تدريجيا بمرور الوقت حتى

---

7. Dawson, Sir Ernest, "Inquiry into land tenure and related questions", 1932, P. 112.

يقتصر عدده على اسر معدودة لا يمكن ان تعتبر ممثلة للعشيرة • ويحافظ افراد تلك الاسر على حرفتهم الاصلية اى حرفة الرعى ، فيتولون مهمة رعى حيوانات العشيرة ثم يوسعون نطاق عملهم برعى حيوانات سكان القرى فى مرابع العشيرة الشتوية او فى المناطق المجاورة • واخيرا يتولى هؤلاء الرعاة رعى حيوانات الملاكين الكبار المقيمين فى المدن المجاورة) [٨] •

ولقد تأثر تطور الرحالة الاكراد نحو الاستقرار بعوامل جغرافية وبشرية • وقد تمثل تأثير العامل الجغرافى بتوفر الارض والمياه فى المناطق الكردية مما يسر للعشائر الرحالة التحول الى الزراعة •

اما العامل البشرى فقد مارس تأثيره فى عملية التحول الى الزراعة نتيجة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية • ويمكن ان نعزو للتطور الاقتصادى الدور الرئيسى والمباشر • فمن المعلوم ان السبب الرئيسى الذى يحمل العشائرى على مزاولة حياة الترحل هو حيواناته • فاذا ما فقد تلك الحيوانات لسبب او لاخر فانه لا يجد ما يدعوه للتمسك بذلك النمط من الحياة • وهو لا يرفض الفرصة التى تتاح له للاستقرار واحتراف الزراعة • غير ان تلك الفرصة لم تكن تتيسر له فى العهود الماضية ، فقد كانت ملكية معظم اراضى اللواء تعود اما الى رؤساء العشائر عمليا او الى الدولة ، ولم يكن أى منهما يولى الزراعة ادنى اهتمام • فرؤساء العشائر لم يكن فى مصلحتهم تشجيع اتباعهم على مزاولة الزراعة اذ انها كانت تعود عليهم بربح قليل ، فى حين ان مكاسبهم من الضرائب المفروضة على حيوانات العشيرة اعظم بكثير • ولم يكن ممثلو السلطة الحكومية العثمانية يهتمون بالزراعة ايضا اسوة بما كان سائدا من اهمال عام فى جميع مرافق الدولة • لذلك كان الفرد

---

8. League of Nations, "The question of the frontier between Turkey and Iraq", P. 41.

العشائرى المترحل يضطر الى عرض خدماته على الزراع المستقرين اذا ما فقد حيواناته ليقوم بمهمة رعى حيواناتهم وبذلك يواصل حياته المترحلة .

ولقد اصبحت الزراعة فى مطلع هذا القرن حرفة مربحة بعد ان ساد نوع من الاستقرار السياسى واتسعت المواصلات وتوفرت التسهيلات لتصدير الفائض الزراعى الى خارج المنطقة . وقد أثر هذا التغير على نظرة رؤساء العشائر الى الزراعة ، واخذوا يشجعون اتباعهم على زراعة اراضى العشيرة بمدهم بالآلات والحبوب وباستثمار امكانات المياه الجوفية . وعمدت الدولة بدورها الى توزيع جزء من الاراضى العائدة لها على الافراد العشائريين ومنحهم حقوق ملكية بعض اراضى اللواء . وقد رحب الرعاة الذين يمتلكون عددا قليلا من الحيوانات بهذا التغيير فى حياتهم ومالوا الى حياة الاستقرار والى ممارسة الزراعة . وبمرور الزمن انضم عدد اكبر من افراد العشائر المترحلة الى طائفة الزراع بعد ان توضحت لهم المكاسب المادية والمعنوية فى حرفة الزراعة .

وقد لعب العامل الاجتماعى دورا مهما فى عملية التحول الى الزراعة ايضا ، وقد مارس تأثيره عن طريق انحلال النظام العشائرى ، فمن المعروف ان الرعى المتنقل يقترن دائما بالتنظيم العشائرى ، لان طبيعة حياة الرعاة تتطلب مسؤولية جماعية . فضمان مراعى غنية يورط الرعاة المترحلين فى صراع دائم مع بعضهم البعض ، والاقوى هو الغالب دائما . فالمرعى الجيد اذن يتطلب عشيرة قوية ترد كيد المنافسة . وفى الوقت ذاته فان طبيعة حياة الراعى تزج به فى مشاكل دائمية مع الزراع المستقرين ،لما توقعه حيواناته من اضرار بالمحاصيل الزراعية . فاذا لم يضمن حماية العشيرة تعرض هو وحيواناته لانتقام الزراع . وينطبق هذا الكلام على رعاة كردستان بشكل خاص ورعاة الجبال بشكل عام . وفضلا عن ذلك فان الراعى الكردى انسان بسيط وساذج ،

وهو عاجز عن مراجعة السلطات الحكومية فى شؤونه الخاصة • كما انــه عاجز ايضا عن عقد الصفقات التجارية مع التجار • ولذلك فهو يفضل ان يسلم مقاليد اموره الى رئيس العشيرة الذى يتولى بدوره حماية مصالحه •

غير ان توطد السلطة الحكومية فى مواطن العشائر وفرض هيبة القانون قد اضعف من حاجة الفرد الى حماية العشيرة ، وبالتالى اضعف من التصاقه بها • ومما زاد فى هذا الضعف سلوك رؤساء العشائر انفسهم • فقد وهنت روحهم العشائرية وضعفت مقدرتهم على الارتحال ، فمالوا الى الاستقرار فى المدن الكبيرة والى العيش فى منازل مشيدة من الحجر • بل لقد غالى البعض فى اهماله لعشيرته فاخذ يتعاون مع التجار ومع ممثلى السلطات الحكوميــة ضد مصالح افراد عشيرته • ولقد ساهم هذا السلوك مساهمة فعالة فى انحلال العشائر وتشتت اجزائها واستقلالها فى بعض الاحيـان اســتقلالا تاما عن العشــيرة الام •

ان ضعف الارتباطات العشائرية من جهة ، وتوطد السلطة الحكوميـة من جهة اخرى ، شجع الرعاة العشائريين على الاستقرار ومزاولة الزراعة • وحيثما ارتبط العشائرى بالارض ، تضاءل ولاؤه للعشيرة وغلبت عليه مصالحه فى الارض •

ويتحمل العامل السياسى مسؤولية كبيرة فى تشجيع الرعاة المترحلـين على الاستقرار • وقد استمد هذا العامل فعاليته من طبيعة الحياة الاقتصـادية للنظام الرعوى • فالرعاة مضطرون الى التنقل من مكان الى اخر وراء قطعانهم بحثا عن الكلأ،ولا يعترف الرعاة بالحدود السياسية بين الدول المتجاورة،لا سيما اذا كانت مراعيهم ممتدة عبر الدولتين • وكان هذا شأن الرعاة الأكراد فى كردستان العراق • فقد كانت معظم العشائر تمتلك مراعى تقع ضمن حدود الدولتين العثمانية والايرانية • وقد اعتادت تلك العشائر عبور الحدود بين

الدولتين اثناء هجراتها الفصلية دون اكتراث بالاعتبارات السياسية × [(٩)] ٠
وكانت كل من الدولتين تغض الطرف عن تحركات تلك العشائر ، الا فى حالة قيام الحرب بينهما ٠ والواقع ان معاهدة تخطيط الحدود التركية الايرانية لعام ١٩١٣ اشتملت على فقرات خاصة لتنظيم تحركات العشائر الكردية المترحلة والتى نصت على ما يلى :

« من الواضح ان العشائر التركية التى اعتادت قضاء الصيف فى هذه الاودية عند منابع نهر گادر Gadyr ولا فن Lavene سوف يستمرون على استخدام هذه المراعى كما اعتادوا ان يفعلوا ذلك من قبل » [(١٠)] ٠

وقد ازداد اهتمام كل من الدولتين بخط الحدود بينهما فى بداية هذا القرن ، وبدآ يحدان من التحركات العشائرية ٠ وقد ازداد الامر تعقيدا فى نهاية الحرب العالمية الاولى بظهور دولة العراق الجديدة التى ضمت

× (٩) نقد علق بورتر Porter على نظرة العشائر الكردية الى الحكومتين العثمانية والايرانية فى اوائل القرن التاسع عشر بهذه الكلمات :
(بالرغم من ان كلا من ايران وتركيا تزعمان فى الوقت الحاضر السيطرة على ولايات واسعة يسكنها هذا الشعب ، فان هذا الزعم ما هو سوى ادعاء باطل ٠ فالاكراد الذين يقيمون على جانبى حدود كلا الدولتين ليسوا رعية لاى منهما فى الحقيقة بل هم حلفاء لهما ، فهم يقومون باعداد قوة مسلحة ذات عدد معين كلما دعت الضرورة لامداد جيش اى من الدولتين اللتين يدينان لهما بالولاء ٠ وبناء على هذا الادعاء تعتبر تركيا المقاطعات الكردية الخمس تبليس وعمادية وجولمرك وقلاجوالان او السليمانية جزءا من اراضيها ٠) —

Porter, R.K., "Travels in Georgia, Persia, Armenia and ancient Babylonia", London 1822, vol. 11, pp. 456-7.

10. League of Nations, "The question of frontier between Turkey and Iraq", P. 4.

الدولتين اثناء هجراتها الفصلية دون اكتراث بالاعتبارات السياسية × (٩) •
وكانت كل من الدولتين تغض الطرف عن تحركات تلك العشائر ، الا فى حالة قيام الحرب بينهما • والواقع ان معاهدة تخطيط الحدود التركية الايرانية لعام ١٩١٣ اشتملت على فقرات خاصة لتنظيم تحركات العشائر الكردية المترحلة والتى نصت على ما يلى :

« من الواضح ان العشائر التركية التى اعتادت قضاء الصيف فى هذه الاودية عند منابع نهر گادر Gadyr ولا فن Lavene سوف يستمرون على استخدام هذه المراعى كما اعتادوا ان يفعلوا ذلك من قبل » (١٠) •

وقد ازداد اهتمام كل من الدولتين بخط الحدود بينهما فى بداية هذا القرن ، وبدآ يحدان من التحركات العشائرية • وقد ازداد الامر تعقيدا فى نهاية الحرب العالمية الاولى بظهور دولة العراق الجديدة التى ضمت

× (٩) نقد علق بورتر Porter على نظرة العشائر الكردية الى الحكومتين العثمانية والايرانية فى اوائل القرن التاسع عشر بهذه الكلمات : (بالرغم من ان كلا من ايران وتركيا تزعمان فى الوقت الحاضر السيطرة على ولايات واسعة يسكنها هذا الشعب ، فان هذا الزعم ما هو سوى ادعاء باطل • فالاكراد الذين يقيمون على جانبى حدود كلا الدولتين ليسوا رعية لاى منهما فى الحقيقة بل هم حلفاء لهما ، فهم يقومون باعداد قوة مسلحة ذات عدد معين كلما دعت الضرورة لامداد جيش اى من الدولتين اللتين يدينان لهما بالولاء • وبناء على هذا الادعاء تعتبر تركيا المقاطعات الكردية الخمس تبليس وعمادية وجولمرك وقلاجوالان او السليمانية جزءا من اراضيها •) _

Porter, R.K., "Travels in Georgia, Persia, Armenia and ancient Babylonia", London 1822, vol. 11, pp. 456-7.

10. League of Nations, "The question of frontier between Turkey and Iraq", P. 4.

جزءا من وطن الاكراد • وفى عام ١٩٢٤ اغلقت تركيا حدودها امام القبائل الكردية المترحلة وهددت بتوجيه العقاب لكل من يخالف الانظمة الجديدة • فاضطرت القبائل الكردية فى شمال العراق الى هجر مراعيها الصيفية فى جنوبى بحيرة وان والاستعاضة عنها بمراعى الجبال الشمالية فى لوائى الموصل واربيل •

وفى حوالى عام ١٩٣٥ حذت ايران حذو تركيا واغلقت حدودها امام القبائل الرحل لجنوبى كردستان • وقد اثر هذا الاجراء تأثيرا بعيدا فى قبائل لواء السليمانية ، فمعظم مراعيها الصيفية تقع ضمن الحدود الايرانية ، ولا سيما فى منطقة اردلان • ولم تجد قبائل السليمانية بدا من الاكتفاء بمراعي اللواء فى المناطق المرتفعة ، وخاصة مراعى هضبة بنجوين • غير ان هذا الاجراء اثر على عشائر اللواء تأثيرا جوهريا ، اذ حدد تحركاتهم وقلل عدد حيواناتهم ، بالنظر لتقلص مساحة المراعى • وقد اضطر عدد كبير من افراد العشائر الرعوية الى البحث عن وسائل اخرى للمعيشة • وقد واجهت قبائل البشكير مثل هذا الموقف حينما اضطرتها الحكومة الروسية الى الاستقرار ونبذ الترحل [١١] •

وعلى اية حال فان التخفيض فى عدد العشائر الكردية المترحلة لا يعزى كليا الى عملية استقرارها فحسب بل الى ظروف اخرى ايضا • فتقرير عصبة الامم يعزو هذا الامر الى المصاعب الاقتصادية التى واجهتها العشائر المترحلة والى النكبات التى اصابتها اثناء الحرب الكبرى الاولى من خلال القتل والمجاعة والاوبئة • وقد ساهمت الظروف الجوية المعاكسة ايضا فى القضاء على عدد كبير من حيوانات العشائر • كذلك خلق تبلور دولة العراق الحديث في أعقاب

---

11. Haddon, A.C., "The influence of natural condition", Geog. Teach., No. 9, 1917-18, P. 289.

الحرب الكبرى الاولى مصاعب جديدة للعشائر الكردية المترحلة نتيجة لسيادة القانون والنظام وما صاحب ذلك من توسع الرقعة الزراعية فى الاراضى الكـــــردية .

وعلى اية حال ، فما دامت الحياة المترحلة تخلق للاقوام الرعاة مشقات عظيمة ، فقد بات من الضرورى اعداد خطة مدروسة للاسراع فى توطينهم . ولابد لتلك الخطة ان تجعل الاستقرار اكثر جاذبية لاولئك الرعاة المترحلين . وقد تكون الخطة مغرية لهم فيما لو بنى اقتصادهم على الزراعة وتربيـــة الحيوانات فى آن واحد، وفيما لو تهيأ لهم الاحتفاظ بعدد ضخم من الحيوانات . فالترحل ، على اية حال ، ليس عادة غريزية من الصعب قهرها كما يزعـم بعض الكتاب ، غير ان التحول من الترحل الى الاستقرار يقتضى مرحلـــة انتقالية . فاذا ما تمت السيطرة على البيئة الجغرافية ، بدرجة تضمن للرعـاة مراعى دائمة فى منطقة معينة ، فانهم حينئذ لن يضطروا الى الهجرة من مكان الى آخر . والواقع ان اجتذاب الرعاة الاكراد الى الاستقرار لن يواجـه صعوبة كبيرة نظرا لانهم يتبعون كل عام نفس الطرق ويقصـــدون نفس المراعى ، وهم يزاولون بذلك حياة مشابهة لحياة الزراع المســـتقرين من وجوه عديدة . وفى اثناء ذلك لابد من بذل عناية اكبر للرعاة وذلك بالمحافظة على مراعيهم وتحسين احوالها ، وبتموينهم بموارد كافية للميـاه لكل من الانسان والحيوان ، وبناء مراكز لايوائهم على طول طرق هجراتهم .

ان عملية تحول الرعاة المترحلين فى لواء السليمانية قد ادت الى خلـق مجموعات ضخمة من شبه المترحلين الذين يمارسون الزراعة وتربية الحيوانات فى آن واحد . وبما ان حياة اشباه المترحلين تمثل تطورا نحو الاستقرار ، لذلك تميزت بسمات اجتماعية واقتصادية هى مزيج من سمات الرعاة والزراع . ويمكن ان نلخص ابرز الفروق فى حياة الرعاة المترحلين والرعاة شـــبه المترحلين فى النقاط التالية :

١ - يتصف التنظيم الاجتماعي للرعاة المترحلين بالسمات العشائرية المحضة، وتسود روح العشيرة وقوانينها بين افراد المجموعة الرعوية سيادة مطلقة .
اما التنظيم الاجتماعي لشبه المترحلين فهو تنظيم عشائري مائع ومتفكك، ويتميز بازدياد استقلال الاسرة والقرية تجاه نفوذ العشيرة ، وبضعف الروابط والالتزامات العشائرية ، وبانحلال نظام الرئاسة العشائري .

٢ - يعتمد اقتصاد الرعاة المترحلين بدرجة رئيسية على تربية الحيوانات .
اما شبه الرحل فيقترب نظامهم الاقتصادي من نظام الزراعة المختلطة ، فهم يعتمدون على الزراعة وتربية الحيوان بنفس الدرجة .

٣ - تمثل الخيمة النموذج الوحيد للبيت الرعوي ، اما شبه الرعاة فيمتلكون بيوتا شتوية ثابتة بالاضافة الى خيامهم الصيفية .

٤ - يمارس الرعاة المترحلون حياة بسيطة للغاية ، اما شبه الرحل فيظهرون ميلا نحو الرفاهية والوسائل الحديثة .

٥ - وهناك فرق اخير بين الرحل وأشباه الرحل يتعلق بموعد رحلتهم الصيفية . فالمترحلون يبدءون رحلتهم الصيفية في اواخر الربيع ، بينما يبدأ شبه الرحل رحلتهم الصيفية في اواخر شهر حزيران بعد ان يفرغوا من حصاد غلاتهم الشتوية بينما يكون رعاتهم قد سبقوهم في شهر مايس ، وهم يعودون الى مرابعهم الشتوية في اوائل الخريف ليستعدوا للزراعة الشتوية ويلتحق بهم رعاتهم فيما بعد ، بينما يعود المترحلون في اوائل الشتاء .

اقتصاد الرعاة (×)

يعتمد اقتصاد المجموعات الرعوية في اللواء على الزراعة والرعي .

(×) ان الحديث عن المجموعات المترحلة في الصفحات التالية يشمل كلا من الاقوام المترحلة وشبه المترحلة ، فليس هناك سوى فروق ضئيلة في نظامهما الاقتصادي وبنائهما الاجتماعي وطريقة حياتهما .

وتمتلك كل مجموعة من المجموعات الرعوية موطنا شتويا يطلق عليه اسم « گرميان » (المشتى) ، وتمضى فيه حوالى سبعة أشهر . وتعود ملكية اراضى هذه المواطن اما الى رئيس العشيرة او الى ملاكى المدن . وتنصرف كل عائلة خلال فصل الشتاء الى الزراعة وتربية الحيوان . ويتخصص بعض افراد العائلة او المجموعة برعى الحيوانات فى المراعى الشتوية ، بينما ينصرف بقيتهم الى حراثة الارض واعدادها لزراعة القمح والشعير والذرة ، وعند حلول الربيع تعد حقول الزراعة الصيفية للموسم التالى . وما ان ينتهى الحصاد حتى تكون الهجرة الصيفية نحو المناطق المرتفعة (كوستان) قد بدأت . وتعود ملكية اراضى المراعى الصيفية اما الى العشيرة بمجموعها او الى مالك اجنبى تقوم العشيرة متضامنة باستئجار الارض منه . وبالرغم من ان حقوق المرعى محترمة من قبل العشائر ومن السلطات الحكومية ، الا انها كثيرا ما اثارت النزاعات بين العشائر فى العهود الماضية . وكانت السلطة العثمانية تستخدم حقوق المرعى العشائرية وسيلة لبث الفرقة والنزاع بين العشائر المختلفة لتنفذ من خلال ذلك الى السيطرة عليها .

وعند بدء الهجرة الصيفية الى مناطق (الكوستيان) يتخلف بعض افراد الاسر المترحلة في أراضى المراعى الشتوية (الگرميان) ليتولوا زراعة المحاصيل الصيفية . اما الاسر التى لا يسمح عدد افرادها بالانقسام فلا تشترك فى الهجرة الصيفية بل تستأجر خدمات احد رعاة العشيرة وتأتمنه على حيواناتها، وتنصرف الى الزراعة الصيفية . واذا كانت الاسرة متمسكة بتقاليدها الرعوية وتمتلك عددا عظيما من الحيوانات اشتركت بكليتها فى الهجرة الصيفية .

وينصرف افراد المجموعات المترحلة فى مناطق (الكوستيان) كليا تقريبا الى الرعى ، ولا يمارسون الزراعة الا فى نطاق محدود جدا . فقد تزرع مساحات صغيرة بالتبغ ، كما قد تحرث بعض الحقول الصالحة وتبذر فيها

الحبوب الشتوية ليتم حصادها اثناء الهجرة الصيفية المقبلة . ومن الجدير بالذكر ان اختيار المراعى الصيفية (مواطن الكوستيان) يتوقف على درجة ثرائها بالمراعى ، بينما يعتمد اختيار المرابع الشتوية (مرابع الگرميان) على درجة توفر الاراضى الصالحة للزراعة .

وتحتل الاغنام والماعز المكانة الاولى بين حيوانات الرعاة ، بينما تأتى الابقار بالدرجة الثانية . ولا تقتنى الخيول الا لاغراض شخصية ، ويندر ان تدخل فى التجارة ، وكلما زاد عددها ارتفعت مكانة الفرد العشائرى . وتقتنى الحمير والبغال باعداد كبيرة وتستخدم لحمل الاثقال . وقد تصل ثروة الفرد العشائرى الى بضعة مئات من الاغنام والماعز ، والى بضعة عشرات من الابقار . غير ان ثروة الفرد العشائرى الفقير لا تتجاوز بضعة عشرات من الاغنام والماعز وعدد قليل من الابقار . ويتوقف عدد حيوانات العشيرة ، على أية حال ، على اتساع مراعيها وثرائها .

وتلعب الاغنام والماعز دورا رئيسيا فى اقتصاد الرعاة ، وهى تعود على العشائرى بمكاسب متنوعة . فهو يستثمرها قبل كل شيء كتجارة حية . وهو يستغل منتجاتها من اصواف والبان فى الصناعات الرعوية . وتعتمد صناعة الاجبان والسمن ـ وهما يؤلفان موادا اساسية فى التجارة الرعوية ـ على حليب الماعز بالدرجة الاولى . وتصنع الخيمة البدوية من شعر الماعز . وهناك صناعات رعوية اخرى يستهلك معظمها محليا كالسجاجيد والجوارب والملابس الداخلية ، وهى تقوم على اصواف الاغنام وشعر الماعز . وتتولى المرأة بشكل رئيسى القيام بتلك الصناعات .

يتضح اذن بان تجارة الرعاة لا تقتصر على الحيوانات الحية فحسب ، بل تشمل ايضا صناعات بيتية متنوعة . غير ان الحيوانات تمثل عماد الاقتصاد من وجهة النظر التجارية . وتتخذ تجارة الحيوانات الحية طريقة الصفقات

التى تعقد بين رئيس المجموعة الرعوية وتجار المدن • اما الفرد العشائرى فلا يجرأ على مواجهة تاجر المدينة بنفسه لئلا يقع فى حبائله • وتتولى النساء المتاجرة بمنتجات الحيوانات ، ويحملن تجارتهن الى القرى الكبيرة او المدن القريبة من المخيم ويقمن سوقا موقتة • وتقام تلك الاسواق اثناء المكوث فى المرابع الشتوية (الگرميان) •

البنـــاء الاجتماعى للرعاة

يعتمد البناء الاجتماعى للرعاة النظام العشائرى اساسا له • وقد اوضحنا حاجة الرعوى الملحة الى قوة جماعية تضمن له المرعى الجيد وتحميه من اعتداءات العشائر والمجموعات الرعوية الاخرى • والرئاسة فى هذا النظام هى رئاسة فردية ، وهى وراثية فى العادة ، وان كانت الصفات الشخصية ذات قيمة خاصة • ويتمتع الرئيس العشائرى بسلطات واسعة تكفل له السيطرة على شؤون العشيرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، كما تكفل له ايضا مزايا اقتصادية عظيمة • ويستعين الرئيس فى ادارته لشؤون العشيرة بمجلس يتألف من شيوخ يطلق عليهم اسم « الاختيارية » ، وتقتصر وظيفة هذا المجلس على الاستشارة وتقديم النصح ، فسلطات الرئيس مطلقة وهو غير ملزم بتنفيذ نصائح المجلس • ويمكن القول عموما بان النظام العشائرى الكردى لم يطور سمات خاصة متميزة شأن النظام القبلى العربى (×) •

ويتصف الكردى المترحل بالنزاهة ، وهو يمثل بساطة الطبيعة ، ويميل الى الارتياب بالغرباء وهو أمر طبيعى فهو هدف دائم لهجوم مفاجىء فى أى وقت • وقد غرست فيه طريقة حياته الصبر والجلد وتحمل الجوع والعطش والتعب ، فالركوب الطويل والهجرة المتصلة جزءا اساسيا من حياته اليومية •

(×) سنأتي على شرح النظام العشائري الكردى بالتفصيل في موضع آخر من الكتاب •



عائلة كردية شبه مترحلة



خيمة الاكراد شبه الرحل

ويتمتع الرجل الكردي المترحل بسلطة مطلقة ضمن اطار عائلته، وهي ليست مثار نقاش او جدل . ويميل الى تعدد الزوجات لضرورات اقتصادية واجتماعية، الا ان تكاليف المهر تضطره في الغالب الى الاقتناع بزوجة واحدة ، وتقتصر وظيفته على حراسة الحيوانات .

اما المرأة الكردية المترحلة فهي رصيد عظيم للحياة الرعــوية . فهي نشيطة موفورة الصحة وذات خلق عال . ويعتقد هنتنكتون Huntington بحق بان صفات وخلق المرأة المترحلة في الشعوب المسلمة هي أقوى واسمى من صفات وخلق المرأة لدى الاقوام المستقرة . ويعزو هذه الظاهــرة الى البيئة الطبيعية للاقوام المترحلين ، حيث تضطر المرأة الى العمل والعيش جنبا الى جنب مع الرجل ، مما يضطرها الى الاعتماد على نفسها والى اخذ زمـام المبادرة ، وقد طور ذلك شخصيتها واكسبها الاستقلال والقوة [١٢] .

وتتصف حياة الأسرة المترحلة على العموم ببساطة متناهية ، وهي نتيجة منطقية لطريقة حياتها . فافرادها يستمدون طعامهم الرئيسي من منتجــات حيواناتهم ، لا سيما الماعز والابقار التي تمونهم بالحليب والزبدة والجبنـة واللبن الخاثر . ويساهم القمح ايضا مساهمة فعالة في غذائهم ، اذ يصنعون منه الخبز ، كما يصنعون منه نوعا شائعا من الاطعمة يطلق عليه اسم (پلاو) . اما اللحوم فلا يتناولونها الا في المناسبات ، فالحيوانات اساس ثروتهـم ولا يجوز التفريط فيهـا .

وتعتمد ملابس الرعاة على الحيوانات ايضا ، وهي مكيفة للبيئة الطبيعية تكيفا تاما من حيث المادة والطراز . فهي تشتمل على ثـوب طويـل عريض وسترة من الشعر وعمامة صغيرة . وتتشابه ملابس الرجال والنساء في هيئتها غير ان عمامة المرأة اكبر حجما واكثر بهرجة .

---

12. Huntington, E. "The pulse of Asia", 1907. P. 125.

وترتبط عادات الاكراد الرحل بحياتهم غير المستقرة • فالضيافة مثلا سمة بارزة من سمات حياتهم،وهي صفة لها دلالتها في بيئتهم القاسية المنعزلة• فالضيف يهيىء الفرصة لتدعيم مكانة الرجل المترحل ، كما انه في الوقت ذاته واسطة لنقل اخبار العالم الخارجي اليه •

وترتبط احتفالاتهم ايضا بطبيعة حياتهم الرعوية • ومن امثلة ذلك الاحتفال الذي يطلق عليه اسم (شره بران) ، ويتم في المرحلة النهائية من الهجرة الفصلية ، لا سيما الهجرة الصيفية بالذات • فبعد الفراغ من اقامة المخيم الصيفي في منطقة (الكوستيان) يذبح عدد كبير من حيوانات العشيرة وتوزع لحومها على الفقراء من افراد العشيرة (١٣) •

مسيرة وتخييم الرحل

لقد سبق ان وصفنا هجرة الرعاة الاكراد بأنها نوع من الانتقال الفصلي يتحكم فيه المناخ • فالرعاة الاكراد شأنهم شأن الكثيرين من المجموعات الرعوية الجبلية ، مضطرون الى تغيير موطن اقامتهم مرتين في العام على الاقل، فهم يرتقون المناطق المرتفعة في الصيف ويهبطون الى السهول المنخفضة والاودية المحمية في الشتاء • ومع ان خط الثلج الدائم يتحكم بهذه الحركة بشكل رئيسي ، فان توفر المراعي ونوعيتها يلعب دورا فعالا ايضا • وهناك من يعتقد بان هذه الحركة لا يمكن اعتبارها ترحلا حقيقيا ما دامت المجموعات المترحلة تعود في كل حين الى نفس مواضعها او الى الاماكن المجاورة مهما بعد بها المطاف (١٤) • وهذا القول صحيح الى حد كبير ، غير ان السمة الرئيسية

---

13. Nikitine, Basile, "Le Kurdes", Paris 1956, P. 53.

14. Hoover, J.W.. "Navago nomadism". Geog. Rev:, vol: XX1: No. 3, 1939, P. 439.

للحياة المترحلة ، ونعنى بها عدم الاستقرار ، هى ايضا الصفة الرئيسية في حياة هذه المجموعة الرعوية .

ان بدء الهجرة يتقرر من قبل الرئيس ومجلس الاختيارية في العشيرة، بالرغم من ان موعد الهجرة موقت توقيتا قد حدد سلفا حسب فصول السنة . وبما ان كل مجموعة من المجموعات الرعوية تنتمى الى عشيرة معينة ، فان كلا منها يتبع قرار عشيرتها الخاصة ببدأ المسيرة . وتقرر العشيرة فى العادة بدء مسيرتها في يوم معين ، الا ان المجموعات العائلية تصل الى مرابعها الصيفية في مواقيت مختلفة حسب المسالك التى اتخذتها وحسب عددها وسرعتها فى المسيرة . وتتخذ هجرة الرعاة الاكراد مظاهر تنظيمية معينة . اذ يسير جميع افراد الاسرة على اقدامهم . ويتدرع الرجال بنادقهم ويتمنطقون بأسلحتهم ، بينما تحمل النساء صغارهن على ظهورهن . اما الاطفال والشيوخ فيمتطون ظهور الحيوانات، وتحمل البغال والحمير الامتعة التى تتألف من الخيم والافرشة وبعض الحاجيات اليومية الضرورية . وتترك الحاجيات الثقيلة ، ومنها الخيمة الشتوية ، فى حراسة الاقرباء او المعارف المستقرين من ابناء العشيرة نفسها لتكون احمال الحيوانات خفيفة قدر الامكان . وتنتشر قطعان الحيوانات على منحدرات التلال تحت حراسة الرعاة .

وتتم الرحلة بين المناطق الشتوية والمرابع الصيفية فى مراحل متعددة، وتستغرق كل مرحلة منها بضع ساعات . ويبدأ السير فى العادة منذ الصباح المبكر حوالى الفجر ، ويتوقف عند الظهيرة ، ثم يستأنف ثانية حال غياب الشمس ، لا سيما فى الليالى المقمرة . ولا تنصب الخيام اثناء المسيرة ، بل يلتف كل فرد بما لديه من ملابس وافرشة وينام تحت قبة السماء ، اللهم الا اذا استقر الركب فى موضع ما بضعة ايام .

ومن الجدير بالذكر ان مسيرة الرعاة الاكراد لا تخضع لنظام

معين كذلك الذى يتمثل فى مسيرة البدو العرب (×)[15] .

وكانت مسيرة الرعاة الاكراد تخلق لهم وللمزارعين متاعب جمة . بل ان موعد ارتحالهم من الاوقات التى كان المزارعون يحسبون له ألف حساب. وقد وصف ديكسون Dickson احوال الفلاحين الاكراد فى تلك الاوقات بقوله : (ان موعد ارتحال الرعاة الاكراد هو وقت عصيب لكل انسان فى القرية. فالنساء يمكثن في بيوتهن المغلقة الابواب ، اما الرجال فيتوزعون حول البيوت وفى النقاط الاستراتيجية وهم يحملون بنادقهم وكل منهم فى حالة انفعال وتأهب ، وكثيرا ما ينبعث سيل من الاطلاقات المتقطعة المختلطة)[16].

× (١٥) لقد وصف الرحالة بوركهارت Burkhardt في منتصف القرن الماضي مسيرة البدو العرب (عشيرة عنزة) على النحو التالي ، وما يـزال وصفه ينطبق على الوقت الحاضر الى حد كبير : (يتقدم العشيرة المهـاجرة كوكبة من الفرسان تتألف من خمسة او ستة اشخاص على بعد حوالي ستة اميال تقوم بدور الاستطلاع . ويتألف الجزء الرئيسي من العشيرة المهاجرة من خط يتقدم العشيرة بحوالي ثلاثة اميال على الاقل . ويشتمل هذا الخط على عدد من الرجال المسلحين ومن راكبي الجمال يبعد كل منهم عن الاخر بحوالي مائة او مائة وخمسين خطوة وينتشرون على امتداد الخط الامامـي بأجمعه . ويتبع هذا الخط صفوف عريضة تتألف من النوق وصغارها وهي ترعى ما تصادفه من اعشاب واشواك . ويلي صفوف النوق الجمال المحملة بالمؤونة والخيام ، ثم الجمال ذات الهوادج التي يمتطيها النساء والاطفال ، وينتشر الرجال في غير نظام بين تلك الصفوف بأجمعها ، ويحاول اغلبهم ان يسير في مقدمة الصفوف . ويتولى بعض الرجال قيادة الخيول من مقاودهـا وقلما يمتطونها . ويمكن ان يقدر طول الموكب الذى تكونه امثال هذه العشائر المترحلة بما لا يقل عن ميلين ونصف .)

Burkhardt, J.L., "Notes on Bedwins and Wahabys tribes", London 1831, P. 35.

16. Dickson. B. "Journey in Kurdistan". Geographical Journal. vol. 35, 1910, P. 374.

والواقع ان الرعاة الاكراد لم يكونوا يعبؤون في الماضي بما يحدث بينهم وبين المزارعين من صدام فقد كانوا يعلمون انهم الاقوى دائما ، وان المزارعين سيسكتون على مضض مهما سببت حيواناتهم للمزارع من اضرار . لهذا فقد شاع في منطقة ترحل قبيلة الجاف المثل القائل (حول زرعك عن الطريق) . فحينما كان الفلاحون والمزارعون يشتكون الى امراء الجاف ما يسببه افراد عشيرتهم من اضرار لمزارعهم كانوا يردون عليهم بذلك القول . اما اليوم ، وبعد ان تواجدت سلطة الحكومة في مختلف جهات كردستان واصبح الملاكون اشد بأسا وقوة ، كما ان القبائل الرحالة قد ضعف شأنها وتناقص افرادها واقتصر المهاجرون منها على اعداد قليلة ، فقد اخذ الرعاة الاكراد يتجنبون المزارع متخذين طرقهم بعيدا عن الحقول . وبالرغم من محاولاتهم تجنب الاحتكاك بالمزارعين فان تعذر السيطرة على حيواناتهم لابد وان يؤدي الى الاضرار بالمزارع وبالتالي الى خلق المشاكل بينهم وبين الزراع . وكانت هذه النقطة من جملة العوامل التي اضطرت عددا كبيرا منهم الى الاقلاع عن حياة الارتحال والاستقرار في الارض متى ما توفرت الفرصة لذلك .

وتقع مسؤولية نصب المخيم ورفعه لدى الرعاة الاكراد على عاتق النساء. ولقد وصفت المسز بيشوب Bishop عملية نصب المخيم على النحو التالي :

(حينما تصل العشيرة الكردية المترحلة الى مرابعها في الصباح المبكر او بعد الظهر تهيأ الامور بنظام تام . ويوضع الاطفال قبل كل شيء في مهادهم بينما يتعهد الرجال تنظيف الارض اذا ما اقتضت الحال . ثم يدقون اوتاد الخيم ويرفعون اعمدتها ، واذا ما توفرت الاشجار اقاموا سياجا من الاغصان حول المخيم . ثم تتولى النساء الاعمال الباقية التي تمثل في الواقع الواجبات الرئيسية في نصب المخيم ، بينما ينصرف الرجال الى التدخين والثرثرة .

وتحتل الخيم نفس مواضعها النسبية ، أكان المخيم على شكل صفوف او نصف دائرة او شوارع متقاطعة لتستطيع الحيوانات التعرف على مواضع اصحابها بدون قيادتها .

وتستخرج الخيام المصنوعة من شعر الماعز ، ويقوم النساء بتنظيفها ثم بنشرها على الاعمدة ، ويكررن تنظيفها من الداخل قبل تثبيتها على الاوتاد . وتنصب حواجز من القصب فى الخيام الكبيرة لتقسمها الى عدة اقسام ، بينما تقوم بعض العشائر بنصب سياج من القصب حول المخيم بأجمعه ولا يترك سوى مدخل واحد ، وتستخدم الارض التى يضمها السياج حظيرة للحيوانات . وتجمع الاغصان الصغيرة لاستخدامها وقودا . وينصرف النساء الى احضار المياه بينما يتولى الاولاد العناية بقطعان الحيوانات) [١٧] . ومع ان هذا الوصف قد سجل لمخيم عشيرة رحالة من عشائر القرن الماضى لكنه لا يزال ينطبق على مخيمات العشائر الكردية الحالية (×) [١٨] .

---

17. Mrs. Bishop, J., "Journey in Persia and Kurdistan", London 1891, vol. 1, P. 371-75.

× (١٨) لقد وصف بوركهارت في منتصف القرن الماضي عملية تخييم عشيرة عنزة العربية على النحو التالى :

« يختلف المخيم عادة في عدد خيامه ، وتتراوح بين عشرة الى ثمانمائة خيمة . فاذا كان عدد الخيام قليلا نصبت على شكل دائرة واطلق عليها اسم «دوار» . واذا كان عددها كبيرا نصبت على شكل خطوط مستقيمة او على شكل صف من الخيام ، لا سيما اذا اقيم المخيم على ضفاف جدول ،وقد تمتد بعض الاحيان ثلاثة او اربعة صفوف وراء بعضها البعض ويطلق على مثل هذا النوع من المخيم اسم (نزل) . وحينما يتوفر الكلأ والماء في فصل الشتاء فان شكل المعسكر يختلف عما وصفناه . اذ تنتشر العشيرة على امتداد السهل في مجموعات تتألف من ثلاثة او اربعة خيام ، وتبعد كل مجموعة عن الاخرى بمسيرة نصف ساعة . ويطلق على مثل هذا النوع من المخيم اسم (فريق) » .

Burkhardt. op. cit., P. 33, vol. 1.

ويتألف المخيم الكردى من عدد من المجموعات العائلية التى تربط بينها رابطة القرابة ، وفى بعض الاحيان تمثل اسرة واسعة Extensive Family وتشترك تلك المجموعات العائلية فى حقوق المرعى ، كما انها قد تقوم بتأجير عدد من الرعاة بصورة مشتركة . ويتزعم المخيم عادة رجل متقدم في السن ذو مكانة اجتماعية عاليـة وذو مقـدرة اقتصـادية متميـزة ، وربما كان رب الاسرة الواسـعة .

ان عملية التخييم لعدد من الخيام يزيد على (٧٠) خيمة يستغرق حوالى ساعتين ، ويحدث اثناء ذلك ما يوقف العمل عدة مرات ، بينما يسـتغرق تقويض نفس العدد من الخيام حوالى ساعة فقط .

وتتصف الخيمة الكردية بصغر حجمها نسبيا كيما تكيف نفسها للجو البارد . ويبلغ طولها حوالى ٣ر٥ مترا وعرضها حوالى ٢ر٥ مترا وارتفاعهـا حوالى ٢ر٥ مترا ايضا . وتتألف من «الدوار» وهو سقف الخيمة ويصـنع من شعر الماعز ، ومن «الجيغ» الذى يمثل جدران الخيمة ويصنع من القصب المربوط بخيوط من شعر الماعز ، ومن بضعة اعمدة واوتاد .

وتقسم الخيمة القياسية عادة بواسطة «الجيغ» الى ثلاثة اقسام ، يستخدم الاول منها ـ وهو اوسعها ـ غرفة للجلوس ولاستقبال الضيوف ، ويسـتخدم القسم الثانى منها للنساء والعمل المنزلى وتلحق به شرفة ، ويخصص القسـم الثالث منها ، وهو الاصغر ، لخزن الاثاث والمؤونة وتلحـق به شـرفة ايضا لحفظ الالبـان .

وتستند الخيمة الى عدد من الاعمدة الغليظة يتراوح بين ٤ الى ٦ اعمدة، يبلغ ارتفاع كل منها حوالى ٢ر٥ مترا . وتثبت الخيمة بحوالى ١٤ وتدا ، تدق كل خمسة منها على جانب ، بينما يثبت وتدان فى كل طرف من اطراف الخيمة . وتفتح الابواب على كلا جانبى الخيمة .

وهناك فرق واضح بين خيمة الاقوام شبه الرحل فى لواء السليمانية وخيمة الاقوام الرحل فى لوائى اربيل والموصل (دهوك) ، لا سيما خيمة قبائل الهركى والسورجى • فخيمة القبائل المذكورة صغيرة عموما ، ويبلغ طولها ٥ر٢ مترا وعرضها ٢ مترا وارتفاعها ٢ مترا ، ولا تشتمل على اية تقسيمات داخلية ، وهى تستند على عمود واحد • ويثبت غطاؤها بالارض من ثلاث جهات ، بينما تظل الجهة الرابعة مرفوعة لتكون مدخلا للخيمة • ويحول مدخل الخيمة عند الضرورة لتجنب الرياح الباردة او الشديدة (وهى الشمالية الغربية او الشمالية الشرقية) • وتصنع خيمة الرحل من نفس المواد السابقة الذكر •

ويمكن ان تعزى الفروق بين خيمة الرعاة الرحل فى لوائى اربيل والموصل ، وخيمة الرعاة شبه الرحل فى لواء السليمانية الى تطور شبه الرحل نحو الاستقرار ، فقد اقتربت خيمتهم من البيت الصيفى الموقت الذى يستخدمه الزراع فى فصل الصيف والذى يطلق عليه اسم «كبر» •

وهناك بعض الفروق ايضا بين الخيمة الكردية والخيمة العربية • فالخيمة الكردية هى اصغر حجما على العموم وتكاد تكون ذات شكل مستطيل، كما ان جميع اطرافها مرفوعة الى الاعلى ، اما الخيمة العربية فهى اكبر حجماً وذات شكل دائرى تقريبا،ويربط ثلاثة من اطرافها الى الارض(×)[19] •

× (١٩) لقد وصف داريل فورد Daryil Ford الخيمة العربية على النحو التالي : « تصنع الخيمة العربية من عدد من الاشرطة الطويلة المصنوعة من شعر الماعز والتي يبلغ عرضها قدمان ، وتشترى من نساج القرية وتخيطها نساء الاسرة ، ويتراوح طول الاشرطة بين (١٠) الى (٤٠) ياردة ، ويعتمد عدد الاشرطة التي تؤلف غطاء الخيمة على مقدار سعة الخيمة، غير ان من النادر ان يتجاوز طول غطاء الخيمة العادية ١٠ ياردات وعرضه =

وعلى اية حال ، فان حجم كل من الخيمة الكردية والعربية يخضع للمكانة الاجتماعية والاقتصادية للرعوى ، فخيمة الرؤساء الاكراد او العرب اكبر حجما واكثر فخامة . وقد ذكر لايارد Layards بان خيمة الرؤساء الاكراد متميزة فى حجمها وثرائها بالسجاد والاثاث ، وان البعض منها قد ينقسم الى اربعة او خمسة اقسام [٢٠] . كذلك ذكر بعض الكتاب بانه بينما تشتمل خيمة البدوى العربى الفقير على عمود واحد،بل وقد تنصب على اطراف المخيم، فان خيمة شيخ العشيرة قد تشتمل على اربعة او خمسة اعمدة [٢١] . وقد ذكر كتاب اخرون بان اعمدة خيمة الشيخ العربى قد تتجاوز السبعة(×)[٢٢] .

= ٤ ياردات .

ويستند غطاء الخيمة الى ثلاثة او اربعة ازواج من الاعمدة ، ويرتبط بحبل طويل متين يشد عند نشر غطاء الخيمة وتثبيت الاعمدة في مواضعها . ويمكن تغيير مدخل الخيمة بسهولة لاستقبال النسائم الباردة او لاتقاء عواصف الرمال ، وذلك بتغيير الاعمدة ونقل الشريط الخلفي الى الجانب الاخر . وفي الايام الباردة يمكن غلق الجبهة بوضع اشرطة اضافية مصنوعة من شعر الماعز » .

Ford. C. Daryil, "Habitat, economy and society". London 1956, (11th. ed.) PP. 314-18.

20. Layards, Sir Austin Henry, "Discoveries in ruins of Nineveh and Babylon, with travels in Armenia. Kurdistan, etc." London 1853, P. 310.

(٢١) « البدو والقبائل الرحالة » لمكي الجميل ، بغداد ١٩٥٦ ، ص ٩٣ .

× (٢٢) ذكر عبدالجبار الراوي بأن بعض الخيم قد ترفع بثلاثة اعمدة او بأربعة او بخمسة او بستة او بسبعة وقد تزداد ، وان الخيم التي ترفع على اقل من ثلاثة اعمدة تسمى «مكرونْ» ، والتي ترفع على ثلاثة اعمدة تسمى « مثولث » وهكذا مروبع ومخومس .

كما ذكر بأن الخيم الكبيرة تقسم الى شبه غرف مستقلة بينها الحواجز المصنوعة من الشعر او القصب ، ويخصص كل قسم لغرض معين ، فواحد للضيوف والآخر للنوم والثالث للطبخ . وقد يكون الحاجز بين قسم =

واخيرا لابد من الاشارة الى الفرق بين الخيمة الصيفية والخيمة الشتوية لدى الرعـاة الاكراد •، فكلاهما يصنعان من نفس المواد ، الا ان نسيج الخيمة الشتوية يكون اكثر سمكا ومتانة ليقاوم الامطار والثلوج • كذلك يضـاعف غطاء الخيمة لئلا تتسرب منه مياه الامطار • وتطوق الخيمة بجدار حجـرى يعلو حوالى نصف متر عن الارض ، كما يحاط هذا الجدار بسياج من الجيغ ليصد ما قد تتعرض له الخيمة من سيول •

- ٢ -

الزراع

لو حاولنا تحديد رقم معين للسكان الريفيين فى لواء السـليمانية ، او للسكان الريفيين فى البلاد عموما ، لجابهنا صعوبة كبيرة ، اذ يكاد يكون من المستحيل تمييز الاقوام الذين يرتبطون بحرف مدنيـة عن اولئـك الذيـن يرتبطون بحرف ريفية•غير ان من الممكن ان نورد هنا تقديرا عاما على اساس عدد السكان الذين يستقون دخلهم مباشرة من العمل فى الارض • ويتوزع هؤلاء القوم على اقضية اللواء المختلفة على النحو التالى :

الجـدول رقم ٢٥(٢٣)

السكان الريفيون في لواء السليمانية

القضاء	السكان الريفيون	مجموع السكان
السليمانية	٤٦٣٣٨	٧٩٨١٣
حلبجـة	٦٦٥٣١	٧١٤٩٣

= وآخر داخل الخيمة جدارا من اكياس الذخيرة كالدقيق والرز والشـعير وغــيره •

• « البادية » لعبدالجبار الراوى ، بغداد ١٩٤٩ ، ص ١٢٨ •

23. Census of Iraq, 1947. PP. 153-200.

« تابــع »

القضاء	السكان الريفيون	مجموع السكان
شهر بازار	٣٨٩٩١	٣٨٩٩١
بشــدر	٣٣٣٢٤	٣٦١٠٣
المجموع	١٨٤٥٤٥	٢٢٦٤٠٠

ومن الجدير بالذكر ان مجموع السكان الريفيين فى الجدول المذكور يشتمل على كل من الزراع المستقرين وشبه المترحلين . وقد وصفنا حياة الاقوام شبه الرحل فى القسم السابق ، وسنخصص هذا القسم كليا للحديث عن الزراع المستقرين . ومع ان مجموع الزراع المستقرين فى الوقت الحاضر اعظم بكثير من مجموع الاقوام شبه الرحل ، الا ان هذه الكثرة لم تتحقق على ما يبدو الا فى عهد حديث جدا (×) . وليس لدينا احصائيات تؤيد هذا الزعم بشكل ثابت ، الا ان مذكرات الرحالة وملاحظاتهم التى سجلوها فى القرن الماضى عن جنوبى كردستان تؤكد ان غالبية السكان كانوا يعيشون في حالة غير ثابتة ، أى اما ان يكونوا رحلا او شبه رحل . وقد نتجت تلك الحالة غير المستقرة عن عوامل طبيعية وبشرية .

فاما العوامل الطبيعية فقد لعبت دورها في تثبيط الاستقرار من خلال الحاجة الى مياه الرى . فبالرغم من ان الامطار الشتوية تسد حاجة الزراعة الشتوية ، الا ان الزراعة الصيفية تفتقر الى المياه الكافية مما ادى الى اقتصارها على مساحات محدودة حيثما توفرت الينابيع . وكانت تلك الينابيع عرضة للتقلبات

(×) لقد بلغ عدد السكان الريفيين في لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٦٥ حوالي ٢٧٦٩٧٢ نسمة من مجموع سكان اللواء البالغ عددهم ٤٠٨٢٢٠ نسمة ، وتبلغ نسبتهم ٦٨٪ « احوال السكان في العراق ـ ص ١٠٣ » .

المناخية ، وكثيرا ما جفت كليا • ولهذا كان من الضروري الأعتماد على الينابيع الصناعية (الكهاريز) لارواء الزراعة الصيفية ، ومن المعلوم ان حفر (الكهاريز) يتطلب مبالغ باهضة • وهكذا اصبحت الزراعة حرفة مكلفة ، بينما لا تتطلب حرفة الرعي مثل تلك التكاليف •

اما اثار العامل البشري على استقرار السكان في اللواء فقد انبثقت من طبيعة النظام العشائري السائد الذي عاق الجهود البشرية في الاستثمار الزراعي • فقد ارتبط هذا النظام بشكل رئيسي بالاقتصاد الرعوي ، وكان الرعاة يسيطرون على مساحات واسعة من اراضي اللواء لمراعيهم الصيفية والشتوية ، كما انهم كانوا يضايقون الزراع المستقرين بغزواتهم الدائمة •

ولقد ضعف اثر العامل البشري بنشوء ادارة حكومية قوية منذ اوائل القرن الحالي حدت من سطوة العشائر • كذلك ضعف اثر العامل الطبيعي بانحلال نظام الاقتصاد المحلي في مقتبل هذا القرن وارتفاع شأن التجارة الخارجية مما رفع من قيمة المحاصيل الزراعية وجعل من الزراعة حرفة مربحة • وقد أدى ذلك الى تخفيض عدد الرعاة المتنقلين وتحولهم نحو الزراعة والاستقرار •

وهناك مشكلة ترتبط بالسكان الريفيين الاكراد وردت في كتابات بعض الرحالة والمهتمين بالشؤون الكردية • فمن المعلوم ان هناك طائفتين متميزتين تعيشان في لواء السليمانية خاصة وجهات كردستان عامة ، وهما العشائريون واللاعشائريون • وينتمي الرعاة الرحالة بأجمعهم الى العشائريين ، في حين ان غالبية الزراع المستقرين هم من اللاعشائريين • وقد اثار اصل الزراع اللاعشائريين الجدل بين نفر من الرحالة الغربيين • فقد زعم طائفة منهم بان الزراع المستقرين هم في الحقيقة سكان كردستان الاوائل • وقد اوضح ريج Rich في كتابه (قصة اقامة في كردستان) الفروق بين الرعاة العشائريين والزراع اللاعشائريين على النحو التالي :

(ان الفرق فى الملامح بين الزراع والرعاة الاكراد واضح تماماً •
فالزراع المستقرون عادة ذوى ملامح اكثر انتظاما واعتدالا ، بل ان قسماتهم تبدو أحيانا اغريقية تماما • اما الراعى المترحل او العشائرى فملامحه قوية صلبة ، وهو ذو جبهة عريضة بارزة وعينان غائرتان ذات نظرة ثابتة حادة ، والشائع فى لون العينين الرمادى الفاتح ، بل وحتى الازرق الفاتح احيانا• ويمكن ان يميز العشائرى بما له من عادات صريحة وجريئة ، كما ان من الممكن ان يدرك المرء منذ الوهلة الاولى انهم سادة البلاد) (٢٤) •

ثم خلص ريج Rich الى القول بان الزراع قوم يختلفون عن الرعاة ، وان بين الاثنين نوع من القرابة الا انهما لا ينتميان الى نفس العنصر •

اما والتر هاريس Harris فقد اعتقد بان الزراع والرعاة يمتون الى عنصر واحد ، لكنه اقر فى الوقت نفسه بوجود اختلاف بينهما فى الملامح والعادات ، وعزا ذلك الاختلاف الى طبيعة الحرفة التى يزاولها كل منهما ، وقد اوضح رأيه على النحو التالى :

(ليس من الصعب التميز منذ النظرة الاولى بين الاكراد الزراع والاكراد الرعاة ، فالرعاة هم العشائريون الذين يبدون كقطاع الطرق ، ومن الواضح انهم محاربون اشداء ، اما الزراع وهم اللاعشائريون فقد جعلت حياة الاستقرار ملامحهم خشنة وقد فقدوا نشاطهم وروحهم المعنوية العالية) (٢٥) •

ان اعتقاد الرحالة الغربيين فى القرن الماضى بوجود فروق عنصرية بين

---

24. Rich, C.J., "A narrative of a residence in Kurdistan", London 1836. vol. 1, P. 230.

25. Harris. Walter, "Wandering in Persian Kurdistan", Blackwood's Magazine, vol. CLV111, Decem., Nov. 1895.

العشائريين الرعـاة واللاعشائريين الزراع مرجعه كما يبدو الى نظرة الرعاة المتعالية وموقفهـم المعـادى من الزراع • فهم يطلقـون على الزراع اسـم «گوران» (×) ، ولم يكونوا يعترفون بانتمائهم الى نفس عنصـرهم •، ففى محاورة دارت بين القنصل الانكليزى ريج عام ١٨٢٠ وبين احد رؤسـاء العشـائر فى منطقة السـليمانية زعم الرئيس العشـائرى ان «الگورانيين» ليسوا اكرادا ، فالاكراد لابد ان يكونوا عشائريين ، وحرفتهم الوحيـدة ـ على زعمه ـ هى القتال ، اما الكورانيين فليسوا عشائريين ، كما ان حرفتهم الوحيدة هى الزراعة (٢٦) •

ان العداء بين الرعاة الرحل والزراع المستقرين ظاهرة معروفة ولهـا مبرراتها ، وتعزى الى الاقتصاد غير المستقر الذى يزاوله الرعاة يقابلـه الاقتصاد الثابت الذى يمارسه الزراع • فكلما انحبست الامطار وجفـت المراعى وهلكت الحيوانات هجم الرعاة على جيرانهم الزراع واستولوا عـلى حاصلاتهم • هذا فضلا عن ان المناوشات بينهم وبين الزراع قائمة على الدوام كلما قادوا حيواناتهم نحو مراعيهم الصيفية والشتوية فعاثت فى الحقـول فسادا •، وهكذا فان القتال الدائم مظهر طبيعى ومنطقى فى القرون الماضيـة فى الجهات التى يعيش فيها الرعاة والزراع جنبا الى جنب • وقد خلف هـذا النزاع المستمر عداءا مستحكما بينهما •، ولقد ازدادت العلاقات سوءا بـين الرعاة والزراع المستقرين الاكراد نظرا لانعدام الروابط التجارية القويـة بينهما ، فالاقتصاد المتشابه الذى يزاوله كل منهما ، حيث يقوم كل منهمـا

(×) ان مصطلح «گوران» هذا لا علاقة له بعشيرة « گوران » ، وهـي عشيرة تسكن في كردستان ايران • ومن الجدير بالذكر ان مصطلح «گوران» يستعمل في سنه وكرمنشاه في كردستان ايران ويقابله في لواء اربيـل والموصل مصطلح «كرمانج» كما يقابله في كردستان تركيا «رعية» •

26. Rich, vol. 1, P. 230.

بزراعة الحبوب وتربية الحيوانات كما لاحظنا ، أدى الى اضعاف العلاقات الاقتصادية بينهما •

ولقد اكد كثير من رحالة القرن التاسع عشر حالة الحرب المتصلة بين الزراع والرعاة الاكراد كما اوضحها مورغان فليبس Phillips مثلا بقوله :

(وهكذا فان الحرب بين الرعاة والزراع المستقرين مستمرة على طول الحدود ، وانها ليست حربا دينية ، فالاكراد هم مسلمون والزراع المستقرون مسلمون ايضا ، ولكن الزراع الاكراد فى ارمينيا يكرهون الرعاة الاكراد اكثر مما يكرهون الارمن • ويسود هذا النوع من الحروب الاجتماعية جميع هذه المناطق من الشرق الاوسط وهى عبارة عن صدام بين حضارتين متعارضتين ، الرعاة والزراع المستقرين • وهذه الحرب اقتصادية اكثر مما هى دينية) (٢٧) •

ان انكار العشائريين الاكراد صلة القربى بينهم وبين «الگوران» امر ليس له دليل • والواقع ان هناك ادلة قوية تثبت بان «الگوران» وان لم يكونوا فى حاضرهم يمتون الى عشيرة معينة ، الا انهم كانوا يوما ما من العشائريين • ومثال ذلك انه بالرغم من ان اصل الزراع الذين يستوطنون فى الوقت الحاضر فى جنوبى لواء السليمانية معروف ، حيث انهم كانوا ينتمون الى عشائر معينة منذ قرن ونصف مضى ، الا انهم يعتبرون انفسهم حاليا من «الگوران» ويرفضون الاعتراف انهم كانوا يوما ما عشائريين • وعلى أية حال فان مصطلح «گوران» قد بدأ يتلاشى بسرعة منذ بداية القرن العشرين حينما تغير الوضع

---

27. Price, Morgan Phillips, "A journey through Azerbeijan and Persian Kurdistan". 1895, P. 19.

Also: "Armenia and Kurdistan", published by Foreign office, PP. 77-78.

الاقتصادى للمنطقة واصبحت الزراعة حرفة مفضلة، وعمد كثير من الرعاة الى هجر حرفتهم السابقة واستقروا واخذوا يزاولون الزراعة . وقد حل محل مصطلح «كوران» تعبير جديد هو «مسچين» ، واصبح هذا المصطلح سائدا في كل مناطق جنوبى كردستان ، وهو ينطبق على جميع الزراع العشـــائريين واللاعشائريين . ويبدو ان هذا المصطلح مستقى من الكلمة العربية «مسكين» التى تعنى «معوز» . لكن المصطلح الكردى أعطاها معنى جديدا هو «مستخدم» او «اجير» . ويتضح ذلك في طريقة استخدام الزراع لهذا المصطلح . فاذا ما سئل احد الزراع ان يبين هويته ، لا سيما في المناطق العشائرية كمنطقة بشدر او شهرزور ، اجاب بانه (مسچين فلان) ، ذاكرا اسم ملاك الارض التى يعمل فيها . ولابد ان نوضح هنا بان مصطلح «مسچين» لا ينطبق على الزراع الصغار الذين يمتلكون اراضيهم ، بل ينطبـق على الزراع الذين يزرعـون الارض بالاستئجار وعلى العمال الزراعيين فقط .

وما يزال مصطلح «كوران» سائدا في جنوبى كردستان العراق . ويعود ذلك الى التطور التاريخى الذى مرت به المنطقة والى الظروف السياسية الملائمـة التى شجعت الزراعة والزراع فى تلك الجهات . فمنذ النصف الثانى مـن القرن التاسع عشر سيطرت امارة البابانيين على منطقة السليمانية وما جاورها وامتد نفوذها جنوبا حتى زنجاباد ومندلى والتون كوبرى وبدرة الجصـان ، كما امتد نفوذها نحو الشمال الغربى حتى حدود لواء اربيـل [٢٨] . وفي اثناء سـيطرة حكام هذه الامارة حصل الملاكـون على تأييد عظيـم . وقد اجتذبت حالة الامن والاسـتقرار فى المنطقـة عددا كبيرا من الرعـاة الذين تخلوا عن حرفتهم وشرعوا فى مزاولة الزراعة لا سيما اولئك الذين ارغموا

---

28. Rich, vol. 1, PP. 152-158.

على الانفصال عن عشائرهم لسبب او لاخر • فلما انصرفوا الى الفلاحة ضعفت صلاتهم بعشائرهم تدريجيا حتى انقطعت نهائيا بمرور الزمن ولم يعودوا يعتبرون انفسهم عشائريين • ولم يكونوا بحاجة للحماية العشائرية نظرا لتوفر سلطة ادارية قوية تهيمن على المنطقة •

ولقد كان هناك في الوقت نفسه عشائر قوية خارج نطاق سيطرة الامارة البابانية ، ولم ينجح الامراء البابانيون في اخضاعها لسيطرتهم ، وكان على رأس تلك العشائر عشيرة الجاف التي كانت تسيطر سيطرة تامة على سهل شهرزور وما جاوره • وقد ادى هذا الحال الى ارتباط الزراع الذين يقطنون تلك المنطقة بعشيرة الجاف ، وكان من مصلحتهم ضمان حمايتها ، لذلك فقد اعتبروا انفسهم عشائريين ولم يسد بينهم مصطلح «گوران» • وهذا ما حدث ايضا في منطقة بشدر ، فقد سيطر الاغوات الميراودليين على اراضى المنطقة واصبح زراعها تحت حمايتهم واعتبروا انفسهم اعضاء في عشيرة بشدر ، ولم يسد بينهم ايضا مصطلح «گوران» • ان ذلك يوضح لنا سبب بقاء التماسك العشائري بدرجة عالية نسبيا في بعض جهات كردستان العراق ولا سيما الاقسام الشمالية والشمالية الشرقية منه بينما اخذت الروابط العشائرية بالانحلال منذ وقت بعيد في جنوبي كردستان عموما وفي الاجزاء الجنوبية والغربية من لواء السليمانية بشكل خاص •

البناء السياسى والاجتماعي للزراع

يعتمد البناء السياسى والاجتماعي للزراع على اصلهم ، فيما اذا كانوا عشائريين او غير عشائريين ، غير ان ملامح (مجتمع القرية) تنطبق على كل من الطائفتين المذكورتين • وتمثل (القرية) او ما تسمى ب (الجرية) الوحدة الاجتماعية ، ويتراوح عدد سكانها بين ١٠٠ الى ١٠٠٠ نسمة • ويتولى رئاسة القرية في القرى العشائرية رئيس اكبر مجموعة من الاقرباء او الاغا

(وهو احد افراد الاسرة الحاكمة عادة) ، ويعتبر الحاكم الفعلي للقرية • فهو يحافظ على القانون ويحل الخلافات التي تحدث بين ابناء القرية ، ووظيفته اجتماعية وسياسية في آن واحد • اما في القرى غير العشائرية فالحاكم الحقيقي هو مالك الارض ، الا ان سكان القرية ينتخبون «مختارا» يقوم بمهمة ضابط الارتباط بين ابناء القرية والملاك ، ويكون كذلك ممثلا للقرية امام السلطة الادارية الحكومية • وفي كلا المجتمعين ، العشائري وغير العشائري، تتحكم روح «مجتمع القرية» Village Community في تصرفات السكان في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية •

اما اسرة الزراع فهي اسرة ابوية Patrilineal محضة • فالاب هو رئيس العائلة الذى لا تناقش سلطته • وتحتل المرأة مركزا ثانويا بالنسبة للاب ، بالرغم من انها تسيطر على الشؤون الداخلية للاسرة • ويقيم الابناء في نفس البيت بعد زواجهم Patrilineal • ويشارك جميع ابناء العائلة في النشاطات الاقتصادية ، وبذلك تكون العائلة وحدة اقتصادية •

ويتصف مستوى معيشة الزراع بالانخفاض الشديد • فطعامهم يكشف عن نقص شديد في العناصر الغذائية الضرورية • ولباسهم لا يتناسب وقسوة مناخ الشتاء • ومساكنهم مناقضة للشروط الصحية كليا ، وهم يتقاسمون المأوى مع حيواناتهم • وفوق ذلك كله ، فهناك نقص واضح في التدابير والوسائل الصحية (×) •

البناء الاقتصادى للزراع

يتأثر البناء الاقتصادي للزراع بكلّ من العوامل البشرية والجغرافية • فنوع التضاريس ودرجة توفر المياه وشكل التنظيم السياسى للمجتمع القروي،

(×) سنأتي على شرح نظام الاسرة الريفية بالتفصيل في موضع اخر من الكتاب •

يقرر الى حد كبير طراز الملكية الارضية (×)• وبالرغم من ان الطراز السائد للملكية الارضية في اللواء هو الملكية الكبيرة ، الا ان الزراع يمكن ان يصنفوا على أية حال الى ثلاث فئات هي : الملاكون الصغار ، والزراع المستأجرون والعمال الزراعيين (× ×) •

وتشمل فئة الملاكين الصغار الزراع الذين لا تتجاوز ملكياتهم مائة دونم • وتروى معظم اراضي هذه الفئة من الملاكين ديما ، ولا يمتلكون في العادة سوى بضعة دونمات تروى صناعيا • ولا يشكل افراد هذه الفئة سوى نسبة ضئيلة من مجموع الزراع في اللواء •

اما الزراع المستأجرون فهم يمثلون الفئة الغالبة في اللواء ، ومعظمهم يزرع الارض على اساس نظام المحاصة • وتختلف حصتهم من الحاصل حسب نوع الحاصل وقيمة الارض ، وان كانت حصتهم لا تكفي الا لحياة شظفة • ويتمتع الزارع المستأجر بالحرية المطلقة في الانتقال من ارض الى أخرى أو من قرية الى اخرى متى شاء ، الا ان هذا الانتقال لا يتم في العادة الا اذا كان الملاك او (الاغا) جائرا بشكل غير اعتيادي • ويتمتع المزارع المستأجر في المنطقة الكردية عموما بحقوق تفوق حقوق زميله في المنطقة العربية ، فهو يمتلك ضمانا اكثر ، كما ان حصته من المحصول اكبر • ومثال ذلك ان له حقا موروثا متعارف عليه في الارض التي يزرعها ، ويمكن ان ينقل هذا الحق الى ورثته • وما لم يكن المالك شخصا مستبدا فانه في العادة يحترم هذا الحق • ان هذه المزية قد جعلت الفلاحين الاكراد اكثر استقرارا من الفلاحين العرب في الارض • وبالرغم من هذه المزايا فان الزراع المستأجرين في لواء السليمانية يواجهون مصاعب اقتصادية جمة • ففوق كل

(×) لقد غيرت قوانين الاصلاح الزراعي بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تغييرا اساسيا نظام التصرف بالارض مما اثر على البناء الاقتصادي للزراع تأثيرا جوهريا •

(× ×) لا يشمل هذا البحث فئة الملاكين الاقطاعيين •

شيء يترك الزارع المستأجر لشأنه ليواجه بمفرده مسؤولية العناية بالارض والانفاق عليها ، اما المالك الاصلي فنادرا ما يستثمر اى مال في ارضه ٠ وبما ان دخل الفلاح بالكاد يكفي لاعالة اسرته ، فانه يعاني باستمرار من الحاجة الى المال الضروري لانفاقه على الارض مما يؤثر على حاصلاته الزراعيـة ٠ ومما يزيد من سوء موقفه عدم توفر الجمعيات التعاونية وتعذر حصوله على قروض من المصرف الزراعي ، وهذا الوضع يجعله مدينا على الدوام لتجار المدن والمرابين٠(×)ويتفاقم وضع الزارع المستأجر اثناء الفصول الرديئة التى يسببها الجفاف النسبي او الافات الزراعية ، اذ يجد نفسه اسير ديون باهضـة وبدون حيوانات حقلية ولا حبوب ٠ وحينئـذ يضطر الى مغـادرة الارض والهجرة الى المدينة او ينضم الى فئة العمال الزراعيين ٠ اما في الاحـــوال الاعتيادية فان امكانياته المحدودة تضطره الى الاكتفاء بزراعة مساحة صغيرة من الحقول الشتوية بالرغم من توفر الارض الزراعية بمساحات شاسعة ٠

اما فئة العمال الزراعيين فلا يشكلون سوى نسبة صغيرة من العاملين في الزراعة في اللواء ٠ غير ان حجمهم في الواقع مائع جدا ، فكثيرا ما يتحول عدد كبير من الزراع المستأجرين الى عمال زراعيين اثناء الفصول السيئة ٠ كذلك يمكن ان ينضم العامل الزراعي الى فئة الزراع المستأجرين اذا ما توفر له المال لشراء الحبوب والادوات الزراعية والحيوانات الحقلية ٠ وفضلا عن ذلك فان عددا غير قليل من الزراع المستأجرين يعملون في بعض فصـــول السنة كعمال زراعيين ويساعدون الفلاحين الاخرين في الحراثة والحصاد ٠

ان فئة العمال الزراعيين يمثلون أفقر طبقات المجتمع الريفي الكردي ، وهم الممون الرئيسى لعمال المدن غير المهرة ، اذ ان غالبيتهم يهاجـــرون الى

(×) لقد بلغ عدد الجمعيات التعاونية الزراعية التى تأسست في مناطق الاصلاح الزراعي في لواء السليمانية حتى اوائل ١٩٧٠ حوالى ٢١ جمعيـــة وبلغ عدد اعضائها ٢٢٩٥ فلاحا ، وعدد المستثمرين ١٧٩٤ مزارعا ٠ (المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ١٧٠) ٠

المدن المجاورة في اوقات البطالة الزراعية • فبما ان عملهم ينحصر في الحراثة والحصاد ، فمن الطبيعي ان يقاسوا من البطالة الموقتة • ويتطلب وضع العمال الزراعيين منهم نوعا من الهجرة الدائمة التي تبدو بشكل اكثر وضوحا في اوقات الحصاد • فقبل ان يحين موعد الحصاد يبدؤون بالطواف في انحاء اللواء ليعرضوا خدماتهم على الزراع ، ثم يستقرون حيثما تدعو الحاجة الى خدماتهم •

اقتصاد الزراع

يعتمد اقتصاد الزراع على الزراعة اولا ثم على الحيوانات • وبالرغم من ان الحيوانات تشكل جزءا هاما من ممتلكات الزارع ، الا ان وظيفتها الزراعية تقتصر على العمل في الحقل • اما فضلاتها فتستخدم للوقود وقلما تستخدم للتسميد • ويحتفظ الزراع بانواع متعددة من الحيوانات كالاغنام والماعز والابقار ، وحيوانات الحمل كالحمير والبغال والخيول ، الا ان الماعز والاغنام يحتلان مكان الصدارة • وهي على العموم تقاسي من فقر الغذاء ورداءة المأوى وسوء الادارة •

ويكاد يقتصر الزارع في استثماره لمنتجات حيواناته على استهلاكه الشخصي • فهو يستفيد من البانها في غذائه ، ومن اصوافها في صناعاته البيتية كصناعة الملابس والاغطية • اما ارباحها التجارية فمحدودة تماما •

اما النشاط الزراعي فيتأثر بكل من العوامل الطبيعية والبشرية • فالتضاريس والمناخ ومدى توفر مياه الري وشكل الملكية الارضية تتظافر جميعا في تحديد درجة الاستثمار الزراعي ونوع المحاصيل • وتزاول الزراعة الصيفية في الاودية والسهول المنبسطة ، بينما تزاول الزراعة الشتوية فوق منحدرات التلال غير الحادة • وحيثما شحت الارض الزراعية لجأ الفلاح الكردي الى زراعة المدرجات ، كما هو الحال في منطقة هورامان • وتستثمر المنحدرات الحادة في زراعة الفواكه ولا سيما الكروم • اما الاراضى المرتفعة

فتترك للمراعي عدا قطع صغيرة يستثمرها الرعاة في الزراعة الصيفية • ويزاول الزراع ايضا نوعا من الهجرة الصيفية المحدودة الشبيهة بهجرة الرعاة • فهم ينتقلون في اعقاب فصل الحصاد الى الاراضي المرتفعة المجاورة بصحبة حيواناتهم حيث ينصرفون الى رعي حيواناتهم واستثمار قطع صغيرة من الارض • غير ان الزراع الذين يمتلكون مساحة لا بأس بها من الحقول الصيفية التي تروى صناعيا لا يغادرون قراهم ويرسلون قطعانهم مع اقربائهم او مع رعاة القرية للرعي في المناطق المرتفعة •• وبالرغم من ان اغلب الغابات في كردستان العراق قد تعرضت للافناء ، الا ان بعض الجهات الوعرة النائية ما تزال تحتفظ بأشجارها• وفي مثل تلك الجهات يزاول بعض الزراع الفقراء مهنة التحطيب على نطاق محدود • وتستخدم الاخشاب للوقود ولصناعة الفحم للتجارة •• وهكذا فان اقتصاد الزراع في لواء السليمانية وبقية جهات كردستان العراق يشابه في نواح كثيرة الاقتصاد الالبي الذي تمارس فيه الزراعة وتربية الحيوانات والتحطيب بدرجات متفاوتة •

وتتحكم الاحوال الاقتصادية والظروف الجغرافية في نوع المحاصيل الزراعية المنتجة في اللواء • فحيثما شحت مياه الري وتعذر الوصول الى الاسواق بسبب بعد المسافة او الصعوبات الطوبوغرافية او لعدم توفر المواصلات، ساد الاقتصاد الاستهلاكي واتجه الزراع الى زراعة الحبوب (القمح والشعير)• وحيثما توفرت مياه الري وكان الوصول الى الاسواق اكثر سهولة ، ساد الانتاج التجاري وركز الزارع جهوده على انتاج المحاصيل الصيفية •

وتعتبر الزراعة الصيفية العمود الفقري في اقتصاد اللواء • ويحتل التبغ المركز الرئيسي في الزراعة الصيفية ويشكل مفتاح اقتصاد اللواء • والواقع ان البيئة الطبيعية في اللواء تصلح لانتاج محاصيل صيفية اخرى ربما تجود اكثر من التبغ ، وخصوصا الرز ، الا ان جهل الزراع وانعدام الارشاد الزراعي وجه الجهود بكليتها نحو انتاج التبغ • ويلي التبغ في اهميته القطن

في جهات كثيرة من اللواء،لكن الرز يحتل المركز الثاني في مناطق عديدة ايضا.

وتهدف الزراعة الشتوية بالدرجة الاولى الى سد الاحتياج المحلي . ويبدو على أية حال بان البيئة الطبيعية لا تصلح بدرجة عالية لانتاج الحبوب ، اذ ان كلا من القمح والشعير يتصفان بانتاجهما المنخفض نسبيا للدونم الواحد. ولا ريب ان هناك عوامل اخرى تؤثر في انخفاض انتاج الدونم ، في الزراعة الشتوية او الصيفية على السواء ، ومنها سوء استخدام التربة والمياه والاساليب الزراعية المتخلفة . وهذا لا يعني على اية حال بان المزارع الكردي هو فلاح سيء ، فبالرغم مما يواجهه الزارع الكردي من مصاعب جمة في ارض جبلية ككردستان ، غير انه كثيرا ما وصف بانه فلاح بارع [٢٩] . واذا شاءت الدولة ان تحسن انتاجه الزراعي فلابد لها من اتخاذ خطوات فعالة لرفع دخله ومستوى حياته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وبدون اتخاذ مثل هذه الاجراءات لن يكون الفلاح الكردي ـ او العربي ـ قادرا على تطبيق الاساليب الحديثة والطرق العلمية في زراعة ارضه . هذا فضلا عن ان رفع المستوى الاقتصادي للفلاح سيؤدي الى ايقاف تدفق السكان الريفيين الى المراكز المدنية ، وبالتالى القضاء على حالة الفقر السكاني في الريف .

- ٣ -

المدنيـــون

ان محاولة التمييز بين السكان المدنيين (الحضر) والسكان الريفيين تكشف عن مرونة هذين التعبيرين ، وخاصة عند تطبيقهما على منطقة غير متطورة كلواء السليمانية . فتعبير «السكان المدنيين» ينطبق عموما على اولئك الذين يزاولون

---

29. Sykes, M.. "The last Caliphate heritage", London 1915, P. 427.

See also: Nikitine, B., "Le Kurdes". P. 55.

حياة المدينة في تجمع شديد [٣٠] • غير ان المشكلة تكمن في الاختلافات القائمة بين الاقطار المختلفة في تعريفهم «للمدينة» • فبعض الاقطار تعرف المدينة بانها عبارة عن مجموعة صغيرة جدا من الناس بحيث يمكن ان يكون عددها حوالى (٢٥٠٠) شخصا كما هو الحال في اوكرانيا • وهناك أقطار اخرى تشترط عددا اكبر لسكان «المدينة» ، فالولايات المتحدة تشترط ٢٥٠٠ نسمة ، وبلجيكا ٥٠٠٠ نسمة ، ومصر ١١٠٠٠ نسمة ، واليابان ٢٤٠٠٠ نسمة [٣١] • اما اوروسو Aurrousseau فقد اقترح ان يشتمل مصطلح السكان الريفيين على اولئك الجماعات من الناس الذين ينتشرون في الريف والذين يزاولون انتاج الحاجات الاولية من التربة ، بينما ينبغي ان يشتمل مصطلح (السكان المدنيين) على اولئك السكان الذين يعملون في المواصلات والتجارة والصناعة والتعليم والادارة الحكومية [٣٢] • غير ان هذا الاقتراح لا يحل المشكلة في منطقة يختلط فيها السكان الذين يمارسون الزراعة والاعمال المدنية المذكورة اختلاطا عظيما ، بحيث يتعذر تعيين حدود فاصلة بين مراكزهم •

ويمكن ان يكون تعيين كوشينج Cushing للحدود الفاصلة بين السكان «الريفيين» و «المدنيين» في المكسيك اكثر انطباقا على لواء السليمانية، فقد اعتبر المركز الذي يحتوي على ٢٠٠٠ نسمة او اكثر بانه «مدينة» على اساس ان مثل هذا المركز (لابد وان يشتمل على بنايات حكومية وسوق هام وكنيسة كبيرة وشوارع معبدة ، وتلك هي في العادة ملامح المدينة في دول

---

30. Jefferson, Mark. "Distribution of the World City folk", Geog. Rev., vol. XX1, No. 3. 1939, P. 448:

٣١ • المصدر السابق •

32. Aurrousseau. M.. "The distribution of population; a constructive problem" Geog. Rev., vol. X1, No. 4, October 1921. P.568.

امريكـــا اللاتينية ، في حين ان المراكز التي يقل فيها عدد السكان عن ٢٠٠٠ نسمة هي ريفية على اساس انها تشتمل بشكل رئيسي على بيوت يســـكنها فلاحون يخرجون كل يوم الى الحقول [٣٣] .

وبناء على هذا الرأى يمكن ان نرسم خطا عريضا يفصل بين السكان «المدنيين» و «الريفيين» في لواء السليمانية على النحو التالى :

الجدول رقم ٣٦ [٣٤]

السكان المدنيون في لواء السليمانية (حسب احصاء عام ١٩٤٧)

المركز	القضاء	عدد السكان
السليمانية	السليمانية	٣٣٤٧٥
حلبجـــة	حلبجـــة	٤٩٠٠
قلعة دزة	بشـــدر	٢٧٨٩
المجموع		٤١١٦٤

ان تصنيف سكان لواء السليمانية طبقا لرأى كوشينج Cushing لا يعكس بشكل دقيق درجة التمدن في المنطقة . فهناك عدة مراكز اخرى تشتمل على العناصر المدنية السالفة الذكر ، الا ان سكانها يقلون عن ٢٠٠٠ نسمة . لذلك فمن الممكن ان نضيف نوعا اخر من المراكز تتمتع بسمات كل من المراكز الريفية والمدنية نطلق عليها اسم «المراكز شبه المدنية» ، ويتراوح عدد سكانها بين ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ نسمة . وتلك المراكز هي التالية :

---

33. Cushing, Summer, W.. "The distribution of population in Mexico", Geog. Rev., vol. X1. 1921. P. 227:

34. Census of Iraq 1947, P.11 & PP. 153-200, Baghdad 1954.

الجدول رقم ٢٧

المراكز شبه المدنية في لواء السليمانية

المركز	القضاء	عدد السكان
الطـويلة	حلبجة	٢٩٣١
برزنجة	شاهاربازار	١٧٦٨
بنجوين	حلبجة	١٤٧٣
بيـارا	حلبجة	١٤٣٢
هـيرو	بشـدر	١٠٩٢
هلستو	بشـدر	١٠٠٦
المجمـوع		٩٧٠٢

وهكذا يبلغ مجموع سكان اللواء المدنيين ، اضافة الى شبه المدنيين ، حوالى ٤٩٨٦٦ نسمة ، بينما يبلغ مجموع سكان اللواء ٢٢٦٤٠٠ نسمة (×). ولابد ان نؤكد على أية حال بان هذا الرقم لا يعكس الصورة الحقيقية للسكان المدنيين في اللواء ، ذلك لان جزءا كبيرا منه يشتمل على زراع ، لا سيما في المراكز شبه المدنية . وبما ان التجارة هي السمة الرئيسة لحياة المدينة فان هيرو وهلستو مثلا لا يمكن على هذا الأساس اعتبارهما مراكز مدنية ، اذ لا تضمان سوى بضعة حوانيت صغيرة لخدمة السكان المحليين .

(×) لقد بلغ مجموع سكان لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٦٥ حوالى ٤٠٨٢٢٠ نسمة ، ويبلغ عدد السكان المدنيين ١٣١٢٤٨ نسـمة كما يبلغ عدد سكان الريف ٢٧٦٩٧٢ نسمة . وقد اشتمل اللواء على مدينة واحدة فقط من فئة (٦٠ ــ ٩٠ الف) نسـمة ، واخرى من فئة (١٠ ــ ٢٠ الف) نسمة ، وثالثة من فئة (٦ ــ ١٠ الف) نسمة ، وعلى ثمانية عشر قرية زراعية (مراكز نواحي) يقل نفوسها عن (٦ آلاف) نسمة . وقد أورد احصاء عـام ١٩٦٥ الجدول التالى لتوزيع سكان الريف والحضر فى محافظات العراق المختلفة :

=

جدول يبين توزيع سكان الريف والحضر (المدن) في محافظات العراق حسب احصاء ١٩٦٥ والنسبة المئوية

المحافظة	عدد سكان الريف (الضواحي)	النسبة المئوية الى مجموع سكان المحافظة	عدد سكان الحضر (المدن)	النسبة المئوية الى مجموع سكان المحافظة	نسبة سكان المدن الى الكم٢
		٪		٪	
الموصل	٤٦٢٨٢٥	٥٨	٣٣٧٩٦٤	٤٢	٨
دهوك	١٠١٦٤٢	٦٧	٥١٦٧١	٣٣	٥
السليمانية	٢٧٦٩٧٣	٦٨	١٣١٢٤٨	٣٢	١٢
اربيل	٢٢٦٠٦٨	٦٢	١٣٤٢١٧	٣٨	٩
كركوك	٢٣٨٠٢٢	٥٢	٢٢٤٠٠٥	٤٨	١١
ديالى	٢٦٣١٢٥	٦٦	١٣٦٩٢٧	٣٤	٨
الرمادي	١٩٥٨٨٩	٦٢	١٢٣٤٠٠	٣٨	٩
بغداد	١٠١٥٨٢٦	٤٨	١١٠٨٤٩٧	٥٢	٥٥
الكوت	٢٣١٦٤٦	٦٩	١٠٣٨٤٩	٣١	٧
الحلة	٢٨٤٢٩	٦٤	١٦٣٧٣٣	٣٦	٢٣
كربلاء	٩٢٩٠٩	٢٨	٢٤٦٧٨٣	٧٢	٣٥
الديوانية	٢٧٦١١٢	٦٩	١٢٩٥٦٩	٣١	١٢
السماوة	٩١١٧٦	٦٤	٥١٩٧٣	٣٦	٧
الناصرية	٣٦٤١٣١	٧٠	١٣٥٩٠٢	٣٠	٩
العمارة	٢٤٢٤٠٧	٧٢	١٠٤٢٥٦	٢٨	٥
البصرة	٢٥٠٦١٦	٣٨	٤٢٣٠٠٧	٦٢	٢٩
المجموع	٤٦١٤١٥٤	٥٦	٣٦٤٧٣٧٥	٤٤	١٥

المصدر : «احوال السكان في العراق» لاحمد نجم الدين ص ١٠٣ .

نمو السكان المدنيين

لقد نمى السكان المدنيون في اللواء نموا سريعا في السنين الاخيرة ، فلم يكن عددهم يتجاوز في عام ١٩٣٠ نصف الرقم الحالى • ولا ريب ان الاحصاءات الرسمية المتوفرة تعرقل التوصل الى احكام دقيقة ، غير أنه أمكن التوصل الى النتائج التالية عن المراكز المدنية الرئيسية في اللواء :

الجدول رقم ٢٨ (٣٥)

سكان المراكز المدنية الرئيسة في عام ١٩٣٥ و ١٩٥٢

المدينة	١٩٣٥	١٩٥٢
السليمانية	٢٤١٨٦	٣٣٥١٠
حلبجــة	٤٨٥٠	٦٣٩٥
قلعة دزة	١٩٣٠	٢٧٩٥

ومما لا ريب فيه ان النمو السريع للسكان المدنيين لم يكن ثمرة للزيادة الطبيعية فحسب ، بل نجم بشكل رئيسى عن الهجرة من الريف الى المدينة • ويمكن ان نحكم باطمئنان ان الريف كان الممول الرئيسى للسكان المدنيين ، وان عامل الهجرة كان العامل المتحكم في نموهم •

ان الدوافع الرئيسة وراء هجرة ابناء الريف الاكراد الى المدن هــي اقتصادية محضة وترتبط بنظام الملكية الارضية السائد • فالمزارع الكوردي ، وخصوصا المزارع المستأجر ، مسؤول مسؤولية مطلقة عن ادارة حقلــــه والانفاق عليه • فاذا ما فقد بذوره في احد المواسم الزراعية الفاشلة ، او خسر حيواناته اثناء موجة من موجات الاوبئة او المحل ، هبط رصيده الاستثماري

---

(٣٥) ان سكان عام ١٩٣٥ لجميع المراكز المدنية المذكورة ، عدا مدينة السليمانية ، قد قدرت حسب استقصاءات المؤلف التي اعتمدت على عــدد البيوت • اما سكان عام ١٩٥٢ لنفس المراكز فقد استقيت من كتاب :
Sousa, A.. "Administrative Atlas of Iraq" P. 35-6.

الى الصفر • هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان نظام الري الصيفي السائد في اللواء الذي يعتمد اعتمادا رئيسيا على المياه الجوفية مهدد دائما بالعجز • فكثيرا ما تجف الينابيع في المواسم ذات الشتاء الدافيء والامطار القليلة • وفي العادة يتأثر المزارع المستأجر تأثرا كبيرا بنقص المياه لان المحاصيل الصيفية تمثل حجر الزاوية في حياته الاقتصادية • ويحدد الضغط الاقتصادي الذي يتعرض له الفلاح في قريته موقفه من الزراعة • وبطبيعة الحال فانه يجد نفسه متجها نحو المدينة حيث تتوفر له امكانية العمل ، وحيث يتلقى اجورا أعلى مما يكسبه من الزراعة (٣٦) •

ولقد لعبت عوامل اخرى ذات طابع اقتصادي ـ اجتماعي دورا فعالا ايضا في تشجيع الهجرة من الريف الى المدينة • فقد كانت المجتمعات الريفية في لواء السليمانية قبل الحرب الكبرى الاولى تعيش بمعزل عن مظاهر الحضارة الحديثة • وكان مجتمع القرية يمون نفسه بجميع احتياجاته تقريبا• غير ان هذه الحال اخذت بالتغير البطيء بانتشار وسائل المواصلات الحديثة وفتح الطرق وتسلل اثار المدنية الحديثة الى المجتمعات القروية المنعزلة • وقد تزايد بالتدريج استهلاك بعض المواد التى كانت تعتبر من قبل موادا كمالية حتى باتت من ضروريات الحياة اليومية • ومن امثلة تلك المواد السكر والشاي اللذان اصبحا يستهلكان اليوم معظم ميزانية الاسرة • ولم تعد الملابس المصنوعة محليا تستهوي النساء ، وحتى الرجال ، وارتفع استهلاك الاقمشة اليابانية والاوربية • وقد لخص احد القرويين للمؤلف نتائج انفتاح مجتمع القرية على العالم الخارجي بقوله : (كنا نعيش في الماضى افضل مما نعيش حاليا بما كان يقسم الله لنا من رزق شحيح • اما اليوم فان مواردنا القليلة بالكاد تبقينا احياء ، فالسكر والشاي وملابس النساء تستهلك كل مواردنا) • ولقد أدى

---

36. Pearson, Dr. S. Vere, "Causes of rural depopulation", Int. Geog. Congress, Cambridge. 1928, P. 347.

استهلاك مجتمع القرية المتزايد للحاجيات اليومية المستوردة الى توسيع المجال الاقتصادي للمراكز المدنية وانعاش الاعمال التجارية • وقد شجع هذا الانتعاش بعض القرويين المقتدرين على الانتقال الى المدن وتوسيع مواردهم بالعمل في التجارة والخدمات العامة •

كذلك أدى اتصال مجتمع القرية بالاسواق الخارجية الى ظهور الحاجة الى عدد اكبر من الوسطاء ليتولوا مهام جمع وتوزيع الانتاج الزراعي • وقد اثمر ذلك ايضا تزايد عدد الافراد الذين يعملون في النقل والخدمات المشابهة •

وقد ساهم العامل الاجتماعي ايضا بدرجة محدودة في تشجيع الهجرة من القرية الى المدينة نتيجة لما يحدث من مشاحنات • فكثيرا ما تختصم العوائل داخل القرية بدرجة تؤدي الى هجرة عائلة او عدة عوائل بكاملها الى المراكز المدنية او القرى البعيدة • كما ان الخصومات مع (الاغا) او رئيس القرية تؤدي في أغلب الحالات بالشخص او الاسرة المعنية الى الهجرة من القريـة •

كذلك ساهم العامل السياسي ايضا في نمو المراكز المدنية في اللواء ، وذلك من خلال توسع الادارة الحكومية • وبما ان جميع المراكز المدنية هي عواصم ادارية ، فقد اجتذبت وظائفها السياسية عددا اكبر من السكان لخدمة احتياجات الموظفين ، وبذلك وسعت من مجالها الاقتصادي • والواقع ان عددا كبيرا من سكان تلك المراكز يعملون في الادارة الحكومية والتعليم والشرطة • وفضلا عن ذلك فهناك عدد كبير من الغرباء ممن يفد على هذه المراكز لتمشية شؤونه المرتبطة بالادارة الحكومية وهؤلاء يخلقون بدورهم الحاجة الى مزيد من الخدمات •

واخيرا لابد لنا ايضا من الاعتراف بدور العامل السايكولوجي في نمو المراكز المدنية • فمما لا ريب فيه ان حياة المدينة تستهوي سكان الريف ، لا سيما الشباب منهم • وتكمن جاذبية حياة المدينة للمرء فيما توفر له من

حرية نسبية ودرجة اكبر من الامن وتنوع اوسع في المهن وفرص اقتصادية اعظم ، وكذلك فيما تقدمه من مجال واسع في الراحة والتسلية [٣٧] . وللمزية الاخيرة تأثير خاص على الشباب من سكان الريف ، فاضواء المدينة بمقاهيها واجوائها الحية تمثل لهم صورة مناقضة تماما لحياة القرية الكئيبة المملة . وكثيرا ما كشف اولئك الشباب للمؤلف عن رغبتهم القوية في العيش في المدن، حيث تتوفر فرص المتعة واللهو اكثر مما تتوفر في القرى ، غير انهم كانوا يجابهون بمعارضة قوية من قبل الشيوخ الذين كانوا يعبرون عن احتقارهم الشديد لحياة المدن .

صفات ووظيفة المراكز المدنية

يتحدد المظهر والصفات المعمارية لكل مدينة باقليمها الجغرافي ، بينما يتحدد حجمها ووظيفتها بالاحوال الاقتصادية للمنطقة المحيطة بها . وتشترك المراكز المدنية في لواء السليمانية على العموم في صفاتها المعمارية . فلكل مدينة ميدان مربع ، بينما تكتظ بناياتها في شوارع وأزقة ضيقة . ويمكن القول إن طبيعة الاراضي الجبلية ، اضافة الى عامل الحماية ، مسؤولة عن هذا الازدحام . وتتألف البيوت من طبقة واحدة في الغالب ، وهي ذات سطوح مستوية ليمكن استخدامها للنوم وقت الصيف . وتبنى جدرانها من صخور اللايمستون المخلوط بالطين ، اما سقوفها فتتألف بدرجة رئيسة من اخشاب البلوط . ويضم البيت فناءا دائريا يستخدم في الطبخ والغسيل ، وله مدخل واحد الى الشارع .

ويعتبر السوق اهم جزء في المدينة ، ويتألف من شبكة من الازقة ، ويقع عادة بجوار او قرب جامع المدينة . ويشتمل على حوانيت صغيرة تعرض مختلف البضائع الاجنبية والمحلية .

---

37. Ashby, A.. "The effect of Urban growth on the country-side", Social Rev., vol. XXX1, No. 4, 1939, P. 348:

وتقوم في قلب المنطقة المزدحمة مستشفى المدينة ، وتتناثر بجوارها بضعة مدارس • ولا تخلو أية مدينة من «مركز» للكهرباء واخر للمياه تديرهما البلدية • ولكل مدينة ايضا مركز بلدي يشرف على تخطيط المدينة وشؤونها • والواقع ان «البلديات» تعتبر ابرز مميزات المراكز المدنية •

وتعتمد وظيفة المدينة كما اسلفنا على المناطق المحيطة بها وعلى خط تطورها • وبما ان جميع المراكز المدنية في اللواء قد تطورت من مراكز اسواق محلية ، لذلك فان وظيفتها الرئيسة في الواقع هي وظيفة تجارية • ويوضح هذه الحقيقة الجدول التالى الذى يبين مهن المراكز المدنية الرئيسة وعدد الاشخاص الذين يعملون في كل منها :

الجدول رقم ٢٩ (٣٨)

مهن المراكز المدنية حسب عدد الاشخاص (حسب احصاء عام ١٩٤٧)

المهـن	السليمانية	حلبجة	قلعة دزة
الانتاج الزراعي والحيواني	٥٧١	٤٠٥	٩٤
الصناعات المرتبطة بأغذية الحيوانات	٢١٠	١٦	٩
الصناعات الخشبية والاثاث وما شابه	١٥٣	١٨	٥
صناعات الاحذية والسروج والمنتجات الجلدية الاخرى	١٠٥	١٠	٤
صناعات الاقمشة	٥٢	١٢	٤
الخياطة وصناعة الالبسة	٤٩٣	٧٠	٣٨
الصناعات المعدنية	١٦٦	١٨	١٦
بناء الطرق وصيانتها والاعمال العامة	١٦٠	٢٦	٥
المواصلات (عدا السكك الحديد)	٢٠٧	٥٥	١٤
الاعمال الصيرفية	٣٧	٤	

38. Census of Iraq. 1947. P. 163-190.

« تابــع »

المهـن	السليمانية	حلبجة	قلعة دزة
الخدمات التعليمية	١٢٩	٣٨	٢١
الخدمات الطبية والصحية	٤٧	٧	٥
الخدمات الدينيـــة	٢٢٤	١٩	٦
الخدمات الحكومية والبلدية	١٨١	٥٨	٢٣
خدمات الشرطة والاطفـــاء	٤٥٨	١١٢	٢٠٦
التجـــــارة	٢٩٥٩	٥٧١	٢٨٢
الخدمات الخاصة والعامة	١٤٧٩	٣٤٥	١٣٢
اعمال غير مصـــنفة	٩٧٠	١٥٧	٦١
عمال تحت سن العاشرة (الصبيان الممرنون)	٤٧٦	٩٨	٢٢

يوضح الجدول المذكور بان التجارة هي المهنة الرئيسة للسكان المدنيين . وهذا أمر طبيعي ، فالصناعة ذات اهمية ثانوية جدا في المنطقة ، كما ان طبيعة اللواء الزراعية قد وجهت عددا كبيرا من سكان المدن الى العمل في تســويق المنتجات الزراعية والى تموين السكان الزراعيين باحتياجاتهم .

كذلك يوضح الجدول بان عدد الافراد الذين يعملون في النقـــل والزراعة كبير نسبيا ايضا . وكلا هاتين الحرفتين ملازمتين للمراكز التجارية في المناطق الزراعية . فخدمات النقل ضرورية لجمع وتوزيـع المنتجـات الزراعية ، بينما تقوم الزراعة بتموين السكان غير الزراعيين بحاجتهـم من الغـــــــذاء .

وبما ان المراكز المدنية في اللواء تخدم بصورة مباشرة احتياجات المناطق الريفية المجاورة ، فان التبادل التجاري فيما بينها وبين تلك المناطق يخضـع

لعوامل عديدة • وقد لخص أشبي Ashby تلك العوامل على الوجـــــه التالى [٣٩] •

١ ـ نوع المركز المدني •

٢ ـ نوع السكان الريفيين •

٣ ـ وسائل النقل والمواصلات ومدى اتساعها •

٤ ـ مدى ما بلغه السكان المدنيون والريفيون من درجة التمدن والرفـــاه المـــادي •

ان جميع هذه العوامل ذات اثر سلبي على التبادل التجاري بين مـــدن وقرى اللواء ، لا سيما العاملان المتعلقان بالمواصلات ودرجة الرفاهيـــة • فالنقص في المواصلات صفة مميزة للواء ، حتى ان عددا كبيرا من قرى اللواء تظل معزولة لشهرين او ثلاثة خلال فصل الشتاء • اما الدخل الشــــديد الانخفاض فهو سمة رئيسة من سمات اقتصاد السكان الريفيين ، وهذا الدخل كافيا لابقائهم على قيد الحياة فحسب • وبما ان البضائع المستهلكة تعتمد عـلى القوة الشرائية للفلاحين وعلى درجة حركتهم المحلية التي يدعمها توفـــر المواصلات ، فان هناك حواجز فعالة امام حركة التبادل التجاري بين مـــدن اللواء وظهيرها في المناطق الريفية • ولا ريب ان انخفاض نسبة التفاعل بـين المدن والقرى في لواء السليمانية يتحمل مسؤولية كبيرة في عرقلة التطـــور الصناعي في اللواء • ويتضح ذلك في انخفاض نسبة العاملين في الصـناعة فى اللواء • فقد ذكر الاحصاء الصناعي لعام ١٩٥٤ ان مجموع العاملين في الصناعة قد بلغ ١٧٧٤ نسمة من مجموع سكان اللواء البالغ عددهـــــم ٢٢٦٤٠٠ نســـمة [٤٠] × •

39. Ashby, P. 349.

(٤٠) الاحصاء الصناعي للعراق ١٩٥٤ ، بغداد ١٩٥٦ •

(×) لقد بلغ عدد العاملين في المؤسسات الصناعية الصغيرة والكبيرة =

اصل وتطور المراكز المدنيـة

بما ان صفات ووظيفة المراكز المدنية في لواء السليمانية متشابهة تقريبا ، كذلك شأن العوامل التي أدت الى خلقها • ولعل من ابرز تلك العوامل وجود عقبة تنتج عن حاجز جبلي [٤١] • وتتضح اثار هذا العامل في موقع حلبجـة وقلعة دزة وبنجوين ، وجميعها تقع على حدود حواجز جبلية • ويدين عدد من المراكز المدنية الاخرى بتطوره الى تحكمه في ممرات جبلية هامـة مما يساعده على السيطرة على التجارة المارة من خلالها ، كما هو حال مدينـة السليمانية مثلا [٤٢] • وكلا هذين النوعين من المواقع يكسب المراكز المدنيـة في اللواء صفة المدن التجارية • وهذا امر طبيعي ، فالجبال تمثل عقبة بالنسبة لطرق المواصلات مما يؤدي الى ايقاف البضائع عند نقاط معينة ، فتصبح تلك النقاط اشد حركة في نشاطها التجاري اذا ما قورنت بالمناطق المحيطة بها [٤٣] •

ان موقع المراكز المدنية على طرق رئيسية او ثانوية ودرجة تطـور الاحوال الاقتصادية في ظهيرها الريفي يؤثر تأثيرا عظيما على نموها • وبما ان الزراعة في لواء السليمانية تتطور ببطء شديد ، وبما ان هناك نقصا شديدا في مواصلات اللواء ، لذلك بقيت جميع المراكز المدنية في مرحلتها الطفولية ، على حد تعبير تايلـور Taylor [٤٤] ، عدا مدينة السليمانية التى يمكن ان تعتبر في طور شـبابها •

= في اللواء لعام ١٩٦٨ حوالى ٣٦٩٦ شخصا ، بينما بلغ مجموع سكانه حوالى (٤٧٠) ألف نسمة •

(المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ٤٨٢) •

41. La Blache. Vidal, "Principles of human geography" (English Translation) London 1956, P. 443.

42. Page, J.W., "The geographical factors controlling the sites of towns" Geog. Teacher, vol. 6. 1911-12. P. 226.

43. Hanman, P. 57.

44. Taylor, Griffith, "Urban Geography". London 1949, P.9.

وبالرغم من ان جميع المراكز المدنية في اللواء تدين بوجودها وتطورها الى عوامل متشابهة كما أسلفنا ، الا ان هناك عوامل اخرى ايضا ساهمت بدرجة ثانوية في تطور كل منها على انفراد (٤٥) كما ستوضحه الدراسة التالية .

تطور المراكز المدنية :

السليمانية :

تعتبر مدينة السليمانية (او سليماني كما تسمى محليا) المدينة الرئيسة في كردستان الجنوبي ، وهي عاصمة اللواء . وتقع على سفح جبل ازمر بين قمتين . وتتحكم في الطريق المؤدي الى سهل شهرزور شرقا ، والطريق المؤدي الى سهل كركوك غربا من خلال ممر بازيان . وقد اختار هذا الموقع ابراهيم باشا ، وهو احد الحكام العظام لامارة البابانيين ، في اواخر القرن الثامن عشر ، كعاصمة جديدة للامارة بدلا من العاصمة القديمة قرهجوالان . وقد فسر حفيد مؤسس المدينة لريج Rich اختيار ذلك الموقع على اساس انه موقع صالح للصيد الذي كان ابراهيم باشا مولعا به بشكل خاص ، وبناء على توفر موارد المياه فيها (٤٦) . وكانت في طورها الاول عبارة عن قرية كبيرة تشتمل على حوالى الف بيت (٤٧) . وكانت تنمو ببطء شديد نتيجة لتمسك سكانها بعاداتهم الرعوية ، اذ كانوا يهجرون المدينة في أغلب فصول السنة (عدا الشتاء) وينتشرون في الريف المجاور اما لزراعة الارض او للتمتع بمباهج الحياة الرعوية (٤٨) .

---

٤٥. المصدر السابق .

46. Rich, vol. 1, P. 120.

47. Shiel. J.. "Notes on journey from Tabriz through Kurdistan via Van, Bitlis, Selret and Arbil to Sulaimaniya in July and August 1836". J.R.G.S. vol. 8, 1836, P: 101:

48. Felix Jones, "Memories of a journey to the frontier of Turkey and Persia" Bombay 1857, P. 207.

ثم أخذ مكانها يميلون الى الاستقرار تدريجيا ويتجهون الى حرف مدنية ، لا سيما التجارة . وفي عام ١٨٣٠ طورت مدينة السليمانية العلاقات التجارية التالية :

١ ـ السليمانية ـ بغداد :

كانت القوافل التجارية متصلة ما بين السليمانية وبغداد ، تحمل الى السليمانية التمور والقهوة والاقمشة والحاجيات الهندية والاوربية ، وتعود الى بغداد محملة بالحبوب والتبوغ والجبن والسماق والصمغ والصابون .

٢ ـ السليمانية ـ كركوك :

كانت القوافل التجارية متصلة ايضا ما بين السليمانية وكركوك ، تحمل من كركوك الاحذية والجزم وبعض انواع الاقمشة القطنية الخشنة . وتنقل من السليمانية الحبوب والعسل والاغنام والجوز والسماق والفواكه والرز والقطن والعفص .

٣ ـ السليمانية ـ الموصل :

كانت القوافل التجارية دائمة التنقل ما بين السليمانية والموصل . وكانت تجلب من الموصل الجزم والاحذية والاقمشة القطنية (الجيت) والانواع الاخرى ، والبضائع الدمشقية والدياربكرية وتحمل اليها الجوز والفواكه المجففة والعفص .

٤ ـ السليمانية ـ همدان وسنه :

كانت ترد الى السليمانية مرة واحدة في كل شهر قافلة تحمل من سنه وهمدان الصمغ والفواكه المجففة والعسل والحديد .

٥ ـ السليمانية ـ تبريز :

كانت تمر بالسليمانية قاصدة تبريز كل شهر قافلة تحمل التمور والقهوة ومواد اخرى من بغداد ، وتعود منها اخرى تحمل الحرير الطبيعي والمواد المشابهة الاخرى الى بغداد .

٦ ـ السليمانية ـ ارضروم :

كانت تنطلق من السليمانية كل شهر قافلة واحدة على الاقل تحمل الى ارضروم التمور والقهوة ، وتستورد منها الحديد والنحاس والبغال [٤٩].

من الواضح اذن ان موقع السليمانية على الطرق الرئيسة التي تربط الشرق بالغرب وسيطرتها على ممرات هامة (ممر بازيان وممر ازمر) ، كان العامل الاول المسؤول عن نموها . فقد أدى هذا الموقع الى نشاط التجارة فيها ، كما ادى ايضا الى تطوير صناعات معينة كصناعة السرج وحاجيات الخيل واقمشة السرج والاسلحة على اختلافها [٥٠] . وكانت اغلب تلك الصناعات مكرسة لسد حاجة العشائر الرعوية التي اصبحت مدينة السليمانية سوقهم الرئيسي . وقد اتخذت صناعة الاسلحة بالذات اهمية خاصة في مدينة السليمانية بالنظر لتكالب كل من الرعاة والزراع على شرائها .

وقد تطورت صناعات المدينة وتنوعت في اعقاب الحرب الكبرى الاولى، فقد ذكر التقرير الاداري عن المدينة لعام ١٩١٩ بأن من جملة صناعاتها صناعة الصابون والصباغة والحدادة وصناعة الاحذية والسرج ونسج الحرير وصناعة الانسجة والسجاد والسكاكين والصناعات النحاسية والسمكرية[٥١] . ولقد اثر تطور هذه الصناعات تأثيرا فعالا في نمو المدينة .

واخيرا لابد من التأكيد على أهمية الوظيفة الادارية للمدينة كعاصمة للواء ومساهمتها مساهمة فعالة في نموها . فلقد ادت هذه الوظيفة الى خلق مجالات اقتصادية جديدة ، فكثرت فيها المقاهي والفنادق والمطاعم .

---

49. Rich, vol. 1, PP. 305-6.

50. Manswell, "Kurdistan". Geog. Jour., Feb., 1894. P. 92:

51. Administrative report on Sulaimaniya Division. 1919,P.23.

حلبجـــة :

وهي تلي مدينة السليمانية في عدد سكانها ، وتقع على بعد (٥١) ميلا الى الجنوب الشرقي منها بالقرب من الحدود الايرانية • ويمثل موقعهـــا مدينة حدود نموذجية ، اذ تقع على طرف التقاء سهل واسع (سهل شهرزور) بسلسلة جبال شاهقة (جبال هاورامان) • لذلك اصبحت حلبجة المركـــز التجاري لمنتجات منطقتين جغرافيتين مختلفتين ، منطقة شهرزور الســـهلية ومنطقة هورامان الجبلية • واضافة الى ذلك فهي تقع على طريق من اهـــم الطرق القادمة من الغرب متجها الى ايـران مارا بالسـليمانية • وهكذا كان موقعها ولاشك العامل الحاسم في نموها •

وقد ساهم في نموها ايضا اتخاذها مركزا تجاريا لعشيرة الجاف ، وهي اكبر عشيرة رعوية في اللواء • وكان افراد هذه العشيرة ينتقلون اثناء هجرتهم السنوية بين مرتفعات سنه في ايران صيفا وسهول شهرزور وكركوك شتاءا • وكانت مدينة حلبجة اكثر المراكز ملائمة لنشاطاتهم التجارية اذ تقع في الوسط بين مرابعهم الصيفية والشتوية • فكان افراد العشيرة يبيعون في حلبجـــة حيواناتهم من الاغنام والابقار والخيول ومنتجاتها ، ويشترون ما يحتاجـون اليه من الحبوب والاقمشة والاسلحة والحاجيات الضرورية الاخرى •

كذلك ساهم في نمو المدينة اتساع وتقدم الزراعة في سهل شهرزور ، اذ ان موقعها قد جعل منها السوق الرئيسي لحاصلات السهل •

قلعة دزة :

تكاد قلعة دزة تشابه حلبجة في موقعها ووضعها ، ويعـود اختيـار هذا الموقع الى عامل عسكري ، فقد استهدفت السلطة السيطرة على عشيرة بشـدر التي تستوطن المنطقة • وقد ابتنت الادارة العثمانية قلعة حصينة على قمة جبل في تلك المنطقة في النصف الثاني من القرن الماضى لتكون مقرا للحاميـــة

العسكرية ، فنمت المدينة تدريجيا حول تلك القلعة • وفي وسعنا ان نعتبر قلعة دزة مدينة دفاعية حسب تصنيف اوروسو Aurousseau للمدن [٥٢] •

وقد ساهمت عوامل اخرى فيما بعد في نمو المدينة وتطورها ، اذ اصبحت السوق الرئيسي لمنتجات منطقة بشدر ، لا سيما التبغ والحيوانات الحية ، وكذلك منتجات سهل مركه ، لا سيما الحبوب • وساعد على نمو المدينة ايضا قربها من الحدود الايرانية ، فكانت اسواقها تشتمل على البضائع العراقية والايرانية •

المراكز شبه المدنية :

قامت المراكز شبه المدنية كمدن اسواق بالدرجة الاولى ، الا ان عوامل اخرى شاركت ايضا في نموها وتطورها ، ولا سيما في حالة الطويلة وبيارة •

وتعتبر الطويلة اكبر مركز شبه مدني ، وهي تستحق اهتماما خاصا • وتقع هذه المدينة في اقصى الطرف الجنوبي الشرقي للواء السليمانية على منحدرات جبال هورامان الوعرة • وقبل افتتاح الطريق الذي ربطها بحلبجة (وقد تم افتتاحه عام ١٩٥٥) ، كان الوصول اليها عسيرا للغاية بسبب وعورة المنطقة • ومن الواضح ان مثل هذا الموقع لا يصلح لنمو مدينة تجارية • كذلك لا يمكن ان يكون العامل السياسي مسؤولا عن نمو المدينة ، فلا توجد فيها اية ادارة حكومية ، عدا مركز للشرطة ومركز بلدي صغير • ولعلنا نجد التفسير الوحيد لنمو المدينة وتكاثر سكانها في عوامل الضغط الجغرافي التي تنوء بها • فمنطقة الطويلة جبلية وعرة تتكون من سلاسل جبلية ذات حواف حادة تفصل بينها وديان عميقة • ونظرا لندرة الارض الصالحة للزراعة فقد لجأ السكان الى بناء المدرجات واستخدامها في زراعة اشجار الفواكه • واصبح الجوز والكروم والتوت والخوخ وفواكه اخرى الانتاج الرئيسي للمدينة •

---

52. Aurousseau, op. Cit.

وقد أقامت المنطقة علاقات تجارية مع سهل شهرزور للحصول على الحبوب ، فكانت تصدر اليه الفواكه مقابل استيراد الحبوب • فليس من المستبعد ان نفترض بان نشاطها التجاري هذا قد فرضه الضغط الجغرافي وطورته ظروف ملائمة • فالسكان الهاورامانيون ، لا سيما ابناء الطويلة ، مشهورون بمقدرتهم التجارية • ولقد اقاموا علاقات تجارية مع جميع انحاء لواء السليمانية ومع بعض اجزاء لواء كركوك ، وكانت احوالهم على العموم مزدهرة جدا • وساعد على نشاط المدينة التجاري موقعها الجغرافي على الحدود العراقية الايرانية ، فقد توفرت الفرص للسكان للعمل في التجارة المشروعة وغير المشروعة عبر الحدود العراقية الايرانية •

ولقد واجه نمو السكان في مدينة الطويلة عقبة خطيرة وهي ضيق المجال الاقتصادي • وكان هناك احتمالان امام زيادة السكان : فأما ان يهاجروا الى منطقة اخرى او ان يفتشوا عن عمل خارج نطاق الزراعة والتجارة • وفعلا ، تمثلت في مدينة الطويلة هاتان الظاهرتان ، وهما ظاهرة الهجرة الى المناطق المجاورة وظاهرة الازدهار الصناعي • وقد اعتمدت الصناعات الجديدة على المصادر الطبيعية في المنطقة ، وكانت منتجاتها تصدر الى جميع جهات اللواء • وبالرغم من ان الاحصاءات الرسمية التى توضح حرف السكان فى مدينة الطويلة غير متوفرة ، غير ان استقصاءات المؤلف قد امدته بالمعلومات التالية :

الجدول رقم ٣٠

حرف السكان في مدينة الطويلة لعام ١٩٥٥

الحرفـــة	عدد الاشخاص
الصناعات الخشبية (الاثاث وما شابه)	١٠
صناعات الاقمشـــة	٤٠
الخياطة وصناعة الملابس	٦٠

« تابع »

الحـرفة	عدد الاشخاص
صناعات الآلات والادوات المعدنية	٥٠
المواصلات (عدا السكك الحديد)	٥٠
التجـــارة	١٠٠
صناعة الاحذية	٦٠
عمال ذوي حرف غير مصنفة	٢٠٠

ويعكس الجدول المذكور جزءا من حرف السكان خارج نطـــاق الزراعة ، الا اننا لابد ان نتذكر بان غالبية سكان الطويلة يعملون في الزراعة، شأنهم شأن بقية سكان المراكز شبه المدنية .

اما حالات المراكز شبه المدنية الاخرى فتعكس اثار عوامل متنوعـة . فحالة مدينة بيارة التي تقع في منطقة هورامان ايضا شبيهة الى حد ما بحالـة الطويلة . اما برزنجة فقد اثرت عوامل عديدة في نموها ، منها وقوعهـا في قلب منطقة وعرة ، ومنها كونها مركزا اداريا لناحية سروجك ، غير ان العامل الديني كان اكثرها فعالية ، فقد كانت منذ البداية موطنا لعائلة دينية مشهورة التف حولها عدد كبير من الفلاحين المريدين .

وتدين بنجوين بنموها الى موقعها الجغرافي . فهي تقع بالقرب مـن الحدود الايرانية في موقع يتوسط اقليمين مختلفين ، اقليم جبلي واخر سهلي . وقد اصبحت سوقا لمنتجات كلا الاقليمين .

اما هلستو وهيرو فهما اقرب الى قرى كبيرة منهما الى مدن صغيرة . وتدين هاتان القريتان بنموهما الى ازدهار زراعة التبغ ، وهو المحصـــول الرئيسي في المنطقة . وتشتمل كل منهما على عدد ضئيل من الحوانيت التي تسد الاحتياجات اليومية للقرويين .

تطور المراكز المدنية :

من المتوقع ان تنمو المراكز المدنية وشبه المدنية المذكورة بتطور سريع تحت تأثير عاملين ، هما التقدم الزراعي والتقدم الصناعي • ولا يحتاج اثر العامل الاول الى تأكيد ، ذلك ان نمو المراكز المدنية التى تطورت عن منشأ ريفي يعتمد اعتمادا رئيسيا على الحالة الاقتصادية لمنطقتها الريفية • ان تقدم الزراعة الذى يؤدى بدوره الى ارتفاع القوة الشرائية للفلاحين يخلق الحاجة الى مزيد من البضائع والخدمات ، بما فى ذلك شراء الآلات الزراعية وتسويق الانتاج الزراعي • لذلك فان تحسين الزراعة ، واختيار وتهجين النباتات والحيوانات ، وتطبيق افضل الوسائل في المزاوجة بين التربة والمحاصيل ، والحيوانات والمحاصيل ، واحلال الحيوانات محل القوى البشرية ، ومكننة الزراعة ، وتطوير تنظيم الانتاج الزراعي ، كل ذلك سيؤدي الى زيادة القدرة (الانتاج) البشرية ، كما يؤدي الى تنوع وثبات المحاصيل الزراعية ، وهذا بدوره يؤثر على تنوع الحرف في الصناعات المساعدة ، وبالتالى يؤدي الى ارتفاع درجة التمدن (التحضر) [٥٣] •

اما العامل الثاني المتعلق بالتطور الصناعي فيمارس تأثيره عن طريق توسيع المجال الاقتصادي للمراكز المدنية • وقد شرعت الحكومة بالفعل في القيام بمشروعين صناعيين في اللواء هو بناء مصنع لانتاج السجائر يستهلك حوالى مليون كيلو من التبغ سنويا ، وسيرتفع استهلاكه تدريجيا الى حوالي (٣٥٠) الف طن في العام (×) • وما تزال هناك فرص اخرى لتطوير

---

53. Ashby, P. 347.

(×) بلغ مجموع الاشخاص الذين يعملون في مصلحة صنع السجاير في السليمانية حتى اواخر عام ١٩٦٥ حوالي ٧٥٠ شخصا ، كما بلغ مجموع العاملين في مصلحة سمنت سرجنار حتى اواخر العام نفسه ٤٥٧ شخصا • (الدكتور نوري خليل البرازي : الصناعات ومشاريع التصنيع في العراق ــ معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ــ ١٩٦٧ ص ٩٨ و ١٤٨) •

صناعات اللواء حسب مقتضيات الجغرافية الجبلية ، كاقامة الصناعات الخشبية وصناعة تجفيف الفواكه ، وكذلك الاهتمام بصناعة السياحة • فاللواء غني بغاباته التى تصلح اساسا لصناعات خشبية متنوعة • كما يصلح اللواء ايضا لزراعة انواع عديدة من الفواكه تكون مادة اولية لصناعات متنوعة • ومن الممكن ايضا تشجيع صناعة السياحة بانشاء المصايف واقامة المصحات في اللواء• ومن المؤمل ان يكون مصيف قوبي قره داغ ، الذى انشيء مؤخرا ، بداية طيبة في هذا الحقل ، شريطة ان تبذل له السلطات المسؤولة الاهتمام والعناية اللازمة (×) • كذلك فان من الممكن ان تكون سرجنار مصيفا ناجحا •

ومن الممكن ايضا اقامة صناعات جلدية وصوفية تعتمد على الانتاج المحلي من الجلود والاصواف ، كما يمكن تطوير الصناعات التى تسد الاحتياجات الزراعية للواء كصناعة الآلات الزراعية مثلا • ومن الممكن الاستفادة من خزاني دوكان ودربندخان في تموين صناعات اللواء بمورد رخيص للطاقة • ولكن ما لم تشارك الدولة في عملية التصنيع ، ولا سيما عن طريق البنك الصناعي ، فسيكون من الصعب اجتذاب السكان الى المشاريع الصناعية ذلك لان ثقتهم ضعيفة بالاستثمار الصناعي (× ×) •

ان الوضع السليم لاقتصاديات اللواء يقتضي ان يسير تطور الزراعة يدا بيد مع تطور الصناعة.فبينما تهيء الزراعة الكفوءة المواد الخام باسعار رخيصة، كما تهيء في الوقت نفسه المواد الغذائية والاسواق الجيدة للانتاج الصناعي، فان الصناعة المتطورة تزود الزراعيين بالآلات والقوى والمخصبات الزراعية ،

(×) من المؤسف ان السلطات المسؤولة لم تستمر فى تطوير هذا المصيف ، وهو مهمل فى الوقت الحاضر •

(× ×) من المشاريع المطبقة حديثا انشاء مصنع للسكر فى مدينة السليمانية •

كما وانها تهيء الفرصة لتشغيل فائض العمال الزراعيين (٥٤) .

المظاهر الاجتماعية للحياة المدنية

تتمثل المظاهر الاجتماعية للحياة المدنية في لواء السليمانية باختلاف عادات وتقاليد السكان المدنيين عن عادات وتقاليد السكان الريفيين . فقد اصبح السكان المدنيون تحت سيطرة السلطات الادارية المباشرة مما اضطرهم الى الاقلاع عن كثير من عاداتهم القبلية . ولعل من ابرز مظاهر الحياة المدنية تبلور طبقات اجتماعية تستند عموما على الحالة الاقتصادية لكل فئة من السكان.

اما نظام العائلة الابوي فلم يعد يحتفظ بصرامته وحدته ، وقد تضاءلت سلطة الاب ضمن نطاق الاسرة واصبحت رهنا بميول الابناء ومستوى ثقافتهم . غير ان الاب على أية حال ما يزال الرئيس المطلق للعائلة .

اما مركز المرأة المدنية فهو أدنى بكثير من مركز المرأة في المجتمعات الريفية ، وان حريتها ـ ان كانت تملك في واقع الامر اية درجة من الحرية ـ مقيدة للغاية . وهي ترتدي العباءة والبرقع خارج المنزل ، ولا ينظر الرجل لظهورها في السوق لغرض التسوق نظرة ارتياح .

وعلى العموم فان مستوى الحياة في المراكز المدنية أعلى من مستوى حياة السكان القرويين . فجميع المراكز المدنية تمتلك مدارس ومستشفيات ومياه نقية وكهرباء .

وتتمركز الحياة الاجتماعية حول المقاهي . وهناك تطور سريع نحو الاخذ بمظاهر المدنية الحديثة في الملابس وطريقة الحياة والتفكير وتكاد تلك المظاهر تكتسح السكان المدنيين .

---

54. Alwan, A.S.H.. "Agricultural policy in Iraq", a thesis of Ph.D. submitted to University of Wisconsin in 1956. P. 26.

الفصل الرابع

الفعّاليات الاقتصادية

- ١ -

الزراعـــة

تتصف الزراعة في لواء السليمانية بصفات الزراعة الاقطاعية المتخلفة وهي التمسك بنمط معين ثابت ، والتركيز على محاصيل معينة ، والتأكيد على انتاج المحاصيل لاجل الاستهلاك [1] • ولقد ألحق هذا النمط البدائـــي بالزراعة ثلاثة عيوب خطيرة هي : عدم تنوع المحاصيل ، والغلة المنخفضـة ، والتفريط بالارض •

ويتمثل عدم تنوع المحاصيل بتخصيص الزراعة الشتوية لانتاج القمح والشعير ، وقصر الزراعة الصيفية على انتاج التبغ • ولا تكاد المحاصيل الزراعية الاخرى تحتل مكانا مرموقا في اقتصاد اللواء • ان هذه السياسة تنطوي علـى

---

1. Conrad H. Hammar. "The role of the landlord in tenure reform", F.A.O. centre on the land problems in the Near East, Salahuddin, Iraq, Oct. 1955, P.9.

مخاطر عديدة اهمها التعرض للذبذبات المناخية والاصابة بالامراض النباتية • فالتعرض للذبذبات المناخية يهدد زراعة الحبوب تهديدا مباشرا ، ذلك انها تعتمد كليا على الامطار • ومن المعلوم ان الامطار في هذه المنطقة الهامشية من مناطق البحر المتوسط تتصف بذبذبة عالية • ففي بعض السنوات تتلقى فترة تشرين الاول ـ مايس (اوكتوبر ـ مايو) مطرا قليلا يضر بزراعة الحبوب ويخفض من انتاجها • وفي سنوات اخرى تهطل امطار غزيرة في شهر نيسان او مايس مما يؤدي الى تلف المحصول بأكمله • ومن الامثلة على هذا التذبذب ما اصاب محصول عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ • فقد كانت الامطار مبشرة بمحصول ممتاز في اوائل الفصل مما شجع الزراع على توسيع الرقعة المزروعة بالقمح والشعير • غير ان الامطار انحبست في بقية الفصل لدرجة الجفاف التام ، فأصيب محصول الحبوب باضرار فادحة • وقد اضعف نقص المياه مقاومة النباتات لهجوم الحشرات والاوبئة مما زاد في تلف المحاصيل(٢) •

ويمثل خطر الحشرات والاوبئة كذلك تهديدا دائما لمحاصيل الحبوب، ولا سيما القمح • ويؤثر كل من الجراد والسناج وحشرة السونة ومرض الصدأ على مساحات واسعة كل عام • وقد شملت امراض السونة والصدأ والسناج لمحصول عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ مساحة تتراوح بين ١٠٪ الى ٣٠٪ من المحصول الكلي (٣) •

وتتعرض الغلات الصيفية ايضا الى اخطار النقص في المياه والى تهديد الاوبئة • فانحباس المطر الشتوي او قلته ، وكذلك الدفء غير الاعتيادي ، يؤدي الى انخفاض مستوى المياه الجوفية والى جفاف الينابيع الصغيرة • ويزيد

---

2. Ministry of Agriculture "Report of the Iraqi delegation to the 8th session of the F.A.O. conference in Rome", Nov. 1955. P:3.

(٣) المصدر السابق ، ص ٣

من حدة هذا الخطر اعتماد الزراعة الصيفية كليا على المياه الجوفية • ومع ان الغلات الصيفية هي عموما اقل عرضة للاوبئة ، الا انها تقاسي ايضا من بعض اضرارها ، لا سيما التبغ •

ان عدم تنوع المحاصيل يضر ايضا بمستوى دخل الفلاحين اذ يخلق لهم نوعا من البطالة الموقتة • ذلك ان الاعتماد على غلة معينة يؤدي الى تركيز العمل في اوقات محدودة من العام • ويظل الفلاحون عادة بلا عمل تقريبا في الفترة بين فصل الشتاء وفصل الصيف • وهذه البطالة الموقتة تؤدي حتما الى تخفيض دخلهم • اما اذا وزع عملهم على فصول السنة بالتساوي فسيرتفع ايرادهم •

واضافة الى ذلك كله فان سياسة الاعتماد على غلة واحدة مضرة بالتربة ، لانها تستهلك خصوبتها • اما اذا استخدم الحقل لانتاج محاصيل متنوعة فسيستهلك كل محصول كميات متفاوتة من غذاء النبات ، كما ان جذورها ستغور الى اعماق مختلفة من التربة ، مما يؤدي الى المحافظة على خصوبتها ، بل والى اعادة الخصوبة اليها في بعض الحالات •

اما الغلة المنخفضة ، فهي سمة مميزة للانتاج الزراعي في لواء السليمانية على الخصوص وفي بقية انحاء البلاد على العموم • ومن الملاحظ ان غلة المحاصيل في العراق هي ادنى بكثير من غلة محاصيل الاقطار المتقدمة بالرغم من خصوبة تربته • ويوضح الجدول التالى غلات المحاصيل الرئيسة في العراق بالمقارنة مع غلات بعض اقطار الشرق الاوسط وغربي اوربا :

الجدول رقم ٣١(٤)

الغلة في الهكتار الواحد (لكل ١٠٠ كيلو) لعام ١٩٥١

القطر	القمح	الشعير	الرز	القطن	التبغ
العراق	٥ر٣	٤ر٥	١١ر١(×)	١ر٤	١٩ر١

4. U.N., "Year-book of food and agricultural statistics". F.A.O., Rome 1953. vol. VI, part I, PP. 26-27, table 7.

(×) يخص هذا الرقم الاحصاء الزراعى لعام ١٩٥٠ •

« تابع »

القطر	القمح	الشعير	الرز	القطن	التبغ
المملكة المتحدة	٢٧ر٣	٢٥ر٥	–	–	–
الولايات المتحدة	١٠ر٨	١٤ر٦	٢٦ر١	ـر٣	١٤ر٦
الارجنتين	٧ر٨	٩ر٩	٣٤ر٢	٢ر٧	٩ر٤
مصر	١٩ر٢	١٨ر٦(×)	٣٠ر٢	٤ر٤	–
تركيا	١١ر٥	١٣ر١	٣٥ر٣	٢ر٤	٦ر٨
ايطاليا	١٤ر٦	١٠ر٨	٤٦ر٦	١ر٩	١٣ر٨

ويعزى انخفاض الغلة في اللواء الى اسباب عديدة اهمها عدم كفاية المياه وتخلف الوسائل الزراعية • فنقص المياه الناتج عن تقلبات المناخ كثيرا ما يؤدي الى تدهور المحاصيل • كما تضر بالمحاصيل ايضا الزوابع وعواصف البرد •

ويلحق تخلف الوسائل الزراعية ايضا بالغلة اضرارا فادحة • فعدم تطبيق الدورة الزراعية وقلة أستخدام المخصبات وانعدام قنوات الصرف امور تخل بالتربة وتستنفذ خصوبتها وترفع نسبة الملوحة فيها • كذلك تعجز الآلات الزراعية المستخدمة حاليا عن مواجهة متطلبات التهيئة الجيدة للحقل • وقد سبق لنا ان اشرنا الى تأثير الاوبئة والحشرات على الغلات المختلفة •

اما التفريط بالارض فهي صفة بارزة ليس في لواء السليمانية فحسب بل في جميع ألوية العراق • وبالرغم من عدم توفر مسح طوبوغرافي كامل للاراضي الصالحة للزراعة والاراضي غير الصالحة للزراعة ، الا ان من المتفق عليه بان الاراضي التي تزرع حاليا يمكن ان تضاعف مساحتها اذا ما انجزت مشاريع الري اللازمة وطبقت الاساليب العلمية في الزراعة • وقد ذكر الاحصاء الزراعي والحيواني للعراق لعام ١٩٥٢ – ١٩٥٣ بان الارض التي

استثمرت في الزراعة في لواء السليمانية اثناء العام المذكور بلغت ٥٧٠٥١٣ مشارة ، بينما بلغت مساحة الارض التى تركت بورا حوالى ٤٣٣٣٦٢ مشارة [٥] • ولقد نتج هذا التفريط بالاراضى الزراعية عن نمط الملكية الأرضية السائد،وان كان سببه المباشر اتباع طريقة زراعة البور (النير والنير) • فلقد أدى نظام الملكية الارضية السائد في اللواء الى اضعاف المقدرة الاقتصادية للفلاحين وتحديد جهودهم في استثمار الارض • فلو كان في قدرتهم تهيئة الحيوانات الحقلية الضرورية والآلات الزراعية اللازمة والسماد الكافي لما لجأوا الى طريقة زراعة البور ، لا سيما وان المياه متوفرة للمحاصيل الشتوية •

ان الملامح المذكورة للزراعة في لواء السليمانية هي حصيلة التفاعل بين عوامل طبيعية وبشرية عديدة كما سنوضحه في الصفحات التالية •

آثار العوامل الطبيعية

لا بد لنا ان نولي العوامل الجغرافية الاهمية الكبرى لدى دراسة الزراعة في لواء السليمانية باعتبارها العوامل المتحكمة • فالارض والخصوبة، وموارد المياه والري ، والصعوبات الطوبوغرافية ، ونقص المواصلات ، كلها مواضيع جغرافية ذات مساس مباشر بالزراعة •

الارض والخصوبة :

بالرغم من ان رقعة الارض الصالحة للزراعة في لواء السليمانية هي اصغر بكثير مما هي عليه في ألوية العراق الوسطى والجنوبية ، الا ان جزءا لا بأس به منها يترك بورا كل عام • فاللواء اذن لا يعاني من نقص الارض الزراعية ، عدا منطقة هاورامان التى واجهت المشكلة باقامة المدرجات لزراعة اشجار الفاكهة •

5. Agricultural and livestock census, P. 171.

اما خصوبة تربة اللواء فتختلف من موضع الى اخر حسب تعرض الارض لعوامل التعرية • والواقع ان التعرية تعتبر من أخطر المشاكل التى تواجه الاراضى الزراعية في اللواء • وهذا شأن بقية الاراضى الجبليـة في كردستان العراق • وتوضح خارطة تصنيف ارض العراق بان جزءا كبيرا من اراضى لواء السليمانية يقاسي من تعرية شديدة بحيث تقضي على امكاناته الزراعية • كما ان جهات اخرى من اللواء تفقد تربتها باستمرار مما يجعلها ذات تربة ضحلة وبذلك يضعف انتاج المحاصيل الزراعية • غير ان تربـة الجهات التى لا تتعرض للتعرية تتميز بخصوبة عالية • وتدين امثال تلـك الجهات السهلية بخصوبتها الى ما تحمله اليها سيول الامطار من تربة التلال والجبال المجـاورة •

موارد المياه والرى :

يقع لواء السليمانية بكليته فى المنطقة المطرية • واذا قبلنا الرأي القائل بان الاراضى التى تتلقى ما يزيد على (٢٠) بوصة من الامطار سنويا تعتبر من المناطق الرطبة (بينما تعتبر المناطق التى تتلقى من الامطار اقل من ١٠ بوصات جافة ، والتى تتلقى ما يتراوح بين ١٠ ـ ٢٠ بوصة سنويا شبه جافـة)[٦] اذا ما اخذنا بهذا الرأي فان لواء السليمانية يعتبر بكليته عندئذ ضمن المنطقة الرطبة ، ذلك انه يقع ضمن خطـوط المطر المتساوية ٢٧ بوصـة الى ٥١ بوصة • وقد مكن موقـع اللواء هذا من الاعتمـاد كليـا على الامطـار لارواء الزراعة الشتوية (×) • غير ان نصيب المنطقة المطرية من التسـاقط

---

6. Richard. T. Ely & George, S. Wehrwein., "Land Economics", New York 1940, 2nd Edit., P. 33.

(×) لقد اورد تقرير الاحصـاء الزراعي الحيـواني لعام ٥٢ـ١٩٥٣ الارقام التالية عن مصادر المياه في لواء السليمانية :

١ ـ المساحات المروية بواسطة الامطار = ٩٠٥٣٢٠ مشارة •

٢ ـ المساحات المروية سيحا (بواسطة الينابيع والكهـاريز والانهار) = ١٥٠٩٢٢ مشارة •

=

ينحصر في شهور معينة من العام ، هي فيما بين تشرين الاول ومايس ، اما بقية الشهور فيسودها الجفاف التام . لذلك فان الزراعة الصيفية لابد ان تعتمد على مصادر اخرى غير الامطار ، ولا يمكن الاستفادة من انهار اللواء ، وهما الزاب الصغير ونهر سيروان وروافدهما الا بدرجة محدودة للغاية بسبب الصعوبات الطوبوغرافية وبسبب نظام فيضانهما (×) . ولهذا فان الزراعة الصيفية تعاني دائما من نقص المياه . وقد ادى هذا العجز في المياه الصيفية الى تقليص المساحات المستثمرة في الزراعة الصيفية بدرجة عظيمة . ولا تكاد الاراضى المستثمرة في الغلات الصيفية تزيد على عشر الاراضى الصالحة للزراعة . ولا يصلح اللواء لاقامة مشاريع ري ضخمة لخدمة اراضيه الزراعية بسبب الصعوبات الطوبوغرافية .

والواقع ان الخزانين اللذين اقيما في اللواء ، وهما خزان دوكان وخزان دربندي خان ، لا يخدمان اللواء . ويقع خزان دوكان على نهر الزاب الصغير (الاسفل) وعند الحافة الغربية لسهل رانية على بعد ٦٠ كيلومترا شمال غرب السليمانية حيث يمر النهر من مضيق بين الجبال يسمى مضيق

= ٣ _ المساحات المروية بواسطة المكائن (من الانهار) = ٧١٤ مشارة .

٤ _ المساحات المروية بوسائط اخرى (من الانهار) = ٧٦ مشارة .

(المصدر / الاحصاء الزراعي الحيواني لعام ١٩٥٢ _ ١٩٥٣ ، ص ٧٢) .

(×) تستخدم بعض الروافد الصغيرة لنهر الزاب الصغير ونهر سيروان في الري في لواء السليمانية بدرجة محدودة . واهمها نهر تانجرو . وهذا النهير الذى يبدأ كمجرى صغير في سهل شهرزور شمالي السليمانية يكبر بدرجة ملحوظة كلما اتجه جنوبا حتى يلتقي بنهر سيروان . وتلتقي به عدة نهيرات صغيرة منها زلم ومالوان وموان واليشه ، وكلها تستثمر في الري الصيفي . كذلك يستثمر نهر قزلجة وروافده في الري الصيفي بدرجة اقل .

دوكان • ويتألف المشروع من قوس خرساني ضخم يقطع نهر الزاب الصغير ويبلغ طوله ٣٢٥ مترا وارتفاعه ١٠٨ امتار • وقد حفر كذلك نفق قطره (١٢ر٥) مترا من الجهة اليسرى من السد لتمر فيه المياه لاغراض الري وجهز بأبواب حديدية للسيطرة على المياه المارة منه • كذلك بنيت خمسة منافذ مبطنة بالفولاذ لاستخدامها في مشروع الكهربة • ويعمل هذا السد على حجز مياه الزاب الصغير وتكوين بحيرة واسعة بين الجبال تبلغ مساحتها (٧٠) كيلومترا مربعا وتستوعب ٦ر٨ مليار متر مكعب • ان الغرض الاساسي من هذا المشروع هو خزن كميات من المياه تكفي لارواء اراضي جديدة تبلغ مساحتها ١ر٣٠٠٠ر٠٠٠ دونما تقع على ضفتي نهري الزاب الصغير والعظيم، وتشمل اراضي مشروع الحويجة واراضي مخمور على الضفة اليمنى من الزاب الصغير • كذلك يهدف المشروع الى التخفيف من اخطار الفيضان بالتحكم في مياه الزاب الصغير ، كما ويهدف ايضا الى توليد الطاقة الكهربائية [٧] •

اما خزان دربندي خان فيقع على نهر سيروان (ديالى) على بعد حوالى (١٠) كيلومترات اسفل ملتقى سيروان بتانجرو • ويتألف المشروع من جدار خرساني طوله (٢٤٥) مترا وارتفاعه (١٣٠) مترا يقطع نهر سيروان عند مضيق دربندي خان • وتتكون امام السد بحيرة تخزن ٣ر٧ مليار متر مكعب • ويهدف المشروع الى التحكم في مياه نهر سيروان وتخليص منطقة ديالى من اخطار الفيضان ، كما يهدف ايضا الى توسيع الرقعة الزراعية على ضفتي نهر ديالى • ويستفاد من المشروع ايضا في توليد الطاقة الكهربائية [٨] •

---

7. Development Board. "The great irrigation schemes", Baghdad 1955, P. 10.

8. Harza Co., "Derbendi Khan Dam". Baghdad 1954, P.3.

ومن الواضح ان هذين الخزانين لا يخدمان اغراض الري في لـــواء السليمانية نظرا للصعوبات الطوبوغرافية التى لا تسمح بالري السيحي مـن الخزانين • والواقع انهما قد اديا الى ترحيل وتهجير عدد كبير من الزراع المحليين ، حيث ادى مشروع دوكان الى غمر حوالى (٤٠) قرية ، كما ادى مشروع دربندي خان الى غمر حوالى (٧٠) قرية •

ان لواء السليمانية في حاجة اذن الى مشاريع ري محلية صغيرة تهيأ خصيصا لخدمة الزراعة في اللواء وفي بقية الالوية الجبلية الكردية • ويتـم ذلك بتخصيص مبالغ كافية لحفر الابار والكهاريز على نطاق واسع لمواجهـة حاجة اللواء للمياه اللازمة للزراعة الصيفية • ومع ان لواء السليمانية غنـي بالمياه الجوفية ، الا أن حفر الكهاريز يقتضي مبالغ باهضة لا يستطيع توفيرها الفلاحون الفقراء (×) • وما لم تتول الدولة القيام بمثل هذه المشاريع فان العجز في المياه سيعرقل دائما التوسع في الزراعة الصيفية •

(×) لقد شرح ماكفادين Mackfadyen « الكهريز » في تقريره عن موارد المياه في العراق على النحو التالى :

(عند بناء الكهريز تحفر بئر بواسطة الايدي الى مستوى المياه الجوفية في ارض مرتفعة • ثم يحفر نفق ذو انحدار بسيط جدا بحيث انه في الوقت الذي تجري فيه المياه فان مدى انحداره يكون اقل من مستوى سطح الارض ومستوى المياه الجوفية • ثم ينتهي النفق بشكل طبيعي في مخرج الى فوهة مفتوحة في مستوى الارض او اسفل قليلا •

ويختلف معدل الانحدار اختلافا كبيرا من كهريز الى اخر معتمدا عـلى طوبوغرافية المنطقة • كما ان من الممكن ايضا ان يفرع الكهريز لزيادة كمية الميـاه ، ويلتقي الفرعان عند مخرج المياه • وقد لوحظت هذه الطريقة في لوائي السليمانية واربيل على وجه الخصوص ، وقد يشتمل الكهريز على اكثر من فرعـين •

وتحفر سلسلة من الابار تتصل بقناة الكهريز لازالة ما يتساقط من =

الصعوبات الطوبوغرافية والحاجة الى المواصلات :

لقد كانت اوضاع اللواء الطوبوغرافية عقبة كأداء تجاه تطوير الزراعة. ولقد اضطرت القرى المنعزلة الى التركيز على الاقتصاد الاستهلاكي . ولم تكن هذه السياسة ذات ضرر ملموس بالنسبة للمنطقة قبل بداية القرن العشرين ، فلم تكن الاسواق الخارجية مفتوحة امام منتجات البلاد بدرجة واسعة . غير ان اهمية التجارة الخارجية قد توضحت منذ اوائل هذا القرن

= ركام اثناء الحفر او لتنظيفه فيما بعد،وتبعد كل بئر عن الاخرى من ١٥ الى ٢٠ مترا . وتغلق فوهات هذه الآبار عند اكمال حفر الكهريز ولا تفتح الا عند تنظيفه .

وبما ان الكهاريز تحفر في الغالب في تربات رخوة مثل التربات الفيضية او الحصوية او الكونجلومرات البختيارية غير السمنتية ، لذلك لابد لها من ان تثبت بالبناء . والواقع ان بعضها مبني جيدا في بعض اجزائه بالطابوق على الاقل ، غير ان الكثير منها يترك بلا بناء مما يدعو الى تنظيفها باستمرار اذا اريد المحافظة على جريان مياهها بانتظام والحيلولة دون انسداد المجرى. والحقيقة ان انسداد المجرى نتيجة لترسيب الطمى قد يحدث في الكهاريز المبنية من الداخل او غير المبنية على السواء ، الا ان الكهاريز غير المبنية اكثر عرضة للانسداد بسبب ما يتساقط في مجراها من الاتربة .

ان حصيلة الكهريز من المياه تختلف اختلافا عظيما من وقت لاخر حسب مدى العناية بنظافته ، وحسب فصل السنة وحسب الدورة المطرية . وكثيرا ما يذكر القرويون بان مياه كهريزهم لا يكاد يتجاوز خمس او عشر كميته السابقة . وبالرغم من ضرورة قبول مثل هذا الكلام بشيء من الحذر، الا انه يدل على اية حال على انخفاض كمية مياهه .

ان حفر كهريز طويل عملية مكلفة ، كما ان المحافظة على نظافته مهمة مكلفة ايضا . وما لم تضمن كمية كبيرة من المياه مقدما ، وهو ما يحدث فعلا ، فمن المفضل استبدال عملية حفر الكهريز بحفر الآبار او باستخراج المياه بواسطة المكائن اذ انها اقل تكاليفا .

Mackfadyen. "Water supplies of Iraq" P. 3-4.

حيث اتصلت الاسواق العالمية ببعضها اتصالا وثيقا مما شجع على نبذ السياسة الزراعية العتيقة • وقد واجهت المحاولات التي بذلها الزراع لتطوير الزراعة في اللواء عقبات فعالة ، اذ لم يكن ممكنا تصدير الفائض في الانتاج الزراعي خارج المجتمعات القروية بسبب الصعوبات الطوبوغرافية والحاجة الى المواصلات الحديثة • وما تزال تلك الصعوبات حتى اليوم تترك آثارها على السياسة الزراعية في اللواء • فمن المعروف ان اللواء يصلح لزراعة انواع عديدة من الفواكه كالكروم والخوخ والمشمش والرمان والتفاح ، ومع ذلك فالزراع لا يولون زراعة اشجار الفاكهة اهتماما اذ يضطرون الى بيعها في الاسواق المحلية وبذلك تتدنى اسعارها بدرجة كبيرة • وفي بعض الحالات يترك الزراع الفاكهة بلا جني ، ولا سيما في حالة الكروم ، لان جنيها لن يعود عليهم بأرباح معقولة • ان عدم اهتمام زراع لواء السليمانية بزراعة الفواكه لا يضر اقتصادهم فحسب بل يضر باقتصاد البلاد عموما ويحرمه من مزية عظيمة • فنظرا للفرق بين حرارة المنطقة الجبلية والمنطقة السهلية ، فان فواكه المنطقة الوسطى والجنوبية من البلاد تنضج في وقت مبكر عن المنطقة الجبلية الشمالية • ففواكه لواء السليمانية وبقية الالوية الكردية – وكذلك خضرواتها – تصبح جاهزة للجني في الوقت الذى تختفي فيه فواكه المنطقة الجنوبية والوسطى من الاسواق •

ولم تواجه الصعوبات الطوبوغرافية في اللواء بشكل جدي ، فقد تقدمت عملية بناء الطرق ببطء شديد • واذا ما قيس التقدم الاقتصادي لاية منطقة من المناطق باطوال طرقها ، فان لواء السليمانية يعتبر في هذه الحالة منطقة متخلفة • صحيح ان بناء الطرق في المناطق الجبلية عملية باهضة التكاليف ، الا ان ذلك لا يبرر التقاعس في بناء شبكة حديثة من المواصلات • وهناك نوعان من الطرق الصالحة للسيارات في اللواء ، مبلطة وغير مبلطة • اما السكك الحديد فينعدم وجودها في اللواء • واهم الطرق المبلطة هي :

١ ـ طريق السليمانية ـ حلبجة (٧٦كم) •

٢ ـ طريق السليمانية ـ كركوك (١١٤كم) •

٣ ـ طريق السليمانية ـ قلعة دزة (٩٥كم) •

٤ ـ طريق بنجوين ـ سيد صادق (الذى يلتقي بطريق السليمانية ـ حلبجة بالقرب من سيد صادق) (٧٠كم) •

٥ ـ طريق السليمانية ـ عربد ـ دربندي خان (٦٤ كم) •

٦ ـ طريق السليمانية ـ دوكان • (٦٧ كم) •

والواقع ان بعض هذه الطرق قد خربت تماما ، وفيما عدا طـــرق السليمانية ـ كركوك ، والسليمانية ـ دوكان ، والسليمانية ـ دربندي خان ، فجميع الطرق الاخرى في حاجة الى اعادة تبليط •

اما الطرق غير المبلطة فهى :

١ ـ طريق السليمانية ـ جوارته (٥٥كم) •

٢ ـ طريق السليمانية ـ قره داغ (٨٠كم) •

٣ ـ طريق حلبجة ـ الطويلة (٥٠كم) •

٤ ـ طريق عربد ـ برزنجة (٥٠كم) •

وليس هناك نية في ربط مدينة السليمانية بالسكك الحديدية ، او في ربط اللواء بايران بطريق مبلط بالرغم من ان مدينة تبريز الايرانية غير بعيدة عن بنجوين • وقد ذكرنا بان غالبية الطرق المبلطة وجميع الطرق غير المبلطة في حالة متخلفة للغاية • وهي في جهات كثيرة منها غير صالحة بتاتا لمرور السيارات ، لا سيما في فصل الشتاء • ولذلك تنعزل بعض جهات اللواء عن الاتصال بالمراكز المدنية الرئيسة لاكثر من شهرين خلال الفصل المذكور •

ولقد تركت حالة المواصلات المتخلفة ، بالاضافة الى الصعوبات الطوبوغرافية آثارا سيئة على الاوضاع الزراعية (×) ٠

آثار العوامـــل البشرية

ان دراسة آثار العوامل البشرية على الزراعة في اللواء تقتضي قبل كل شيء دراسة نظام الملكية الزراعية السائد ثم دراسة العجز في الخدمات الزراعية الضرورية ٠ ويتفق الباحثون بان نظام الملكية الزراعية في العراق مسؤول الى حد كبير عن تدهور الاحوال الزراعية في البلاد ، كما ان من المتفق عليه ان تعديل نظام الملكية السائد لابد ان يسبق اجراءات الاصلاح الزراعـــي

(×) ان التخلف في طرق المواصلات لم يؤثر على الزراعة في اللـــواء فحسب ، بل اثر على بقية النواحي الاقتصادية ايضا ٠ ومن امثلة هـــذا التأثير الضار باقتصاديات اللواء عدم استثمار صلاحيته لاقامة المصايف ٠ فمن المعروف ان جبال كردستان بمناظرها الطبيعية الخلابة ومناخها الملائـــم صيفا صالحة لاجتذاب المصطافين في البلاد اذا ما اقيمت فيها المصايف المناسبة وانشأت فيها طرق المواصلات الحديثة ٠ ففي كل صيف يسافر عشرات الالوف من العراقيين الى الاقطار المجاورة ، لا سيما لبنان ، لتمضية اشهر الصيف في ربوعها ، حاملين معهم مقدارا عظيما من الثروة الوطنية ٠ فاذا ما تهيأ لتلك الثروة ان تنفق في ألوية كردستان الجبلية فانها ستحفظ ثروة البلاد كمـا انها ستنعش الحالة الاقتصادية في المنطقة الكردية ٠ غير ان العجز في المواصلات قد جعل لواء السليمانية مثلا مكانا قصيا لا يفكر المواطن العراقي في تمضية اجازته فيه ، بينما يعتبر لبنان بلدا في متناول اليد ٠ وقد التفتت الحكومة الى هذه الخسارة الاقتصادية التي يعانيها لواء السليمانية وبدأت مشروعـا لبناء مصيف حديث في قوبي قرهداغ ، الا ان هذا المشروع لم ينجز عـــلى الوجه الاكمل ٠ وقد اتجهت النية ايضا الى تحويل جبـل پيرة مكـرون الى مصيف ، غير ان هذا المشروع ما يزال في خطواته الاولية ٠ ومن الممكـــن الاستفادة ايضا من منطقة سرجنار وتحويلها الى مصيف ٠ ومن الجدير بالذكر ان المصيف لا يمكن ان يكون جذابا ما لم يزود بوسائل الحياة الحديثـــة ووسائل التسلية وما لم يتيسر الوصول اليه ٠

الاخرى (×) ٠

ولكي نفهم انماط الملكية الزراعية الحالية لابد لنا ان نبدأ باستعراض تاريخي موجز لنظام الملكية الزراعية في العراق عبر العصور التاريخية المختلفة ٠

وبالرغم من اننا لا نعرف سوى القليل عن نظام الملكية الزراعية في العراق في العهود الغابرة ، الا أن السجلات المتوفرة تدل على ان الملكية الزراعية كانت على نوعين ، فردي وجماعي ٠ ويبدو ان الملكية الزراعية في العراق القديم ـ في العهود السومرية والاكدية والبابلية ـ كانت على ثلاثة أصناف هي : ملكية خاصة ، وملكية دينية ، وملكية قبلية ٠

وكان هناك نوع اخر من الملكية ورد ذكره في قوانين حمورابي وسمي بـ (ألكو) والذي يبدو شبيها بملكية الدولة ٠ وكان هذا النوع من الملكية

(×) لقد كتب هذا البحث قبل تشريع قوانين الاصلاح الزراعي ، لذلك فان الكثير من احكامه ومعلوماته اصبحت ذات اهمية تاريخية ٠ ومن المعلوم ان ثورة ١٤ تموز قد بادرت منذ عامها الاول الى تحقيق الاصلاح الزراعي فاصدرت القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، وقد حددت فيه الملكية الزراعية على الوجه التالي :

المادة الاولى : لا يجوز ان تزيد مساحة الاراضى الزراعية التى تكون مملوكة لشخص او مفوضة له بالطابو او ممنوحة له باللزمة عن (١٠٠٠) دونم من الاراضي التي تسقى سيحا او بالواسطة ، او (٢٠٠٠) دونم من الاراضى التي تسقى ديما ٠ وعند الجمع بين النوعين يكون الدونم الواحد مقابلا لدونمين من النوع الثاني ٠

المادة الحادية عشرة : توزع الاراضى المستولى عليها وكذلك الاراضى الاميرية الصرفة والاراضى المحلولة التي تحددها الهيئة العليا وترى انها لازمة للتوزيع او مكملة لاراضى مستولى عليها في اى منطقة ٠

ويكون التوزيع على الفلاحين بحيث تتكون لكل منهم ملكية صغيرة لا تقل عن ثلاثين دونما ولا تزيد عن ستين دونما من الاراضى التي تسقى سيحا او بالواسطة ٠ ولا تقل عن ستين دونما ولا تزيد عن مائة وعشرين دونما من الاراضى التي تسقى ديما وذلك تبعا لجودة الارض ٠ =

يمنح للخدمات العامة ولا يمكن ان يباع او يغتصب او يرهن او يورث بأية شروط مهما كانت [9] .

9. Delaporte, L., "Mesopotomia; The Babylonian and the Assyrian civilization" (The English translation by Gordan Chylde) London 1925, P. 101.

= ولقد صدر تعديل اخر لهذا القانون هو «قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠» ، وتنص ابرز مواده على ما يلي :

الباب الاول ـ المادة الثانية :

لا يجوز ان تزيد مساحة الاراضى الزراعية المملوكة لشخص او المفوضة له بالطابو او الممنوحة له باللزمة عن الحدود التالية :

أ ـ فى الارض الديمية :

١ ـ (٢٠٠٠) ألفا دونم فى الاراضى غير وافرة الخصب التى تقع جنوب خط سقوط الامطار .

٢ ـ (١٦٠٠) ألف وستمائة دونم فى الاراضى وافرة الخصب التى تقع جنوب خط سقوط الامطار .

٣ ـ (١٣٠٠) ألف وثلاثمائة دونم فى الاراضى غير وافرة الخصب التى تقع شمال خط سقوط الامطار .

ب ـ فى الاراضى المروية :

١ ـ (٦٠٠) ستمائة دونم فى الاراضى غير وافرة الخصب التى تسقى بالواسطة .

٢ ـ (٤٠٠) أربعمائة دونم فى الاراضى وافرة الخصب التى تسقى بالواسطة .

٤ ـ (٣٠٠) ثلاثمائة دونم فى الاراضى وافرة الخصب التى تسقى سيحا .

٥ ـ (١٢٠) مائة وعشرين دونما فى الاراضى التى تسقى بالواسطة . وتزرع قطنا او خضروات فى المحافظات الشمالية .

٦ ـ (٨٠) ثمانين دونما فى الاراضى التى تسقى سيحا وتزرع قطنا أو خضروات فى المحافظات الشمالية .

٧ ـ (٦٠) ستين دونما فى الاراضى التى تسقى سيحا وتزرع شلبا فى المحافظات الشمالية . =

ويبدو على اية حال بان الملكية الكبيرة كانت تصل الى حد ١٣٥٠ هكتارا (٣٣٠٠ فدان) ٠ وكان هذا النوع من الملكية سائدا في العراق القديم ، وكانت تمثله الملكيات الكبرى للمعابد ، وملكيات الاسرة المالكة ، وملكيات الاشخاص المقربين في الدولة ٠ وكان الملاكون الكبار عبارة عن اقطاعيين مسؤولين عن تهيئة عدد معين من الجند للملك ٠ اما في المناطق القبلية فكانت الارض ملكا مشتركا لافراد العشيرة ، غير ان زعماء العشائر كانوا يسيطرون فعليا على الارض ، وكانت كل اسرة او مجموعة صغيرة من الاسر تستثمر قطعا صغيرة غير محددة من الارض ٠ وعلى العموم فقد كانت الملكية الخاصة محترمة ، كذلك كانت حقوق المرعى والمياه ٠ وكان التصرف بالملكية الخاصة عرضة لتقيدات في صالح العائلة [١٠] ٠

وفي اوائل العصر الاسلامي كانت الارض تقسم الى ثلاثة أصناف :

١ ـ ارض خراجية : وتعود ملكية هذه الاراضى الى الملاكين غير المسلمين الذين خضعوا للحكم الاسلامي بلا مقاومة ٠ وكانت هذه الارض خاضعة لضريبة تدفع لبيت المال تسمى الجزية او الخراج التى تصل الى نصف الحاصل ٠ وقد تعود ملكية هذه الاراضى الى ملاكين مسلمين حلوا محل مالكيها الاصليين غير المسلمين الذين انتزعت منهم الارض بسبب مقاومتهم

---

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٠١ ٠

= ٨ ـ (٥٠) خمسين دونما فى الاراضى التى تسقى بالواسطة وتزرع فى المحافظات الشمالية ٠

٩ ـ (٤٠) اربعين دونما فى الاراضى التى تسقى سيحا وتزرع تبغا فى المحافظات الشمالية ٠

١٠ـ (١٠٠) مائة دونم فى الاراضى التى تسقى سيحا وتزرع شلبا فى غير المحافظات الشمالية ٠

المصدر : قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ ، مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام ـ مديرية الاعلام العامة ، ص ٥ـ٧ ٠

للحكم الاسلامي .

٢ ـ ارض عشيرية : يمثل هذا النوع الاراضي التي وزعت على المحاربين المسلمين في الاقطار التي فتحت عنوة ، او تلك الاراضي التي تركت بأيدي مالكيها الاصليين نتيجة لدخولهم في الدين الاسلامي . وتبلغ الضريبة على هذه الارض عشر المحصول الذي يروى سيحا او بواسطة المطـــر ، و ١/٢٠ من المحصول اذا روى باحدى وسائل الري الصناعية . وكان يطلق على كل من هذين الصنفين اسم (اراضي مملوكه) وهي متشابهة في حقـوق ايجـــارها .

٣ ـ اراضي اميرية : تعود ملكية هذه الاراضي الى بيت المال ، وتشتمل على اراضي لم تكن قد قسمت بين الفاتحين او اراضي كانت في الاصل خراجية او عشيرية ، ولكنها تركت لبيت المال اما لان مالكيها قد ماتوا دون ان يتركوا ورثة او لاسباب اخرى ناجمة عن اجراءات ادارية معينة [١١] .

وبما ان الخليفة كان رأس الدولة المطلق فقد كان له ولمعاونيه الحرية المطلقة في اراضي الدولة . وفي اواخر العصر العباسي كان هناك خمســة أصناف من الاراضي هي :

١ ـ اقطاعيات الخليفـة .

٢ ـ ملكيات خاصة .

٣ ـ اراضي الدولة الممنوحة لاشخاص مقربين او لموظفين مدنيين او عســـكريين .

٤ ـ اراضي الوقف ، التي كانت قد اوقفت من قبل مالكيها لمنافع خيرية او شـــخصية .

---

11. Fahmi, Ahmed. "Report on Iraq", Baghdad 1926, PP. 28-29.

٥ – اراضى مشاع ، وهي اراضى تابعة للدولة مخصصة للمنافع العامة كأراضى الطرق والمراعي (١٢) .

ولقد وقعت العراق في قبضة المغول لفترة تقرب من اربعة قرون ، منذ عام ١٠٧٢م . وقد عمد المغول الى توزيع الاراضى على ضباطهم وجنودهم وفرضوا على البلاد النظام الاقطاعي بالتزاماته العسكرية . وانتهت الفترة المغولية بالاحتلال الايراني عام ١٥٠٨ ، الا ان الحكومة الايرانية المركزية كانت من الضعف بحيث كونت بعض القبائل القوية امارات مستقلة عمليا .

وفي عام ١٥٣٤ سيطرت الامبراطورية العثمانية على العراق ، وبسبب سياستها غير المستقرة تجاه الارض فقد اصبحت حقوق الملكية مرتبكة الى اقصى حد . وفي البدء اعتبرت الحكومة العثمانية جميع اراضى البلاد تقريبا تحت سيطرة الحكومة ، عدا بعض الاراضى الواقعة بجوار المدن . وقد منحت الحكومة اقطاعيات واسعة الى الضباط الكبار وفرضت عليهم الالتزامات الاقطاعية ، حيث وجب على كل مالك ان يقدم للجيش عددا من الجنود . وبما ان المناطق القبلية كانت عصية على السيطرة الحكومية بسبب انعدام المواصلات ووجود تنظيمات قبلية متماسكة ، فقد عينت الحكومة رؤساء العشائر كملاك اقطاعيين لمناطقهم مسؤولين عن جمع الضرائب الاسمية من عشائرهم وعن تقديم عدد من الجند الى الجيش . وبما ان القبيلة كانت عبارة عن وحدة اجتماعية وسياسية تربط اعضاءها روابط الدم والمصالح المشتركة ، فان الاراضى القبلية كانت تزرع جماعيا ، ولم يكن أي فرد يطالب بملكية خاصة لقطعة من الارض . والواقع ان مزاولة الزراعة شبه المتنقلة قد جعلت مثل هذا الادعاء مستحيلا تقريبا . وكان كل عشائري على اية حال مسؤولا عن دفع

---

12. Ali. H.M., "Land reclamation and settlement in Iraq". Baghdad 1955, P.54-55.

ضرائب معينة الى رئيس العشيرة ، حيث ان الرئيس مسؤول بدوره عن رعاية مصالح العشيرة ودفع ضرائبها الى الحكومة . وهكذا فان رجال العشائر تحت هذا النظام (لم يكونوا ملاكا فرديين ولا عمالا زراعيين ، بل كانوا زراعا لارض تمتلك جماعيا) (١٣) .

وفي نهاية القرن الثامن عشر قررت الحكومة العثمانية ان تقوم ببرامج اصلاحية واسعة . فاصدر السلطان سليم الاول سلسلة من الفرمانات اطلق عليها اسم (التنظيمات) ، كان من بينها الغاء النظام الاقطاعي . وقد صدر قانون خاص لملكية الارض عام **١٨٥٨**م اعتبر جميع الاراضى ، عدا استثناءات قليلة ، ملكيات حكومية ، كما نص القانون على ضرورة حصول الزراع على حقوق الايجار من الحكومة لقاء دفع ضريبة العشر . ونص القانون ايضا بان على كل مستثمر لارض معينة ان يسجلها في دوائر التسجيل (الطابو) . وبما ان القانون كان يهدف بالدرجة الاولى الى تفتيت النظام العشائري ، حيث منع تسجيل المنطقة العشائرية بأجمعها او القرية بكليتها باسم شخص واحد (وهو الرئيس) او باسم المجموعة (وهي العشيرة) ، فقد قاطعته العشائر ولم تأبه له . ولقد أدى رفض العشائر الالتزام بذلك القانون الى صدام دائم بينها وبين الجيش العثماني . وقد اجتذب بعض الشيوخ والاغوات الى جانب الحكومة وسجلت الارض العشائرية باسمائهم وادى عملهم ذلك الى تحطيم وحدة عشائرهم . (وبهذه الطريقة استطاعت الدولة ان تقيم اتصالات مع الوحدات العشائرية الصغيرة التى يمكن التفاهم معها . غير ان الزراع من

---

13. Warrinor, Doreen, "Land reform and development in the Middle East", Royal Institute of International Affairs, London 1957. P.163.

افراد العشائر ظلوا بمنأى عن الدولة وكان يقوم بمهمة الارتباط بينهم وبين الحكومة الشيوخ والرؤساء والاغوات) (١٤) •

ولم تطبق مبادىء قانون الارض في العراق الا حينما عين مدحت باشا واليا لبغداد عام ١٨٦٩م • وبالرغم من ان مدحت باشا كان حاكما متنورا وناجحا ، الا ان سياسته تجاه الملكية الارضية كان محكوما عليها بالفشل نظرا لعيوبها الكثيرة • فقد تجاهلت تلك السياسة ريبة العشائر تجاه الحكومة وبالتالي عدم تعاونها معها ، كما تغاضت عن جهل الفلاحين بحقيقة قانون الارض ، هذا فضلا عن عدم وجود مسح مضبوط للارض ، كل ذلك جعل وجود هيئة حكومية تتولى مهمة تسجيل الارض تسجيلا دقيقا امرا في عداد المستحيل • وكانت سياسة مدحت باشا تقوم على تسجيل الارض باسماء الزراع الذين يستطيعون ان يبرهنوا بانهم استثمروا الارض لعشر سنين متوالية ، وكذلك بيع اراضى الدولة باقساط سهلة وبسيطة الشروط وضمان ملكيتها للافراد (وان لم تكن ملكية صرفة) • وبما ان الزراع العشائريين والفلاحين العاديين لم يستفيدوا من تلك الفرصة بسبب ريبتهم وجهلهم ، فقد بيعت الارض الى تجار المدن الاغنياء لقاء مبالغ زهيدة بدون تعيين لحدودها وبدون اعتبار لمن يشغلها من العشائر (١٥) •

وفي المناطق الكردية واجه الفلاحون مآسي اعظم ، فمع انهم كانوا قادرين على الاثبات بانهم قد شغلوا ارضهم لمدة عشر سنين مما يمنحهم حق ملكيتها ، الا ان الرؤساء المحليين والاغوات ورجال الدين المتنفذين والزعماء

---

14. Haider, Saleh. "The land and the tribe in Iraq", F.A.O. conference in Salahuddin 1955. P.8.

15. Platt, A., "Land administration in Iraq" A thesis of Ph.D. submitted to the University of London in 1927, P. 108.

البارزين نجحوا عن طريق تأثيرهم على الفلاحين او على المسؤولين الحكوميين في تسجيل الاراضي باسمائهم • وهكذا تحول الفلاح الكردي الذى كان لغاية ذلك الحين شريكا في ارض القرية او العشيرة المشاعة الى عامل زراعـي او مزارع بالاجرة يتمتع بحق موروث في زراعة الارض فحسب (١٦) •

وهكذا أدى تطبيق قانون الارض العثماني الى حالة من الارتبـاك والفوضى في الملكية الارضية • وقد اصبح بعض رؤساء العشائر المالكـين الشرعيين لاراضي عشائرهم ، بينما تحول افراد عشائرهم الى مجرد عمال زراعين • كذلك خلقت طبقة من الملاكين التجار الذين يمتلكون وثائـق شرعية تثبت امتلاكهم لاراضي معينة الا انهم كانوا عاجزين عن اسـتثمار تلك الاراضي بسبب مقاومة زراعها من العشائريين الذين كانوا في الواقـع مالكيها الحقيقيين •

وانتقل العراق في نهاية الحرب الكبرى الاولى من السيطرة العثمانيـة الى السيطرة البريطانية • وقد ورثت السلطة الجديدة ذلك النظام من الملكية الارضية الذى تسوده الفوضى والارتباك بمميزاته شبه الاقطاعية وبمشاكله وصراعاته العظيمة • وقد ضاعف من صعوبات هذه التركة النظرة الجديدة التى نمت تجاه الارض والتى ادت الى وقوف الفرد العشائري وجها لوجـه امام رئيس العشيرة • فقد اتسعت الاسواق العالمية عقب الحرب الكبـرى الاولى ولم تعد سياسة الاكتفاء الذاتي هي السياسة السائدة في المجتمعـات الزراعية • كذلك اخذت قيمة الارض بالارتفاع كلما ازدادت أهميـة المحاصيل الزراعية وتنامت ارباحها • وفوق ذلك كله فقد كان النظـام العشائري يمر بانحلال سريع نتيجة لاتساع المواصلات وتوطيد الامن •

---

16. Haider, Saleh, "Land problems of Iraq". a thesis of Ph.D., submitted to the University of London in 1942. P. 290.

وكانت الروح الفردية قد بدأت بالظهور بشكل سافر ، وكان الاهتمام بملكية الارض بين افراد العشائر يتنامى بسرعة • وفي مثل هذه الظروف لجأت السلطة البريطانية الى تبني مبادىء قانون الارض العثماني • وكان هناك ،على اية حال ، فرصة عظيمة للفلاحين الحقيقيين وهم افراد العشائر ، في امتلاك اراضيهم • غير ان السلطات البريطانية كانت اكثر اهتماما بتوطيد سلطانها السياسي منها بحل مشكلة الملكية الارضية في البلاد حلا صحيحا وعادلا • لذلك تبنت النظام القبلي كجزء من النظام السياسي لتوطد في البلاد حكما اقطاعيا مرتبطا بها ارتباطا وثيقا ،ودعمت مركز الشيوخ العشائريين على حساب افراد عشائرهم وذلك بتسجيل الاراضي العشائرية باسمائهم او بمنحهم حق استئجارها •

وقد اصبح الاهتمام بمشاكل الملكية الارضية وصراعاتها اشد عمقا بحلول الحكم الوطني (فالخلافات حول الحدود ، وحق الشفعة القبلية ، وحقوق استئجار الارض ، كل ذلك سبب القلق والتمزق • وكان الكثير من الرؤساء العشائريين وتجار المدن يتوسعون خارج نطاق حدود الزراعة في اراضيهم ويدعون لانفسهم حقوق الاستثمار مما يصعب انكارها • وفي المنطقة الكردية كان الاغوات الاقوياء وتجار المدن المتنفذين يتوسعون على حساب الاراضي الاميرية ويدعون لانفسهم حق الاستثمار • وقد امدت الوثائق الغامضة والحدود المرتبكة الملاكين الكبار بفرصة لتجريد الملاكين الصغار من بعض او من جميع اراضيهم • واخذ الاغوات العشائريون الذين كانوا يسيطرون على الارض من قبل باسماء عشائرهم ونيابة عن الزراع الصغار يستولون تدريجيا على الارض استيلاءا حقيقيا ويسجلون حقوق تملكها باسمائهم)[١٧] •

---

17. Haider, "The land and the tribe in Iraq". P. 21.

ولكي تتخلص الحكومة من هذا الارتباك دعت السير ارنست دوسـون E. Dowson في عام ١٩٢٩ ليحقق في حالة الملكية الارضية وليقدم مقترحاته بشأنها٠وبعد بحث مستفيض قدم دوسون الى الحكومة تقريره الذي استوفى المشكلة برمتها وعرض لحلها الاقتراحات التالية(١٨) :

١ ـ انشاء دائرة اراضي مركزية صغيرة مرتبطة بوزارة الداخلية ٠وهذه الدائرة تتولى مسؤولية الدراسة المستمرة للملكية الارضية والمشاكل المرتبطة بها ، كما تتولى ايضا الادارة العامة للمنهاج العملي للاصلاحات المقترحة ٠

٢ ـ تطوير منهاج مزدوج لمسح الارض ولتسوية حقوق ملكيتهـــا ولتقدير قيمتها بأبسط خطوط ممكنة لتطبيقه بصورة منهجية منظمة في البلاد٠

٣ ـ ضرورة القيام بدراسة شاملة وادخال اصلاحات تقدمية على قانون الارض والاصلاحات المرتبطة به ، وذلك لجعل شرعية قانون الارض صريحة وواضحة وعملية واكثر استجابة للمتطلبات والاوضاع المحلية ٠

٤ ـ انشاء محاكم تسوية للنظر في طلبات الاستئناف المقدمة بخصوص قرارات موظفي التسوية المتعلقة بحقوق تملك الارض ٠

٥ ـ ينبغي ان تؤكد السياسة العامة تجاه تملك الارض على الاستقرار في الارض واستثمارها استثمارا نافعا حيثما كان هذا الحل ملائما وعـادلا بالنسبة للطرف الثالث (او الاطراف الثلاثة) ٠ اما ملكية اراضي الدولـــة فينبغي ان تمنح على اساس الاستئجار لفترة معقولة تدوم حوالى عشر سنوات٠

وقد تبنت الحكومة اقتراحات دوسون عدا الاقتراح الاخير الذى حدد فترة استئجار اراضى الدولة بعشر سنوات ، واستبدلت هذا الشـــكل من

---

18. Dowson, Sir Ernest, "Inquiry into land tenure and related questions", Cairo 1932, PP. 76-70.

الايجار بشكل اخر اطلقت عليه اسم (اللزمة) • ولقد ادرجت مقترحات دوسون وتعديلاتها في قانون اقر في عام ١٩٣٢ باسم (قانون اللزمة وتسوية الارض) • وقد صنفت الاراضى بموجب هذا القانون الى الاصناف التالية :

١ - الاراضى المملوكة : وهي الاراضى التى تعتبر ملكية خاصة مطلقة •

٢ - الاراضى المتروكة : وهي الاراضى المحجوزة للمنافع العامة كالطرق والمراعي وما شابه •

٣ - الاراضى الموقوفة (الوقف) : وهي الاراضى المكرسة لاغراض دينية او خيرية •

٤ - اراضى اميرية (ميرى) : وهي اراضى تعود ملكيتها للدولة ، وتنقسم الى ثلاثة اصناف ثانوية هي :

أ - اراضى طابو : وهي اراضى يقوم باستثمارها افراد لهم حق استئجارها الدائم من الدولة ، وتخضع لبعض الشروط التى تتعلق بضرورة استثمار زراعتها بشكل دائم •

ب - اراضى اللزمة : وهي اراضى يقوم باستثمارها افراد لهم حق الاستخدام والانتفاع بها بشكل دائم ، وتخضع لبعض الشروط المتعلقة بنقل حقوقها وباستمرار زراعتها •

ج - اراضى ميرى صرف : وهى اراضى تملكها الدولة وتديرها وزارة المالية •

ولقد الف في البداية عدد قليل من لجان التسوية للنظر فى ملكية الاراضى ، الا انها توسعت فيما بعد حتى امتد وجودها الى جميع ألوية البلاد • وقد اتخذت على عاتقها مهمة مسح الارض وتقرير حقوق الملكية الارضية وتوضيح حقوق الرى والمراعى وتعيين حدود الملكيات • وبالرغم

من ان اعمال لجان التسوية قد ساهمت نوعما بتطوير الزراعة فى البلاد وذلك بتثبيت حقوق الملكية الارضية ، لكن هدفها الرئيسى ، وهو ازالة آثار العامل المضر بالزراعة الذى يمثله النظام الاقطاعى ، لم يتحقق • وقد حدث العكس ، اذ ان لجان التسوية عمدت الى تركيز ملكية الارض بأيدى الشيوخ العشائريين وتجار المدن ، اذ ان الارض التى كانت فى السابق تعتبر ملكيـة قبلية مشاعة ، سجلت باسماء شيوخ العشائر وحرم الزراع وشاغلى الارض الحقيقيين من حقوقهم المشروعة بالارض ، عدا حق المزارعة • ويعزى هذا الظلم الخطير والاجحاف بحقوق الفلاحين الذى ارتكبته لجان التسوية الى قوانينها وطريقة تكوينها ، وفوق كل شىء الى طبيعة توجيهها من قبل السلطة المهيمنة على شؤون البلاد • فقد اهتمت تلك اللجان اهتماما باطلا بادعاءات الرؤساء العشائريين والاغوات والشيوخ الدينيين فى شغلهم واسـتثمارهم للارض ، وتجاهلت حقوق اتباعهم الذين كانوا الشاغلين والمستثمريـن الحقيقيين للارض • ولقد اصابت الدكتورة دورين وارنر D. Warriner كبد الحقيقة حين ذكرت بان لجان التسوية كان يمكن ان تنجز عملا افضل فيما لو خصصت قطعة ارض معينة لكل رجل بالغ من المزارعين له حـق معترف به في المشاركة بزراعة الارض بدلا من تجريدهم من الارض كليـا [19] •

وقد تضاعف جور تلك اللجان نتيجة لاهمال او عدم كفاية بعـض موظفيها الذين وقعوا تحت تأثير الرؤساء العشائريين والموظفين الفاسدين وذوى النفوذ من تجار المدن واعيانهم فأهدروا حقوق الفلاحين [20] • وكانت

---

19. Warriner. D., "Land reform and development in the Middle East", Royal Institute of International Affairs. London 1957. P. 146.

20. Warriner, D., "Land and poverty in the Middle East", Royal Institute of International Affairs, London 1948, P. 112.

حصيلة اعمال وقرارات لجان التسوية تنامى عدم التوازن فى توزيع الدخل، وتزايد عدد الملاكين الغائبين ، وتفاقم مشكلة عدم الضمان بالنسبة للفلاحين، وبالتالى ضياع كل من المجهود البشرى وموارد الارض [٢١] (×) .

الملكية الارضية فى لواء السليمانيـة

لابد لنا قبل كل شيء ان نوضح بان التوزيع الجغرافى لانواع الملكيات فى اللواء يتأثر بعوامل متعددة ، الا ان اشدها تأثيرا هو العامل البشرى . وتأتى الحالة الطبيعية للمنطقة ، اي ما يتعلق بتوفر المياه والارض الصالحة للزراعة، بالدرجة الثانية فى تأثيرها ، بالرغم من افضليتها على العامل البشرى فى بعض المناطـــق .

وتوجد أعلى نسبة من الملكية الكبيرة (حوالى ٥٠٠٠ دونم) فى ناحيـة تانجرو (٨٤ ملكية) وناحية سرجنار (٣٢ ملكية) . وفى كلتا هاتين الناحيتين يلعب العامل التأريخى الدور المباشر حيث خلق الحكم البابانى المركزى فى المنطقة نظاما اقطاعيا . كذلك ادى اتصال الناحيتين بالعالم الخارجـــى اتصالا وثيقا (من خلال طريق السليمانية ـ كركوك ـ بغداد) الى تيسـير المتاجرة بالمحاصيل الزراعية مما رفع من قيمة الارض .

---

21. Alwan,. P. 331.

(×) لقد بلغت مساحة الاراضى التي اجريت تسويتها حتى نهاية عام ١٩٦٩ (بالدونم) كما يلي :

المملوكـــة	المتروكـــة	الموقوفـــة	اميرية مفوضة بالطـــابو	اميرية ممنوحة باللزمـــة	اميرية صرفة
١٦٦٣٠١٩	٧٣٥٦٤٦٩	٨٨٨٥١٧	١٣٣٦٠٠٨٤	١٢١٦٦٩٣٧	٦٢٠٤٩٤٤٣

المجمـــوع ٩٧٤٨٤٤٦٩

المصدر : (المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩) ، الجهاز المركزي للاحصاء ، ص ٧٦ .

وتلى ارقام تانجرو وسرجنار العالية الارقام المعتدلة لناحية شهرزور (٢٣ ملكية) وناحية قلعة دزة (٢٠ ملكية) • وتعزى هذه الارقام الى عامل بشرى ايضا • فناحية شهرزور هى موطن عشيرة الجاف ، وناحية قلعة دزة هي موطن عشيرة بشدر ، وكلا هاتين الناحيتين تتمتعان بتنظيمات عشائرية قوية • وقد نجح زعماء العشيرتين فى تسجيل اراضى عشائرهم باسمائهم الشخصية •

اما اشد الارقام انخفاضا بالنسبة للملكيات الكبيرة فنجدها في ناحية ماوت (٣ ملكيات) وناحية وارماوة (٤ ملكيات) وناحيتى سروجك وجوارته (٦ ملكيات لكل منهما) • وتعزى هذه الارقام المنخفضة الى العامل الطبيعى ، اذ حدت ندرة الارض في تلك المناطق من عدد الملكيات الكبيرة •

اما بقية نواحى اللواء فان توزيع الملكيات الكبيرة فيها يتأثر بشكل متفاوت بكل من العاملين الطبيعى والبشرى • ويوجد فى ناحية قره داغ ١٦ ملكية كبيرة ، وفى ناحية مركة ١٤ ملكية وفى خورمال ١٣ ملكية ، وفى ناحيتى بازيان وبنجوين ١٠ ملكيات لكل منهما ، وفى ناحية سورداش ٨ ملكيات •

ولقد اورد تقرير الاحصاء الزراعى والحيوانى لعام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ الجدول التالى لانواع الملكيات فى لواء السليمانية حسب مساحاتها •

الجدول رقم ٣٢(٢٢)

توزيع الملكيات في لواء السليمانية حسب احجامها

الملكية (×)	العدد
اقل من ٤ مشارة	٢٥٦٧
بين ٤ الى اقل من ٢٠	٣٨٩٦

22. Agricultural and livestock census of 1952-53. PP. 70-1.

(×) يعرف الاحصاء الزراعي والحيواني الملكية كما يلي : =

« تابع »

الملكيـــة	العـــدد
بين ٢٠ الى اقل من ٤٠	٣٠٩٨
بين ٤٠ الى ٦٠	٢٣١٣
بين ٦٠ الى ٨٠	١٠٥١
بين ١٠٠ الى ٢٠٠	١٠٤٤
بين ٢٠٠ الى ٤٠٠	٢٣٥٠
بين ٤٠٠ الى ٦٠٠	٦٢٤
بين ٨٠٠ الى ١٠٠٠	٢٢
بين ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠	٦
بين ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠	١٥
بين ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠	٨
بين ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠	صفر
بين ٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠	٦
بين ١٠٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠	صفر
بين ٢٠٠٠٠ واكثر	١
المجموع	١٧٦٢٨

ولا يوضح لنا هذا الجدول على اية حال احوال الملكية الارضية فـى اللواء بصورة مضبوطة ، وذلك لان عدد الملكيات حسب الاحجام لا يتناسب مع عدد الملاكين . والواقع ان كثيرا من الملاكين يمتلكون ملكيات ذات احجام

= (الملكية الزراعية لغرض هذا الاحصاء هي عبارة عن حقل في مقاطعـة زراعية يتم فيه العمل كوحدة واحدة لذلك فانها قد تكون واسعة جدا تمتـد لعدة مئات الالوف من المشارات او صغيرة جدا لا تتجاوز مساحتها ٢٠٠م٢)

مختلفة في جهات متعددة في اللواء . كذلك فان كثيرا من الملكيات الصغيرة يشترك في امتلاكها مجموعة من الاخوة او مجموعة من الاقارب الاقربين . ولاعطاء صورة صادقة لحالة الملكية الارضية في اللواء فلابد من ذكر عدد ملاكي الارض ومساحة ممتلكاتهم . وعلى اية حال فان الجدول المذكور يوضح حقيقتين بارزتين فى اللواء هما : تفتت الملكية الارضية ، وعدم التوازن فى الملكية الارضية .

تفتت الملكية الارضية :

يوضح الجدول السابق ان عددا كبيرا من الزراع في اللواء يقاسون من تفتيت الارض . وقد اتفق خبراء الارض عموما بان الحد الادنى للوحدة الحقلية فى الاراضى الجبلية ينبغي ان تكون (٦٠) دونما (×) للاراضى المروية و (١٠٠) دونما للاراضى الجافة [٢٣] . فاذا ما طبقنا هذه القاعدة على الملكيات فى اللواء وجدنا ان حوالى ١١٨٤٤ ملكية منها (من مجموع ١٧٦٢٨ ملكية) تعانى من تفتيت الارض ، حتى لو افترضنا بان حجم الملكية ينبغى الا يقل عن ٦٠ دونما للاراضى المروية وغير المروية . واذا ما تذكرنا الطريقة المتبعة فى زراعة البور ، وكذلك الاساليب غير العلمية فى معالجة الارض ، تبين لنا ان غالبية هذه الملكيات تمثل بلا شك وحدات غير اقتصادية . فهى من الصغر بحيث لا يمكن ان تقدم الحد الادنى من الكفاية للفلاح واسرته او ان توفر له عملا كاملا ، كما انها من الصغر بحيث لا تسمح باية تحسينات فى اساليب الزراعة [٢٤] . ان النسب المرتفعة لمثل هذا النوع من الملكيات التى تقل مساحتها عن الحد الادنى تعنى بان جزءا كبيرا من الاراضى الزراعية فى اللواء (حوالى ٢٤٫٧٪) تعانى من الزراعة غير الاقتصادية .

---

23. Alwan, P. 332.

24. United Nations, "Land reform" New York 1953, P.6.

(×) الدونم او المشارة = ٢٥٠٠م٢ = ٠٫٦١٨ أكر = ١/٤٠٠كم٢ = ١/٤ هكتار .

وتعزى ظاهرة تفتيت الارض الى احكام الوراثة في الشريعة الاسلامية التى تنص على المساواة بين الابناء فى تقسيم الارث • ولا ريب ان هناك حاجة ملحة الى ايقاف ظاهرة تفتيت الارض ، ولابد من سن قانون لضمان حد ادنى لتقسيم الارض بين الورثة • وفى اثناء ذلك ينبغى حل مشكلة الحقول المفتتة• وهناك وسائل متعددة يمكن تطبيقها لزيادة انتاج امثال هذه الحقول ، واهمها تطبيق الزراعة العلمية • ويمكن بتكثيف استخدام الارض واستثمار رؤوس الاموال فيها ان تؤدي الملكيات الصغيرة الحجم ثمارا افضل بالنسبة لمساحاتها ولما يبذل فيها من عمل • فتحسين وتوسيع نظم الرى ـ مع توفير امكانيات الصرف ـ يمكن الفلاح من زراعة اكثر من محصول واحد فى العام • وتتبع هذه الطريقة على نطاق واسع فى مصر • فبالرغم من ان معظم الملكيات صغيرة جدا ، (بين ٢ ـ ٣ فدان) ، الا ان انتاج الفدان فيها اعلى بكثير من انتاج الفدان العراقى مما يوفر للفلاح المصرى دخلا اعلى [٢٥] • كذلك ينمى تنويع المحاصيل الزراعية المقدرة الانتاجية للملكيات المفتتة ويقلل من خطورة الاعتماد على محصول واحد •

ومن الحلول الاخرى التى يمكن تقديمها لهذه المشكلة اعادة تجميع الملكيات المفتتة • ويتم ذلك بفرض احكام قسرية لبيع الملكيات المفتتة الى مالك واحد لكى تصبح وحدة اقتصادية • غير ان مثل هذه الحلول قد تواجه صعوبات كبيرة فى الظروف الراهنة (×) •

---

25. F.A.O., "Problems of size holding for land settlement programme", report-workshop No. 1, Salahuddin conference 1955.

(×) لقد اصدرت الحكومة في اواخر عام ١٩٦٣ قانونا برقم ١٣٦ يمنع تفتيت القطع الموزعة بموجب قانون الاصلاح الزراعي وذلك على الوجه التالي :

المادة الاولى : آ ـ يحق لاى من ورثة الشخص الذى وزعت عليه قطعة =

عدم توازن الملكية الارضية :

يكشف الجدول المذكور اعلاه ايضا عن عدم توازن واضح في الملكية الارضية . فالغالبية العظمى من الزراع يمتلكون ملكيات صغيرة جدا وهي تبلغ حوالي ربع الاراضي المستثمرة في الزراعة (٢٤ر٧٪) ، بينما تمتلك اقلية صغيرة من الملاكين اكثر من نصف الاراضي الزراعية . فقد ورد في الجدول المذكور بان عدد الملكيات التي تتراوح مساحتها بين ١٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ دونما هي ٣٥ ملكية (وتمثل ٤٨ر٣٪ من الاراضي الزراعية) ، كما ورد فيه بان هناك ملكية واحدة فقط تتراوح مساحتها بين ١٠٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ دونم (وتمثل ٥ر٩٪ من الاراضي الزراعية في اللواء) . وهكذا نرى بان ٥٤ر٢٪ من الاراضي الزراعية يمتلكها ٣٦ ملاكا . وبناء على هذا التوزيع في الملكية الزراعية فقد تمثل في اللواء ثلاثة انواع من الملاكين هم الملاكون الصغار ، والملاكون الاقطاعيون ، والملاكون الغائبون .

الملاكون الصغار :

تشمل هذه الفئة اصحاب الملكيات المفتتة في الغالب . وهؤلاء الملاكون هم احفاد اولئك الزراع الذين حافظوا على ملكية اراضيهم اثناء صدور قانون الارض العثماني ، الا ان اراضيهم تفتتت على مر الزمن بسبب قانون الوراثة . وتلاقي هذه الفئة صعوبات جمة ، اذ يشل عوزهم الاقتصادي محاولاتهم

=

ارض بموجب قانون الاصلاح الزراعي اقامة الدعوى في محكمة البداءة التي تقع داخل صلاحيتها يطلب تمليك محترف الزراعة من الورثة حصة كل وارث غير محترف للزراعة ولا تخضع الدعوى للرسم .

ب ـ اذا تعدد محترفو الزراعة من الورثة تملك حصص الورثة الى احدهم ممن تتوفر فيه الافضلية بالنسبة لشروط التوزيع المنصوص عليها في المادة الثانية عشرة من قانون الاصلاح الزراعي .

(الوقائع العراقية ، العدد ٨٧٧ بتاريخ ٢ـ١١ـ١٩٦٣) .

لتحسين آلاتهم الزراعية او تطبيق الزراعة العلمية • كما تمنعهم الحاجة الى رأس المال من توسيع حقولهم • ومع ان ملكياتهم صغيرة على العموم ، الا انهم عاجزون فى الغالب عن استثمارها كليا بسبب عوزهم للبذور والحيوانات الحقلية • وفى كثير من الحالات لا يزرعون اراضيهم الا بمحاصيل شتوية فقط لانهم عاجزون عن الانفاق على مشاريع الرى وحفر الكهاريز • ولهذا تتصف ملكياتهم عموما بانخفاض الغلة •

الملاكون الاقطاعيون :

يمثل افراد هذه الفئة الاغوات والرؤساء الذين ينحدرون من اسر ذات زعامة عشائرية او دينية • وتلحق هذه الفئة من الملاكين ضررا كبيرا بزراعة اللواء يتمثل بطبيعة وسمات الزراعة الاقطاعية التى تمارس فى ملكياتهم • وبالرغم من انهم يؤجرون اراضيهم الى المزارعين بالمحاصة ويتخلون عن كافة المسؤوليات الزراعية ، الا انهم مع ذلك يتحكمون تحكما كاملا فى السياسة الزراعية • فهم يحددون لمزارعيهم فى كل فصل الرقعة الزراعية الواجب زراعتها وانواع المحاصيل التى ينبغى انتاجها ، وفى الوقت نفسه يتدخلون للحد من تصرفاتهم فيما لو حاولوا كسر السياسة الزراعية القديمة وانتاج محاصيل جديدة او ادخال اساليب حديثة على الزراعة • وهكذا يعجز مزارعوهم عن رفع مستوى الانتاج الزراعى او توسيع الرقعة الزراعية •

الملاكون الغائبون :

يمثل افراد هذه الفئة التجار واعيان المدن الذين حصلوا على الارض عن طريق الشراء او الاستيلاء على اراضى صغار المزارعين الذين تورطوا في الديون • ويلحق هؤلاء الملاكون بزراعة اللواء ضررا شبيها بذلك الذى يلحقه الملاكون الاقطاعيون ، فهم يؤجرون اراضيهم الى المزارعين بطريقة المحاصة دون ان يكترثوا بالعمليات الزراعية وما تتطلبه من نفقات • وهم

يقيمون بصورة دائمة فى المدن ولا يزورون اراضيهم الا وقت الحصاد او عند جنى المحاصيل • غير ان عددا ضئيلا منهم يساهم فى ادارة املاكه ويستثمر امواله فيها فيرفع من مستوى الانتاج الزراعى • وهناك فئة منهم تمثل اسوأ انواع الملاكين الغائبين ، وهم اولئك الذين لا يزورون اراضيهم طيلة حياتهم• ويستخدم غالبية الملاكين الغائبين وكيلا يطلق عليه اسم (سركار) × ، ويقوم بدور ضابط الارتباط بينهم وبين الفلاحين • ويتولى السركار الاشراف على الاعمال الزراعية ، كما يراقب حصة المالك من الناتج الزراعى وقت الجنى والحصاد • ولا يثق بعض الملاكين الغائبين بالسراكيل فيقيمون وقت الحصاد فى القرى ليراقبوا الفلاحين ويضمنوا حصتهم الكاملة فى المحاصيل • اما الملاكون الذين يستثمرون اموالهم فى الزراعة بشراء الآلات والمخصبات والحبوب فيفرضون على المزارعين حصة اكبر من المحصول •

نظام المحاصة

تبين لنا بان ملكية معظم الاراضى الزراعية فى اللواء تعود للملاكين الاقطاعيين والغائبين • ولقد أدى ذلك الى قيام نظام المحاصة فى اللواء على نطاق واسع • والواقع ان الغالبية الساحقة من الفلاحين فى لواء السليمانية يتبعون نظام المحاصة • ففيما عدا ١١٨٤٤ مزارعا الذين قد يمتلكون حقولهم، فان بقية الفلاحين لا يمتلكون شبرا من الارض • وينبغى ان نلاحظ بان الفلاح المرتبط بنظام المحاصة هو ليس مستأجرا للارض بمعنى هذه الكلمة كما هو معروف فى اقطار اخرى ، فهو لا يمتلك حرية التصرف فى استثمار الارض ، كما انه لا يرتبط بقطعة محددة من الارض لفترة معينة من الزمن• غير ان هناك بعض الاستثناءات في جهات معينة من اللواء ، حيث يستأجر الفلاح المحاصص الارض بشكل دائم طيلة حياته •

(×) وقد يطلق عليه ايضا اسم (الشحنة) •

ويختلف نظام المحاصة المطبق فى اللواء حسب نوع الاستيطان ووسائل الرى ومدى توفر الاراضى الزراعية • ومن اكثر انواع هذا النظام شيوعا فى اللواء ما يسمى بـ (الاستئجار الدائم) • وفى هذا النمط يمتلك الفلاح المحاصص حقا تقليديا موروثا فى الارض • ومع ان المالك يحق له قانونا ان يحرم الزارع من الارض متى شاء ، الا انه من النادر ان يستخدم هذا الحق الذى يتعارض مع التقاليد الموروثة • وحينما يتوفى الفلاح المحاصص فان حق المزارعة ينتقل الى ورثته الشرعيين • وقد يحدث ان يستعمل المالك حقه الشرعى ويؤجر الارض الى فلاحين جدد • غير ان مثل هذا العمل يعكر فى العادة صفو الامن فى القرية ويؤدى الى قيام عداوات عنيفة بين ورثة المزارع المتوفى وبين اسرة المزارع الجديد • لهذا فان المالك حسب هذا النمط لا يتمتع الا بحق (المالكانة) ، وهو تعبير يقصد به نصيب المالك من المحصول ، وعليه الا يتدخل او يتحكم فى مسألة ايجار الارض • وينبغى على المزارع المحاصص بدوره الا يقوم بايجار قطعة ارضه الى مزارع من خارج القرية دون الحصول على موافقة المالك ، غير ان مثل هذه الحوادث تحدث بين الحين والحين ، ولا سيما فى القرى العشائرية ، فلا يتدخل المالك فى الامر • ومما لا ريب فيه ان هذا النمط من نظام المحاصة يوفر للمزارع الكردى الضمان الذى يفتقده المزارع المحاصص فى وسط وجنوب البلاد • ويسود هذا النمط فى قرى اللواء القديمة التى استقرت فيها عوائل معينة من زمن طويل • والواقع ان اولئك المزارعون المحاصصون هم الملاك الحقيقيون للارض فيما لو طبق قانون الارض العثمانى بنصه وروحه ، وقد فقدوا ارضهم بناء على الملابسات التى سبق شرحها • كذلك يسود هذا النمط ايضا فى القرى التى تعتمد فى ريها على الامطار او الينابيع الطبيعية ، وفى القرى العشائرية التى يسكنها ابناء العشائر انفسهم •

ان توزيع حقوق المزارعة فى هذا النمط ليس من اختصاص المالك ، بل يتولى ذلك مجلس القرية الذى يتألف من الشيوخ واعيان القريـــة • فهذا المجلس يتولى اعادة توزيع الارض بين الفلاحين كل فترة من الزمـن حسب مقدرتهم وما لديهم من آلات وبذور وحيوانات حقلية ، وحســب حقوقهم الموروثة •

اما النمط الاخر من نظام المحاصة فهو شبيه بالنمط المطبق فى بقيــة انحاء البلاد • وهذا النمط يمنح المالك سلطة مطلقة على الارض • ومع ان هذا النمط يعترف ايضا الى حد ما بحق المزارعة ، لكن المزارع فى حقيقـة الامر محروم من الضمان الذى يتمتع به مزارع النمط السابق ، ومن حق المالك ان يمنح الاراضى الخصبة الى مزارعيه المفضلين • كما ان من حقــه ايضا ان يتدخل فى السياسة الزراعية وان يشارك مجلس القرية فى عمليـة اعادة توزيع الارض بين الفلاحين • ويسود هذا النمط فى القرى الجديدة والاراضى التى تروى بواسطة الكهاريز التى يتولى المالك الانفاق على حفرها• والحقيقة ان اراضى هذا النوع هى فى الاصل ارض كانت تعود للدولة وقد حصل عليها الاغوات واعيان المدن او الساسة اثناء عهد الانتداب او فى بداية عهد الحكم الوطنى • ومن الجدير بالذكر ان مركز المالك في هذا النوع من نظام المحاصة يقوى حسب مدى استثماره لرؤوس الاموال فى ارضـــــه (عن طريق توفير مياه الرى فى الغالب) وحسب الفترة التى يشغل فيهـــا المزارع بالمحاصة الارض (وهى لا تمتد الى زمن بعيد فى العادة) •

تقسيم الحاصل (×) :

يختلف نصيب المزارع المحاصص من المحصول اختلافا كبيرا حسب

(×) لقد حدد قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ تقسيم الحاصل ، ثم عدل بتاريخ ١٠-٦-٥٩ على الوجه التالى : =

وسائل الرى ومدى خصوبة التربة ومقدار ما يستثمره المالك من رأس المال فى الارض ، وحسب نوع الاستقرار ان كان حديثا ام قديما • ولعل اكثر الانواع شيوعا هو النوع الذى يمنح المزارع ١٠/٩ المحصول الشتوى و ٣/٢ المحصول الصيفي (×) • وتهبط حصة المزارع في كثير من المناطق التى يتولى فيها المالك حفر الكهاريز الى ٢/١ المحصول الصيفى • كما تهبط حصته من الحاصل الشتوى الى ٥/٤ اذا روى بوسائل صناعية • وفى المناطق التى يرتفع فيها ضغط السكان نسبيا وتشح الارض الزراعية المروية تنخفض حصة المزارع الى ٢/١ المحصول الصيفى و ٧/٦ المحصول الشتوى بالرغم من ان المالك لا يستثمر اى رأسمال فى الارض • واذا ما تكفل المالك بتزويد المزارع بالحبوب والآلات هبطت حصة المزارع الى ٥/٢ المحصول الشتوى و ٢/١ المحصول الصيفى • اما فى المناطق التى تتصف بخصوبة تربتها وقلة مياهها فترتفع حصة المزارع الى ٤/٣ المحصول الصيفى و ١٥/١٤ من المحصول الشتوى •

=

	الري بالسيح	الري بالواسطة	الديم
الارض	١٠٪	١٠٪	١٠٪
الماء (السقي)	١٠٪	٢٠٪	—
عمل الفلاح والبذور	٥٠٪	٤٠٪	٥٠٪
الحراثة	٥٪	٥٪	١٠٪
الحصاد او الجني	١٠٪	١٠٪	١٥٪
الادارة	١٥٪	١٥٪	١٥٪

(الوقائع العراقية عدد ١٨٣ بتاريخ ١٠-٦-١٩٥٩) •

(×) يجرى تقسيم الحاصل بوسائل بدائية • وتجمع المحاصيل عادة في اكوام عظيمة • وعندما ينتهى جني الحاصل يتم التقسيم بواسطة طرف ثالث في حضور المزارع او المالك او من ينوب عنه (وكيله) •

وعلى اية حال فان حصة المزارع الكردى فى جميع الأنواع المذكورة من نظام المحاصة هى اعلى من حصة الفلاح العربى فى المناطق المروية فى وسط وجنوب البلاد • وتبلغ حصة الفلاح العربى فى اراضى الرى السيحى ٣/٥ المحصول الشتوى و ٢/٣ المحصول الصيفى اذا تكفل المالك بتزويد المزارع بالحبوب • غير ان هذه الحصة تهبط الى ٢/٧ المحصول الصيفى والشتوى فى الاراضى التى تروى بواسطة المكائن (٢٦) • وتفرض على المزارع بالاضافة الى ذلك ضرائب متنوعة من قبل المالك تخفض من حصته الحقيقية (٢٧) • ويمكن ان تعزى زيادة حصة المزارع الكردى عن حصة المزارع العربى الى العامل الطبيعى • فتوفر الارض التى تروى بمياه الامطار، وما يمكن ان تتعرض له الامطار من ذبذبة قد وضع الفلاح الكردى فى موضع افضل للمساومة •، كذلك قوى مركز الفلاح الكردى صعوبة اعداد الارض الجبلية للزراعة والحاجة النسبية الى الايدى العاملة •

---

26. Warrinor. D., "Land reform and development in the Middle East". P. 137.

(٢٧) لقد اورد البعلي نموذجا لتقسيم الحاصل في الاراضى العربية في جنوب البلاد على النحو التالى :

الشيخ ٤٠٪ ، الفلاح ٤٠٪ ، السركال ٥ر٢٪ ، الوسيط (وهو السركال في العادة) ٥ر٧٪ ، ضريبة الحكومة ١٠٪ •

وقبل ان تجري القسمة يتم عزل الكميات التالية من الحاصل وحفظها في مخزن الغلال لتسليمها الى السركال فيما بعد وهي :

١ ــ من واحد (اى ٢٥ كيلو) من كل طغار (٢٠٠٠ كيلو) من القمح والرز للقهوجى الذى يستخدمه الشيخ او السركال •

٢ ــ من واحد من كل طغار للموظف المسمى (سوباش) والذى يعينه السركال لحل المشاكل المتعلقة بتوزيع المياه واصلاح القنوات •

٣ ــ من واحد من كل طغار كأجر لكاتب السركال (او للملا) •

٤ ــ منان من كل طغار كمصاريف للضيوف (ضيوف الشيخ او السركال) •

وتختلف المساحة التى تخصص للمزارع المحاصص حسب مدى توفر الارض والمياه وخصوبة التربة ، كما تختلف حسب مقدرته الاقتصادية. وتعتبر مقدرة الفلاح الاقتصادية العامل المتحكم الوحيد بالنسبة لتوزيع اراضى الزراعة الشتوية . والشائع ان يخصص للمزارع المحاصص (٣٠) دونما للزراعة الشتوية وما لا يزيد على خمسة دونمات للزراعة الصيفية .

من الواضح اذن ان نظام المحاصة ، وان كان يزاول بشكل معدل فى لواء السليمانية ، ذو آثار خطيرة على الزراعة . ويمكن تلخيص تلك الاثار بما يلى :

١ ـ حرمان المزارع المحاصص من مزايا الزراعة المتنوعة التى تمكنه من توزيع عمله بالتساوى طول العام ورفع دخله وتجنب كوارث فشل المحاصيل . ذلك ان المالك يهتم فى الغالب بالزراعة التقليدية ، اى زراعة القمح والشعير والتبغ او الرز ، سنة بعد اخرى . ومن المعلوم ان تكرار زراعة نوع معين من المحاصيل يحرم التربة من امكانية استعادة خصوبتها .

٢ ـ يسبب نظام المحاصة الحالى البطالة المقنعة ، وذلك باحتكار وقت الفلاح بكليته طول العام فى انتاج مزروعات شتوية او صيفية ، مما يؤدى الى بعثرة القوى البشرية والى الهبوط بمستوى دخل الفلاح .

٣ ـ يبدد نظام المحاصة جزءا كبيرا من الارض الزراعية لعجز المزارع المحاصص عن استثمار ما يخصه من الارض لحاجته الى البذور والآلات والحيوانات الحقلية .

٤ ـ يعانى المزارع المحاصص من انعدام الدوافع الفردية التى تدفعه للعمل على تحسين الانتاج الزراعى ، فما دام لا يملك اى ضمان مؤكد فى الارض ، وما دام يشعر بغبن تجاه مالك الارض ، فانه لن يكون مستعدا نفسيا لخدمة الارض او استثمار بعض دخله لتحسينها . لذلك فان كلا من

المالك والمزارع يهتم فى الحقيقة بما يمكن الحصول عليه من الارض من دون الاهتمام بالنتائج .

٥ ـ واخيرا فان اخطر عيب فى نظام المحاصة هو تأثيره السيء على المركز الاقتصادى للمحاصص . ذلك ان نصيبه من الحاصل بالكاد يكفى لاستهلاكه ولا يبقى له شيئا للاستثمار . وما دام هذا النظام لا يوفر دخلا محترما للمزارع فلا يمكن رفع مستوى الانتاج الزراعى بنجاح .

توضح لنا اذن بان آثار العوامل البشرية على الزراعة فى اللواء ، المتمثلة بدرجة رئيسية في نظام التصرف بالارض ، تلعب الدور الحاسم . واذا اردنا ازالة تلك الاثار السيئة على الانتاج الزراعى وبالتالى على الغالبية الساحقة من سكان الريف فلابد من تطبيق الاصلاح الزراعى . وينبغى ان يهدف الاصلاح الزراعى الى تحقيق الجوانب التالية :

١ ـ توفير الضمان للفلاحين فى الارض التى يزرعونها .

٢ ـ توجيه الانتاج فى خط يتلائم مع التقنية الحديثة ومع امكانات الارض .

٣ ـ تهيئة الفرص للفلاح للحصول على دخل يتناسب ومقدرته الانتاجية لكى يتحقق له بالتالى نصيب عادل من الدخل الوطنى .

٤ ـ تعزيز قوة المساومة التجارية لدى الفلاح .

٥ ـ بعث روح الكرامة والشعور بالمواطنة الحقيقية لدى الفلاح [٢٨] .

ان هذه الاهداف لا يمكن تحقيقها الا بالغاء النظام الاقطاعى وتمليك الارض للفلاحين ، وكذلك بتوفير القروض والآلات والبذور للمزارعين،

---

28. F.A.O. "Should land policy promote private ownership, tenancy or large estates" report No. 1, round table discussion, Salahuddin conference, P.2.

وتهيئة امكانيات الخزن والتسويق وانشاء الجمعيات التعاونية ونشر الارشاد الزراعى ، واخيرا تحقيق الاصلاح الثقافى والاجتماعى الشامل بين سكان الريـف (×) ٠

(×) ان عملية الاصلاح الزراعي قد قطعت اشواطا بعيدة وحصل عدد كبير من الفلاحين على ارض خاصة بهم ويوضح الجدول التالى مجموع مساحة الاراضى المستولى عليها ومجموع مساحة الاراضى الموزعة وعدد الفلاحين المنتفعين لغاية ١٩٦٩ :

المحافظة	عدد الفلاحين	مجموع المساحات الموزعة (دونم)		مجموع المساحة المستولى عليها بضمنها المحلولة (دونم)
		الديمية	المسقاة	
نينوى	١٣٢١٠	٩٩٧٣٣١	–	١٨٤٤٠٧٣
اربيل	٣٢٢١	٢٧٦١٦٥	–	٤٧٩١٥٧
كركوك	٣٣٤١	٢٤٥٤٢٩	٤٦٥٧	٤٦٦٩٧٩
السليمانية	١٥٤٩	١٢٤٢٩	٢١٩١١	٢٣٠٨٩٢
بغداد	٩٧٩٦	٤٦٧٢٦	٢٦١٩٩٤	٥٢٥٦١٨
ديالى	١٩١٩	١٩٣٠٠	٧٥٢٦٢	٧٥١٤٩١
الانبار	٣٧٠	–	١٤٣٥١	٩٠٨٣٠
بابل	٧٩٦٩	–	٢٨٤٤٢٠	٤٥٣٢٩٩
كربلاء	١٦٥١	–	١٨٦٠٤	٨٨٤٦٤
واسط	١٤٢٩٩	–	٥٧٨٢٠٢	١٣٠٩٣٥
القادسية	٢٢٩٢	–	٧٩٤٥٧	٧١٥٣٣٩
ذي قار	٤٤٩	–	١٧٩٥٠	–
ميسان	١٨٣٦	–	٤٤٠١٨	٨٩٨٨٢
البصرة	٧٠٠	–	٣٨٦٦	٩٢٢٢٤
المجموع	٦٠٨٠٢	١٥٩٧٣٨٠	١٤٠٤٧٠٢	٧١٣٧٢٨٣

المصدر : المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ١٦٨ ٠

استثمار الارض

لقد سبق ان اوضحنا بأن مساحة لواء السليمانية تبلغ (٩٥٢٢) كم^2 ، ومع ذلك فان المساحة الصالحة للزراعة تبلغ **٣٥٥١** كم^2 فقط ، اما بقيـة مساحة اللواء فتحتلها التلال والجبال [٢٩] . ولقد قدر دوسون Dowson المساحة التى تشغلها المرتفعات بـ (٦٤٠٠ كم^2) ، أى بحوالى ٢/٣ المسـاحة الكلية للواء (×)[٣٠] .

وعلى اية حال فان المساحة التى تحتلها المرتفعات لا تذهب هدرا . فقد ذكر تقرير الاحصاء الزراعى والحيوانى بان حوالى **٢٨٠٥٨** مشارة منها قد خصصت للمراعى الطبيعية ، وان **١٢٨١٨** كم^2 منها تغطيها الغـابات [٣١] ، وفضلا عن ذلك فان جزءا كبيرا من المساحات التى تزرع باشجار الفواكـه ولا سيما الكروم ، تقع ضمن المساحة التى تشغلها المرتفعات . ولا تسـتثمر الاراضى الصالحة للزراعة بكليتها فى جميع الفصول الزراعية كما ذكرنا . ففى عام **١٩٥٢ ـ ١٩٥٣** مثلا بلغت المساحة المستثمرة فى الزراعة حـوالى **٧٥٠٥١٣** مشارة ، بينما تركت **٤٣٣٣٦٢** مشارة بورا [٣٢] . غير أن هـذه الارقام لا توضح الصورة الحقيقية للاستثمار الزراعى لذلك العام اذ ان تلك المساحة لا تمثل سوى الزراعة الشتوية . اما نصيب المحاصيل الصـيفية من تلك المساحة فلم يتجاوز **٦٤٦٢٨** مشارة [٣٣] .

---

(٢٩) سوسة ، احمد ، «اطلس العراق الادارى» ، ص ٣ .

× (٣٠) ان الرقم الذى اورده دوسون هو ٦٤٠٠كم٢ وهو اعلى قليلا من الرقم الحقيقي . كما ان تقريره لمساحة اللواء البالغ ٩٥٠٠كم٢ كان اقل من المساحة الحقيقية .

(٣١) الاحصاء الزراعي الحيـواني لسـنة ٥٢ـ٥٣ ص ٧١ .

(٣٢) المصدر السابق .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

وتختلف درجة استثمار الارض في لواء السليمانية من موضع الى اخر حسب توفر المياه والسهول اولا ، وحسب نوع النظام الاجتماعي (عشائري او لا عشائري) ومدى توفر القوى البشرية ثانيا • ويوضح الجدول التالى درجة استثمار الارض فى مختلف جهات اللواء :

الجدول رقم ٣٣(٣٤)

استثمار الارض في لواء السليمانية (لعام ٩٥٢-٩٥٣)

الناحية	المساحة الكلية كم٢	المساحة المزروعة (دونم)	النسبة المئوية
مساوت	٥٢٥	٨٠٠٠	٣ر٨
بنجوين	١٠٧٥	١٢٠٠٠	٢ر٣
وارماوه	٤٥٨	١٢٠٠٠	٦ر٦
سروجيك	٤٤٤	١٦٠٠٠	٩ر-
جوارته	١٠٤٧	١٦٠٠٠	٣ر٨
تانجرو	٥٩٣	١٣٢٠٠٠	٥٥ر٧
سرجنار	٦٧٥	٨٠٠٠٠	٢٩ر٦
شهرزور	٩١٠	٦٤٠٠٠	١٧ر٦
قلعة دزة	٥٠٩	٥٢٠٠٠	٢٥ر٦
خورمال	٧٢٨	٤٨٠٠٠	١٦ر٥
سورداش	٧١١	٢٠٠٠٠	٧ر٦
بازيان	٤٥٦	٢٤٠٠٠	١٣ر٢
قره داغ	٧٠٥	٤٠٠٠٠	١٤ر٢
مرگه	٧٠٧	٤٤٠٠٠	١٥ر٦

34. Compiled from the agricultural and livestock Graphics. Baghdad 1954.

ويكشف تقرير الاحصاء الزراعي الحيواني ان اقل المناطق نصيبا في المساحة المزروعة هي ناحية ماوت (٨٠٠٠ دونم) وناحية بنجوين (٢٠٠٠ دونم) وناحية وارماوة (١٢٠٠٠ دونم)، وناحيتي سروجيك وجوارته (لكل منهما ١٦٠٠٠ دونم) • ان هذا الاستثمار الزراعي الشديد الانخفاض في هذه المناطق يعزى بدرجة رئيسية الى انخفاض عدد السكان •

اما أعلى حصة في الارض المزروعة فتوجد في ناحية تانجرو (١٣٢٠٠٠ دونم) بالرغم من ان مساحتها صغيرة وهي بقدر مساحة ماوت • ويعزى هذا الاستثمار المرتفع الى عوامل طبيعية وبشرية • فمن الناحية الطبيعية تغطي هذه الناحية جزءا كبيرا من سهل شهرزور الشديد الخصوبة والغزير المياه• اما من الناحية البشرية فان الاستيطان في هذه الناحية قديم جدا وقد توطدت فيها الملكية الزراعية كما توطد فيها النشاط التجاري الزراعي منذ الحكم البابانى •

ويلي ناحية تانجرو ، ناحية سرجنار في استثمارها الزراعي (٨٠٠٠٠ دونم) • ويمكن تفسير ذلك ايضا بتأثير العامل الطبيعي والبشري ، وان كان العامل البشري قد لعب دورا اكثر فعالية •

ويمكن ان يعزى نصيب ناحية شهرزور من الارض المزروعة (٦٤٠٠٠ دونم) • الى العامل الطبيعي بالدرجة الاولى • فلقد شجعت خصوبة الارض ووفرة مياه نهر تانجرو على التوسع الزراعي بدرجة كبيرة ، غير ان قلة الايدي العاملة لعبت دورا سلبيا •

ويمكن ان نعزو الاستثمار الزراعي المعتدل في ناحيتي قلعة دزة (٥٢٠٠٠ دونم) وناحية خورمال (٤٨٠٠٠ دونم) الى العامل الطبيعي • ومع ان الاستيطان القديم للمنطقتين واستقرار الوضع السياسي فيهما قد شجع الاستثمار الزراعي ، الا ان قلة الاراضي الزراعية كانت عقبة منيعة تجاه التوسع الزراعي •

وتعزى حصة ناحية سورداش الصغيرة (٢٠٠٠٠ دونم) الى العامل الطبيعي كليا • فقد تركت الحاجة الى الارض الزراعية بسبب وجود المرتفعات الوعرة وقلة المياه الناتجة عن ضآلة الامطار ، اثرا معيقا على التوسع الزراعي •

وفي ناحية بازيان كان عامل السكان المسؤول الاول عن انخفاض الاستثمار الزراعي (٢٤٠٠٠ دونم) حيث ادت قلة الايدي العاملة الناتجة عن انتشار وباء الملاريا الى عدم امكان توسع الزراعة •

اما حصة ناحية مركه المعتدلة (٤٤٠٠٠ دونم) فتعزى الى اثر التنظيم الاجتماعي ، فقد كان التنظيم العشائرى الشكل السائد فى المنطقة من امد بعيد ، وقد شجع حرفة الرعي •

اما حصة ناحية قره داغ (٤٠٠٠٠ دونم) فيمكن ان تعتبر مرتفعة اذا ما اخذت بنظر الاعتبار طبيعة ارضها الجبلية ، ولعل من جملة العوامل المساعدة على التوسع الزراعي النسبي فيها استيطان المنطقة من امد بعيد •

وتكشف دراسة اوضاع استثمار الارض في اللواء عن الحقائق التالية:

١ ـ ان النظام الزراعي السائد (الذى يطبق زراعة البور او الزراعة شبه المتنقلة) هو العامل الرئيسى الذى يتحكم في تقليص المساحة المخصصة للزراعة الشتوية •

٢ ـ ان النقص في المياه مسؤول عن تقليص مساحة المحاصيل الصيفية •

٣ ـ لا تعتبر شحة الارض الزراعية مشكلة تعاني منها الزراعة في اللواء •

٤ ـ لا تؤثر الحاجة الى الايدي العاملة على الزراعة في اللواء الا في مواضع محدودة •

ويختلف النظام الزراعي السائد في الزراعة الشتوية عنه في الزراعة الصيفية • ففي الزراعة الشتوية يطبق الزراع زراعة البور او الزراعة

شبه المتنقلة في جميع انحاء اللواء ، عدا الجهات التى تشكو نقصا في الارض كمنطقة هورامان • وهذه السياسة تؤدي الى تخفيض المساحة المستثمرة بالمحاصيل الشتوية تخفيضا كبيرا • وترتبط زراعة البور والزراعة شبه المتنقلة بالزراعة البدائية • ففي الزراعة المتنقلة ينتقل الزارع من موضع الى اخر كلما استنفدت خصوبة التربة ، بينما يترك نصف الحقل في زراعة البور بلا استثمار لكي يستعيد خصوبته•وفي كلا هذين النظامين لابد من توفر مساحات شاسعة من الارض لكى تسد حاجة المزارعين •

وتتفق زراعة البور كليا مع اهداف ومتطلبات الزراعة البدائية • فما دامت المجتمعات المتخلفة تمارس نوعا من الاقتصاد المحلى ، فان الزراع لا يشعرون بأى دافع يحملهم على الاهتمام بتوسيع استثمارهم للارض • وكلما اتصلت تلك المجتمعات بالعالم الخارجى وارتفعت قيمة التجارة كلما ازداد الاهتمام باستثمار الارض • وبالرغم من ان بعض الباحثين يعتقدون بان ممارسة زراعة البور لا تخلو من فوائد للارض ، اذ تعيد اليها خصوبتها وتخفض من مستوى المياه الجوفية فيها ، الا ان الوسائل الحديثة في معالجة الارض تغني الفلاح في الحقيقة عن اتباع هذا النظام • فبوسعه ان يحافظ على خصوبة الارض باستخدام المخصبات الطبيعية والصناعية ، وبتطبيق الدورة الزراعية ، وبزراعة المحاصيل الخضراء التى تمد التربة بالنتروجين• غير ان زراع اللواء لا يسعهم تطبيق الاسلوب العلمي في الزراعة ما لم يرتفع مستواهم المادي والثقافي •

وتتم تهيئة الارض للزراعة الشتوية باحدى الطرق الثلاث التالية [٣٥]:

---

35. Barth, F., "Principles of social organization in Southern Kurdistan", Oslo 1953. P. 141.

١ ـ طريقة وشكه ورد (الزراعة الجافة) :

تحرث الارض طبقا لهذه الطريقة ثلاث مرات ، حراثـــة اولى فى الخريف الاول بعد الحصاد وحراثة ثانية في موسم الربيع وثالثة في الخريف الثاني،فهي تحرث اثناء الربيع (من نيسان الى مايس) ثم تترك بورا اثناء فصل الصيف بأجمعه • وفي اثناء شهر ايلول وتشرين الاول تبذر البذور فى الحقل ثم يعاد حرثه • ولابد ان يتم الحرث قبل موسم بدء الامطار الشتوية لتستفيد البذور منها فائدة كلية • وتعطى هذه الطريقة افضل النتائج واعلى مقدار من الغلة ، اذ انها تمكن التربة من استعادة خصوبتها اثناء فترة البور ، كما تهيء للنبات الانتفاع من المطر الشتوي بصورة كاملة ، وبالتالى تمكن الحاصل من مقاومة اخطار الجراد •

٢ ـ طريقة ميورد :

ويتم حرث الحقل حسب هذه الطريقة مرتين ، غير انها تحرمه مـن مزية الحراثة الربيعية • اذ تتم حراثة الحقل للمرة الاولى في الشتاء ، ثـم تترك بورا للفترة الباقية بكليتها حتى بداية الخريف • وحينما تبدأ فتـــرة الأمطـار يتم بذر البذور دون ازالة الحشائش ، ثم يعاد حرث الحقل مـرة ثانية • وتطبق هذه الطريقة في المناطق ذات الاراضى الرخوة التى لا تحتـاج الى اعادة حرثها ثلاث مرات • ولعل ابرز عيوبها فسح المجال لنمو الحشائش الضارة حيث تشارك النبات غذاءه •

٣ ـ طريقة التركال (الطريقة الرطبة) :

لا يتبع زراع هذه الطريقة نظام زراعة البور ، ولا تطبـق الا نادرا ، ويعمل بها في المناطق التى تتمثل فيها ندرة الارض ، وقد يلجأ اليها الزراع الذين يعجزون عن حراثة مساحة واسعة من الارض لحاجتهم الى الحيوانات الحقلية • ولا يشرع الزارع في حرث الارض طبقا لهذه الطريقة حتى تنقع بالمطر الشتوي تماما ، وذلك خلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول •

ثم تنشر البذور عقب الحراثة مباشرة ، غير ان الطريقة المثلى تتطلب مـــرور ثلاثة اسابيع على الحراثة قبل نثر البذور ، ثم يعاد حرث الارض • وتنطوي هذه الطريقة على عيوب اقتصـاديةواجتماعية عديدة ، فهي تؤثر قبل كل شيء على خصوبة التربة بالرغم من استخدام المخصبات الحيوانيـة مما يؤدي الى انخفاض الغلة • ثم ان النبات يصبح اكثر عرضة لخطر الجراد •، اما مساوئها الاجتماعية فتتمثل بما تفرضه على الزارع من مشقات عظيمة ، اذ يضطر الى خدمة الارض اثناء فصل الشتاء القاسي معرضا نفسه للامطار والرياحوالثلوج •

ان الكلام عن الزراعة الشتوية يتطلب ايضا الاشارة الى دور الآلات التى يستخدمها الزارع في اللـواء ومدى تأثيرها على المحاصيل الشـتوية • والواقع انها ذات تأثير سيء نظرا لتخلفها وضعف كفاءتها • ففي عمليـــة الحراثة يستخدم الفلاح محراثا خشبيا بدائيا جدا وذا كفاءة ضعيفة في حراثة الارض • ذلك انه لا يغوص في التربة الى اكثر من ثلاث بوصات ، فهـــو بالكاد يخدشها ويعجز عن اقتلاع الجذور • وبالرغم من ان العمق المناسـب للحرث يعتمد على طبيعة التربة وعلى نوعية المحصول الا ان من المتعارف عليه أنه ينبغي الا يقلعن ستبوصات[٣٦] •فالحراثة العميقة ضرورية على اية حال، اذ انها تيسر تغلغل الجذور وتعرض جزءا كبيرا من التربة للتهوية والتجوية فتزيد بذلك خصوبتها •

ومن العيوب الاخرى للمحراث الكردي بطؤه الشديد في حراثـــة الارض • ويعود سبب ذلك الى صغر الاخاديد التى يحفرها مما يدعـــو الى اعادة الحرث مرارا عديدة لقلب تربة الحقل باجمعه • في حين ان المحراث الاوربي مثلا بطرفه الحديدي المقوس الطويل يحفر اخدودا عريضا يبلـغ

---

36. Watson. James A.S., & More, A.S., "Agriculture" 10th edit., 1956. P. 130. 37.

ضعف اخدود المحراث الكردي [٣٧] • غير ان المحراث الكردي لا يخلو من مزايا ، فهو خفيف الحمل وبسيط الصنع وسهل التصليح •

اما عملية الحصاد التى يستخدم فيها المنجل (وهو اطول نوعما من المنجل العربي) فهى طويلة ومملة ويجند لخدمتها جميع افراد العائلة • ولا تستخدم التراكتورات او الحاصدات الحديثة الا في نطاق محدود جدا •

واما الدراسة فتتم عموما بواسطة مجموعة من الحيوانات مربوطة الى بعضها ، وهي تستهلك وقتا طويلا • وتفرش في العادة سنابل الحبوب في طبقات سميكة ويساق فوقها عدد من الحيوانات لا يتجاوز الست ، فتظل تدور فوقها حتى تتحول الى قش ناعم • وهناك آلة دارسة خاصة بالمنطقة الكردية هي الدواسة الحديدية • وهي آلة مسننة تسحب بواسطة الحيوان فوق كوم السنابل حتى يتحول الى قش • وهذه الآلة هي بلا ريب اكثر كفاءة من فريق الحيوانات واكثر سرعة • وبالرغم من مزاياها العديدة فانها تستعمل في نطاق محدود بسبب غلاء سعرها النسبي •

واما التذرية فتستخدم فيها المذراة الخشبية وهي عبارة عن آلة خشبية بسيطة أشبه بالشوكة وهي بطبيعة الحال بطيئة وذات امكانية محدودة في تنقية الحبوب •

وهكذا يتضح بان الآلات التى يستخدمها المزارع الكردي متخلفة وفي حاجة الى تطوير جذري اذا اريد رفع انتاجية الارض وتخفيض القوة البشرية الحالية التى تنفق في الزراعة • ولا شك ان توفير آلات افضل وحيوانات حقلية ذات كفاءة اعلى سيساعد في تحسين انتاج الارض ، اذ ان تلك الالات ستمكن الفلاح من اعداد الارض اعدادا جيدا وتيسر القضاء على

37. Leach. P. 48.



آلات الزراعة الكردية

الحشائش الضارة،وبذلك ترفع من مستوى الحبوب كما ونوعا، وهذا لا يعني بأن مكننة الزراعة هي الحل الوحيد،لاسيما في الوقت الحاضر،ذلك لان المكننة قد تواجه صعوبات كثيرة من دون تغيير نظام الملكية الحالى ومن دون توفير الخدمات الزراعية الضرورية . كما ان تطبيق المكننة في منطقة جبلية كلواء السليمانية قد يصطدم بصعوبات فنية واقتصادية . وينبغى ان تهدف السياسة الزراعية في الوقت الحاضر على الاقل الى تطوير وتحسين الآلات الحالية بطريقة تجعل استخدامها سهلا ومثمرا واسعارها معتدلة مناسبة . فالمحاريث الافضل صنفا التى تجرها حيوانات قوية قد تعطى نفس النتائج التى تعطيها التراكتورات في اعداد التربة اعدادا جيدا والقضاء على الحشائش الضارة ، مما يؤدي الى رفع الغلة بنسبة تتراوح بين ٢٠٪ الى ٥٠٪ . كما أن ادخال آلات دارسة حديثة من نوع بسيط قد يأتي بنتائج تفوق ما تأتي به الحاصدات الكبيرة (الكومباين) لو اخذنا بنظر الاعتبار ما تكلفه من نفقات [٣٨] . كذلك

38. I.B.R.D., "The development of Iraq". P. 19.

فان تحسين حيوانات الجر أمر ضروري لتوفير حيوانات ذات قوة اكبر واحتمال اعظم ، وهذا يتم بالتغذية الصحيحة والاختيار الجيد •

ان وسائل توفير الآلات وحيوانات الجر المحسنة تتم عن طريق تهيئة القروض السهلة للزراع وتكوين جمعيات تعاونية لهم تتولى شراء الآلات وتأجيرها • وعند توسع الزراعة وتملك الفلاح لارضه ستكون مكننة الزراعة ضرورية ومفيدة ولا سيما في المناطق السهلية والاودية الممتدة بين المرتفعات حيث تتوفر اراضى منبسطة لا تتخللها العقبات [٣٩] • ولابد ان تشجع المكننة عن طريق تأجير المكائن من قبل الدولة للجمعيات التعاونية وعن طريق التملك التعاوني والاستخدام بشكل جماعي • واذا ما اقيمت المزارع التعاونية في اللواء فان المكننة ستكون مربحة جدا ، اذ انها ستؤدي الى تقليل تكاليف الانتاج وتقليص الجهد البشري والاقتصاد بالحيوانات الحقلية والاستفادة منها في انتاج اللحوم والالبان [٤٠] • وعلى اية حال فان تطبيق المكننة لابد ان يتم بصورة تدريجية كما لابد من انتظار نتائجها الفعالة لوقت غير قصير [٤١] •

هذا ما يتعلق بالزراعة الشتوية ومشاكلها • اما الزراعة الصيفية فتتخذ اهمية خاصة في اللواء لانها عماد اقتصاد الزراع • وتستثمر الاراضى الصالحة للزراعة الصيفية استثمارا كاملا طالما توفرت المياه اللازمة ، ويندر ان يحدد استثمارها قلة خصوبتها او عدم توفر البذور الضرورية او الآلات اللازمة • ويعزى هذا الاهتمام لسببين ، الاول لكون المحاصيل الصيفية تمثل المحاصيل

---

39. Hammer, Conrad & Morris J.F., "Farm Mechanization in Iraq", F.A.O.

40. F.A.O., "The problems of size holding for land settlement and development programme". report workshop No. 1, Salahuddin 1955.

41. Iverson, 151.

التجارية وهي التى توفر للمزارع النقد ، بينما تذهب معظم المحاصيل الشتوية للاستهلاك العائلي ، والثانى لصغر المساحة المخصصة للزراعة الصيفية بسبب شحة المياه • وتتركز الجهود التى يبذلها الفلاح في الزراعة الصيفية في تحقيق مهمتين هما المحافظة على خصوبة التربة ، وتوفير المياه اللازمة •

وتختلف طرق اعداد الارض للزراعة الصيفية حسب نوع المحصول، غير ان الفلاح يشرع عموما باعداد الحقل فيما بين مارت ونيسان وذلك بحراثته للمرة الاولى ثم اعادة حراثته ثم تخصيبه بالمخصبات الحيوانية • وتقسم الارض في زراعة التبغ او القطن او الرز أو الخضروات الى حقول صغيرة تقطعها سدود وقنوات صغيرة • وفي حالة التبغ او الرز تزرع البذور في مشاتل خاصة حتى تبلغ طولا معينا ثم تنقل الشتلات الى الحقل •

ولعل اهم ما يشغل وقت الزارع خلال فصل الانبات هو السقي ، وان كان يصرف ايضا جزءا من وقته في تنظيف الحقل من الحشائش الضارة وفي تخصيبه بين الحين والحين • وبما ان سقي الحقل ينبغي ان يتم على فترات متقطعة ، وبما ان ضمان جريان المياه يحتاج الى الاشراف الفعلي من قبل المزارع ، لذلك فان حفر القنوات وتنظيفها واعدادها يكاد يشغل وقت الزارع باجمعه • وبالرغم من ان الزارع يستخدم المياه بحرص الا انه لا يلتزم بالطريقة العلمية • فهو يعتقد بان الري الناجح هو الذى يضمن به اكبر قدر ممكن من المياه • فاستعماله للمياه اذن لا يخضع لمقدار حاجة التربة او المحصول للمياه •، ويعزى هذا الافراط الى عامل نفسي اكثر منه الى جهل بمقدار حاجة الزرع للمياه • ذلك ان قلة المياه ومشاكلها المستمرة التى قد تتأزم احيانا بين الزراع حتى تبلغ درجة الاقتتال ، قد جعلت الفلاح حريصا على ضمان ما يستطيعه من المياه والذى قد يكون اكثر مما يحتاجه

النبـات (×) • وعلى اية حال فان تنظيم مياه الري بصورة علمية يكاد يكون منعدما في اللواء••ولقد ذكر تقرير شركة نابن تبت Knappen-Tippet Co. حول تطوير الري في العراق بان تنظيم الري السيحي في العراق ذو اهميـة قصوى بالنسبة للزراعة [٤٢] • واذا ما اريد نشر الزراعة العلمية في اللـواء فلابد من تعليم الزارع كيفية اسـتخدام المياه • وقد اقتـرح تطبيـق النقاط التالية في عملية السـقي :

١ ـ تسوية الحقل بدرجة تسمح بوصول المياه الى كل موضع فيه بصـورة متســاوية •

٢ ـ تمكين الفلاح من السيطرة على المياه بانشاء القناطر والبوابات الصغيرة على النهيرات والجداول •

٣ ـ تعليم الفلاح ما يجهله من حقائق عن متطلبات جذور المحاصيل وتعويده على التحكم في الارواء بشكل يرطب منطقة الجذور بدون تبديد المياه الى ما دون منطقة الجـذور •

٤ ـ تعليم الفلاح ضبط المسافات المطلوبة بين نبتة واخرى لكى تنتج اكبـر

(×) ان اهتمام الزراع بالمياه وما تحدثه من مشاكل قد ادى الى خلق وظيفة خاصة في مجتمع القرية لحل مشاكل المياه اطلق على شاغلها اسـم (ميراو) • والميراو هو مزارع بارع يتخذ على عاتقه مسؤولية توزيع الميـاه بين زراع القرية بعدالة • ويقوم بتوزيع المياه بين الزراع حسب قاعـدة الوقت ، اى حسب عدد الساعات في اليوم او في الاسبوع ، مخصصا لكـل زارع ما يحتاجه من المياه • ويتبع توزيع المياه فى معظم القرى دورة خاصة ، اى اياما معينة من الاسبوع الا انه قد يوزع بصورة دائمية ايضا اذا مـا توفر بشكل كاف • ويتم اعادة انتخاب الميراو سنويا ، ويكافأ على جهـوده بمد يد المساعدة له وقت الحصاد •

42. Knappen-Tippet Company, "The irrigation of Iraq", a report submitted to the Development Board in 1954. P. V1-1.

غلة ممكنة . (فقد تعود الزارع ان يباعد بين صفوف النباتات اكثر مما يجب ، وان يجعل السواقي عريضة وعميقة اكثر مما ينبغي) (٤٣) .

وهكذا يمكن ان نخلص الى القول بان الزراعة الصيفية في اللـــواء تتطلب تطبيق اساليب علمية في الري تهدف الى الاقتصاد بالمياه وتضـــمن المحافظة على التربة وتعالج حاجة المحاصيل بصورة صحيحة . وقد ذكـــر رســل Russel بان السقي الناجح يجب ان يهدف الى سيطرة معقولة عـلى مستوى المياه الجوفية ، والى تخليص التربة من الاملاح المتجمعة نتيجة تبخر المياه ، والى تيسير امتصاص التربة للمياه بدرجة متساوية . وتتحقق هـــذه الاهداف بالمحافظة على مسامية التربة وبمعرفة كيف ومتى يسقى الحقل (٤٤) .

المحاصيل الزراعية

يمكن القول ان العامل الطبيعي هو المسؤول الرئيسى عن انــــواع المحاصيل التى تزرع في لواء السليمانية ، وان كان للعامل البشري اثر ملحوظ في ذلك ايضا . فالعامل الطبيعي يتحكم بصورة مباشرة في متطلبات النبـــات من خلال المناخ والتربة وطبيعة الارض . فكل نبتة تحتاج الى كمية معينـة من الهواء والمـاء والضوء والحرارة ومقدار معين من الغذاء ، فاختلاف نوع النباتات يؤدي الى اختلاف هذه المتطلبات . واذا بلغت المتطلبات المذكورة ادنى من المستوى المطلوب اصبحت عاملا معيقا لنمو النبـــات .

ويعتبر الماء العامل الرئيسى الذى يقرر نوع النبات ويتحكم في نموه .

---

43. West, Burnell A., and Caine, Selly M., "Agricultural potentialites of Iraq", F.A.O.. Conference, Salahuddin 1955.

44. Russel, Sir John. "Soil conditions and plant growth", London 1956, PP. 388-9.

ولابد من توفره بكميات كبيرة لان النبات لا يستطيع امتصاص غذائه المعدني الا على شكل سائل مخفف مما يجعله في حاجة مستمرة الى المياه • وتختلف النباتات في حاجتها الى المياه حسب اختلافات فترة نموها ، الا ان من المتفق عليه بان المحاصيل الزراعية لا يمكن ان تنمو في ظروف يقل فيها مقدار التساقط السنوي عن ١٠ بوصات • ولابد للمناطق التى تتلقى امطارا تقل عن ٢٠ بوصة سنويا من اتباع وسائل الزراعة الجافة لتيسر نمو النبات •

ومن المعلوم ان الامطار في لواء السليمانية تقتصر على فترة معينة من العام (بين تشرين الاول الى مايس) مما يجعل الري الصناعي امرا ضروريا للزراعة الصيفية • هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى فان شحة المياه الصيفية قد أدت بالمزارعين الى تفضيل زراعة محاصيل صيفية تحتاج الى مياه أقل كالتبغ مثلا الذى يفضل على القطن او الرز •

وتعتبر الحرارة ايضا ضرورة رئيسة من ضرورات النبات ، ولا يمكن لأية نبتة ان تنمو من دون ان تتوفر لها درجة حرارة معينة • وبما ان التربة تتلقى اعظم كمية من الحرارة عن طريق الاشعاع الشمسى المباشر ، لذلك فان كمية حرارتها تعتمد على موقعها من خطوط العرض وعلى درجة ارتفاع ارضها وعلى اتجاهها بالنسبة للشمس • وعلى اية حال فان النباتات تتأثر بانخفاض درجة الحرارة اكثر من تأثرها بارتفاعها ، وان ارتفاع الحرارة يهيء فرصة اعظم لتنوع النباتات • وهكذا فان موقع لواء السليمانية بين خطي عرض ٣٥° – ٣٦° قد هيأ له حرارة مرتفعة في فصل الصيف ، بالرغم من ان ارضه لا تكاد تنخفض في أية جهة من جهاته الى ما دون ٢٥٠٠م فوق مستوى سطح البحر ، لذلك فان فصل الصيف صالحا لنمو عدد متنوع من المحاصيل في اللواء ، في حين ان حرارة فصل الشتاء التى تنخفض الى ما دون الصفر المئوي في بعض الاشهر ، لا تسمح الا بنمو عدد محدود من المحاصيل •

ويعتبر الضوء عاملا هاما ايضا في نمو النباتات • فهو يؤثر على النبات من خلال التأثير على تطور بنيته وعلى انتاجه الغذائي ، وعلى ما يحتاجه من وقت لانتاج البذور (٤٥) •

اما دور التربة في نمو النباتات فقد سبق لنا ان اوضحناه • فالنباتات تعتمد على التربة بصورة مباشرة في حصولها على غذائها وعلى حاجتها من المياه • لذلك فان الاختلافات في البنية الكيمياوية للتربة وفي نسيجها وعمقها يؤثر تأثيرا مباشرا عليها • كذلك تؤثر درجة توفر عناصر معينة في التربة مثل النتروجين والفوسفات والبوتاس والكالسيوم تأثيرا متفاوتا على الانواع النباتية المختلفة • كما يؤثر نسيج التربة على درجة نفاذها وبالتالى على مدى نمو النبات •

وترتبط التربة بشكل مباشر بطوبوغرافية وجيولوجية المنطقة • وبما ان الجزء الاعظم من لواء السليمانية يشتمل على صخور قديمة ، لذلك فان التربة المحلية غنية بالعناصر المعدنية عموما • غير ان الاوضاع الطوبوغرافية في اجزاء كثيرة من اللواء ، بالاضافة الى نوع الامطار ، قد أدت الى حدوث تعرية شديدة مما خلف تربة ضحلة (×) •

---

45. Hildreth, A.S., "Effects of climatic factors on growing plants" published by U.S. Department of Agriculture, Washington D.C., 1941.

(×) تعتبر التعرية من العوامل الرئيسة التى تؤثر على تربة اللواء تأثيرا خطيرا • وتدل خارطة تصنيف الارض للواء السليمانية على ان الغالبية العظمى من الارض تقاسي من التعرية ، وبشكل حاد احيانا ، ولا سيما التعرية المائية • وتعزى حالة التعرية فى اللواء الى نوع المناخ وطبيعة الارض والى نمط الاستثمار الزراعى السائد • وتحدث التعرية المائية عادة حينما تتجاوز الامطار معدل امكانيتها فى التسرب الى باطن التربة ، مما يؤدي الى جريان المياه حاملة معها التربة السطحية • فاذا زاد الانحدار على نسبة ١ الى ١٠ فان سرعة جريان المياه تكون كافية لحمل ذرات التربة • وكلما =

ولقد خضع نمط استثمار الارض في اللواء الى عاملين رئيســــيين كما ذكرنا هما الوضع الطوبوغرافي ودرجة توفر المياه • لذلك يعمد الزراع الى زراعة الحبوب في الاودية وفوق منحدرات التلال الواطئة ، والى زراعـة المحاصيل النقدية كالتبغ والقطن في المناطق المنبسطة الصالحة للري الصناعي • اما الخضروات فتزرع في حقول صغيرة تتخلل الاراضى ذات الري الصناعي • وتنحصر اشجار الفواكه ، لا سيما الكروم،فوق التلال العالية وعلى المنحدرات الحادة • وتنتشر المراعي والغابات فوق الروابي والاراضى المرتفعة كما تتخلل المنحدرات الحادة •

ولقد ادى مناخ اللواء ، بالاضافة الى طبيعة النظام الزراعي المتبع ، الى خلق فصلين زراعيين متميزين هما الفصل الشتوي والفصل الصيفي • فالقمح والشعير يمثلان اهم غلات الفصل الشتوي ، بينما يحتل التبغ المركز الرئيسى

= زاد الانحدار كلما زادت سرعة المياه الجارية وارتفع مقدار ما تحمله من ذرات • ويساعد الوضع الطوبوغرافى فى اللواء على التعرية المائيـــة بما يشتمل عليه من مرتفعات ذات منحدرات حادة • كما يساعد المناخ عمليـة التعرية ايضا نتيجة لتركز الامطار فى فترات معينة من العام وهطولها على شكل زوابع رعدية • كذلك يشجع النظام الزراعى السائد التعرية عـــن طريق ممارسة زراعة البور والرعى المفرط وقطـع الغـابات مما يؤدى الى تعريض التربة العارية الى الانجراف •

ان التعرية تؤدى الى ازالة غطاء التربة الثمين الذى لا يمكن تعويضـه الا بسنين طويلة وهذا بدوره يؤدى الى طمر القنوات ومجـارى الري والى فقدان جزء كبير من المياه الجوفية • ولابد من مقاومة ظاهرة التعرية باتباع الوسائل اللازمة ومنها الزراعة المستمرة للارض وتطبيق الحراثة الكونتورية واعادة تشجير المنحدرات • غير ان انجع الوسائل لصيانة التربة فى مناطق المنحدرات هى تطبيق زراعة المدرجات • راجع :

Hobley, C.W., "Soil erosion; a problem of human geography" Geog. Jour.. No. 82., 1933, P. 145.

بين الغلات الصيفية ويليه الرز والقطن(×)[٤٦]. ويوضح الجدول التالى اوقات بذر وجني المحاصيل المذكورة وبقية المحاصيل الاخرى التى تزرع في اللواء:

الجدول رقم ٤٠(٤٧)

محاصيل لواء السليمانية واوقات بذرها وجنيها

نوع الغـلة	تاريخ البـذر	تاريخ جنيهـا
التبـغ	مارت ـ نيسان	تشرين الاول
القمـح	كانون الاول	مايس
الشعير	ايلول ـ كانون الثاني	نيسان ـ مايس
الـرز	مارت ـ نيسان	ايلول ـ تشرين الاول
القطن	نيسان ـ مايس	آب ـ كانون الاول
السمسم	نيسان ـ تموز	مايس ـ تشرين الاول
الكتان	كانون ـ الثاني	حزيـران
الباقلاء	كانون الاول	شباط ـ نيسان
العـدس	كانون الاول	شباط ـ نيسان
بازليـاء	نيسان ـ مايس	تشرين الاول

× (٤٦) لقد اوردت الاحصاءات الرسمية (لعام ٥٢ـ١٩٥٣) التوزيع التالى لمساحات المحاصيل الرئيسة فى البلاد :

الشعير ١٢١١٠٠٠ هكتار ، القمح ١٠٤٦٠٠٠ هكتار ، الرز ١٢٩٠٠٠ هكتار ، الذرة ١٥٤٠٠٠ هكتار ، القطن ٢٤٠٠٠ هكتار ، الدخن ٢٢٠٠٠ هكتار ، السمسم ٢٢٠٠٠ هكتار ، التبغ ١٠٠٠٠ هكتار ، الخضروات ٤٥٠٠٠ هكتار ، المحاصيل الاخرى ٣٨٠٠٠ هكتار . المجموع ٢٦٠١٠٠٠ هكتـار .

"The Economic development of the Middle East" United Nations publication 1955.

47. Field, Henry, "Anthropology of Iraq-Kurdistan" No. 2, P. 12.

« تابع »

نوع الغلة	تاريخ البذر	تاريخ جنيها
الطماطـا	مـارت	حزيران ـ تشرين الثاني
اللهانة	ايلول	تشرين الثاني ـ شباط
الجـزر	ايلول	تشرين الثاني ـ شباط
شـوندر	ايلول	تشرين الثاني ـ شباط
بقدونيس	آب ـ شباط	كانون الاول ـ حزيران
خيـار	نيسان ـ حزيران	آب ـ ايلول
بصـل	ايلول ـ شباط	كانون الاول ـ مايس
قـرع	مـارت	حزيـران
باميـا	مـارت	تشرين الثاني
بطيـخ	مـارت	تشرين الاول
بطـاطا	ايلول ـ شباط	كانون الاول ـ مايس
خس	آب	مايس
فجـل	آب	شـباط
سبانغ	آب	شـباط
لفت	آب	شـباط

ويجدر بالذكر ان اغلب حاصلات لواء السليمانية تبذر وتجنى في مواعيد متأخرة عن تلك التى تزرع في وسط وجنوب البلاد • ولهذه الحقيقـة الجغرافية اهمية تجارية خاصة •

الحاصـلات الشتوية

بالرغم من ان معظم الاراضى الزراعية في اللواء تخصص للزراعـات الشتوية بسبب توفر المطر الشتوي ، لكن تلك الحاصلات تدر ارباحا أقـل

مما تدره المحاصيل الصيفية على العموم • ويعزى ذلك الى الغلة المنخفضة التي تتميز بها المحاصيل الشتوية والتي هي حصيلة فقر التربة والوسائل الزراعية المتخلفة والكوارث الطبيعية (الجفاف والاوبئة الزراعية) • والواقع ان لواء السليمانية يتخلف عن كثير من الوية العراق في محصوله من القمح والشعير في كمية الانتاج والمساحة المخصصة للزراعة ومقدار غلة المشارة • ولذلك فبينما نجد القمح والشعير يمثلان الغلتان الرئيستان في معظم الوية القطر ، لا سيما في الالوية الشمالية ، نجدهما يحتلان مكانة ثانوية في الانتاج الزراعي للواء السليمانية (×) (٤٨) •

القمـــح :

يمثل القمح اهم غلة شتوية في اللواء ، كما ان انتاجه يتفوق على بقية الحاصلات الشتوية • وبالرغم من ان حرارة الشتاء لا تلائم نمو القمـح ، لا سيما في المناطق المرتفعة من اللواء التي تنخفض فيها درجة الحرارة تحت الصفر المئوي لاكثر من شهرين ، فان درجة التساقط في اللواء مناسبة تماما لمتطلبات القمح • فالقمح يحتاج الى المياه بصورة خاصة عند بذره وقبل فترة نضجه ، لذلك فان المناخ الذي يتسم بامطار ربيعية كمناخ لواء السليمانية، او ذلك الذي يشتمل على ثلوج وفيرة تذوب في الربيـع ، هو من اكثـر المناخات ملائمة لنمو القمح • كذلك فان جفاف الصيف في اللواء يجعل منه اكثر صلاحا لزراعة القمح ، ذلك لان الصيف الرطب لا يلائم مرحلة نضج

× (٤٨) لقد جاء في كتاب الجيب السنوي لعام ١٩٥٧ بان انتاج الغلات الرئيسة الشتوية في العراق لعام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ قد بلغ ٤٥٣٠٠٠ طنا من الحنطة و ٧٥٧٠٠٠ طنا من الشعير ، بينما بلغ انتاج المحصول الصيفي الرئيسي وهو الرز ٨٣٠٠٠ طنا •

The Statesman year book 1957. P. 133.

القمح • غير ان طوبوغرافية اللواء تعرقل في معظم اجزائه زراعة القمـح ، ذلك لان منحدرات الجبال التى يزيد انحدارها على ١٥ قدما في كل ١٠٠ قدم لا تلائم انتاج القمح [٤٩] •

ولا يمتلك النوع الذى يزرع من القمح في اللواء المقدرة على مقاومة التقلبات المناخية او الافات الزراعية ، كما انه لا يتصف بغلة مرتفعة • وهذا النوع هو الذى الف زراع اللواء زراعته منذ أقدم الازمان • ولم تجر ايـة محاولات جدية لتجربة انواع اكثر صلاحية لظروف اللواء كالانواع ذات الغلة العالية والمقدرة على مقاومة الجفاف والافات الزراعية • كما لم تتخـذ ايضا الاجراءات الكفيلة بمقاومة الحشرات والامراض الزراعية بشكل فعال، بالرغم من اهمية هذه المحاولات •

ويقاسي القمح بدرجة خطيرة من شتى انواع الافـات والامـراض الزراعية ، واشـدها خطـرا حشرة السـونة Eurygaster Integriceps وبالرغم من ان هذه الحشرة تنتشر في جميع جهات النصف الشمالى مـن العراق ، الا انها تتخذ صفة الوباء في الوية السليمانية وكركوك واربيل على وجه الخصوص • ويعزى ذلك الى العامل المناخي ، اذ يحصد القمـــح في جنوب البلاد قبل ان تبلغ الحشرة مرحلة النضج ، بعكس الحال في المنطقـة الشـــمالية [٥٠] •

ويختلف الضرر الذى تلحقه هذه الحشرة بالغلة حسب حدة هجومها، لكن المنطقة الموبوءة قلما تنتج ما يزيد على ٥٠٪ من الناتج الطبيعي ، وقد لا

---

49. Babner, O.E., "The potential supply of wheat". Economic Geogr., vol. 1, March 1925. P. 28.

50. Webster, J.F., & Dutt, A., "Sunn pest (Irajia) on cereals in Iraq" Department of Agriculture, Leaflet No. 3. 1926, P. 2.

تنتج من الحبوب شيئا مذكورا (٥١) .

ومن الافات الزراعية التى تهدد القمح ايضا مرض الصدأ (السناج) الذى يسببه نبات فطري يطلق عليه اسم Tilletia . وهذه الافة اقل انتشارا من السونة لكنها لا تقل عنها خطرا على حاصلات اللواء ، وذلك بما تحدثه من تخريب فعلي في الحبوب ، وما تسببه من تخفيض في قيمة المحصول بكليته (٥٢) .

اما الجراد فقد كان في السابق من اخطر الحشرات تأثيرا على القمح في البلاد ، ولا سيما الجراد الرحال Dociostaurus Moroccamus غير ان اخطاره قد تضاءلت في السنين الاخيرة نتيجة للتكاتف بين اقطار منطقة الشرق الاوسط في مكافحته . ومن الضروري القضاء على تهديده نهائيا . ولم يكن الجراد يلحق الاضرار بالقمح فحسب ، بل ببقية محاصيل اللواء ايضا (٥٣) . وكما اشار وبستر Webster ودت Dutt فان انتعاش المحاصيل الزراعية الشتوية في شمال البلاد يعتمد الى درجة كبيرة على نجاح مقاومة الافات الزراعية ولا سيما السونة والجراد (٥٤) .

وتلحق الذبذبات المناخية ايضا اضرارا كبيرة في بعض السنين بانتاج القمح من خلال الجفاف او استمرار الامطار او حدوث زوابع البرد الربيعي . ولقد أدت العوامل المذكورة بمجموعها الى تخفيض غلة القمح تخفيضا

---

٥١ . المصدر السابق .

52. Guest, Evan. "Bunt disease of wheat", Department of Agriculture, Leaflet No. 19, 1929, P. 1-2.

53. Department of Agriculture, "Locusts in Iraq" Leaflet No. 12. 1926.

54. Webster, & Dutt, P. 8.

كبيرا . فهي لا تتجاوز في الوقت الحاضر ٦٠٠ الى ٧٠٠ ليرة في الفـــدان الواحد ، مع ان في الامكان رفعها الى ١٢٠٠ ـ ١٥٠٠ ليرة في الفدان(٥٥) . والواقع ان العوامل المعاكسة قد اثرت في انخفاض غلة القمح في اللواء اكثر من بقية الالوية الاخرى كما يتضح من الجدول التالى :

جـدول رقم ٤١(٥٦)(×)

انتـاج القمح حسب الالوية لعـام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣

اللـــواء	المساحة [بالاف الدونم]	الانتاج [بالاف الاطنان]	الانتاج [الطن بالدونم الواحد]
السليمانية	٦٤	٧	٠ر١١٠

55. Paterson, D.D., "Problems of the Iraqi cultivator", Tropical Agriculture. vol. IX, No. 8, 1932.

56. Compiled from the Statistical Abstracts 1945. table 98.

(×) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة كميات القمح المنتجة في الالويـة على الوجه التالي :

المحافظة	المساحة المزروعة (بالاف الدونمات) ١٩٦٧ـ١٩٦٨	١٩٦٨ـ١٩٦٩	الناتج (بالاف الاطنان) ١٩٦٨ـ١٩٦٩	
بغداد	٧٣٥	٧٢٣	١٤٧	٨٢
البصرة	١٥	٦	٢	١
نينوى	٣٥٢٨	٣٧٠٩	٥٦٦	٥٧٩
كركوك	٨١٤	٩٥٨	١٥٠	١١٨
كربــلاء	١٤	١٥	٣	٣
واسط	٥٤٧	٥٧٣	١٠٢	٩٤
نيسان	١٤٨	١٥٥	٣٢	٢٣
ذىقار	٢١٠	١٧٨	٢٦	٣١
بابــل	١٥١	١٤٧	٢٨	٢٢
ديالى	٣٨٥	٤١٣	٦٣	٤٣
الانبار	١٦١	١٢٩	٢٠	١٩ =

« تابــع »

اللـواء	المساحة (بالاف الدونم)	الانتاج (بالاف الاطنان)	الانتاج (الطن بالدونم الواحد)
بغــداد	٣٨٨	٦٨	١٧٥ر٠
البصرة	٤	١	٢٥٠ر٠
الموصل	١٦٣٤	١٢٢	١٣٦ر٠
العمارة	٩٢	١٩	٢٠٦ر٠
كربــلاء	٧٠	٢	٠٢٩ر٠
الدليــم	٩١	٣١	٣٤١ر٠
كركوك	٨١٢	١٠٩	١٣٤ر٠
المنتفـك	٤٦	١٢	٢٦١ر٠
الحـلة	٩٣	٢٣	٢٤٧ر٠
الكــوت	٣٨٩	٨٠	٢٠٦ر٠
الديوانية	١٥٦	٤٠	٢٥٦ر٠
ديـالى	٣١٤	٤٢	١٣٤ر٠
اربيــل	٦٣٧	١٠٤	١٦٣ر٠
المجموع	٤٧٩٠	٧٩٢	١٥٩ر٠

=

المحافظة	المساحة المزروعة (بالاف الدونمات)		الناتج (بالاف الاطنان)	
	١٩٦٧–١٩٦٨	١٩٦٨–١٩٦٧	١٩٦٨–١٩٦٩	
اربيل	٨٤٧	٨٤٥	١٤٦	٩٢
القادسية	٢٩١	٢٠٢	٤٩	٥١
السليمانية	١٩٤	٢١٧	٣٧	٣٠
المجموع	٨٠٤٠	٨٣٥٥	١٣٧١	١١٨٨

المصدر : « المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ » الجهاز المركزي للاحصاء ، ص ١٥٩ .

وتتفاوت جهات اللواء في انتاجها للقمح حسب الظروف الطبيعية والعوامل البشرية • وقد اوضح تقرير الاحصاء الزراعي والحيواني لعام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ بان اعظم مساحة لزراعة القمح تمثلت في ناحية تانجرو (٦٤٠٠٠ دونم) ثم تليها ناحية شهرزور (٣٦٠٠٠ دونم) ثم تليها ناحية قلعة دزة (٢٦٠٠٠ دونم) ثم ناحية سرجنار (٣٠٠٠٠ دونم) ثم ناحية خورمال (٢٤٠٠٠ دونم) • ومن الجدير بالذكر ان انتاج القمح في هذه النواحي ، ولا سيما في ناحيتي شهرزور وتانجرو ، يستخدم لاغراض تجارية• اما انتاج القمح في النواحي الاخرى فيستخدم لاغراض الاستهلاك المحلي وخصوصا في ناحيتي ماوت (٤٠٠٠ دونم) وبنجوين (٦٠٠٠ دونم) وموان (٨٠٠٠ دونم)(×) •

الشعير :

يمثل الشعير الغلة الثانية في اهميتها بين الغلات الشتوية • ولا ترجع المساحة الكبيرة المخصصة لزراعة الشعير الى اهميته كمادة غذائية ، اذ انه نادرا ما يحل محل القمح ، بل تعود الى سهولة متطلبات زراعته • فبالرغم من ان الشعير يتبع نفس منطقة القمح الجغرافية ، الا ان زراعته توغلت بعيدا خارج المنطقة بسبب تقبله للمناخ المتطرف • ففي الامكان زراعته في ظروف حرارية منخفضة ومرتفعة وفي اقل مقدار ممكن من المياه كما لا تؤثر قلة الخصوبة تأثيرا هاما على نموه • كل ذلك جعل غلة الشعير في اللواء اعلى من غلة القمح بالنظر لقدرته على مقاومة الجفاف والافات الزراعية وقلة الخصوبة•

(×) بلغت المساحات المزروعة بالقمح لموسم ٦٨-١٩٦٩ حوالي ٢١٦٣٨٢ دونما ، كما بلغت النسبة المئوية للمساحة المزروعة ٢ر٥٩ ، وبلغ انتاجه بالاطنان ٣٠٠٦٨ ، وبلغت النسبة المئوية للانتاج ٢ر٥٣ كما بلغ معدل غلة الدونم الواحد ١٣٩ كغم •

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨-٦٩) ، ص ٢٩ ، وزارة الزراعة - مديرية الديوان العام - قسم الاقتصاد الزراعي-بغداد١٩٧٠•

ومع ذلك فهي ادنى من غلته في معظم الوية البلاد كما يتضح في الجـدول التـــالي :

جدول رقم ٤٢(٥٧) ×

انتاج الشعير حسب الالوية (لعام ٥٢ــ١٩٥٣)

اللـواء	المساحة(بالاف الدونمات)	الانتاج(بالاف الاطنان)	انتاج الدونم(بالاطنان)
السليمانية	٥١	٧	١٣٨ر٠
بغـــداد	٣٢٨	٦٨	٢٠٨ر٠
البصـــرة	١	—	—
الموصل	٥٧١	١٧٨	٣١٢ر٠
العمارة	٢٨٣	٧٨	٢٧٦ر٠
كربلاء	٨	٢	٢٥٠ر٠
الدليم	٦٢	٢٨	٤٥٠ر٠
كركوك	٤٥٨	١٥٦	٣٤٠ر٠
المنتفك	٣٧٤	١٢٣	٣٢٩ر٠
الحلـة	٢٧٢	٨١	٢٩٨ر٠
الكـوت	٥٠٨	١٣٥	٢٦٦ر٠
الديوانية	٧١٤	٦٦	٠٩٢ر٠
ديالى	٥٣٦	١٢٨	٢٣٩ر٠
اربيـل	٢١٩	٦١	٢٧٩ر٠
المجموع	٤٣٨٥	١١١١	

57. Compiled from the statistical abstracts 1954, table 99.

(×) لقد اوردت الاحصـــاءات الحديثة كميات الشعير المنتجـــة في الالوية على الوجه التالى : =

ويكاد توزيع الشعير في اللواء يشابه توزيع القمح • فناحية تانجرو تفوز بالنصيب الاعظم (٥٠٠٠ دونم) تليها ناحية سرجنار (٣٤٠٠٠ دونم) ثم ناحية شهرزور (٢٠٠٠٠ دونم) •. اما اقل المناطق انتاجا فهي ناحية ماوت (٢٠٠٠ دونم) ثم ناحية بنجوين (٤٠٠٠ دونم) ثم ناحية جوارتـــه (٦٠٠٠ دونم)(×) •

=

المحافظة	المساحة المزروعة (بالاف الدونمات)		الناتج (بالاف الاطنان)	
	٦٧ـ١٩٦٨	٦٧ـ١٩٦٨	٦٨ـ١٩٦٩	٦٨ـ١٩٦٩
بغداد	٣٧٤	٣٤٨	٩٠	١١١
البصرة	٤	١	١	ـ
نينوى	١٠٧٠	١١١٧	٢٠١	٣٦٥
كركوك	٣٧٠	٤١٦	٧١	١٣٧
كربلاء	١٤	١٩	٣	٤
واسط	٤٥٢	٤٤٦	٨٥	٧٤
ميسان	٢١٨	٢٠٤	٥٣	٥٥
ذي قار	٤١٥	٤١١	٦١	٧٧
بابل	٦١١	٦٠٦	١٢٨	١٦٧
ديالى	٤٣٥	٤٥٣	٧٩	١٠٤
الانبار	١٠٣	٧٩	١١	١٦
اربيل	٣٧٥	٣٧٣	٧٧	٧٥
القادسية	٣٢١	٣٢١	٥١	٥٣
السليمانية	١٠٨	٧٨	٢١	١٢
المجموع	٤٨٧٣	٤٨٧٢	٩٣١	١٢٥٠

المصدر : المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ، ص ٥٩

(×) بلغت المساحات المزروعة بالشعير لموسم ٦٨ـ١٩٦٩ حـــوالى ٧٨١٠٠ دونما ، كما بلغت النسبة المئوية للمساحة المزروعة ٦٠ر١ وبلـــغ انتاجه ١٢٠٩٥ طنا ، وبلغت النسبة المئوية للانتاج ٩٧ر٠ ، كما بلغ معدل غلة الدونم الواحد ١٥٥ كغم •

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨ـ٦٩) ، ص ٣٣ •

اما بقية الحاصلات الشتوية فتحتل مكانة ثانوية تماما في اقتصاد اللواء ، وهي تزرع بالدرجة الاولى لغرض الاستهلاك المحلي مثل الحمص والعدس والبصل (×) • كذلك تحتل الخضروات مكانة ثانوية (× ×) •

المحاصيل الصيفية

تتميز المحاصيل الصيفية بكونها اكثر تنوعا من المحاصيل الشتوية ، الا ان التبغ وحده يمثل المحصول النقدي الرئيسي • والواقع ان الزراع يقيسون اهمية زراعتهم الصيفية بمقدار ما يخصصونه من مساحة لزراعة التبغ • فاذا ما سئلوا كم دونما زرعوا من المحاصيل لسنة معينة ، ذكروا عدد دونمات التبغ فقط ، وكأن المحاصيل الشتوية والمحاصيل الصيفية الاخرى غير ذات قيمة • وتتخذ زراعة الرز والقطن اهمية خاصة في اجزاء محدودة من اللواء ، اما الحمص والسمسم والذرة وغيرها فتحتل مكانة ثانوية وتستخدم في الغالب كعلف حيواني •

(×) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة (لعام ٦٨-١٩٦٩) المعلومات التالية عن المحاصيل الشتوية الثانوية في اللواء :

نوع الغلة	المساحة (بالدونم)	الانتاج (بالطن)
الباقلاء اليابسة	٤١٦	٩٢
الكتان	٩٥٥٠	١١٣٢
العدس	٩٣٥	١٣٤
الحمص	٩٣٥	١١٨
البصل اليابس	١٢٤٠	١٧٩٦

المصدر: (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨-٦٩)، ص ٥٩-٦٠ •

(× ×) لقد ارتفعت اهمية انتاج الخضروات في اللواء في السنوات الاخيرة • ويوضح الجدول التالى اهم الخضروات الشتوية لموسم ٦٨-٩٦٩: =

التبـــغ :

بالرغم من ان الزارع الكردى لا يتميز ببراعة خاصة في زراعة التبغ ، الا انه على العموم افضل من الفلاح العربي في وسط وجنوب العراق • ويمكن ان تعزى براعته في زراعة التبغ الى تجاربه الطويلة ، فقد كان التبغ منذ أمد بعيد من اهم محاصيل المنطقة[٥٨] • ويعتقد الزراع انفسهم ان جودة التبـغ في منطقتهم تعود الى نوعية مياه الرى • غير ان بعض البحاثة يرى ان السبب الرئيسى ربما يعود الى تربة المنطقة الغنية بعناصرها المعدنية والقليلة المــواد الخضراء ، كما يرجع الى حسن تصريفها وخلوها من الاملاح[٥٩] •

ويتميز لواء السليمانية بصلاحيته لزراعة التبغ ، فمعظم اجزائه تشتمل على صخور اللايمستون وصخور قديمة مما يجعل تربتها غنية بالعناصر المعدنية

---

58. See: Rich. P.86, vol. 1.

(٥٩) فدو ، خليل : «التبغ في العراق» ـ مجلة الزراعة العراقيـــة ، المجلد الثالث ، العدد ٣ ، بغداد ١٩٤٨ •

=

جدول يمثل انتاج الخضروات الشتوية لعام ٦٨ـ٩٦٩

نوع الغلة	المساحة المزروعة (بالدونم)	معدل غلة الدونم (كيلو)	معدل غلة الدونم (طن)	الناتج العام كيلو	الناتج العام طن
الباقلاء الخضراء	٢١٨	٦٩٥	١	٥٠٠	٣٦٩
البصل الاخضر	٣٢٦	٧٦١	١	ـ	٥٧٤
الشوندر	٦٢	٤٠٣	٣	ـ	٢١١
اللفت	١١٧	٨٥٥	٢	ـ	٣٣٤
الســلق	١٣٦	٢١٠	٢	ـ	٢٨٧
الخس	١٨	٥٥٦	٣	ـ	٦٤
الفجــل	٩٧	١٤٤	٣	ـ	٣٠٥
الجــزر	١٦	٤٢٨	٢	ـ	٣٩
الفاصولية الخضراء	٣٢	٣٢٨	١	٥٠٠	٤٢

المصدر: (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨ـ٦٩) ص ٦٩ـ٧٠

وجيدة الصرف وقادرة على الاحتفاظ بالرطوبة لامد طويل • ويتصف مناخها بصيف جاف مشمس طويل • ويتراوح ارتفاع الارض بين ٢٥٠٠ قدما الى ٧٠٠٠ قدما • وهذه البيئة ملائمة لانتاج غلة عالية في كميتها ونوعيتها • وبالرغم من ان التبغ هو في الاصل نبات مداري الا انه تبيأ بشكل عظيم للمنطقة المعتدلة ، وان كان ما يزال حساسا تجاه التغيرات الجوية التي قد تؤثر على غلته في نوعيتها وكميتها •

وتتمثل صلاحية لواء السليمانية في انتاج التبغ في مركزه المتقدم بالنسبة لبقية الالوية كما يتضح في الجدول التالي :

الجدول رقم ٤٣(٦٠)(×)

المساحة المزروعة بالتبغ حسب الالوية (لعام ٥٤ـ١٩٥٥)

اللــــواء	المساحة (بالدونم)
السليمانية	٢٥٠١٣
بغــداد	٦٢
البصرة	ـــ
الموصــل	٢٢٧٤
العمــارة	ـــ
كربــلاء	٨
الدليم	ـــ
كركوك	٦٨٢
المنتفك	ـــ

60. Compiled from the report of the Agricultural and live-stock census of 1955.

(×) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة مساحة وموقع الاراضى المسموح بزراعتها بالتبغ على الوجه التالى : =

« تابع »

اللاـــواء	المساحة (بالدونم)
الحلـة	٨٧٩
الكـــوت	٥٠
الديوانيـة	—
ديالى	٨٣
اربيـل	١١٠٢٣

وســـيظل لواء السليمانية يحتفظ بمركزه المتقدم بالنسبة لبقية الالويـة لما يختص به من مميزات طبيعية (×) ٠

=

المحافظة	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
السليمانية	٤٠٧٥٠	٣٩٢٠٠	٤٠٧٠٠	٤٧٤٥٠
اربيل	١٣٠٠٠	١٢٩٥٠	١٢٥٠٠	٩٨٠٠
كركوك	٥٠٠	٦٠٠	٩٥٠	٨٦٠
نينـوى	٣٧٥٠	٥٢٥٠	٥٢٥٠	١٥٠٠
المجموع	٥٥٠٠٠	٥٨٠٠٠	٥٩٤٠٠	٥٩٦١٠
الاحتياط	٣٩٠	٦٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠
المجموع العام	٦٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٦٠٠٠٠
التنبـــاك				
كربلاء وبابل	١٥٠٠	١٢٥٠	١٢٥٠	٣٠٠٠

المصدر : (المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩) ، ص ١٨٠

(×) لقد اورد (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨ــ٦٩) الحقائق التالية عن زراعـة التبـغ : (تبلغ المساحة المزروعـة بالتبـــغ في كردستان العراق حوالى ٦٠٠ الف دونم ٠ وتأتي محافظة السليمانية في مقدمة المحافظات الكردية في الانتاج ٠ فهي تحتل حوالى ٦٠٪ من مجموع =

وتتصف الاساليب المتبعة في زراعة التبغ بكونها اســاليب تقليدية ٠ وبالرغم من ان الزارع يبذل اقصى جهده للعناية بمحصوله باعتباره العمــود الفقري لاقتصاده ، الا ان غلته على العموم لا تحقق مستوى عاليا في كميتها او نوعيتها ٠ واذا ما قارنا انتاج اللواء بالمستوى الذي حددته مديرية انحصــار التبغ لهذا المحصول نجده ادنى من المستوى كما يوضحه الجدول التالي :

الجدول رقم ٤٤(٦١)

انتاج التبغ في لواء السليمانية من عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤

السنة	المساحة (دونم)	المجمـوع (كيلوغرام)	الناتج (كيلو) ردیء	الناتج (كيلو) جيـد
١٩٥٠	١٠٢٥٠	٢٠٠٦٤٩٤	١٦١٣٤٩٦	٣٩٢٩٩٨
١٩٥١	١٠٢٥١	١١٥٦٣١٩	٧٩٢٥٨٧	٣٦٣٧٣٢
١٩٥٢	١٥١٥٠	٢٠٣٧٤٢٢	٢٠١٣٣٧٨	١٠٠٦٠٤٤
١٩٥٣	١٩٤٠٠	٥٣٠٣١٦٣	٣٠٧٢٩٨٨	٢٢٣٠١٧٥
١٩٥٤	٢٤٨٥٠	٦٢٤٥٦٧٩	٤٦٣٣٣٩٠	٢٦١٢٢٨٩

ويعزى انخفاض نوعية التبغ في اللواء الى رداءة نوعية البذور بالدرجـة الاولى والى عدم صلاحية الاساليب المتبعة في الزراعة ٠ فالزراع يزرعون نفس

= الاراضي التي تزرع سنويا ٠ ثم تحتل محافظة اربيل ٣٠٪ من مجموع الاراضي ٠ اما محافظة كركوك فلا تزيد نسبة المساحة المزروعة فيها على ١٠٪ مع بقية اجزاء محافظة دهوك ٠ ويبلغ معدل انتاج الدونم الواحد للتبغ بين ٢٠٠ـ٢٥٠ كيلوغرام ٠ وتعتبر منطقة السليمانية ذات انتاجية كبيرة حيث يبلغ المعدل السنوي ٨٥٪ من الانتاج العام ثم تليها محافظـة اربيـل حيث يبلغ انتاجها ١١٪ من الانتاج العام ، وأخيرا يأتي قضاء جمجمال وبقيـــة محافظة دهــوك) ٠ ص ١٠٣

(٦١) احصاءات غير منشورة لدى مديرية انحصار التبغ في بغداد ٠

البذور التى ورثوا زراعتها عن آبائهم ، كما ان النوعية المزروعة عبارة عن خليط من انواع متعددة تتفاوت في وقت جنيها وفي جودتها . كذلك يعزى انخفاض نوعية الانتاج الى سوء طريقة جنى اوراق التبغ والى عدم صلاحية طريقة تصنيفها . وقد لخص تقرير بعثة بنك الاعمار الدولى مساويء قطف التبغ في العراق على الوجه التالي :

(يقطف الفلاح اوراق النبتة بمجموعها بدلا من قطفها بشكل فردي مبتدأ من اسفل الساق . ويتم تصنيف الاوراق كيفما اتفق ، ثم تعرض الى الشمس مباشرة بدلا من الاحتفاظ بها في اماكن مظللة لثلاثة او اربعة ايام . وفي اثناء القطف والتصنيف لا يفرق الفلاحون بين الاوراق السفلى والوسطى والعليا ، كما انهم لا يهتمون بضمان الرطوبة المناسبة للورقة عند حزمها في البالات)[٦٢] .

ومن الامور الهامة التي تؤثر على انتاج التبغ الحاجة الى تجارب علمية لاختبار مدى صلاحية كل منطقة من مناطق اللواء لزراعته . ففي بعض جهات اللواء مثل سهل شهرزور اثبتت التجربة الطويلة انها غير صالحة لزراعة التبغ . ومع ذلك فان ملاك الارض في هذه المنطقة يحصلون على نصيب كبير من رخص زراعة التبغ بسبب نفوذهم السياسى . ولا شك ان مثل هذا النفوذ يضر بسياسة توزيع زراعة التبغ في اللواء .

وعلى اية حال فلابد من ادخال الاصلاحات على زراعة التبغ . ويتطلب ذلك قبل كل شيء الاهتمام بزراعة انواع جديدة من البذور ، واجراء التجارب على الانواع الحالية التي تزرع في جهات اللواء المختلفة لاختيار افضلها . ولابد من توفير الاختصاصيين في زراعة التبغ لتعليم الفلاح على

62. The International Bank for Reconstruction and Development, "The Development of Iraq", Baltimore 1952, P.526-7.

الاساليب العلمية في قطف الاوراق وتصنيفها واعدادها للحزم في البالات .
كذلك لابد من تحسين وضع مخازن البالات بحيث تزود بالمكيفات التى تتحكم في درجات الحرارة والرطوبة داخلها . ان ادخال امثال هذه التحسينات على زراعة التبغ امر ضرورى جدا اذا اريد رفع مستواه . وان رفع مستوى انتاج التبغ سيؤدي الى ازدهار وضع الزارع الكردي الذى يعتمد بشكل رئيسى على زراعة التبغ ، كما سيزيد من دخل الحكومة من تصدير تبوغها .

وبالرغم من ان المساحات التي تخصص لزراعة التبغ في اللواء من اختصاص مديرية انحصار التبغ العامة ، وان هذا الاجراء قد يخضع في بعض الحالات الى النفوذ الشخصى للملاكين والى عوامل سياسية كما ذكرنا ، الا ان توزيع زراعته في اللواء يكشف على اية حال عن صلاحية مناطق معينة بالذات لنموه . ويمكن اعتبار قضاء بشدر افضل جهات اللواء انتاجا للتبغ في نوعيته وكميته ، يليه قضاء شهر بازار ، في حين ان قضاء حلبجة اقل الاقضية صلاحية لانتاج التبغ .

القطن :

وهو يلي التبغ في اهميته كمحصول صيفي . ويمكن اعتبار لواء السليمانية عموما مناسبا لزراعته ، لا سيما من وجهة نظر التربة ، اذ انه يحتاج الى تربة غنية وخصوصا في الفوسفور . ومن ضرورات زراعة القطن ايضا حرارة مرتفعة ومياه وفيرة وجفاف في اواخر مرحلة نضجه ، وهذه المتطلبات جميعا تتلاءم والبيئة الطبيعية للواء السليمانية . غير ان الممارسة والخبرة تنقصان زراع اللواء مما قد يؤدي الى نتائج مضرة . فقد ينتقص امثال هؤلاء الزراع من اهمية العمل المتطلب في الري والشتل والقطف مما قد يضر بالحاصل ضررا كبيرا[٦٣] . وعلى اية حال فان ابرز العوامل

63. Department of Agriculture, "Cultivation of American cotton", Leaflet No. 15. 1957.

المعيقة للتوسع في زراعة القطن هو قلة المياه والاصابات العالية بدودة القطن[٦٤] ×
فالقطن نبات حساس يحتاج الى كمية كافية ودائمة من المياه • ونظرا لعدم
ثبات كمية المياه الجوفية في اللواء فقد يتعرض النبات لاضرار كبيرة • وتمثل
دودة القطن تهديدا مستمرا لزراع اللواء • وفي اثناء الفصل الزراعي
١٩٥٢-١٩٥٣ حينما بلغ انتاج القطن قمته ، سببت الاصابة بهذه الافة ضررا
كبيرا للمحصول بحيث ثبطت رغبة الزراع فيه[٦٥] • ثم ان القطن غلة
منهكة جدا للتربة ، وهو يحتاج الى تربة شديدة التخصيب • وعلى ضوء
نظام الملكية الارضية الحالي والاساليب الزراعية الحالية ، فان هذا المطلب
لا يمكن تحققه بشكل صحيح •

فليس من الغرابة اذن ان يتجه الزراع في اللواء الى زراعة التبغ والى
تفضيله على القطن ، ذلك ان التبغ يحتاج الى مياه اقل والى تربة اقل تخصيبا
والى ايدى عاملة اقل ، كما انه فوق كل شيء اقل تعرضا للمخاطر • واذا ما
اريد توسيع زراعة القطن فلابد من حل مشاكل معينة قبل ذلك ، وخصوصا
مشكلة الايدى العاملة • فالقطن يحتاج الى ايدى عاملة كثيرة لمواجهة متطلباته

× (٦٤) لقد عزت دورين وارينر Warrinor فشل زراعة القطن في
العراق الى الاسباب التالية :

(لقد فشلت سياسة زراعة القطن في العراق لسببين ، الاول عدم
تعهد السلطة الحكومية بمقاومة الافات وتحسين الانواع ، كما هو الحال
في سوريا ومصر ، والثاني فرض ضريبة على التصدير الخارجي مقدارها
٢٥٪ مما جعل الاسعار تحت المستوى العالمي في صالح الصناعة القطنية
الوطنية ولا سيما في صالح شركة الغزل والنسيج • وقد الغيت هذه
الضريبة في اوائل عام ١٩٥٦) •

Warrinor. D., "Land and development in the Middle East",
P. 118.

65. Report of the Iraqi delegation to the 8th conference of
F.A.O.. Rome, 1953, P.4.

في اعداد الارض وفي الشتل والري وعند القطف . ولابد من تحقيــق زيادة سريعة في السكان قبل التوسع في زراعة القطن اذا اريد تجنب مشكلة قلة الايدي العاملة[٦٦] . وعلى اية حال فان زراعة القطن قد اخذت بالتوسع في الفترة الاخيرة ، وقد احتل لواء السليمانية مركزا مرموقا كما يوضحــه الجدول التالي(×) :

الجدول رقم ٤٦[٦٧]

المساحات المزروعة بالقطن حسب الالوية (لعام ٥٢-١٩٥٣)

اللــواء	المساحة (بالدونم)
السليمانية	٨٣٠٣
بغداد	٣٦٦٥٧
البصرة	١٨
الموصل	٦٧٢٤
العمــارة	٣٠٠
كربــلاء	١٨٦٨
الدليم	٤٦٧٥
كركوك	٧٥٠

66. Issawi, Charles, "The balance between land and the population in the Near East". F.A.O. conference, Salahuddin 1955.

67. Compiled from the agricultural and livestock census of 1952.

(×) لقد بلغت المساحات المزروعة بالقطن لموسم ٦٨-١٩٦٩ حــوالى ٢١٠٠٠ دونما ، كما بلغت النسبة المئوية للمساحة المزروعة ٨ر١١ ، وبلــغ انتاجه بالاطنان ٤٩٥٥ ، وبلغت النسبة المئوية للانتاج ٢ر١٢ ، كما بلــغ معدل غلة الدونم الواحد ٢٣٢٦ كغم .

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨-٩٦٩) ، ص ٥١ .

« تابـع »

اللـواء	المساحة (بالدونم)
المنتفك	٥٢٠
الحلـــة	٦٢٨٢
الكـوت	١٢٨٧٠
الديوانيـة	٢٦٢٧
ديـالى	١١٧٣٣
اربيـل	٣١٦٥

وهناك مواضع معينة في اللواء صالحة بشكل خاص لزراعة القطن ٠ويدل توزيع المساحات المزروعة بالقطن بان سهل شهرزور اكثر اجزاء اللـــوآء صلاحية لزراعة القطن ٠ ويعزى ذلك الى خصوبة تربته والى مياهه الوفيرة والى حرارته المرتفعة صيفا ٠

ولقد سادت زراعة نوعين من القطن في العراق حتى عام ١٩٤٨ وهما اكالا روجرز Akala Rogers واكالا القديم Old Akala غير ان اكالا القديم قد منعت زراعته منذ عام ١٩٤٩ وذلك لمنع اختلاطه باكالا روجرز الذى هو افضل منه نوعية ٠ وهكذا اقتصرت زراعة القطن على اكـالا روجرز فقط بسبب جودة نوعيته وتوفر اسواقه في الخارج[٦٨] ٠

وفي عام ١٩٥١ ادخلت زراعة نوع جديد من القطن في الالوية الشمالية هو كوكر وولت Coker Wolt, R100 ، ومنذ ذلك الحين اصبح هو المفضل ٠ ويزرع في لواء السليمانية كلا النوعين ٠ وقد بلغت المساحة المنزرعة باكالا روجرز في عام ١٩٥٤ حوالي ٥٤٠٠ دونما ، كما بلغت المساحة المنزرعة بكوكر وولت حوالي ١٨١٦٢ دونما[٦٩] ٠

---

68. Statistical abstract, 1954. P.76.

٠٦٩ المصدر السابق ص ٧٨ ٠

الـــرز :

لقد كانت زراعة الرز في اللواء اكثر اتساعا في اوائــل هذا القرن منهــا في الوقت الحاضر ، الا انها لم تبلغ في يوم من الايام مســـتوى تجاريا في الانتاج • ويمكن القول ان شحة المياه هي من اهم العوامل التي عرقلت التوسع في زراعته ، وان كانت قلة الايدى العاملة قد ساهمت في ذلك مساهمة فعالة • وتتطلب زراعة الرز صيفا طويلا حارا ومياها وفيرة وتربة طينية خصبة • وتتمثل هذه الشروط في سهل شهرزور على الخصوص ، وفي بقية سهول اللواء على العموم • ومما لا ريب فيه ان ألوية البلاد الجنوبية هى اكثر صلاحيـة لزراعة الرز من الالوية الشمالية ، ولا سيما المناطق الفيضية التى تمتد عـلى الضفاف السفلى لنهري دجلة والفرات • ويمكن ان نتلمس ذلك في الجدول التالي(×) :

الجدول رقم (٤٧)(٧٠)

المساحات المزروعة بالرز حسب الالوية (لعام ٥٢ـ١٩٥٣) × ×

اللـــواء	المساحات المزروعة (بالدونم)
السليمانية	٧٩٥٤
بغـداد	١١٥١
البصـرة	١٧٣٩٥

70. Compiled from the Agricultural and livestock census of 1952.

(×) بلغت المساحات المزروعة بالرز في اللواء لعام ٦٨ـ١٩٦٩ حوالى ٨٠٢١ دونما ، كما بلغت النسبة المئوية للمساحة المزروعة ٤ر١ ، وبلــغ انتاجه بالاطنان ٣٩٣٨ ، وبلغت النسبة المئوية للانتاج ٣ر١ ، كما بلغ معدل غلة الدونم الواحد ٤٨٠ كغم •

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨ـ١٩٦٩) ، ص ٤٩ •

(× ×) لقد اوردت الاحصائيات الحديثة كميات الرز المنتج في الالوية على الوجه التالى :

=

« تابــع »

اللــواء	المساحات المزروعة (بالدونم)
الموصــل	١٠٢١١
العمــارة	١٤٨٩٩٢
كربــلاء	٩٨٩
الدليــم	٤٩٠
كركــوك	٩٦٥٦
المنتفـك	٥٠٣٥٧
الحلـة	٣٣٣٥١
الكـوت	١١٣٣٥
الديوانيـة	٢٠١٧٧٨
ديـالى	١٧٤٩٠
اربيـل	٣٨٤٣

=

المحافظة	الناتج (طن)		المساحة المزروعة (دونم)	
	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٦٨	١٩٦٩
بغداد	٨٠٨٠	٧٣٥١	١٦٠٠٠	١٢١٥٠
البصرة	١٤٥٧	–	٢٩٠٠	–
نينوى	٦٧٠٥	٧٠٣٥	١١١١٧	١٠٧٩٦
كركوك	٥١٩١	١٤٧٢	١٠٠٤٥	٧٤٢٥
القادسية	١٤٤٤٨٠	١٠٨٨٣٩	١٩٨٣١٠	١٩٧٧٧٨
ميسان	٣٥٣٠٧	٤٣٤٩٨	٩٤٦٥٠	٥٢٥٦٩
ذي قار	١٦٤٤٤	٣٣٧٦٧	٣٠٤٥٠	٦٦١٧٦
بابـل	٣١٦٣٨	٢٤٨٨٣	٦٦١١٠	٤٩١٤٢
كربـلاء	٢٦٦٦٦	٢٦٢٨٨	٤٧٨٢٤	٥١٥٢٨
اربيل	٣٣٠٥	٣٣٥٢	٤١١٩	٣٩٨٥ =

وهناك طريقتان تتبعان في زراعة الرز في اللواء ، وهما زراعة البـــذر وزراعة الشتل • ففي الطريقة الاولى تبذر الحبوب ويروى الحقل مباشرة ، ثم يحرث ويعاد حرثه • اما الطريقة الاخرى فان الشتلات تنقل الى حقـول صغيرة وتزرع على حافة القنوات • وعلى اية حال ، ففي معظم جهات اللواء يزرع الرز في حقول مدرجة اقتصادا في المياه وتسهيلا لعملية الصرف • لذلك فلا تتمثل في اللواء مشكلة الملوحة في حقول الرز التى تسود فى حقـــول المنطقة الجنوبية • ومن المعتقد ان طريقة الشتل ، وهى المفضلة في اللـواء ، تعطى غلة افضل في نوعيتها وكميتها [٧١] •

وهناك محاصيل صيفية اخرى تأتى بالدرجة الثانية في اهميتها مثـــل الحمـص (٨٨٨١ دونم) والدخـن (١٠٠٠ دونم) والسمسم (١٢٠٠ دونم) والذرة (١٨٠٠ دونم) حسب الموسم الزراعي لعام ١٩٥٢–١٩٥٣ (×) •

71. Pam, C.L., "Rice production in Iraq". Majallat Alziraa al-Iraqia, vol. X. No. 1, 1951.

=

ديـالى	١٧٩٣٠	١٥٧٤٥	٣٧٣٨٩	٣٠٨٧٦
واسـط	٢٠٠٥٥	١٢٧٦٩	٤١٧٣٢	٢٣٧٠٠
الانبـار	٢٤٥٦	١٩٤٦	٤٤٧٢	٤١٠٠
السليمانية	٣٩٣٨	٤١٠٦	٨٢٠١	٨٥٠٠
المجموع	٣٢٤٥٥٧	٢٨٤٢١٩	٥٧٣٣١٩	٥٥٨٧٢٥

(×) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة المعلومات التالية عن المزروعات الصيفية الثانوية :

نوع الغـلة	المساحة (بالدونم)	الانتاج (بالطن)
السمسم	٤٤٥	٥٨
الماش	٩٦٠	١٧٦
الذرة الصفراء	٦٢٠	١٦٧
الذرة البيضاء	٥٥	٧

=

الخضروات :

ان تخلف المواصلات في اللواء يثبط بدرجة كبيرة زراعة الخضروات. وبما ان معظم الخضروات عرضة للتلف بسهولة ، فان وسائل النقل الحالية البطيئة تجعل انتاجها على نطاق تجاري امرا غير عملي . وفضلا عن ذلك فان شحة المياه تقلل من امكانية التوسع في زراعة الخضروات . ونتيجة لذلك فان زراعة الخضروات على نطاق تجاري تتركز في الجهات المجاورة للمدن حيث يمكن التغلب على مصاعب المواصلات (×)

ويكشف توزيع زراعة الخضروات في اللواء عن تأثير عاملي المواصلات

=

اللوبيا اليابسة		٢٠١		٣٩
عباد الشمس		٥٠١		١٦٩

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ١٩٦٨ – ١٩٦٩) ، ص ٥٩ – ٦٠

(×) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة المعلومات التالية عن زراعة الخضروات في اللـــواء :

الخضروات الشتوية لموسم ٦٨ـ١٩٦٩ في لواء السليمانية

نوع الغلة	المساحة المزروعة (دونم)	معدل غلة الدونم كيلو	طن	كيلو	الناتج العـــام طن
الباقلاء الخضراء	٢١٨	٦٩٥	١	٥٠٠	٣٦٩
البصل الاخضر	٣٢٦	٧٦١	١	–	٥٧٤
الشوندر	٦٢	٤٠٣	٣	–	٢١١
اللفت	١١٧	٨٥٥	٢	–	٣٣٤
السلق	١٣٦	٢١٠	٢	–	٢٨٧
الخس	١٨	٥٥٦	٣	–	٦٤
الفجـل	٩٧	١٤٤	٣	–	٣٠٥
الجـزر	١٦	٤٢٨	٢	–	٣٩
الفاصوليا الخضراء	٣٢	٣٢٨	١	٥٠٠	٣٢ =

والتمدن • وبما ان زراعة الخضروات تخدم اغراض الاستهلاك المحلى ، وبما ان الخضروات لا تحتل مكانة بارزة في غذاء السكان الريفيين ، لذلك لا يخصص لها الزراع سوى مساحات صغيرة • وهذه المساحات تعتبر محدودة جدا اذا ما قورنت بالمساحة العامة المخصصة لها في بقية الوية البلاد كما يوضح الجدول التالى :

الجدول رقم (٤٨) (٧٢)

المساحات المزروعة بالخضروات حسب الالوية (لعام ٥٢ـ١٩٥٣)

نوع الغلة	مساحتها في لواء السليمانية (بالدونم)	مجموع المساحة الكلية للالوية (بالدونم)
الرقي	١٠٠١	٥١٠٨١
الطماطا	٣٤٧٦	٤٥٣٢٨

72. Compiled from the Agricultural and livestock census of 1952.

=

الخضروات الصيفية لموسم ٦٨ـ١٩٦٩

الطماطا	١٥٢٠	٢٢٢	٢	—	٣٣٧٧
الباميا	٤٦٢	٦٠٠	١	—	٧٤١
الباذنجان	٣٥٠	٤١	٣	٥٠٠	١٠٦٤
خيار لثاء	١٧٥	٤٧	٢	—	٣٠٥٢
البطيخ	٢٩٣	٦٠٩	٢	٥٠٠	١٠٦٤
الرقي	٥٠٥	٧٣٤	٢	٥٠٠	١٣٨٠
الفلفل الاخضر	٦٤	١٢٥	١	—	٧٢
اللوبيا الخضراء	٥٧	٤٨٨	١	٨٠٠	٨٤
قرع اسكلدو	١١٥	١٩٧	٢	٥٠٠	٣١٢
قرع عناكي	١٤٦	٢١٨	٢	٨٠٠	٣٢٣

المصدر : (دليل القطاع الزراعي في العراق لعام ٦٨ـ١٩٦٩) ، ص ٨١ ـ ٨٤ •

« تابع »

نوع الغلة	مساحتها في لواء السليمانية « بالدونم »	مجموع المساحة الكلية للألوية « بالدونم »
البطيخ	١٤٣١	٢١٤٤٩
الخيـــار	٥١٠	٢٠٣٣٨
الباذنجان	٤٤٠	١٦٦٥٤
اللفت	٦٦	٥٥٩٥
السبانغ	٣٣	٤٤٤٢
اللهانـة	١٩	٢٠٥٨
الجـــزر	٣٥	١٦٤٢
الكرنب	٣٠	٦٧٣
البطاطـــا	٣٧	٦٤١
قرنبيـــط	١	٢٨٦

ويوضح الجدول المذكور ايضا انه فيما عدا الطماطا التى تستهلك محليا ، فان البطيخ والرقي يحتلان الجزء الاعظم من زراعة الخضروات ، وذلك لسهولة نقلهما وقلة تعرضهما للتلف .

الفواكـــه :

يزرع في لواء السليمانية انواع عديدة من الفواكه ، غير انها على العموم ذات نوعية رديئة وقليلة الصلاحية للتصدير . ولذلك فقلما يهتم الزراع بزراعتها نظرا لارباحها القليلة . وقد لعب النقص في المواصلات دورا رئيسيا في عرقلة التوسع في زراعة الفواكه ، اذ ضيق من فرص اصدارها الى خارج المنطقة ، مما ادى الى تخفيض اسعارها بدرجة ملحوظة . كذلك ساهم في تقليص الاهتمام بزراعة الفواكه انخفاض مستوى السكان في اللواء ، اذ ان استهلاك الفواكه يعتبر لونا من الوآن الرفاهية . وبالرغم من هـــذه

المصاعب التى يواجهها اللواء فانه متقدم في زراعة الفواكه على كثير من الالوية، ولا سيما في زراعة الكروم والرمان والجوز والتفاح والكمثرى والخوخ ، كما يوضحه الجدول التالى :

الجدول رقم ٤٩(٧٣)

زراعة الفواكه في العراق حسب عدد الاشجار (لعام ٥٢ـ١٩٥٣)

اللواء	الرمان	الخوخ	التفاح	العنجاص	الكمثرى
السليمانية	١٦٨٨٤٢	٤٠٣٢٩	٢٠٩٠٣	١٩٠٦٣	١١٤٣٧
بغداد	٢٨٢٦٥٧	٢٤١٥٤	٤٤٠٢٥	٣٦٢٧٦	١٩١٨٧٤
البصرة	٢٧٩١٤	٢٦٩	٤٩٧٢	٩٦٧٤	١٩٣٤٧
الموصل	٨٦١٧٦	٨٠٥٤	٣٠٧٦٥	٢٦٧٨١	٢٥٢٤٨
العمارة	١١١٩٥	٥١	٤٥٦٧	١٤١٤	٤٢٠٦
كربلاء	٣١٠١٧٨	٢٣٠٩	٢١٣٣٩	٩١٨٩	٥٥٢٣٠
الدليم	٨٣٦٩٥	٩٣٥	٤٦٥١٨	٣٥٤٠	٤٠٦٠٤
كركوك	١٦٧٦٩	١٣٠٣	٥٨٢٨	٣٤١٤	٧٦٠٢
المنتفك	٩٧٢٢	—	٧١٧	٣٧٢	٤٣٥٤
الحلة	٤٦٧٧٥	٥٨	٤٤٧٩	٢٢٠	٢٣٠٩٣
الكوت	٦٥٤٥٢	٦٩٢	٤٣٨٧٨	٢٢٦٣٣	٣٩٠٩٢
الديوانية	٢٠٥٧٥	٢٨٣	١١٠٣٥	٢٥٣١	١٤٩٩١
ديالى	٨٠٤٠٧٩	١٣٥٦٠	١١٠٨٥٥	٣٥٧٤٢	١٢٦٣٤٩
اربيل	٦٦٢٠٠	١١٢٠٦	١٤١٠١	٧٣٥١	١٦٦٤

وتحتل الكروم اكبر جزء من زراعة الفواكه في اللواء ، وتعتبر بعض اشجارها برية ، ويروى غالبيتها بالامطار . وتزرع الكروم عموما على

73. Compiled from the Agricultural and livestock census of 1952.

منحدرات التلال ، وتكون المنحدرات حادة في بعض الاحيان بحيث لا يمكن زراعة اشجار الفواكه الاخرى فيها • وتعتبر المنحدرات المواجهة للشمس افضل المناطق لزراعة الكروم • وتتركز زراعة الكروم في اللواء في جبال قره داغ وهاورامان وشهربازار •، ويقدر مجموع مساحتها بحوالى ١٥٠٠٠ دونم •

ويأتى الرمان بالدرجة الثانية بعد الكروم في عدد اشجاره الذى يصل الى ١٦٨٨٤٢ شجرة • وتتركز زراعته في ناحيتي شهرزور وخورمال بسبب سهولة مواصلاتهما •

ويحتل الجوز مكانة هامة في انتاج اللواء من الفاكهة • وتتركز زراعته في ناحية خورمال ، لا سيما في منطقة هورامان حيث يوجد حوالى ٦٠٠٠ شجرة •، كذلك تكثر زراعته في ناحيتي بنجوين وشهرزور حيث يوجد فى كل منهما ١٢٠٠٠ شجرة • ويجدر بالذكر ان لواء السليمانية يعتبر من اكثر الوية العراق انتاجا للجوز •

وتزرع اشجار الكمثرى بعدد كبير نسبيا • وتتركز زراعتها في الاجزاء العليا من اللواء في الجهات الشمالية والشرقية ، ويوجد اعلى رقم من اشجار الكمثرى في ناحية بنجوين (٦٨٠٠٠ شجرة) ثم ناحيتي جوارته وشهرزور (٥٨٠٠ شجرة لكل منهما) •

واما اهتمام الزراع في اللواء بزراعة الخوخ والمشمش فضعيف نسبيا بالمقارنة ببقية الفواكه • ويمكن القول ان نصيب اللواء من انتاج الفواكه الحمضية ضئيل جدا ، اذ ان الظروف الطبيعية لا تلائم عموما انتاج هذا النوع من الفاكهة • وقد اشار تقرير الاحصاء الزراعي والحيواني لعام ٥٢-١٩٥٣ الى وجود ٢٣٧٨ شجرة برتقال في اللواء (من مجموع ١٢٩٣٥٩٢ شجرة) و ١١ شجرة ليمون حامض (من مجموع ١٨١٧٥٢ شجرة)

و ٥ أشجار ليمون حلو (من مجموع ٣٣٢٦٣٦ شجرة) . وكذلك يزرع في اللواء اعداد قليلة من اشجار الفواكه الاخرى مثل اللوز والزيتـــون والفستـــق [٧٤] .

من الواضح اذن ان انتاج الفواكه يمثل جزءا هاما من اقتصاد لــواء السليمانية ، بالرغم من وجود عقبات ومصاعب كثيرة . ومع ان البيئة الطبيعية في اللواء مثالية لزراعة الفواكه ، الا ان الاساليب المتبعة في زراعة اشـجارها وفي العناية بها يؤدي الى غلة سيئة في نوعيتها وكميتها . فالاشجار تـــزرع بشكل متقارب جدا حتى انها تتداخل في بعضها . ولا يقوم الزراع بتشذيب وتقليم الاغصان الجافة ، كما انهم لا يقومون بتصنيف واختيار الفواكـــه والاشـــجار [٧٥] .

ان رفع مستوى ناتج ونوعية الفواكه خطوة ضرورية جدا . ويمكـن رفع مستوى الانتاج عن طريق العناية بالتشذيب والزراعة والاختيار ، وعن طريق السيطرة على الحشرات والافات الزراعية . ومثل هذه الخطـوات قد تؤدي الى مضاعفة غلة المشمش والخوخ والتفاح ، كما تحسن بدرجـة كبيرة نوعيتها [٧٦] . وان تهيئة وسائل افضل للخـزن وتنظيـم نقلهـا الى الاسواق امر لا غنى عنه لتوسيع زراعة الفواكه ، كذلك فان ادخال انـــواع جديدة من البذور امر لابد ان يسبق اية خطوة للرفع من مستوى الفواكـه في اللـــــواء .

الغـــابات :

تمثل الغابات جزءا هاما من استثمار الارض في لواء السليمانية حيث

---

74. Livestock and Agricultural census, P.73.

75. Kean, B.A., "The agricultural development in the Middle East" London 1946. P.86.

76. I.B.R.D., "The development of Iraq" P. 224:

تشغل ٤٢١٥ دونما ، كما تشغل الاحراش ٤٤٨٨ دونما (×)[٧٧] • وقد تعرض هذا المورد الاقتصادي على الدوام الى استثمار مخرب ، ولم يتلق اية حماية جدية حتى السنوات الاخيرة • ويمكن تلخيص العوامل المخربة التى اثرت على غابات اللواء بما يلى :

١ ـ العوامل الطبيعية : تتنوع العوامل الطبيعية التى تؤثر على الغابات تأثيرا ضارا ومنها الفيضانات والصقيع والثلج والجفاف والرياح القوية • كما تسبب الحشرات الزراعية وحيوانات الحقل كالفئران والخنافس والعناكب اضرارا كبيرة •

٢ ـ العوامل البشرية : تؤثر العوامل البشرية في تخريب الغابات عن طريق ممارسة الزراعة المتنقلة والرعي المفرط والحرائق •

فالزراعة المتنقلة تسبب تلفا عظيما للغابات ، لان الزراع يلجؤون الى احراق الاشجار للحصول على ارض جديدة ، وبذلك يجردون الارض من وسائل الحماية تجاه سيول الامطار •

---

77. The Ministry of Agriculture-Directorate General of Forestry, "Annual report of 1953-54".

(×) لقد اوردت الاحصاءات الحديثة (لعام ٦٨ـ٩٦٩) المعلومات التالية عن الغابات :

مساحة الغابات الجبلية (بالكيلومتر المربع)

النوع	المجموع	ديالى	كركوك	السليمانية	اربيل	نينوى
مساحة الاراضى الجرداء المرتفعة	٢٥٧٥	ـ	ـ	٣٧٦	١٨٤٤	٣٥٤
مساحة غابات البلوط الكثيفة (غير مستغلة)	٦٤٥٣	ـ	ـ	٩٩٩	٢٣١٣	٣١٤٠
مساحة غابات البلوط الكثيفة (مستغلة)	٢٨٨٢	ـ	١٨	٦٣٠	٩٧٦	١٢٥٨
مساحة غابات البلوط ذات كثافة ضعيفة	٥٨٦٦	٤٩	١١٥	٢٢١٠	١٨١٦	١٦٧٨
المجموع	١٧٧٧٦	٤٩	١٣٣	٤٢١٥	٦٩٤٩	٦٤٣٠

اما الغابات النامية على ضفاف الانهر فتبلغ مساحتها ٢٠١٣٤ كيلومتر مربع وهي منتشرة هنا وهناك بين السهول •

المصدر : (المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩) ، ص ١٦٣ •

ويحمل الرعي المفرط نفس الاخطار للغابات • فكثير من الحيوانات ، ولا سيما الماعز ، تأكل الاوراق والقمم النامية للاشجار الفتية مما يؤدي الى تاخير نموها •. كما ان الرعي المفرط يعرض الارض الى التعرية فيؤثر بصورة غير مباشرة على الغابات • ولذلك لابد من اتخاذ الاجراءات لحماية الغابات من الرعي المخرب ، وذلك عن طريق تحديد الحيوانات في كل دونم وحصر الرعي في مناطق معينة وفي فصول معينة ، لا سيما حينما تكون الاشجار في دورها الفتي •

وتعتبر الحرائق مسؤولة عن تخريب جزء عظيم من غابات اللواء كل عام • وتحدث الحرائق مصادفة في أغلب الاحوال ، الا انها قد تحدث في بعض الحالات بشكل عمدي كعمل انتقامي من قبل قرية ضد اخرى • وقد قدرت المساحة التي خربتها الحرائق في جميع مناطق الغابات بحوالى ٢٠٠٠٠ دونم (٧٨) •

والواقع ان اهمية الغابات لا يمكن تجاهلها على ضوء فوائدها الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية•فالفوائد الطبيعية تتمثل في حماية التربة من التعرية عن طريق عرقلة الفيضانات وسيول الامطار ، وفي صد الرياح القوية وفي تعديل درجة الحرارة •

اما فوائدها الاقتصادية فلا حصر لها • فالغابات هي مصدر للفحم الحجري وفحم الوقود ، كما انها مصدر للاخشاب التي ترتبط بصناعات كثيرة لا سيما صناعة البناء والاثاث • وتعتبر الغابات مصدراً للصمغ والزيوت ومواد كيمياوية اخرى • وتلعب الغابات أيضا دورا ملحوظا في تطوير المجتمع والذي يمكن توضيحه بالنقاط التالية :

١ ـ تساهم الغابات في اقتصاد ريفي صحيح بدلا من الاقتصاد ذي الجانب الواحد الذي يعتمد على الزراعة فقط •

---

٧٨ المصدر السابق ، ص ١٠ •

٢ ـ تساهم الغابات في الاستفادة من بعض الاراضى التى لولاها لكانت ارضا خرابا ، لا سيما الاراضى غير الزراعية •

٣ ـ توفر الغابات ملجأ للحيوانات وتستعمل اوارقها للعلف الشتوي •

٤ ـ يمكن ان تكون الغابات قاعدة هامة لصناعة خشبية توفر العمل للسكان الريفيين اثناء فترة البطالة الزراعية الموقتة [٧٩] •

اما فوائدها الاجتماعية فتكمن في مزايا الجمالية وفيما تنطوي عليه من امكانات للترفيه لا سيما بالنسبة للمجتمعات الريفية •

ان موقف الاهمال الطويل وعدم الحماية الذى اتخذته السلطات المسؤولة عن الغابات كان ناجما بشكل رئيسى عن المركز الغامض الذى تحتله الغابات في قانون الارض العثماني • ففي بعض الحالات اعتبرت الغابات ملكية خاصة ، وفي حالات اخرى اعتبرت وقفا دينيا ، وفي حالات اخرى اعتبرت ملكيات للدولة • وفي عام ١٩٥٤ اصدرت الحكومة قانونا جديدا للغابات ضمنت به حماية الغابات ومنعت التحطيب لغرض تجاري الا بترخيص خاص ، واصبح الفلاحون عرضة للعقوبة في حالة تسببهم بحدوث الحرائق او في حالة احراق الاشجار بصورة عمدية • وعمدت مديرية الغابات ايضا الى القيام بمشاريع واسعة لاعادة التشجير وللمحافظة على الغابات الموجودة • وقد شرعت مديرية الغابات في اللواء بالفعل بتطبيق مشروع واسع للتشجير يشمل اعادة تشجير سلسلة كويجة وبكره جو وقيلسان وسرجنار ، وانشاء غابة جديدة في بكره جو • واذا ما استمرت مديرية الغابات في تطبيق سياستها الجديدة فى حماية الغابات الحالية واعادة التشجير ، فان ذلك سيحي مصدرا اقتصاديا مهما والذى سوف يؤدي بالتالى الى المساهمة في ازدهار اللواء (×)•

---

79. F.A.O. "The role of forest in community development" Salahuddin conference, 1955.

(×) لقد نفذت مديرية الغابات فيما بعد كثيرا من مشاريعها المشار اليها اعلاه •

- ٢ -

تربية الحيوان

لا تؤلف تربية الحيوان في لواء السليمانية وحدة متكاملة مع الزراعة . وبالرغم من اهمية اقتناء الحيوانات بالنسبة للزارع ، الا انه ـ فيما عـدا حيوانات الجر ـ لا يسخرها لخدمة الزراعة . فالزراعة المختلطة التى تستند فيها تربية الحيوان على الانتاج الزراعي منعدمة في اللواء كليا . ويعزى هذا الموقف الى نظام التصرف بالارض السائد في اللواء، وهو نظام المحاصة . فالملاكون يرفضون في العادة السماح للفلاحين بزراعة المحاصيل العلفية لحيواناتهم لان تلك المحاصيل لن تكون ذات نفع كبير لهم ، كما ان الزارع لن يكون مهتما بصورة جدية في تخصيب حقله لانه لا يمتلك ضمانا اكيدا في الاستمرار بزراعته . كذلك فان الملاكين الصغار يتجاهلون اهمية المحاصيل العلفية وارباحها في الامد الطويل ، ما دامت حيواناتهم ترعى في المراعي الطبيعية وتقتات على فضلات الحصاد . لذلك بات من الضروري احداث تغيير جذري في موقف الملاك والزارع من هذه النقطة لتحقيق تطور متوازن للانتاج الزراعي .

ان اهمية الزراعة المختلطة امر لا يحتاج الى تأكيد . فالتوازن في الانتاج الحيواني والزراعي المشترك امر يحقق توفير الغذاء الصحي لاسرة الفلاح ، ويؤدي الى انماء دخل الارض ، ويقلل من مخاطر الاعتماد الكلي على المحاصيل النقدية ، كما انه يحول دون انهاك التربة . وفوق ذلك كله فان الزراعة المختلطة تهيء للمزارع عملا متصلا على مدار العام ودخلا ثابتا .

وعلى اية حال فان الزراع الاكراد في لواء السليمانية يعتبرون اقتناء الحيوانات امرا ضروريا . ولا يعود ذلك الى حاجتهم الى خدماتها اليومية فحسب ، بل الى التقاليد الموروثة ايضا . فخدمات الحيوانات للفلاح العربي المستقر في المنطقة السهلية ذات الري الصناعي ضرورية ايضا ، ومع ذلك

فان اهتمامه باقتنائها اقل من اهتمام الفلاح الكردي • ويمكن ان يعــزي اهتمام الفلاح الكردي بالحيوانات الى المناخ المتقلب في المنطقة المطرية ، فكثيرا ما تصاب المحاصيل بالتلف فيصبح مضطرا الى الاعتماد في مورده وغذائه على مصدر اخر غير الزراعة • كذلك يمكن ان تعزى هذه الظاهرة الى نظــام التصرف بالارض في المنطقــة الكردية الذي يحقــق درجــة اعظــم من الاستقرار للفلاح الكردي وبالتالى يمكنه من تربية عدد اكبر من الحيوانات•

وتكشف الاحصائيات بان لواء السليمانية يأتي في مقدمة معظم الالوية في ثروتــه الحيوانيــة ، كما تكشــف ايضا بان تربية الحيــوان تســتأثر بجزء كبير من اهتمام الزراع • ويتوزع هذا الاهتمام بدرجة متفاوتة عــلى الماعز والاغنــام والابقــار ، اما بقية الحيــوانات فذات اهميــة ثانــوية تماما كما يوضحه الجدول التالى :

الجدول رقم ٥٠(٨٠)

عدد الحيوانات في ملكيات العراق حسب الالوية (لعام ٥٢ـ١٩٥٣)

اللواء	الماعز	الاغنام	الابقار	الحمير	الخيول	البغال	الجاموس	الجمال
السليمانية(× ×)	٣٤٧٢٧٤	٢٣٣٦٦٤	٨٨١١٦	١٨٥٨٦	٣٥٣٧	٣٠٢٥	٤١٢	١٣٩
بغداد	٦٩٦٤٦	٢٥٦٥٣٤	٦٦٨٠٢	٢٩٧٩٩	١٧٠٨١	٣٧٦	٨٦٨	٣٧٨٠
البصرة	٢٠٦٢	٣٩٤٥٣	٤٠٦٧٢	٢٨٤٨	٩٩٥	٢	١٠٨٠٣	٢٥٤
الموصل	٤٨٣٥٤٤	٧٤٩٩٧٨	٦٣٦٦٩	٥٧٣٤٨	١١٥٢٢	٣١١٦٦	٢٢٤٤	١٦١٩٥
العمارة	٤٧٨٠	٥٥٣٧٩٦	٢٠١٣٣	٢٠٩٧٣	١٠٢٩٨	٢٤	٦٧٠٥	١٣١٢
كربلاء	٦٤٧٣	٢٨٨٩٩	٩٧٣٣	٩٧٩٧	٩٥٠	١٨٥	١٨٣	٦٠
الدليم	٤٠٩٦	١٢١٦٤	٢١٥	١١٧٣	٦	–	١٠٦١	٢٠٥
كركوك	٢٨٣٠٣٢	٥٢٢١٦٤	٤٥٠٠٥	٣٢٤٩٥	٣٨٨٣	٩٤٠٠	٩٣٤	٩٤٠٠
المنتفك	٢٠٧٢٦	٣٢٠٧٩٩	٨٧٦٣٥	١٢١	١٩٥٠٩	–	٧٩١٢	١٧٩٦٣
الحلة	٣٢٨٣٢	٢٨٤٥٨٦	٧٢١٣٨	٣٠٣٢٤	٨٣٣٩	٧٩	٣٢١٢	٣٥٧٨

« تابع »

اللواء	الماعز	الاغنام	الابقار	الحمير	الخيول	البغال	الجاموس	الجمال
الكـوت	٣٦٦٢٧	١٦٣١١٠	٣٤٩٧٩	١٧٧٠٧	١٥٥٩٣	١٢٥	٥٨٥	٥٨٦
الديوانية	٣٤٣٣١	٥١٧٣٠٨	٧٣٠٤٠	٧٠٣٣٧	١٣٤٣٢	٧٨٦	١٠٨٦٥	٧١٥٠
ديـالى	٨٥٨٤٥	٢١٢١٥٠	٥٣٤٧٢	٧٩٧٣٨	١٢٢٧١	١٦١٧	٤٩٦	١٣٠٠
اربيـل	١٤٠٣٨٨	١٦٩١٠٦	٣٠٠٦٥	٢٢٣٧٥	٣٣٤٧	٨٢٤٣	٦٨٨	١٠١
المجموع	١٦١٨١٤٥(×)	٤٤٨٤١٥٦(×)	٧١١٩١٨(×)	٣٩٨٧٩٨	١٣٧٤٤٦	٥٦٦٧٣	٤٧٣٩٥	٣٧٦٩٦

80. Compiled from the Agricultural and livestock census of 1952-53.

(×) بلغ مجموع الاغنام في العراق حسب احصاء عام ١٩٦٩ حـوالى ١٢ مليون رأس ٠

(×) بلغ مجموع الماعز في العراق حسب احصاء عام ١٩٦٩ حـوالى ١٠ مليون رأس ٠

(×) بلغ مجموع الابقار في العراق حسب احصاء عام ١٩٦٩ حـوالى ٠٠٠ر٦٥٠ر١ رأس ٠

(× ×) أوردت الاحصائيات الرسمية للثروة الحيوانية في العراق لعام ١٩٦٥ الارقام التالية للواء السليمانية :
الاغنام (٣٢٢٠٠٠) ، الماعـــز (٣٧٢٠٠٠) ، البقر (٦٧٠٠٠) ، الجاموس (٣٠٠٠) ٠

المصدر : دليل القطاع الزراعي في العراق ٣٢٣ لعامي ١٩٦٨ـ ١٩٦٩ ص ١٩ ٠

الماعـــز

تحتل الماعز المكانة الاولى في اللواء من حيث اعدادها • ويمكن فهـم هذه الظاهرة على ضوء بيئة اللواء الطبيعية ، فالماعز يلائمها رعي المناطـق الغابية الوعـرة •

وللماعز فوائده في الاقتصاد الحيواني • ويعتبر الماعز متفوقا عموما على الاغنام في انتاج اللحم والحليب والشعر • واذا ما عني بالماعز عناية حسنة فانه يدر حليبا اكثر مما تدره الاغنام ، كما ان نوعيته ملائمة بشكل خاص لغذاء الطفل • ولا يستخدم حليب الماعز بشكله الطبيعي فحسب ، بل يدخل في صناعات رعوية متنوعة ، وخاصة الروبة واللبن الحامض • وهذين النوعين من الغذاء يمثلان اهم مقومات الغذاء الكردي الريفي • ويصنع الماسـتاو (وهو اللبن الحامض) من حليب الماعز ايضا • ويستخدم شعر الماعز لصناعات بيتية متنوعة كصناعة السجاد والجيغ وغطاء الخيمة •

وتعزى كثرة الماعز في اللواء الى سهولة تربيتها وتغذيتها • ويشتهر الماعز بمقدرته على التغذي على اى شيء يمكن ان يعترض طريقه ، وفـى العثور على الطعام في اشد المراعي فقرا • وان طبيعة الماعز الاليفة تجعـل ادارتها من قبل النساء أمرا سهلا • ومن جملة صفاتها الهامة عدم اصـابتها بامراض وبائية معينة تصيب الابقار وبقية الحيوانات • فهي لا تصاب بمرض السل مثلا مما يجعل حليبها مفضلا بالنسبة للاطفـال •

وبالرغم من هذه المزايا جميعا فان الماعز يسبب ضررا عظيما للاراضى والمحاصيل الزراعية والغابات ، ان لم تتم السيطرة عليه • وتنجم اضـراره بالنسبة للارض عن الرعي المفرط الذى يصاحب قطعان الماعز الكبيرة والذى يؤدي الى تعرية التربة • ومن المعلوم ان تجريد الارض كليا من حشـائشها يعرض التربة السطحية الى الانجراف بواسطة السيول والرياح •

وتسبب الماعز ايضا اضرارا بالغة للغابات فهي ترعى في العادة على الاشجار الصغيرة حينما تكون في اول مراحل نموها ، وهكذا تمنعها من بلوغ نموها الكامل .

ان هذه الاضرار تستدعي اتخاذ الاحتياطات اللازمة في اللواء للتحكم في رعي الماعز . فلابد من تخفيض اعدادها قبل كل شيء ، ولابد من احلال الاغنام محلها .

ويطلق على النوع الذى يربى من الماعز في اللواء اسم (المرعزي) وهو ينتمي في الحقيقة الى النوع الانقري ، ويمتلك شعرا طويلا ناعما وجميلا . وتدل احصاءات عام ١٩٥٣-٥٢ ان ناحية قلعة دزة تمتلك اكبر عدد من الماعز (٧٦٠٠٠ رأس) ، ولعل مرجع ذلك الى ممارسة السكان للزراعة شبه المستقرة ، والى وعورة المنطقة . وتتميز عدة نواحي في اللواء بارقام عالية من الماعز نظرا لوعورة اراضيها . اما الرقم المنخفض الذى تتميز به ناحية شهرزور (٦٠٠٠ رأس) فيرجع الى انخفاض كثافة السكان والى فقر المزارعين والى قلة وعورة المنطقة .

الاغنـــام

يلائم مناخ اللواء ذو الصيف الجاف تربية الاغنام ، بالرغم من ان درجة حرارة الشتاء تنخفض انخفاضا شديدا في معظم جهاته . ويمكن القول ان الصعوبات الطبيعية التى تواجه الزراعة في اللواء ، مضافا اليها ما يعانيه من انخفاض في كثافة سكانه ، تجعل من تربية الاغنام تعويضا ناجحا عن الزراعة [٨١] .

ويفضل زراع اللواء اقتناء الاغنام كلما توفرت لهم الامكانيات ، ويعتبر

---

81. Brunhes, Jean. "Human Geography" (English trans.) London 1952, P. 104.

عددها معيارا لثروتهم ، ولا تشتمل فوائدها على منتجاتها من الالبان فحسب ، بل على ما تدره من ارباح في الصفقات التجارية ايضا • واذا ما احسن تربيتها فانها تعود على مالكها من الناحية التجارية بفوائد مادية كبيرة • وفضلا عن ذلك فان فوائدها البيتية عظيمة للغاية • فلحوم الضأن مفضلة على جميع انواع اللحوم • ويستخدم حليبها لعمل اللبن والروبة والزبدة • غير ان منتجات الالبان لا تعود على الفلاح بفوائد مادية لانها تستخدم كليا للاستهلاك البيتي • وتدخل اصوافها في انواع متعددة من الصناعات البيتية كالاقمشة والسجاد والجوارب والملابس الداخلية •

وبالرغم من اهمية الاغنام الاقتصادية فان الزراع نادرا ما يغامرون بتربية عدد كبير منها • ويعود ذلك الى تعرضها السريع للاصابة بالامراض وعدم مقاومتها لتغيرات الجو ، كما يعود ايضا الى اسعارها العالية • وتقاسي الاغنام الكردية من امراض الفم والقدم ومن سقوط الصوف •

وتتصف الاغنام الكردية بطول ذنبها وسمنته وتنوع اصوافها • ومن اكثر الانواع شيوعا النوع المسمى بالكرادي ، ويتصف بلون ابيض ووجه وارجل سود وصوف طويل خشن • ويتراوح وزنه بين ٤٠-٥٠ كيلو وتزن جزته بين ٢-٣ كيلو •

ويكشف لنا الاحصاء الزراعي الحيواني لعام ٥٢-١٩٥٣ بان ناحية تانجرو تربي اكبر عدد من الاغنام (١٧٥٠٠٠ رأس) • ويعزى هذا الرقم المرتفع الى ظروف البيئة الطبيعية في هذه الناحية والى الاحوال الاقتصادية لزراعها • فهي جزء من سهل شهرزور الغني بسهوله الخصبة ومياهه الوفيرة ومراعيه الغنية ، كما ان زراعها ذوي دخل مرتفع نسبيا • اما نواحي ماوت (٤٠٠٠ رأس) وشهرزور (٥٠٠٠ رأس) وبنجوين (٦١٠٠ رأس) فتعاني جميعا قلة واضحة في اغنامها • ويعزى هذا الانخفاض في عدد الاغنام الى قسوة المناخ وفقر الزراع •

الماشية

بالرغم من ان الابقار أكثر الحيوانات نفعا لزراع اللواء الا ان اعدادها منخفضة نسبيا ، وذلك نتيجة لاسعارها المرتفعة ونسبة وفياتها العالية.وتستخدم الماشية كحيوانات حقلية رئيسية ، وتفضل منتجاتها من الالبان على منتجات الماعز والاغنام . ولا يمكن ان تعوض خدماتها الحقلية بخدمات الحيوانات الاخرى . فهي تستخدم في العمليات الزراعية الرئيسية كالحراثة والدياسة. لذلك فان نصيب المزارع بالمحاصة من الارض يتحدد حسب ما يمتلكه من الحيوانات الحقلية . وتستخدم الثيران بلا استثناء في الحراثة ، ونادرا ما تستبدل بالبغال او الخيول . اما الابقار فتساهم في عملية الدياسة ، الا انها تقتنى من اجل البانها بالدرجة الاولى . ويسود في اللواء النوع الصغير الاسود من الابقار ، وهو الذي يسود في جميع المنطقة الكردية ، ويتصف بانخفاض كمية حليبه . فلا تنتج بعض ابقار شهرزور مثلا اكثر من غالون واحد يوميا [٨٢] . ويعزى ذلك الى غذائها الناقص وتربيتها الرديئة . فالثيران مثلا لا تطعم أي حبوب بل تعيش على حشائش الحقل وعلى بقايا المحاصيل الزراعية بعد الحصاد . وتتعرض الماشية عموما للاصابة بأمراض متعددة اهمها الانيميا الذي يسبب نسبة وفيات عالية .

ويكشف توزيع المواشي في اللواء عن درجة استثمار الارض ، فعدد الحيوانات الحقلية يتناسب والمساحة المزروعة بالمحاصيل الشتوية . وتأتي ناحية قلعة دزة في مقدمة نواحي اللواء في عدد ماشيتها (١٥٨٠٠ رأس) ثم تليها ناحية تانجرو (١١٤٠٠ رأس) ثم ناحية مركه (١٠٠٠٠ رأس) ، ثم ناحيتي ماوت وسرجنار (٧٠٠٠ رأس لكل منهما) . ومن الجدير بالذكر ان ارتفاع عدد المواشي في ناحيتي قلعة دزة ومركه يعود الى ممارسة الزراع

---

82. Ali, H.M., P. 118.

للحياة شبه المترحلة . اما اعداد المواشي المنخفضة نسبيا في بقية النواحي فقد تأثرت بانخفاض نسبة استثمار الارض فيها .

حيوانات الحمل

ان الاعداد المرتفعة نسبيا لحيوانات الحمل ، اي الحمير والبغال والخيول ، تعكس النقص الشديد في المواصلات وتكشف عن النسبة المنخفضة لوسائل النقل الحديثة . ولابد ان تأخذ بنظر الاعتبار ايضا كثافة السكان ومدى الازدهار الاقتصادي للمنطقة .

وتوجد اعلى نسبة من الحمير والبغال في ناحية قلعة دزة التي تتصف بكثافة عالية في السكان ونسبة واطئة في المواصلات .

اما توزيع الخيول فلا يعكس النقص في المواصلات فحسب ، بل يكشف عن المستوى الاقتصادي للزراع ايضا ، فالحصان ذو دلالة اجتماعية اكثر من كونه ضرورة اقتصادية . ولهذا انخفضت اعداده بشكل واضح في اللواء ، واقتصر تملكه على الرؤساء والاغوات والملاكين المقتدرين .

ويكشف جدول توزيع الحيوانات ايضا عن انخفاض اعداد الجاموس والجمال في اللواء وارتفاعها في الالوية الوسطى والجنوبية من البلاد . وهذا امر طبيعي تفرضه خصائص البيئة الطبيعية في لواء السليمانية ، فالجاموس حيوان مستنقعات والجمل حيوان صحراوي ، وكلاهما يفتقد ظروفه الصالحة في اللواء .

رعاية الحيوانات

ان رعاية الحيوانات ، بما في ذلك تغذيتها وايوائها وتوفير العناية الصحية لها ، ذات آثار ونتائج بالغة الاهمية في نوعياتها ومنتجاتها ، وما لم تغير الاساليب الحالية في رعاية الحيوانات تغييرا جذريا ، فلا يمكن تحقيق أي تحسن جدي في نوعياتها او منتجاتها .

الربيع والصيف والخريف (٨٤) . ويتغلب الزراع في هذه المناطق على النقص في مراعي الشتاء بخزن هذه النباتات اثناء الصيف والخريف وتقديمها فيما بعد كعلف خاص . وتجمع اوراق البلوط ايضا وتجفف ثم تستخدم كعلف شستوي .

اما المناطق التى تمتد فوق ارتفاع ١٧٠٠ مترا (فوق منطقة الاشجار) فهي مزودة بالمراعي بشكل جيد جدا ، لا سيما اثناء الصيف والخريف . وان اكثر النباتات شيوعا هو البرسيم Lolium الاحمر والابيض والفارسي والفراولى ، بالاضافة الى حشائش البستان وانواع حشائش اللوليام (٨٥) . ويستثمر هذه المنطقة العشائر الرحل وشبه الرحل الذين يهاجرون مع قطعانهم من السهول المنخفضة في اواخر شهور الربيع ويمكثون في هذه المناطق حتى اواسط الخريف .

ان الاعتماد الكلى على المراعي الطبيعية يؤدي الى تغذية ناقصة وفقيرة ، كما ان النقص الشديد في العلف اثناء الشتاء يسبب نسبة عالية من الوفيات بين الحيوانات .

وتمتد المراعي الطبيعية على منحدرات التلال المزروعة ، وتعتبر من املاك الدولة ، وهي ارض مشاعة للقرية ويحق لكل قروي ان يرعى حيواناته فيها وبدون تحديد . اما المراعي التى تقع ضمن الاراضى البور والتى تعتبر املاك خاصة فيسمح لقطعان القرية بالرعي فيها بلا تحديد او تمييز . غير ان مراعي القرية لا تكون حلا لقرية اخرى ما لم تقم بينهما علاقات صداقة ، وان الاعتداء على حق المرعى قد يؤدي الى الصدام بين القريتين .

---

(٨٤) المصدر السابق .
(٨٥) المصدر السابق .

ويتولى مهمة الرعي اشخاص معينون ، ويمثل «الراعي» مهنة خاصة • وتقوم القرية باستئجار خدمات الراعي بشكل جماعي • ويختلف عدد الرعاة في القرية حسب الحيوانات المتوفرة • وهناك نوعان من الرعاة ، احدهما يتخصص برعي الاغنام ويطلق عليه اسم «شوان» والثاني يتخصص برعي المواشي ويطلق عليه اسم «كاوان» • فالشوان يختص برعي الاغنام والماعز • وهو يصطحب كل يوم القطعان عند شروق الشمس ويعود بها وقت الظهيرة لحلبها ، ثم يخرج بها ثانية الى المراعي ولا يرجع حتى غروب الشمس ، ويدفع له اجره على دفعتين تتفقان وموسمي حصاد المحاصيل الشتوية والصيفية • وتدفع الاجور الصيفية عينا حيث يساهم كل قروي حسب عدد حيواناته في دفع مقدار من القمح والشعير • اما الاجور الشتوية فتدفع نقدا ، حيث يدفع القروي مبلغا زهيدا من المال لكل رأس من الحيوانات طيلة الموسم • واضافة لهذه الاجور تقدم كل عائلة للراعي طعامه اليومي بالدور (وهو في الغالب عبارة عن رغيف من الخبز) • ومن حق الشوان ان تهيء له القرية محلا للسكنى •

اما الكاوان فيتخصص في رعي المواشي • وتعتبر مسؤولياته اعظم من مسؤوليات الشوان ، ذلك انه يضطر الى التجوال بالقطيع طيلة اليوم • وتدفع اجوره الصيفية عينا والشتوية نقدا ، وهي على العموم اعلى من اجور الشوان • ويتمتع ايضا بحق الحصول على الطعام اليومي والمسكن المجاني •

اما الحيوانات الصغيرة فيتولى رعايتها فتيان القرية او اطفالها ويقومون بهذه المهمة بالدور •

العناية بالحيوانات :

تتولى المرأة مسؤولية العناية بالحيوانات بعد عودتها من المرعى ، وتقوم بتنظيفها وحلبها • وتشمل عملية التنظيف الحيوانات وحظائرها • ولا تتم

هذه العملية على وجه صحيح نظرا لعدم اهتمام القرويين بالنظافة اصـــلا • فتنظيف الحظائـــر امر متعذر بسبب طريقة بنائها ، وتنظيف الحيوانـــات لا يتبع اي اسلوب علمي • اما فحص الحيوانات فلا يحدث الا نادرا ، وقـد لا يحدث بتاتـــا •

ويتم الحلب بطريقة بدائية ، ويميل الى الافراط • وتحلب الاغنـام والماعز مرتين في اليوم ، وفي بعض الحالات ثلاث مرات • اما الابقار فتحلب عند الغروب وعند الشروق •

الحظائـر :

لعل اسوأ مظهر من مظاهر العناية بالحيوانات هو مساكنها • فالحظائـر عبارة عن غرف داخلية مظلمة منتنة مجردة من جميع متطلبات الاسـطبلات الحديثة • ويمكن القول ان احوال هذه الحظائر مسؤولة الى حد كبـير عن نسبة الوفيات المرتفعة بين الحيوانات وذلك بسبب تعرضها لتغيرات درجات الحرارة في فصل الشتاء • فالحظائر الشديدة الدفء تؤدي الى اصـــابة الحيوانات عند خروجها بانواع الامراض ، لا سيما الامراض الصدرية • ومما يزيد الموقف سوءا النقص الحاد في الخـدمات الصـحية وكذلك قـذارة الاسطبلات المتناهية • وقد ادى كل ذلك الى ارتفاع نسـبة الوفيـات بـين الحيوانات الى حوالى ٥٠٪ (٨٦) •

وتهجر الحظائـــر وقت الصيف ، وتأوى حيوانات القرية الى زريبـة مفتوحة تحتل احدى ساحات القرية • وفي بعض القرى يعمد السكان الى انشاء زرائب مفتوحة مستقلة تلحق بالبيوت وتسيج بسياج خشبي • وهـذه الزرائب الصيفية المفتوحة اكثر ملائمة للحيوانات من الاسطبلات الشتوية •

---

86. Lord Saulter, "The development of Iraq" Baghdad 1954, P. 198.

تطوير وتحسين الحيوانات ومنتجاتهـــا

ان تحسين الحيوانات ومنتجاتها لابد وان يشمل تحسين غذاء ومأوى الحيوانات ، وادخال سلالات جديدة وتوسيع الخدمات الصحية .

وقد سبق لنا ان اشرنا بان حالة المراعي الطبيعية غير مرضية بتاتا ، ولا سيما في فصل الشتاء ، وهي في حاجة سريعة للتحسين والحماية . وبما ان نوعية نباتات الرعي تعتمد على المناخ والتربة والعوامل الاخرى التى تكون المرعى ، فان هدف التحسين ينبغي ان يوجه نحو حماية التربة من التعريـة ونحو تشجيع نمو الاعشاب المفيدة والمغذية . ويجب ان تهدف الخطـوة الاولى الى تحسين نوعية الاعشاب والحشائش التى تنمو على سفوح التـلال المنخفضة ، وذلك باتباع كافة الوسائل التى تمكن التلال من الاحتفـــاظ بالميـــاه [٨٧].

ان تحسين المراعي الطبيعية لا يكفي لسد مقتضيات الغذاء الحيوانـي باكملها ، كما وقد لا تنتج تلك المراعي غذاءا كافيا خلال فترات الجفـاف الطويلة . لهذا فان توفر البديل للمحاصيل العلفية امر في غاية الاهميـة . ولن تضمن مثل هذه الخطوة طعاما كافيا للحيوانات خلال جميع الفصـول فحسب ، ولكنها ستؤدي الى تحسين الارض ايضا . وستهيء النباتات البقلية المخلوطة بالحشائش مرعى دائما يستمر طول العـام ، كما ستعوض عـن النتروجين المفقود من التربة . ويعتبر البرسيم الباطني Subterranean clover ذو قيمة خاصة للمنطقة المطرية لانه يزود الاغنام والمواشي بالعلف المزدهـر طول العام [٨٨] .

اما الحظائر فتحتاج الى اصلاح جذري . فلابد من بناء اسطبلات حديثة

---

(٨٧) المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٨٨) المصدر السابق ، ص ٥٧ .

تتوفر فيها الشروط الصحية • وما لم يغير النظام الحالي الذى يستند الى الحظائر الداخلية فان الحيوانات ستتعرض دائما الى الاصابة بالامراض اثناء الشتاء ، كما ان قذارة الحظائر ستشجع دائما نشر الامراض •

ان تحسين كل من نوعية وكمية الحيوانات امر ذو اهمية بالغة • ويمكن ان يتم تحقيق ذلك بثلاث وسائل وهي ، اختيار الانواع الجيدة من الحيوانات الحالية واستبعاد الرديئة منها ، وتوليد سلالات جديدة ، وادخال سلالات جديدة كليا • ومع ان الانواع الحالية تمثل نوعا من الاختيار الطبيعي ، اذ انها قد استطاعت ان تقاوم المناخ القاسي والغذاء الفقير ، الا انها لا تغني عن ادخال انواع جديدة •

ومن الامور الضرورية والهامة ايضا القيام بحملة واسعة ضد امراض الحيوانات • وليس في الامكان القيام بمثل هذه الحملة على الوجه الصحيح نظرا لنقص المبالغ والالات والمختبرات • ومن العوامل التى تعرقل الفحص الطبي للحيوانات العجز في المواصلات • ومما يزيد الامور سوءا الروتين الحكومي الذى يقتضيه فحص الحيوانات المصابة بالامراض الوبائية والذى يجعل الامر خطرا والعلاج غير عملي • وفضلا عن ذلك فان موظفي البيطرة يشكون عجزا عظيما وهم لا يكفون بتاتا للسيطرة على ما يمكن ان ينشأ من امراض وبائية • ولقد قدمت بعثة البنك الدولى للتطوير والاعمار اقتراحات عديدة للتغلب على هذا التخلف • ومن جملة مقترحاتها اعداد موظفين اكفاء ومدربين ، وتوفير وسائل الفحص ومختبرات بسيطة محلية في كل لواء والقيام بعلاج عملي ووقائي لتخفيض الاصابات بالامراض السارية كعلاج القطعان ضد الديدان الداخلية ، وكتغطيس الماشية والاغنام ضد الطفيليات الخارجية (٨٩) •

---

89. I.B.R.D., "The economic development of Iraq" Baghdad 1952, PP. 240-2.

ان مسألة تحسين الانتاج الحيواني في نوعيته وكميته امر يكتسب في الوقت الحاضر اهمية خاصة ، وذلك لمواجهة النمو السريع المتوقع في احتياجات الجمهور • ويعتبر الانتاج الحيواني في الوقت الحاضر منخفضا جدا ، وذلك بسبب النقص في الغذاء والذى لابد من التغلب عليه بتحسين الموارد الغذائية• ويمكن رفع نوعية الانتاج بعدد من الطرق •• ففيما يتعلق بالحليب يمكن تحسين كمياته تحسينا جذريا عن طريق تحسين غذاء الحيوانات • اما ما يتعلق بالاصواف والجلود والمصارين فان رفع مستواها يقتضى انشاء وحدات لتصنيف الاصواف ومكائن لجزها ، وكذلك تدريب مشرفين محليين على المسالخ لتطوير وسائل السلخ وحفظ الجلود والمصارين •• ولابد ان يؤدي تطبيق هذه الوسائل الى رفع مستوى نوعية وكمية الانتاج الحيواني [(٩٠)] •

- ٣ -

الصناعات البيتية

تمثل الاسرة الكردية الريفية وحدة اقتصادية•وتهدف نشاطاتها الى تحقيق الاكتفاء الذاتي بكل طريقة ممكنة • ومع ان سياسة الاكتفاء الذاتي هي امر طبيعي للمناطق الريفية المتخلفة ، ذلك ان دخل الفلاح المنخفض يحرمه من خدمات الفنيين الاخرين ، الا ان هذه السياسة بلغت حدها الاقصى في حالة الزارع الكردي • ويعزى ذلك الى العامل الجغرافي ، اذ ادت التضاريس الوعرة والنقص في المواصلات الى عزل مجتمعات القرية ، وبذلك اضطرتهم الى انتاج بضائعهم الاستهلاكية بأنفسهم •• ولقد ازدهرت الصناعات الريفية في القرية الكردية في مثل هذه الظروف • ولقد بدأت العزلة التامة للقرية الكردية في الانحلال منذ بداية الحرب الكبرى الاولى ، وبالرغم من ان منتجات الصناعة الحديثة قد وجدت طريقها الى دكاكين القرى الكبيرة والمدن،

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٢٢ •

الا ان مواد الصناعات الريفية ما تزال لها الاولوية • صحيح ان ظهور مواد الصناعة الحديثة في دكاكين القرى الكبيرة يدل على ان سياسة الاكتفـــاء الذاتي للمجتمعات الريفية قد هجرت ، وان النتيجة المنطقية لذلك هو ارتفاع في دخل الفلاح ، الا ان هذا الدخل ينفق في الحقيقة على شراء المـــواد الكمالية كالشاي والسكر ، وبذلك يضع الفلاح في نفس الظروف التى ساقته الى سياسة الاكتفاء الذاتي • وفضلا عن ذلك فان السياسة الزراعية ، بتجنبها الزراعة المختلطة وتركيزها على المحاصيل الشتوية والصيفية ، قد امـدت الفلاح وعائلته ، من خلال البطالة الجزئية ، بوقت فائض طويل يمكن ان يصرف على الصناعات البيتية •

ولا تهدف منتجات الصناعات الريفية اليدوية في الغالب الى سد حاجة الاسرة فحسب ، بل الى تحقيق اغراض تجارية ايضا • ومع ذلك فقد ظل طابعها ريفيا بشكل غالب وبعيدا عن الطابع الصناعي الحديث • والواقع ان صفات ومميزات الصناعات الريفية الكردية شبيهة بصفات الصناعات الريفية المعروفة في جميع الاقطار المتخلفة • ويمكن ان توجز تلك الصـــفات على الوجـه التالي : (٩١)

١ ـ الانتاج : يهدف انتاج هذه الصناعات الى سد الحاجات القروية • ولا ينتج العمال البضائع بالجملة بل بالمفرد وحسب الطلب بعد ان يتسلمون المادة الخام الضرورية او الاجر مقدما • فليس هناك اذن توزيع تجاري للبضـــائع •

٢ ـ المواد الخام : تنتج أغلب المواد الخام لتلك البضائع محليا ، ويقـــوم الزبون نفسه بتجهيزها •

---

91. Kausukutty, C.K.. "Rural industries of India" a thesis of M.Sc. submitted to the University of London in 1951. P. 44 ff.

٣ ـ المحلية : يتم انتاج البضائع في البيت ، ويحل البيت محل المصنع او الدكان .

٤ ـ التكنيك : لا تستخدم المكائن التجارية في انتاج هذه الصناعات بل تستخدم ادوات بدائية بسيطة ، ويعتمد فنها على براعة العامل .

٥ ـ العمال : لا يتبع في انتاج هذه الصناعات تقسيم العمل ، ووحدة العمال في الغالب هي الوحدة الاسرية التى تعتمد بشكل رئيسى على النساء . واذا ما زاول الرجال العمل فان ذلك يكون على اساس قيامهم بالعمل لحسابهم بمساعدة افراد الاسرة الاخرين او بمعاونة بعض الصبيان المتمرنين .

وتتوزع الصناعات اليدوية في جميع انحاء اللواء ، واهمها الصناعات التالية :

اولا ـ صناعات النسيج :

تعتمد صناعات النسيج على آلتين رئيسيتين هما «البيجال» و «التون» . فالبيجال هو النول الكردي ، وقد وصفه ليج Leach بصورة مفصلة في تقريره عن منطقة راوندوز ، وينطبق وصفه على النموذج الشائع في لواء السليمانية ايضا[٩٢] . ويتطلب استخدام هذا النول من العامل ان يجلس في حفرة تمتد اسفل النول ، او ان يدلي فيها نصفه السفلي على الاصح .

ويحتل البيجال مركزا رئيسيا في الاقتصاد الوطني للواء السليمانية ، اذ انه المنتج الرئيسى لملابس الرجال . واضافة الى ذلك فان معظم انتاجه يحقق هدفا تجاريا خلافا لمعظم الصناعات الريفية الاخرى . ويفسر لنا ذلك اسباب تركز هذه الصناعة في القرى الكبيرة كحلبجة وقلعة دزة والطويلة . ومن النادر ان يزاول النساء العمل على هذا النول . واهم منتجات البيجال :

92. Leach. PP. 66-7.

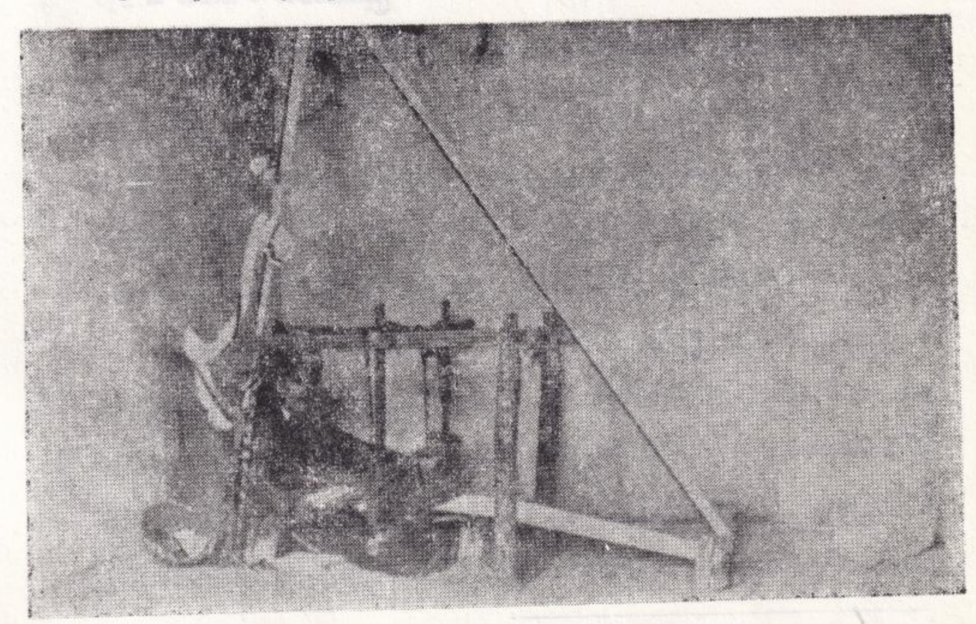
١ ـ الرانك والچوخة : تنتج الملابس الكردية المحلية التي يطلق عليها اسم الرانك والچوخة بصورة مطلقة ضمن المجتمعات الكردية الريفية. ويتألف نسيجها من صوف الأغنام او شعر الماعز الذي يغزل محليا ، عدا خيوط القطن التي تستورد من الخارج .

٢ ـ الجاجم : وهي نوع من انواع البطانيات ، وتصنع من صوف ملون .

٣ ـ الشال : وهو نوع من أنواع الافرشة الذي يستخدم للاسرة ، ويصنع من شعر الماعز .

٤ ـ البرمال : وهو سجادة صغيرة تستخدم للصلاة . وتصنع اما من الصوف الخشن او من القطن .

اما التون (او التون كير كما يسمى ايضا) فيكتسب اهمية كبيرة كأهمية البيجال اذ انه يسخر لصناعة انسجة مختلفة ذات اهمية كبيرة للحياة الكردية



النساج الكردي

الريفية • وتختص النساء بالعمل في هذه الالة ، كما ان انتاجها يكون بالمفرد (القطاعي) لا بالجملـــة •

ولا تكمن اهمية التون في الاقتصاد الريفي الكردي في سد احتياجات الجمهور فحسب ، بل في توفير فرص عمل اضافى لافراد الاسرة وبالتالى رفع دخل الاسرة •

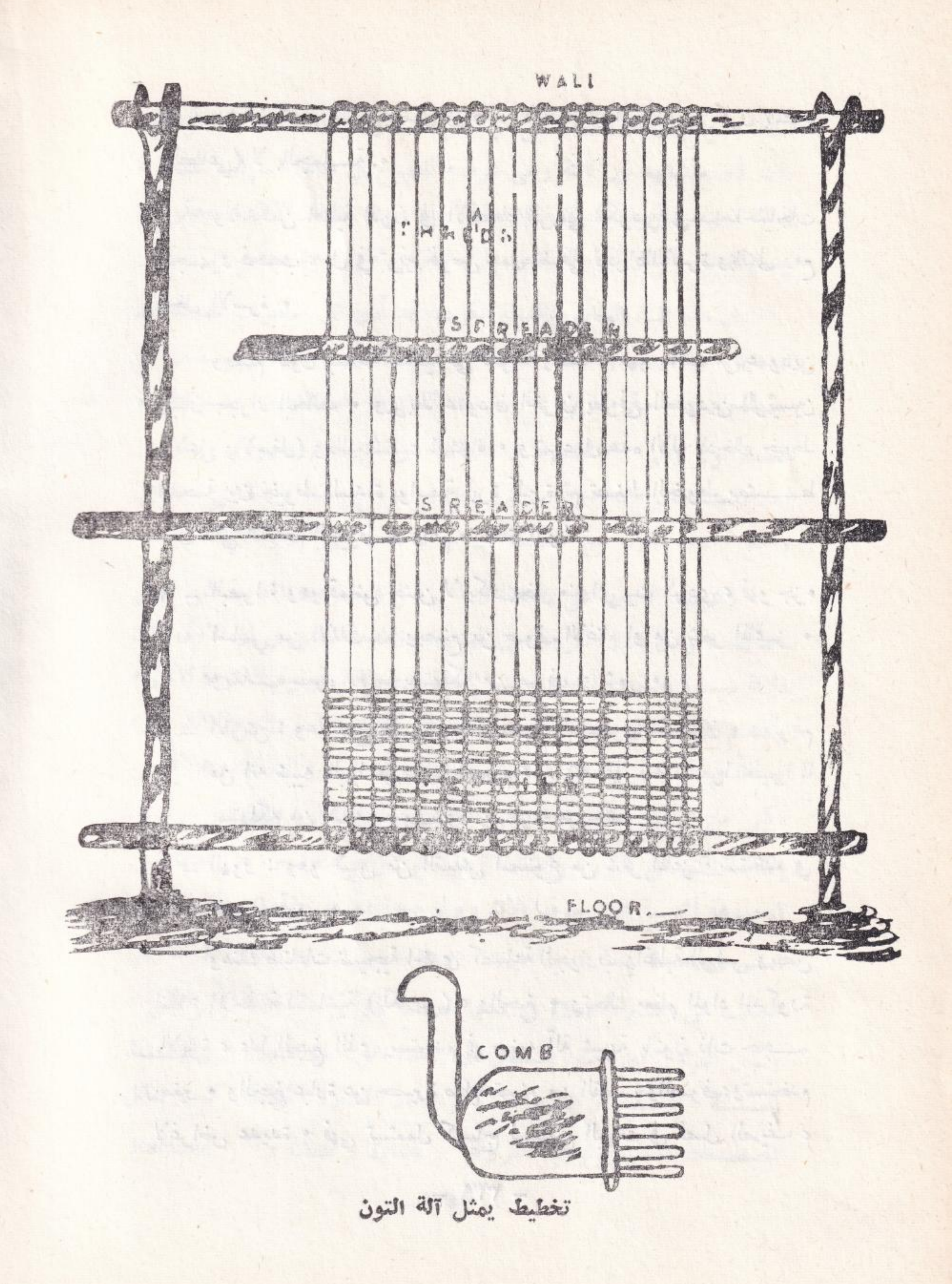
ويتسم التون ببساطة متناهية فى تكوينه وعمله • فهو يتألف من عمودين يثبتان بجوار الحائط • ويربط عمودان اخران بطرفى العمودين الرئيسين (الاعلى والاسفل) وذلك لتثبيت السداة • ويتم عمل هذه الالة بادخال خيوط اللحمة بين خيوط السداة بواسطة ابرة كبيرة ثم تضغط الخيوط بمشـــط ثقيل لكي تتلاحم الخيوط • واهم منتجات التون :

١ ـ البـرا : وهو قماش خشن لا يكاد يخلو منه اي بيت كردي ، فهو جزء اساسي من الاثاث • ويصنع من صوف الاغنام او من شعر الماعـز • ويتناسب سعره مع ما يستهلكه من صوف او شعر •

٢ ـ الفرش : وهو نوع من السجاد يستعمله القرويون المتمكنون • وبالرغم من انه شبيه بالبرا على وجه العموم ، الا انه اغلى منه سـعرا نظـرا لما يستهلكه من كمية الصوف وما يستغرقه من وقت •

٣ ـ الهور : وهو كيس من القماش المصنوع من شعر الماعز ويستخدم في نقل الحبوب •

وهناك صناعات نسيجية اخرى كصناعة الجوارب واغطية الرأس وبعض انواع الاحذية القماشية (الكلاش) ، والجيغ • وتحاك معظم المواد المذكورة بالابرة ، عدا الجيغ الذى يستخدم في صنعه آلة شبيهة بالتون ذات حجـم صغير • والجيغ عبارة عن حصيرة صلبة تصنع من القصب والصوف،وتستخدم لاغراض عديدة • فهي تستعمل كسياج لسطوح البيوت في فصل الصيف ،



تخطيط يمثل آلة التون

وكجدار في المنازل الصيفية (الكبرا) ، كما انها تمثل جزءا مهما من خيمة شبه المترحلين .

ثانيا ـ صناعة الفخار :

تسد صناعة الفخار مستلزمات هامة من ضرورات الحياة الكردية الريفية . فكثير ن الادوات البيتية واوعية حفظ المياه مصنوعة من الفخار ، كما ان مخزن الغلال (وهو الكنو) عبارة عن وعاء فخاري . وتستخدم العجلات احيانا في تهذيب شكل الاوعية ، الا انها تصنع عموما باليد .

ثالثا ـ صناعة السلال :

تتخذ صناعة السلال اهمية خاصة بالنسبة للمجتمعات الريفية ، فهي تستخدم في نقل الفواكه والخضار . وتختص النساء بهذه الصناعة ، وتستخدم اغصان (الجنار) في حياكة السلال .

رابعا ـ الصناعات الخشبية :

يزاول أغلب القرويين الصناعات الخشبية في ابسط صورها . وتشتمل على صناعة الاجزاء الخشبية من المحراث ، وصناعة المذراة وبعض الالات البسيطة الاخرى . غير ان هناك عددا من الحرفيين الذين يتخصصون فى صناعة الادوات الزراعية ، كالمحراث الخشبي والمذراة والدواسة الكردية. ويطوف هؤلاء الحرفيون من قرية الى اخرى لتأجير خدماتهم الى الفلاحين .

وتشمل التجارة الريفية ايضا صناعة بعض الادوات البيتية الخشبية ، كالاوعية الخشبية والملاعق الخشبية والسلطانيات التى تستخدم لحفظ السكر او اللبن الحامض .

خامسا ـ صناعات الالبان :

بالرغم من ان صناعات الالبان لا يمكن ان تعتبر صناعة تجارية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، حيث انها تستخدم للاستهلاك العائلى بشكل رئيسى ،

الا ان بعض منتجاتها ، لا سيما الجبنة ، تباع ايضا في المدن وفي القرى الكبيرة • وتشمل هذه الصناعة عمل الجبنة والزبدة •

آ ـ صناعة الجبنة : تختص النساء بهذه الصناعة ، وهي تتطلب عملية طويلة • وتصنع الجبنة من حليب الماعز والاغنام ، وتسمى (جبن ميرا) وتكون ذات لون اصفر ، وتتخصص القبائل الرحل في صناعة هذا النوع من الاجبان، ويتبع في صناعته الخطوات التالية :

١ ـ يسخن الحليب في قدر كبير من الفخار حتى تبلغ درجة حرارته ٧٥°ف تقريبا ، ويضاف اليه قطع صغيرة من مشيمة الماعز • ثم يرفع القدر عن النار ويغطى حتى يتخثر الحليب •

٢ ـ يقطع الحليب المتخثر الى قطع صغيرة بعد اضافة قليل من الملح ، ثم يعاد الى النار ويحرك لفترة لا تزيد عن خمس دقائق وتضاف اليه كمية جديدة من الحليب (حوالى ٤٪ من الحليب المخثر) ويترك على النار حتى ترتفع درجة حرارته الى حوالى ١٨٥°ف •

٣ ـ يصب الحليب المتخثر في اكياس ويضغط بالايدي حتى يفقد ماؤه • ثم توضع الاكياس بين صخرتين ملساوتين كبيرتين •

٤ ـ يرفع الصخر في اليوم التالى عن الكيس ، وتكون الجبنة قد تحولت الى قطعة واحدة • ثم تقطع الى قطع صغيرة وتحفظ في اكياس جلدية لثلاثة أشهر حتى يتخذ شكله النهائي (٩٣) •

ب ـ صناعة الزبدة : تتولى النساء صناعة الزبدة • وتتم هذه العملية بصب حليب الماعز او الاغنام في وعاء فخاري كبير وتسخينه على النار • وتختبر حرارة الحليب بين حين واخر حتى تبلغ درجة التخثر ، وعندئذ

---

(٩٣) ، سرسم ، ناظم : (جبن الميرا) ، مجلة الزراعة العراقية ـ عدد تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول ١٩٥١ ، ص ٣٥٥ وما بعدها •

تضاف اليه ملعقة من اللبن الرائب • ثم يرفع الوعاء من النار ويغطى بقماش سميك • وفي اليوم التالى يصبح الحليب لبنا رائبا • ويوضع اللبن الرائب في اكياس خاصة من جلد الماعز تسمى (مشكه)، وتخض باستمرار، ويضاف اليها ماء بارد بين الحين والحين • وحين ينفصل السمن عن اللبن يصب في اكياس مخروطية خاصة حتى يصبح زبدة • ثم ترفع الزبدة من الكيس وتغسل بماء عذب يضاف اليها بعض الملح •

وتستخدم بقايا الزبدة في صنع الجبن الابيض • وتضاف بعض الاعشاب والملح، ثم يصب الحليب في الأكياس ويوضع تحت الاثقال حتى يفقد ماؤه وبذلك يجف •

سادسا ــ صناعة الطحين :

تعتبر هذه الصناعة من اكثر الصناعات اهمية في المجتمعات الكردية الريفية • وتقوم بها طاحونة مائية خاصة ينتشر نموذجها انتشارا واسعا في جميع انحاء اللواء • ويتصف هذا النموذج بصفات تلائم البيئة الجبلية ويعمل بجريان المياه • وقد وصف ليج بالتفصيل الطاحونة الكردية في منطقة راوندوز وهي تمثل النموذج الشائع في جميع جهات كردستان (٩٤) •

وتعود ملكية الطاحونة الى الاغا او مالك القرية • ويرجع سبب هذا الاحتكار الى تمتع المالك بالسيطرة على مورد مياه القرية • وبما ان الطاحونة تعمل بواسطة المياه، لذلك كان لابد من الحصول على موافقة المالك او الاغا قبل اقامتها • واذا لم يكن الاغا راغبا في تولى العملية فانه يكتفي بنسبة مئوية من الربح • واذا استؤجرت الطاحونة من الاغا او المالك فانه يتلقى ١/٥ الأرباح • ويدفع الزبائن عادة ١/١٠ من الحبوب المطحونة لقاء استخدام الطاحونة • وتتوقف اغلب المطاحن في اللواء عن العمل في فصل الصيف بسبب نقص المياه •

---

94. Leach, P. 70.

تلك هي ابرز الصناعات الريفية التى تتواجد في اللواء • وبالرغم من انها تلعب دورا بارزا في اقتصاد اللواء كما لاحظنا ، وذلك بتوفير فرص العمل لافراد الاسرة وبمدهم ببضائع رخيصة تعتمد على الموارد المحليـة ، الا ان السلطات المسؤولة اهملت شأنها اهمالا تاما ولم تفكر بتطويرها • وهكـــذا بقيت تلك الصناعات في حالة بدائية للغاية • ولا ريب ان ميل العامل للمحافظة على القديم ، مضافا الى ذلك فقره وعوزه الى الموارد المالية ، قد ســـاعد على احتفاظه باساليبه ووسائله العتيقة ، كذلك فان نمو المنافسة بين البضـــائع الغربية من الاقمشة والاثاث والبضائع المصنوعة محليا قد ابقت الصـــناعات الريفية في وضعها المتخلف • ومن الجدير بالذكر ان هذه المنافسة مضرة بالاقتصاد الريفي ، ذلك لان الاعمال الزراعية هي بطبيعتها اعمال فصلية ، ومن مصلحة الفلاحين ان يشغلوا فراغهم باعمال مربحة اخرى • وهكذا فان تلك المنافسة قد تنتهي بحرمان اسرة الفلاح من مورد مهم من موارد دخلها، وتحميل ميزانيتها مصاريف اضافية عالية ، وبالتالى تخفيض مســـــتوى حياتها • ولتجنب هذه النتيجة الضارة لابد من اقامة الصناعات الريفيـــه على اسس حديثة كجزء متمم لمنهاج التطوير الاقتصادي الريفي الذى ســـيصبح منطلقا لتطور المجتمعات الريفية • ويمكن ان يتم تحسين الصناعات الريفية باقامة مراكز معينة في جميع جهات اللواء مزودة بالالات الحديثة • وينبغي ان تسند تلك المراكز بأسواق ومراكز منظمة لشراء المواد الاولية ولتوزيع منتجاتها ولمدها بما تحتاج اليه من مساعدة مالية • ويمكن ان يتم انجاز ذلك على خير وجه باقامة الجمعيات التعاونية التى تسندها الدولة •

الفصل الخامس

المجتمعات الكردية

- ١ -

المجتمعات العشائرية

ان دراسة مجتمعات لواء السليمانية لا يمكن ان تقوم على اساس درجة التمدن ، وبالتالى تصنيفها الى «مجتمعات ريفية» و«مجتمعات حضرية»،ذلك ان السمات العامة لمجتمعات الريف والمدنية هى سمات ريفية متغلبة ، عدا بعض السمات المدنية البسيطة كتبلور بعض صفات الطبقة الوسطى وضعف نسبي في سلطة الاب • لذلك فمن الافضل ان تقسم مجتمعات اللواء حسب بنائها الاجتماعي والسياسي الى «عشائرية» و «لا عشائرية» • وهذا التقسيم لا يمكن تحديده ايضا الا في خطوط عريضة ، لان كلا النوعين من المجتمعات تتقاسم سمات «مجتمع القرية» Village Community المعروفة ، أى الحقول المفتوحة والمراعي المشتركة والاسر الواسعة والالتزامات القروية • وتلك الصفات تجعل من «المجتمع» البؤرة المركزية للتضامن الاجتماعي والاقتصادي •

لذلك فأن من الممكن ان نتحدث عن «مجتمع القرية» كنموذج عام يتمثل في جميع جهات اللواء بسكانه العشائريين واللاعشائريين ، فلن يغير هذا التمييز من سماته الا تغييرا طفيفا • وسنحاول في الصفحات التالية ان نتحدث عن المجتمعات العشائرية اولا ، ثم عن المجتمعات اللاعشائرية •

ولكي نفهم اصول التنظيم العشائري الكردي لابد لنا ان نحدد اولا مميزات وطبيعة القبيلة الكردية (×) • فالنموذج الشائع للقبيلة ، هو الذي يقوم على اساس «النسب المشترك» [1] • غير ان هناك نموذجا اخر اقل شيوعا وهو الذي يستند الى «الاشتراك في الموضع» [2] • وهكذا يعتمد النموذج الاول من القبيلة على «وحدة النسب» ، بينما يقوم النموذج الثاني على «وحدة المكان» • وتنتمي القبيلة الكردية الى النموذج الثاني ، وهو في الواقع عبارة عن اتحاد مجموعات نسبية ترتبط بعضها برابطة النسب وتخضع عسكريا لسلطة مركزية • ويتضح ذلك في عدم ارتباط الطوائف (الافخاذ) المختلفة من العشيرة الكردية بعضها برابطة النسب ، كما يتضح ايضا في بنية العشيرة الكردية حيث تتكون من فئتين متميزتين لا ترتبطان برابطة النسب هما فئة الرؤساء (طبقة المحاربين) وفئة افراد العشيرة (الطبقة العامة) • وهذا هو حال عشائر لواء السليمانية • فعشيرة بشدر مثلا تشتمل على فئتين متميزتين هما فئة الاغوات (الرؤساء) وفئة العامة • وينتمي الاغوات الى طائفة (فخذ) الميراودليين ، وكانوا يستوطنون اراضى كردستان الايرانية قبل نزوحهم الى مواطنهم الحالية • وتتألف فئة العامة (ابناء العشيرة) من مجموعات نسبية

(×) لا توجد فروق بين مصطلح «القبيلة» و «العشيرة» في التنظيم العشائري الكردي ، بل ان مصطلح «قبيلة» لا وجود له • لذلك سنستخدم هذين المصطلحين بدون تمييز •

(1) Hocart, A.M., "The progress of man" London 1933, P.243.

(2) Lowie, Robert. "Primitive society" London 1929, 2nd edit., P. 379.

متعددة هم في الواقع سكان المنطقة الاصليين • ويتصف حجم العشيرة بالتميع، فهو يتضخم ويتقلص حسب قوة او ضعف السلطات الحكومية في العـــراق او ايـــران[٣] •

اما عشيرة الجاف فتتألف من خمسة عشر طائفة تتزعمها اسرة حاكمة• ويحيط تاريخ هذه العشيرة شيء من الغموض ، غير ان بعض المختصين يدعون بان الطائفة الحاكمة المسماة (بگزادة) تنحدر من سلالة الرسول (ص) ، فاذا صح ذلك فانها تكون اذن من اصل عربي[٤] ، والواقع ان عددا قليلا جـــدا من العشائر الكردية الثانوية يمكنها ان تثبت وحدة نسبها • ولقد وصـف هاي Hay بناء عشيرة دزي ، وهي احدى كبريات عشائر اربيل ، على النحو التـــالي :

(ان اقسام العشيرة المختلفة تمثل ملاك الارض الاصليين ، في حين ان الرؤساء ينتمون الى اسر قوية سبق لها ان اجتاحت هذه الاراضي وسيطرت عليها بالقوة • وهذا هو الوضع في منطقة دزي بشكل خاص ، حيث تعـود ملكية جميع الاراضي تقريبا الى اسرة واحدة قوية ، يقابلها نفر قليـــل من الرؤساء والاغوات العشائريين القدماء الذين يحتفظون ببعض النفـــوذ • فالرئيس العشائري هنا هو في الحقيقة مالك للارض ، والنظام بحد ذاته هو نظام اقطاعي وليس نظاما عشائريا بمعنى الكلمة)[٥] •

نستطيع ان نستخلص اذن من استعراض بناء العشائر الكردية الرئيسة في المنطقة بان تكوين القبيلة الكردية يتبع الخطوات التالية :

---

(٣) الكوراني ، علي سيدو : (من عمان الى العمادية) ، القاهـــرة ١٩٣٩ ، ص ٤٢ •

(٤) العزاوي ، عباس : «عشائر العراق ، العشائر الكردية» بغـــداد ١٩٥٤ ، ص ٣١ •

(5) Hay, W.,"Two years in Kurdistan"London 1921, PP.65-6.

تقوم مجموعة نسبية قوية باجتياح منطقة معينة تقطنها مجموعات نسبية مختلفة • فتخضع تلك المجموعات النسبية الى سيطرة المجموعة الجديدة • وتقوم بدفع الضرائب الى رؤسائها • وتنبع من هذه العلاقة او الرابطة الجديدة «عشيرة» تتخذ اسم الموضع الذى تشغله ، ويتعاهد افرادها على العيش بوئام ضمن منطقتهم وعلى الدفاع المشترك ضد أى اعتداء •

وهكذا يبدو بان القبيلة الكردية عبارة عن وحدة سكنية سياسية تشتمل على طبقتين منفصلتين ، طبقة حاكمة محاربة ، وهى في الاصل رعوية ومهمتها القتال وهى مسؤولة عن حماية افراد الطبقة الاخرى ، والطبقة العامة ومهمتها الزراعة وتربية الحيوان • ولا ترتبط هاتان الطبقتان برابطة النسب ، كمالا ترتبط طوائف الطبقة العامة بروابط النسب • وهذا النموذج العام للقبيلة الكردية هو في الحقيقة مثل دامغ على تأثير العامل الجغرافي • فمن المعلوم ان لواء السليمانية ، وكذلك بقية الالوية الكردية ، عبارة عن منطقة جبلية ذات تضاريس وعرة وشتاء قارس • وقد أدى العجز في المواصلات، لا سيما اثناء الشتاء الطويل ، الى فرض حالة من العزلة على القرية الكردية • وقد قادت هذه العزلة الى سياسة الاكتفاء الذاتي في الحقل الاقتصادي ، والى ميل قوي «للمحلية» في العلاقات الاجتماعية • وقد عمقت النزعة المحلية العلاقات بين ابناء القرية الواحدة ، وزادت من متانتها روابط القرابة والمصاهرة • غير ان هذه العلاقات القوية لا يمكن عمليا ان تتسع وتمتد خارج القرية • لذلك فحينما يضطر جزء من المجموعة النسبية Lineage segment الى النزوح الى قرية اخرى بسبب الضغط الاقتصادي ، فان روابط القرابة مع القرية الام تضعف بسرعة ، ويفرض العامل الجغرافي «المحلية» Localism على المجموعة النسبية الصغيرة في علاقاتها الاجتماعية الجديدة • وهكذا يتضح بان العامل الجغرافي يعرقل نشوء قبيلة دموية ضخمة في المنطقة الكردية ، ولا

يكاد يسمح عمليا الا يتبلور كيان المجموعة النسبيةLineage group • والواقع ان معظم الطوائف التى تتألف منها القبيلة الكردية ما هى في الحقيقة سوى مجموعات نسبية محلية، وليست حتى من النوع الواسع Maximal lineages[٦] •

ويمكن ان نتلمس الدوافع التى تحدو بالمجموعات النسبية المحلية المنعزلة الى الخضوع الى سلطة «مركزية» والانضواء تحت قبيلة واحدة، في النقاط التالية :ـ

١ ـ تجنب عداء واضطهاد المجموعة النسبية الغازية •

٢ ـ ضمان حماية المجموعة الغازية ضد المجموعات المحاربة الاخرى التى قد تطمح في المنطقة •

٣ ـ ضمان الحصول على اراضى جيدة بغزو المناطق الاخرى (وكان لهذه النقطة مفعولا عمليا على ضوء النظام السياسي الذى كان يسود المنطقة الكردية والذى اكسب القتال وبالتالى القيادة الحربية اهمية خاصة) •

اما الجماعات الرحل فانها تحقق في «اتحاد» مجموعاتها النسبية في قبيلة واحدة المزايا التالية :

١ ـ اكتساب مناعة اكبر في القتال ضد الزراع •

٢ ـ توفير الامكانيات الحربية للاستيلاء على مراعي غنية •

٣ ـ ربط المجموعات النسبية المختلفة بمعاهدة للتعاون والتضامن وعدم الاعتداء مما يهيء لكل منها امكانية الاحتفاظ بمراعيها التقليدية •

٤ ـ توفير قيادة مشتركة للمجموعات النسبية المختلفة لتنسيق وتوجيه فعالياتها الاقتصادية •

---

(٦) لغرض تحديد مفاهيم المصطلحات الانثروبولوجية الواردة فى الكتاب انظر :

Notes and queries on anthropology, by committee of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, sixth edit.. London 1945, P. 89.

والواقع ان «الاتحاد» القبلي هو اكثر اهمية وضرورة للرعاة منه للزراع، ذلك لان ملكياتهم غير ثابتة وهي عرضة للضياع في حالة خسرانهم للقتال ، لذلك تتعرض القبيلة المستقرة للانحلال حالما يقوى سلطان الادارة الحكومية، بينما تتشبث القبائل الرحالة بتنظيمها العشائري اطول مدة ممكنة .

ان هذا البناء الخاص بالقبيلة الكردية قد أدى الى اضطراب مصطلحات اقسامها . وتصطدم أية محاولة لتحديد تلك لاقسام بتعذر التوصل الى مصطلحات واضحة . وعلى اية حال فهناك اربعة مصطلحات يستخدمها العشائريون وهي : «العشيرة» و «الطائفة» و «التيره» و «الهوز» . غير ان هذه المصطلحات مائعة جدا ، وهي تحل في موضع بعضها بعضا على نطاق واسع . وقد حاول ليج Leach ان يحدد بعضها على النحو التالي :

(تشتمل العشيرة على واحدة او اكثر من المجموعات النسبية التي تدعى بالطايفة ، ولعل ابرز الفروق بين العشيرة والطايفة تكمن في ان الاولى ذات دلالة سياسية بالدرجة الاولى ، بينما الثانية ذات دلالة قرابية بالدرجة الاولى. وتنقسم الطايفة الى اقسام متعددة يطلق على كلّ منها اسم «النيره» (الفرع) ، غير انه في كثير من الاحوال يستعمل لفظ «التيرة» بدلا من الطايفة.وقد اكد لي اكثر من شخص مطلع عدم وجود اية فروق بين الطايفة والتيره ، سوى ان الطايفة اكبر من التيره ، واعتقد ان هذا هو الواقع ، فالتيره هي نمط من المجموعة النسبية التي يعرفها الانثروبولوجيون معرفة حقة ، ويطلقون عليها اسم Lineage بينما يسميها فيرث Firth بتعبير ادق Ramage ، وهي تختلف عن العشيرة Clan في صغر حجمها وفي قوة تضامنها السياسي . وتميل الفروق بين هذين النمطين الى الاختفاء في حالة ضعف الروابط السياسية . ويمكن ان يتضح مما ذكرناه بان العشيرة والطايفة والتيره تماثل المصطلحات الانثروبولوجية المعروفة Tribe و Clan و Ramage

، Lineage على التوالى ، عدا فرق بسيط وهو ان العشـيرة Clan في هذه الحالة ذات زواج لحمي (زواج داخلى) Endogamy (٧) .

اما بارث Barth فقد شرح اقسام القبيلة الكردية على الوجه التالى :

(تمثل التيره المجموعة الاساسية (الاولية) كما تمثل الوحدة المالكـة للارض . وتكتسب العضوية في التيره عن طريق النسب الأبوي ، وهـى تقترب من اصطلاح Maximal Lineage ومع ان جميع افراد التيره ملزمين باثبات نسبهم الابوي المشترك ، الا ان من الصعب عمليا اثبات الصلة النسبية بين مختلف الجماعات القرابية الرئيسية ضمن التيره . ومن الجهة الاخرى فلا يمكن ان تعتبر «تيره» كل جماعة قرابية كبيرة . ذلك ان هذا الاصطلاح يقوم بشكل جوهري على اساس سياسي وتنبثق منه وظيفة تنظيمية اجتماعية . اما المجموعة النسبية البسيطة او القرابية فيطلق عليها العشائريون اسـم «هوز») (٨).

وعلى اية حال فان من الطبيعي ان يحدث التناقض بين الانثروبولوجيين في محاولاتهم لربط المصطلحات القبلة الكردية بالمصطلحات الانثروبولوجية المألوفة . فالعشائريون الاكراد انفسهم لا يمتلكون تقسيما ثابتا متفق عليه ، وهم يستخدمون المصطلحات المختلفة بلا تقيد لينسبوا وحداتهم القرابيـة الى عشيرة معينة . وهذا الاضطراب في التسمية والمصطلحات امر يتناسب مع بناء القبيلة الكردية الذى لا يقوم على قاعدة النسـب الهرمي ، بل عـلى اساس الخضوع الى سلطة «مركزية» . فهذا الاضطراب اذن نابع من طبيعة تكوين القبيلة الكردية ، فقد يلتحق بالقبيلة الكردية احيانا المجموعة النسبية Lineage group باجمعها ، وقد يلتحق بها جزء من المجموعة النسـبية

---

(7) Leach, op. cit., PP. 13-14.

(8) Barth, op. cit., PP. 36-7.



Lineage segment ، وقد لا تلتحق بها سوى افراد الاسرة الواسعة Extensive family فحسب • ونتيجة لهذا الوضع فلم تتطور مصطلحات ثابتة وواضحة تحدد العلاقة النسبية للاقسام المختلفة بالعشيرة • ولقد توصل المؤلف نتيجة استقصاءاته الشخصية الى النتائج التالية :

يضم مصطلح «العشيرة» مختلف المجموعات القرابية المستقلة التي تجمعت سويا ، وهو ينطوي فوق كل شيء على معنى سياسي • فهو اذن مقابل لمصطلح Clan كما انه مقابل لمصطلح «العشيرة» العربي •

اما مصطلح «الطايفة» فيقصد به أفراد جميع عوائل العشيرة الذين يمكن ان يتتبعوا نسبهم الى جد مشترك اعلى • ويستخدمه العشائريون للدلالة على الصلة النسبية والسياسية في آن واحد • فهو يقابل اذن مصطلح «الفخذ» العربي ، ومن الممكن ان يكون مساويا لمصطلح Maximal lineage الذي يحمل الدلالتين السياسية والقرابية في آن واحد •

اما مصطلح «التيره» فيستخدمه العشائري ليحدد انتماؤه سياسيا الى قبيلة معينة ، كما ويحدد به في الوقت نفسه انتماءه النسبي الى مجموعة قرابية معينة • والواقع ان هذا المصطلح يحمل دلالة نسبية ذات مدى واسع، فهو اذن مقابل لمصطلح Lineage group ، كما انه مقابل للمصطلح العشائري العربي (بيت) • وتسمى التيره عادة باسم رئيسها الحالي ، او باسم احد رؤسائها السابقين الذين حققوا شهرة معينة •

اما مصطلح «الهوز» فهو الوحيد بين المصطلحات الذي يجمع العشائريون على معناه ، ويعزى ذلك الى كونه «الشكل» الوحيد الذي يناسب المنطقة الكردية من وجهة النظر الجغرافية • ويمكن القول انه عبارة عن اسرة واسعة Extensive family ، وهو يقابل المصطلح العشائري العربي «الاهل» • ويشيع استخدام هذا المصطلح بين العشائر الرعوية بشكل خاص ، ويسمى الهوز باسم الجد الاعلى •

ويكشف التنظيم العشائري الكردي ، الذى هو تنظيم اقطاعي قبل كل شيء ، عن تماثل عظيم في مختلف جهات اللواء ، بل وفي جميع انحاء كردستان . غير ان هناك فروقا طفيفة بين العشائر الزراعية المستقرة والعشائر الرعوية المترحلة . وسنحاول في الصفحات التالية ان نفحص التنظيم السياسي والاجتماعي لعشيرة بشدر (كمثال للعشائر المستقرة) ، ولعشيرة الجاف (كمثال للعشائر المترحلة) . ×

التنظيم العشائرى لعشيرة بشدر

تشتمل عشيرة بشدر على الطوائف التالية : طائفة الميراودليين وطائفة نورالدين وطائفة شيلانة وطائفة جاوشكه . وهذه الطوائف هى مجموعات قرابية مستقلة ولا تنتمي الى بعضها بعضا بنسب مشترك . ولقد نجحت هذه العشيرة في المحافظة على تركيبها ووحدتها الى حد كبير حتى الوقت الحاضر . ويعود ذلك الى عوامل متعددة ، فالعشيرة تشغل قضاء بشدر وجزءا من قضاء شهربازار وهى مناطق تتصف بتضاريسها الوعرة . ونتيجة لذلك فقد انعزلت المنطقة عن بقية اجزاء اللواء الاخرى مما عزز استقلالية العشيرة . فلقد ظلت منطقة بشدر مستقلة اثناء الحكم البابانى الذى امتد الى معظم جهات اللواء . ولم تستطع الادارة العثمانية كذلك التوغل في المنطقة حتى عام ١٨٣٩ حيث كونت على الورق قضاءا كان يحكمه في الواقع زعماء العشيرة [٩] . ولم يغير الاحتلال البريطاني هذا الوضع بل قوى من استقلالية

---

(9) Longrigg, S.H., "Iraq 1900-1950" Royal Institute of International Affairs, Oxford 1953. P. 27.

(×) لابد لنا ان نؤكد هنا بان اغلب التنظيمات العشائرية الكردية قد تعرضت في السنوات الاخيرة الى الانحلال وفقدت الكثير من خصائصها ، لا سيما الخصائص السياسية ، وقد حلت محلها التنظيمات الحزبية التى تولت السلطة والسيطرة الفعلية على المجتمع بدلا من الرئاسات القبلية . غير ان بعض الزعماء العشائريين احتفظوا بسلطاتهم القبلية القديمة عن طريق الولاء الحزبي .

عشيرة بشدر وذلك بتعيين عدد من رؤسائها حكاما للمنطقة ومنحهم مرتبات عاليـــــة .

واستمرت حالة شبه الاستقلال للعشيرة لوقت طويل حتى اثناء الحكم الوطني . فلم يسجل افراد العشيرة انفسهم مثلا لغاية اجراء الاحصاء السكاني العام سنة ١٩٤٧م . وكان افرادها معفوين من الخدمة العسكرية وهي مزية لم يكن يتمتع بها سوى عدد قليل من العشائر الرحالة. وبالرغم من ان السلطة الادارية امتدت الى اجزاء متعددة من المنطقة فانها ما تزال في الحقيقة بعيدة عن الرسوخ . ولا يرجع ذلك الى مقاومة ابناء العشيرة انفسهم بل الى موقـــع المنطقة المتطرف والى العجز في المواصلات .

التنظيم السياسي لعشيرة بشـــدر :

يقوم التنظيم السياسي لعشيرة بشدر على اساس طبقية الرؤساء الذين ينتمون الى فخذ معين في العشيرة يسمى طائفة الميراودلي . ويتقاسم رئاسـة العشيرة في الوقت الحاضر شخصان ينتميان الى تيرتين مستقلتين . ويلي هذان الرئيسان في اهميتهما السياسية عدة رؤساء من الاغوات الكبار يترأس كـل منهم عمليا تيرته التي هي جزء من طائفة الميراودليين . ويلي هؤلاء في اهميتهم اغوات القرى او الاغوات الصغار وهم يمثلون ملاك الارض والذين يحكمون عمليا القرى العائدة لهم ، ولكل منهم ممثلا يقيم في القرية التابعة له ويطلـق عليه اسم «كوخا» .

الاغا الاكبر (الرئيس الاعلى)

تتمركز قوة عشيرة بشدر السياسة في ايدي تيرتين من التيرات التسـع

---

(١٠) ان مصطلح «الاغا» يعني باللغة التركية «السيد» او الموظف ذو المرتبة المتوسطة واحيانا العالية فقد تكون وظيفة عسكرية او مدنية او حتى عائلية (ضمن الاسر الضخمة) .

Longrigg, "Four centuries of modern Iraq". Oxford 1926, glossary, P. 352.

التى تتكون منها طائفة الميراودليين ، وهما تيرة محمود اغـا وتيرة سليم اغا • وليس من الواضح كيف استطاعت هاتان التيرتان اكتساب رئاسة العشـيرة ، عير ان من الممكن الافتراض انهما ضمناها عن طريق الثروة والقوة الحربية• ولقد اخبر المؤلف عددا من المطلعين على شؤون العشيرة بان الاغا الاكبر كان ينتخب من قبل افراد العشيرة حتى أوائل القرن الحالى ، وكانت كل قريـة تنتخب بضعة اشخاص من اعيان القرية يطلق عليهم اسم «معقول» ، وثلاثة من الرجال المتقدمين في السن يطلق عليهم اسم «الاختيارية» • ويلتقي هؤلاء الممثلين بحوالى مائة من الاغوات الكبار ، ويتولى هؤلاء انتخاب الاغا الاكبر • ويحتفظ الاغا الاكبر بمركزه لثلاث سنوات ، واذا فشل في ارضاء العشيرة استبدل بغيره • وتبدو هذه المعلومات مثيرة للشكوك لان جوهر النظـام السياسي لعشيرة بشدر يقوم على اساس الارستقراطية الاقطاعية والحربية ، ولا يمكن لمثل تلك الاجراءات الديمقراطية ان تكون مرضية للتيرات الحاكمة•

ان مركز الاغا الاكبر هو مركز وراثي في الوقت الحاضر ، الا انـه لا يتبع نظام الوراثة التسلسلي • فوراثة هذا المركز تعتمد اساسا على المقدرة الشخصية للابن الوريث وعلى مدى تمثل صفات الرئاسة العشـائرية فيه • لذلك قد يعمد الاغوات الكبار او رؤساء التيرات الميراودليين الى اختيار أحد اقربائه خلفا له ان لم يكن ابناؤه صالحين لشغل المركز • غير ان هذه حالات نادرة (×) • ويمكن تلخيص وظائف الاغا الاكبر في النقاط التالية :

١ ـ تمثيل العشيرة لدى السلطات الحكومية •

(×) يذكر توماس بوا Bois أن العشيرة كثيرا ما تلجأ الى انتخاب رئيس اخر اذا لم يكن ابن الرئيس السابق صالحا • وقد يتدخل الحـظ أحيانا في اختيار الرئيس الجديد ، اذ قد يحط طير على رأس احد المرشحين فيعتبر حينئذ الشخص الذى اختاره الله •

Bois, Thomas, the Kurds, Beirut 1966, P.34.

٢ ـ تولي رئاسة القضاء العشائري .

٣ ـ تولي قيادة الحملات الحربية .

ومما تجدر ملاحظته ان الاغا الاكبر غير مسؤول عن الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للعشيرة . اما مكاسبه ، اضافة الى الاحترام والطاعة ، فهي :

١ ـ ضريبة العشر على المحاصيل الزراعية .

٢ ـ ضريبة على الحيوانات (تبلغ ١/١٠٠) .

٣ ـ حصه من الفدية (في حالات الفصل) .

٤ ـ الغرامات المفروضة على افراد العشيرة نتيجة العقوبات .

وقد ازدادت مكاسب الاغا الاكبر في عهد الاحتلال البريطاني اذ عينت له سلطات الاحتلال مرتبا شهريا ضخما كحاكم لعشيرته . وقد الغي هـذا الراتب فيما بعد .

وقد تضاءلت مكاسب الاغا الاكبر وضرائبه على افراد العشيرة بمـرور الزمن حتى اقتصرت في اواخر العهد الملكي على تمثيل عشيرته في البرلمان .

لقد ذكرنا بان رئاسة العشيرة ثنائية في الوقت الحاضر (×) . وهذه الرئاسة الثنائية لم تفتت عمليا وحدة العشيرة . فقد تقاسـم الرئيسان عمليا السيطرة على عدد معين من تيرات الميراودليين . ونظرا للنظام الاقطاعي السائد فان كل تيرة تحكم القرى التابعة لها ، وهكذا يصبح عدد معين من قـرى المنطقة تحت حكم كل واحد من الرئيسين .

ومن الناحية النظرية يستطيع فرد العشيرة ان يتقدم بشكواه الى أي واحد من هذين الرئيسين ، الا انه يستشير فعليا الرئيس الذي يحكم منطقته . ويحاول كل رئيس حل منازعات ابناء منطقته بنفسه ، غير انه قد يستشـير زميله اذا كانت القضية ذات حساسية خاصة . اما القضايا الخطيرة التي تهم

(×) ينطبق هذا الكلام على فترة الخمسينات .

العشيرة باجمعها فيستشير الرئيس فيها مجلس العشيرة الذى يتألف من الاغوات الكبار • واذا فشل الرئيسان فى الاتفاق على قضية معينة فقد يحصل الانقسام في العشيرة ويلتحق بكل رئيس ابناء المنطقة التى يسيطر عليها • ولقد حدث مثل هذا الانقسام في عهد الاحتلال البريطاني حينما قرر رئيس تيرة محمود اغا محاربة القوات البريطانية تأييدا للشيخ محمود الحفيد ، بينما ظل رئيس تيرة سليم اغا محتفظا بولائه للبريطانيين •

ويحتفظ كل رئيس بمضيف واسع يقوم مقام دار الحكومة ، ويزدحم دائما بالاغوات الكبار والاغوات الصغار والكوخات ورجال العشيرة • وتناقش في هذا المضيف شؤون العشيرة وتتردد فيه اخر الانباء كما تتم فيه المحاكمات• ولكل رئيس ايضا سكرتير يسمى (مرزه) يتولى مراسلاته وشؤونه الشخصية، غير ان ابناءه المتعلمين قد حلوا محل المرزة •

الاغوات الكبار :

يمثل الاغوات الكبار (الذين يبلغ عددهم سبعة اغوات) رؤساء تيرات الميراودليين • ويتسنمون مراكزهم بالوراثة ، غير ان هذا المركز قد ينتقل الى قريب ذى مقدرة اعظم •

وبالرغم مما يحظون به من احترام عظيم من قبل افراد العشيرة ، الا انهم لا يستشارون في المنازعات • وتقتصر وظيفتهم على القيام بدور المستشارين للرئيس • ولكل منهم مجال نفوذه الخاص الذى يشمل القرى التى يمتلكها هو وبقية افراد تيرته • ويختلف مركزهم في العشيرة باختلاف صفاتهم الشخصية ودرجة ضيافتهم وعدد اتباعهم •

الاغوات الصغار (اغا القرية) :

يقيم في معظم قرى منطقة بشدر احد اعضاء طائفة الميراودليين فيصبح بذلك رئيسا للقرية ويسمى «اغا القرية» • وقد يقيم احيانا بضعة اشخاص

من طائفة الميراودليين في نفس القرية ، ويناديهم القرويون بلقب «اغـــا» ٠
غير ان واحدا منهم فقط يتولى وظيفة «اغا القرية» وهو الشخص الذى يمتلك
القرية باجمعها او معظم اراضيها ٠ (ينادي افراد العشيرة كل فرد من طائفة
الميراودليين بلقب «اغـا» الا ان الاغوات الصغار ينادون بعضـهم بعضا بلقب
«كاكا» ٠ ويخص لقب «اغا» اتباع طائفة الميراودليين فقط) ٠

والواقع ان اغا القرية ما هو سوى مالك القرية ٠ ويمكن لاى فـــرد
من طائفة الميراودليين ان يتسنم هذا المنصب ٠ وقد نشأت فئة اغوات القـرى
او الاغوات الصغار من طبيعة نظام الوراثة الاسلامي الذى يمنح الابنـــــاء
نصيبا متساويا في التركة ٠ فقد تنامى عدد الملاكين الميراودليين على مر السنين،
وكان يمثلهم في الاصل عدد قليل من رؤساء الطائفة ، وهم اولئك الذيـــن
استولوا على اراضى العشيرة عند اجتياحهم للمنطقة ٠

ان اقامة «الاغا» في القرية امر ضرورى اذن ٠ الا انه قد يمتلك اكثر
من قرية واحدة ، وعندئذ يعين وكيلا عنه يطلق عليه اسم «كوخا» يتولى زمام
الامور نيابة عنه ٠ وقد يشترك اكثر من مالك ميراودلي في اراضى القرية ،
وحينئذ يتسنم المنصب اعظمهم ارضا ٠ وقد لا يمتلك اغا القرية في بعـــض
الحالات أى ارض في القرية ، لكن اسرته اقدم اسرة ميراودلية فيها ٠

وتشابه وظيفة اغا القرية وظيفة الرئيس الحكومي للوحدة الادارية ٠
فهو مسؤول عن اقرار القانون (حسب المفاهيم العشائرية وحسب تفسيراته
الشخصية) ، كما انه يتولى حل نزاعات القرويين ، ويقوم ايضا بمهام تمثيل
القرية لدى السلطات الحكومية ٠

ويحتفظ اغـا القرية عادة بعدد من الاتباع المسلحين يدعون باســـم
(نوكر) يتصرفون كقوة بوليسية تحت اشرافه ٠ كما انه يستشير ايضا عددا
من اصدقائه المقربين يسمون (ترهاني) في القضايا التى تهم مجتمع القرية وهم

يقومون مقام المجلس الاستشاري • ومن النادر ان يرجع الى الاغوات الكبار او الى الاغا الاكبر الا في القضايا الخطيرة • ويعتبر اغا القرية مسـؤولا عن رعاية المحتاجين من ابناء القرية وعن ادارة الاحتفالات الجماعية وعن القيام بواجب الضيافة • اما المكاسب الاقتصادية التى يوفرها له مركزه فهي :

١ ـ ضريبة الحاصل (العشر) •

٢ ـ ضريبة الحيوانات (الكودا) •

٣ ـ هدية (من السكر او الشاي او الحيوانات) تقدم في مناسبة الزواج •

٤ ـ هدية تقدمها كل عائلة في مناسبات الاعيـاد •

٥ ـ هدايا تقدمها عوائل القرية في مناسبات الوفاة (تشتمل على الاحطـاب او الفواكه او الخضروات او السكر أو الشاي) •

٦ ـ اداء بعض الخدمات الزراعية من قبل القرويين •



اغا القرية مع مجموعة من ابناء قريته

ولقد فقد اغا القرية معظم هذه المكاسب في الوقت الحاضر ، وان لم يزل بعض اغـوات القرى المنعزلة يتمسكون بها . والواقع ان الحصول على تلك المغانم يعتمد على درجة نفوذ الاغا وعلى مدى قوة السلطة الحكومية في المنطقة . ويزعم اغا القرية انه يجمع تلك الضرائب للانفاق على مضيف القرية .

الكـوخا × (١١) :

يعتبر الكوخا ممثلا للاغـا المالك ، وهو في الوقت نفسه ضابط الارتباط بين المالك وسكان القرية ، وبينهم وبين السلطات الحكومية . وتماثل مهامـه مهام اغـا القرية على نطاق ضيق ، فهو يتولى حل المنازعـات الصـغيرة التى تحدث بين سكان القرية . اما المنازعات الخطيرة فيعرضها على الاغا المالك ، واذا كانت ذات طبيعة عشائرية عرضها على الاغا الكبير مباشرة وربما على الاغا الاكبر . واذا كانت القرية ملكا لاكثر من اغـا واحد عرض الكوخا القضايا الهامة على اعظمهم نفوذا او اقربهم مسكنا من القريـة . اما القضـايا ذات الصفة الشخصية البحتة فيحلها دون الرجوع الى استشارات خارجية .

ويقوم القرويون بانتخاب الكوخا من اكبر مجموعة قرابية في القرية ، واذا كان سكان القرية يؤلفون مجموعة قرابية واحدة انتخب الكوخا من بين اكبر وحدة قرابية فيها وتكون عادة اعظمها ثراء . ولا يعتبر الكبر في السن عاملا مهما في اختيار الكوخا ، غير ان التحلي بصفات الرئاسة امر ضـروري لمن ينتخب لهذا المنصب . وعلى اية حال فلابد من الحصول على موافقة مالك

× (١١) الكوخا (او الكاهيا) تحريف شائع لكلمة (كتخدا) . وتعني هذه الكلمة باللغة الفارسية (الوكيل) او (الحارس) او الموظف العالى ، كما انها تعني ايضا الوزير الرئيسى فى الحكومة الاقليمية :

Longrigg, "Iraq 1900-1950" P. 352.

القرية على انتخاب الكوخا باعتباره سيكون ممثله ، وهذه النقطة في العادة من الشكليات المعترف بها • وفي بعض الاحيان يقوم المالك بنفسه باختيار رجله المفضل لهذا المنصب ، على الا يتجاوز الشروط المطلوبة • ولا يعتبر هذا المنصب وراثيا ، ومن الممكن ان يعزل الكوخا اذا لم ترض عنه القرية ، غير ان من المألوف ان يرث ابن الكوخا منصب ابيه •

ومع ان الكوخا يمارس سلطته كوكيل للاغا المالك ، الا ان تلك السلطة مع ذلك ليست مستقاة من وسائل قسرية بل من روابط القرابة ومن لياقته الشخصية • وهو على اية حال لا يصدر قرارات في منازعات القرية من دون استشارة مجموعة من الرجال العقلاء المحبين للوئام والذين يمثلون مجلس القرية (×) •

(×) تتصف القرية او «الجماعة» العربية بنفس السمات والمميزات التى تتسم بها القرية الكردية ، بالرغم من ان القرية الكردية ثابتة كليا ، بينما القرية العربية او «الجماعة» ليست ثابتة تماما • ويسكن «الجماعة» عادة مجموعة قرابية واحدة او وحدات قرابية متعددة • اما نظامهم فهو قبلي كليا ، ولا توجد سوى قرى قليلة يسكنها سكان غير عشائريين • ويقوم السركال مقام الحاكم الاداري الذى يمثل في الحقيقة «الشيخ» المالك والذى يتصرف كضابط ارتباط بين القرية والسلطة الحكومية • وهو يتمتع بسلطة أقوى من سلطة «الشيخ» عمليا بالنسبة لابناء القرية لانه هو الذى يوفر العمل الزراعي لهم • وهو يعتبر اثرى شخص في القرية وابرز شخصية في المجموعة القرابية • وبالرغم من ان السلطة الحكومية لها نفوذ شكلى في تعيينه ، الا ان «الشيخ» والاشخاص المعنيين يتحملون المسؤولية الحقيقية في اختياره • وفي القرى الكبيرة الثابتة يمثل السلطة الحكومية مركز شرطة ويتولى السيطرة على القرية بصورة مباشرة ، بالرغم من وجود سركال فيها • وقد اصدرت الحكومة في عام ١٩٥٧ تشريعا لادارة القرية • وبناء على هذا التشريع اصبح تعيين ضابط الارتباط في القرية الذى يسمى (العمدة) من مسؤولية السلطة الحكومية •

ولا يتمتع الكوخا عادة باية مكاسب اقتصادية ، غير ان البعض منهم يطالب القرويون بحصة صغيرة من الحاصل وبشيء من حطب الوقود والعلف، بل وبمبلغ صغير من النقود احيانا • ومن الشائع ان يقوم القرويون بمد يد المساعدة للكوخا وقت الحصاد •

التنظيم الاجتماعي لعشيرة بشدر :

تتخذ الوحدة الاجتماعية في عشيرة بشدر شكل «قرية» صغيرة متراصة Compact village تقع ضمن او بجوار الاراضى الزراعية • وتتألف كل قرية من عدد من الوحدات النسبية الابوية Patrilineage • وقد ينتسب ابناء القرية جميعا الى مجموعة قرابية واحدة ، الا ان النموذج العام وجود وحدات قرابية متعددة • وتتألف كل وحدة نسبية من عدد من الذكور والاناث يشتركون في نسب ابوي واحد Agnatic descendants لثلاثة او اربعة اجيال • ويميل اعضاء كل وحدة نسبية الى التجمع ، فيحتلون بيوتا متلاصقة Joint houses ، كما يزرعون حقولا متجاورة •

ويمكن ان نميز في مجتمع القرية ثلاث طبقات اجتماعية حسب تعريف Weber ، [(١٢)] هى طبقة الاغوات وطبقة النوجر وطبقة العامة •

طبقة الاغوات :

يمثل الاغوات الطبقة العالية • وتتألف هذه الطبقة من القرويين الذين ينتمون الى طائفة الميراودلين • ويتمتع اعضاء هذه الطبقة بأعلى مركز في مجتمع القرية • وهم يعملون اما ملاكين صغار او زراع مستأجرين • ولا يكتسب افراد هذه الطبقة أية مزايا اقتصادية ، غير أن افراد الطبقة العامة

---

(12) Weber, Max, "The theory of social and economic organization" (translated into English by A.R. Henrerson and Talcot Parson), London 1947, P. 390.

قد يؤدون لهم بعض الخدمات التطوعية ، لا سيما وقت الحصاد • وقد تحدث بعض الاستثناءات حينما تفرض تلك الخدمات المجانية على الفلاحين قسرا •

وبالرغم من ان الاغوات يعتبرون انفسهم نبلاء العشيرة ، الا انهم لا يمتلكون حقا تقليديا في استغلال او اضطهاد الطبقة العامة • والواقع أن مستوى حياة الاغوات الفقراء يقرب من مستوى ابناء الطبقة العامة ، الا انه مهما بلغ فقر اعضاء طبقة الاغوات فان نساءهم لا يساهمن في الاعمال الزراعية • وهم يختلطون بأفراد الطبقة العامة بلا أية قيود او تحفظات ، كما انهم قد يصاهرونهم ايضا ، غير ان النساء الميراودليات لا يتزوجن من خارج طائفتهن • ولعل هذا اكبر حاجز طبقي يفصل بين طبقة الاغوات والطبقة العامة •

ويكتسب الاغا المالك (اغا القرية) مركزا خاصا ضمن طبقة الاغوات ، بسبب كونه مالكا لاراضي القرية • وهو يمثل أعلى سلطة في القرية ، ويطالب بخضوع جميع القرويين لأمرته • ولذلك فان ابناء الطبقة العامة يرفعون اليه منازعاتهم وشكاويهم ليتخذ بشأنها القرار المناسب •

وبالرغم من ان دخل الاغا المالك لا يعتبر ضئيلا على العموم ، الا ان نفقاته تتجاوز في العادة دخله • لذلك فهو مدين على الدوام للمرابين والتجار • اما نفقاته فتشمل المصاريف البيتية ومصاريف الاتباع ومصاريف المضيف •

وتكون المصاريف البيتية مصدرا هاما من مصادر النفقات ، ولكنه ليس اهمها دائما • ويتمتع الاغا عادة بمستوى حياة مرتفع نسبيا ويحتفظ بعائلة ضخمة • ويتميز بيته بجودة بنائه بالنسبة لبيوت القرية ، وباحتوائه على بعض الاثاث الحديث كالاسرة الحديدية والكراسي والخزانات الخشبية • وتشتمل وجباته الغذائية على الرز واللحم ، اضافة الى المواد المعتادة • ومع ان ملابسه تماثل الملابس القروية لكنها افضل نوعية ، وقد يكون قماشها من

صنع اوربي او ياباني . ويرتدي نساؤه ملابس افضل ويتحلين بالحلى والمخشلات .

اما مصاريف الاتباع فتتوقف على مقدار عددهم الذى يتناسب مع ثروة الاغا . وينبغي ان يمد الاغا اتباعه بالاسلحة والذخيرة والخيول ، كما انه مسؤول عن الصرف على عوائلهم . وما دامت اهمية الاغا المالك ومكانته تقاس بعدد اتباعه ، فان البعض منهم يحتفظ بعدد يفوق ما يتحمله دخلهم ، حيث يصبحون عبئا حقيقيا على ميزانيتهم .

اما المضيف فقد يستهلك بعض الاحيان النصيب الاعظم من ميزانية الاغا ، ذلك ان حجمه ونفقاته يعتبران من اهم الدلائل الاجتماعية على مكانة الاغا المالك . ويشتمل مضيف اغا القرية على غرفة منفصلة في بيته ، غير ان الاغوات الكبار يحتفظون ببناية مستقلة تضم غرفة واحدة على الاقل مزودة بالسجاد والكراسى الخشبية . ويعتبر الاغا المالك مسؤولا عن تقديم المأوى والطعام في مضيفه لكل غريب وجيه يمر بالقرية . وينبغي ان يدعو القرويين لاحتساء الشاي والقهوة ولتناول الطعام في المناسبات المختلفة .

وبالرغم من ان عائلة الاغا المالك تتمتع بأعلى مركز في القرية ، لكن هذا المركز لا يفرض وضعا خاصا بها . وتقوم زوجات الاغا وبناته بنفس الاعمال البيتية التى تقوم بها نساء القرية كالطبخ والتنظيف والعناية بالحيوانات ، لكنهن لا يساهمن بالاعمال الزراعية مهما دعت الحال .

ويتعلم اولاد الاغا الكتابة والقراءة والقرآن على يد ملا القرية . ويقوم الابناء الكبار بمهام السكرتيرية لابيهم ، كما يراقبون اعمال الزراع المستأجرين .

ويحتفظ الاغا المالك عادة باكثر من زوجة واحدة ، وقد يصلن الى اربع زوجات . وبما ان الزوجات يشاركن في الاعمال البيتية ، فان عددهن يصبح رصيدا اقتصاديا لا سيما وان الاحتفاظ بمضيف والعناية بالحيوانات يتطلب

عملا كثيرا • وفضلا عن ذلك فقد يرمي الاغا المالك من وراء العائلة الكبيرة الى اهداف سياسية ايضا • (فهو ينجب اكبر عدد ممكن من الابناء الذين يخلصون له اخلاصا تاما ، وينصب كل واحد منهم لادارة قرية من قراه او مجموعة من القرى فيحقق بذلك غرضا سياسيا) • (١٣)

اما زواج الاغا المالك فهو في الغالب زواج داخلى Endogamous ، لكن باستطاعته ان يختار زوجة من اية طائفة يشاء • وهو لا يدفع صداقا للزوجة ، لكنه قد ينفق مبلغا من المال يتجاوز بضعة مئات من الدنانير على الملابس والاثاث والحلي •

طبقة النوجر :

سبق ان ذكرنا بان كل اغا مالك يحتفظ بعدد من الاتباع يمثلون قوته الحقيقية ، وهؤلاء الاتباع مدججون بالسلاح دائما (حزام ذخيرة وخنجر ومسدس وبندقية) • وهم يمثلون القوة البوليسية والحرس الخاص بالاغا • وتعتمد مكانة الاغا السياسية على مدى اخلاص هؤلاء الاتباع وعلى شدة عنفهم تجاه خصومه • وقد يحدث ان يلجأ اولئك الاتباع الى السلب ، وعندئذ يتقاسمون مع الاغا اسلابهم • وهم يتولون ايضا ادارة شؤون المضيف ، كما يتولون مهمة ضباط الارتباط بين الاغا وقراه الاخرى • ويمثل هؤلاء الاتباع نفس الجماعات التى وصفها ملنجن Millingen قبل حوالى قرن في منطقة شرقى كردستان بقوله : (يحتفظ كل رئيس للعشيرة او رئيس لمنطقة بعصبة من المعاونين يكون من جملة اعضائها اقرباؤه المقربون • وتتولى هذه العصبة مهمة تسوية الخلافات التى تنشأ للرئيس مع الاخرين عن طريق القوة) (١٤) •

---

(13) Johnson, J.C.A.,"The Kurds of Iraq"Geog. Mag., vol. X, 1940, P. 392.

(14) Millingen, F., "Wild life among the Kurds" London 1870, P. 239.

ويختار الاغا اتباعه من افراد الطبقة العامة العشائريين الذين يستوطنون في الاصل قرى اخرى • وهم يمتون الى طوائف وتيرات مختلفة ، كما انهم قد يضمون ايضا بعض اقربائه الفقراء • ويعتبر الاغا مسؤولا عن جميع نفقات هؤلاء الاتباع هم وعوائلهم ، بالرغم من انهم يمضون اغلب اوقاتهم في بطالة وكسل •

ان مركز افراد النوجر في مجتمع القرية اعلى قليلا من مركز العامة ، وهو مستمد من الخدمات التى يقدمونها للاغا المالك،ومن تميزهم بالبطش • ولا يوجد اى حاجز حقيقي يفصل طبقتهم عن طبقة العامة •

طبقة العامـــة :

تشتمل طبقة العامة على افراد العشيرة الاعتياديين الذين يعملون بالزراعة، واغلبهم زراع مؤجرين (بالمحاصة) يتبعون الاغا الميراودلي • وهناك عدد ضئيل منهم من الملاك الصغار • ونادرا ما يمتلك هؤلاء الزراع اراضى ذات ري صناعي ، بل يمتلكون قطعا من اراضى التلال والمرتفعات التى لا تصلح الا لزراعة الحبوب • اما الزراع المؤجرون فيمتلكون حقا تقليديا موروثا في زراعة حقول معينة هو حق المزارعة ، غير انهم لا يحصلون على اى معونة مالية من الاغا المالك وينبغي ان يعتمدوا على انفسهم كليا • ويمتلك كل زارع عددا من الحيوانات التى يحق له رعيها في مراعي القرية المشتركة •

وبما ان سكان القرية يتألفون من مجموعات نسبية ، فليس هناك سوى فروقا اجتماعية ضئيلة بين افراد الطبقة العامة • ويرتبط القرويون بروابط قوية يزيد من متانتها نظام الزواج الداخلي • غير ان العضوية في وحدة قرابية ضخمة متمكنة تكسب الفرد القروي مركزا افضل •

اما القرى التى تسكنها عدة وحدات نسبية ، فان العضوية في الوحدة النسبية هى التى تميز الفرد في مجتمع القرية ، وتصبح العضوية في الوحدة

النسبية بذلك اكثر اهمية من العضوية في عائلة معينة . ومع ذلك فان العلاقة ضمن الوحدة النسبية لا تتطور الى درجة التحزب ، كما انها لا تتجاوز مجرد الاشتراك في احتفالات المناسبات . ويعود ذلك الى المميزات الخاصة التى تميز النسب الكردي Kurdish lineage والتى حددها بارث Barth على النحو التالـــي :

(ان الانساب الكردية هى ليست احزاب Factions منظمة ضـــمن المجتمع كما هو الحال في اغلب المجتمعات الاخرى . وكذلك امر المجموعات القرابية . فنظرا للمعدل العالى لحالات الزواج من الاقرباء ، فقد اصـــبح النسب الكردي ، بل وحتى الوحدة النسبية هبوطا الى مستوى القرية ، داخليا ومعزولا اجتماعيا فضلا عن انه معزول جغرافيا ايضا) (١٥) .

ويقاس مركز القروي بمركز وحدته النســـبية Lineage group الذى تتوقف مكانته على العدد والثروة . لذلك فان العضوية في طائفـــة نورالدين مثلا ، وهى اكبر طائفة في العشيرة ، تجذب احتراما اكبر . ويميز الاغوات افراد طائفة نورالدين عن بقية الطوائف الاخرى بتسميتهم (معقول) . غير ان التقدير الفردي يصبح اكثر وضوحا في القرى التى لا يقطنها الاغوات . وتختفي الطبقات تقريبا في امثال هذه القرى وتحل محلها المكانة الاجتماعية Social standing التى لا ترتفع الى الطبقية الاجتماعية . ومن اهـــم الصفات التى تكسب المرء مركزا في مجتمع القرية هى الكبر والسمعة الطيبة والتديـــن .

ويغير وجود طبقة الاغوات في مجتمع القرية من اسس المكانة الاجتماعية بدرجة عظيمة . ففي حالات كثيرة تظهر مجموعة متميزة من طبقة العامـة يطلق عليها اسم (ترخاني) . ويتمتع اعضاء هذه المجموعة بثقة اغا القريـــة

---

(15) Barth, P. 75.

وبالتالى يصبحون بمثابة المجلس الاستشاري له ، وما هم في الحقيقة سوى مؤيديه بشكل او باخر . ويتمتعون بمركز اعلى في مجتمع القرية ، ويعفون في الغالب من الضرائب الزراعية والحيوانية . ويتبوأ أمثال هؤلاء الاشخاص مركزا عاليا ضمن وحداتهم النسبية او مجموعاتهم القرابية .

وتضيق المسؤوليات المشتركة ضمن مجتمع القرية الى درجة تقتصر فيها على اصغر مجموعة قرابية . فالنزاع الذى يحدث بين فردين من انساب مختلفة لا يؤدي الى اشتراك بقية اعضاء النسبين في النزاع . كذلك فان النزاع بين شخصين من مجموعتين قرابيتين مختلفتين لا يجر اليه سوى الافراد من ذوي القربى الشديدة .

ولا تتجاوز الالتزامات العشائرية حدود القرية الا في ميدان العلاقات الاجتماعية ، مثل تبادل الزيارات والهدايا في الاعياد وفي حفلات الزواج والوفاة . ولا تظهر وحدة العشيرة الا في حالة واحدة فقط ، وهى حالة الدعوة الى القتال ، اذ تساهم كل طائفة وتيرة بمجموعة من المسلحين تحت قيادة رؤسائهم . وتنضوي تلك المجموعات جميعا تحت لواء واحد وقيادة عامة تتولاها طائفة الميراودليين .

التنظيم العشائرى لعشيرة الجاف

يرجع اصل عشيرة الجاف الى منطقة جوانرو في كردستان ايران ، وما يزال يعيش بعض اقسامها هناك حتى اليوم . وتحتل في الوقت الحاضر منطقة واسعة بين قزيل رباط في لواء ديالى وناحية بنجوين في اقصى الشمال الشرقي للواء السليمانية (×) .

وتزعم مصادر العشيرة بان عددها كان حوالى ستمائة عائلة فقط حينما هاجرت الى منطقة السليمانية في منتصف القرن الثامن عشر . وبعد مضى

(×) لقد استقر الغالبية العظمى من افراد هذه العشيرة الا القليل منهم ، وهؤلاء يعسكرون في سهل كركوك شتاء وفي هضبة بنجوين صيفا .

قرن من الزمن تجاوز عددها عشرة الاف عائلة • ولا يعزى هذا النمــو الى زيادة طبيعية بطبيعة الحال ، بل الى ذوبان عشائر اخرى فيها • والواقع ان عشيرة الجاف التى كانت تمتلك قوة حربية ضخمة قد صهرت جميـــــع العشائر الضعيفة في منطقة نفوذها • فهي اذن عبارة عن «اتحاد» بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وليس ثمة رابطة نسب تربط اقسام العشيرة المختلفة • ويشتمل هذا «الاتحاد» على الاقسام التالية : (١٦)

ميكائيلي ــ نوردي ــ باسكي ــ كلالي ــ روخزادي ــ هارونـــي ــ شاطري ــ ترخاني ــ يزدان باخشي ــ تيله كوه ــ ساداني ــ آمالى ــ ابري ــ يافغوزي ــ شيخ اسماعيلي ــ سوفياوند •

ولقد تبعثر اغلب هذه الاقسام في السنين الاخيرة وكون ما يشـــــبه العشائر المســـتقلة •

التنظيم السياسي لعشيرة الجاف

يمكن القول ان التنظيم السياسي الحالي لعشيرة الجاف هو تركـــــة موروثة تستند الى نظام اقتصادي مغاير للنظام الحالى ، ونقصد به النظـــام الرعوي الذى كان قد فرض الحياة المترحلة على افراد العشيرة •

وقد تبلور فيها نتيجة لذلك نظام سياسي يختلف عن نظام عشيرة بشدر المستقرة • وقد كان ذلك النظام طبقيا في جوهره الا انه متأثر بنظام النســب Lineage system اكثر من تأثر نظام عشيرة بشدر •

وتتسنم قمة هذا النظام الطبقي طائفــة البيكزادة التي تنقسم الى ثــلاث تيرات هي بهرام بيك وكيسخروبيكي و ولدبيكي • اما بقية طوائف العشيرة فهى متساوية في مكانتها الاجتماعية • وتعتبر طائفة البيكزادة الطائفـــــة

(16) Driver. "Kurds and Kurdistan" London 1920, PP.110-111.

الحاكمة في العشيرة ، شأنها شأن طائفة الميراودليين في عشيرة بشدر • ولا يمارس السلطة في هذه الطائفة سوى الرؤساء الفعليين ، بينما يؤلف بقية الاعضاء طبقة النبلاء في العشيرة دون ان يحصلوا على اية امتيازات فعلية • وتنحصر وظيفتهم السياسية في دور المستشارين للرئيس الاعلى ، وهم في العادة من بين اكثر اعضاء العشيرة ثراءا ، اذ يمتلكون أراضي واسعة وعددا كبيرا من الحيوانات • وهناك مركزان مهمان يتحكمان في التنظيم السياسي للعشيرة وهما مركز الرئيس الاعلى ومركز «الريس» •.

الرئيس الاعلى :

كان تبوأ هذا المنصب ، الذى يعتبر حكرا لتيرات البيكزادة الثلاث ، يتأثر بعوامل خارجية وداخلية • وقد استمدت العوامل الخارجية اهميتها من الموقع الجغرافي الاستراتيجي لمنطقة الجاف • وكانت تلك المنطقة مشارا للتنافس والنزاع بين الدولتين الفارسية والعثمانية ، وكانت كل منهما تحاول ضمان رئيس للعشيرة موال لها • اما العوامل الداخلية فترتبط بدرجة توفر صفات الزعامة في الشخص المرشح ، كالثروة والقوة والمقدرة الشخصية • غير ان هذا المنصب كان يخضع أيضا لنظام الوراثة التسلسلي الا اذا فقد ابناء الرئيس الاعلى لياقتهم الشخصية •

ولا يستمد الرئيس الاعلى تأييده الفعلي المباشر من طائفة البيكزادة بل من جماعة البشتمالا (×) •

ويتألف البشتمالا من اعضاء من مختلف الطوائف • ويختلف عددهم حسب رغبة وحاجة الرئيس الاعلى ، الا انهم قد يتجاوزون مائة وخمسين

(×) لقد اشتقت هذه الجماعة اسمها من تخييم اعضائها مع اسرهم حول خيمة او بيت الرئيس الاعلى •

تابعا . وهم يتصرفون كقوة بوليسية ، شأن جماعة النوجر في عشيرة بشدر، كما يعملون كحرس شخصى للرئيس الاعلى .

وتكاد تماثل مهام الرئيس الاعلى في عشيرة الجاف مهام الاغا الاكبر في عشيرة بشدر ، سوى انها اكثر تطمينا لضرورات واحتياجات حياة العشيرة الرعوية . ويمكن تلخيصها على الوجه التالى :

١ - يقوم بوظيفة المرشد الاكبر للعشيرة في حياتها الاقتصادية ، فيتولى توجيه وتنظيم الفعاليات الرعوية . لذلك كان لابد له ان يمارس نفس الحياة المترحلة التى تمارسها العشيرة فيصاحبها في هجراتها الصيفية والشتوية .

٢ - يمثل العشيرة امام السلطات الحكومية في كافة الامور المتعلقة بها .

٣ - يقوم بمهام رئاسة القضاء العشائري ، وهو الذى يصدر القرار النهائي في المنازعات والخصومات العشائرية .

٤ - يتولى منصب القائد الاعلى للعشيرة في حالة دخولها الحرب ضد العشائر الاخرى .

اما المزايا الاقتصادية التى ترتبط بهذا المنصب فهي :

١ - ضريبة سنوية على حيوانات العشيرة تبلغ ١/٥٠ (×) .

٢ - ضريبة الزواج المسماة (سورانه) .

٣ - ضريبة يدفعها اللاجئون الى حمى العشيرة .

الريس :

يطلق على الوسيط المباشر بين الرئيس الاعلى وبقية اقسام العشيرة

(×) كانت الحكومة التركية قد كلفت في الاصل الرئيس الاعلى ليجمع الضريبة على الحيوانات من ابناء عشيرته نيابة عنها ، لكنه لم يكن يدفع اليها من تلك الضريبة سوى مبلغا اسميا .

اسم «الريس» • (×) والريس في الحقيقة عبارة عن رئيس التيرا • ويجدر بالذكر ان تيرة عشيرة الجاف المترحلة ، وهي في الاساس مجموعة نسبية ، تتمتع بتضامن عظيم كوحدة اجتماعية وسياسية ، وهي اعظم اتحادا من تيرة عشيرة بشدر المستقرة • ويرجع ذلك الى عاملين :

١ - بما ان اعضاء التيرا يهاجرون عادة سوية ويخيمون في منطقة واحدة من اراضى المراعي فليس هناك اي حاجز جغرافي يحطم وحدة التيرا •

٢ - بما أن الروابط الاقتصادية بين هوزات التيرا (الاسر الواسعة) قوية للغاية بطبيعة حياتهم الرعوية ، وبما ان التيرا تنتمي الى سلف مشترك، لذلك فانها ترث مراعي مشتركة • وهكذا تضطر اقسامها المختلفة الى التعاون سياسيا واقتصاديا في الفعاليات الاقتصادية (الهجرة والرعي) وفي الفعاليات السياسية (القتال) •

وتشبه وظيفة الريس وظيفة الكوخا في عشيرة بشدر ، لكن الريس اكثر استقلالا • فهو يرجع في القضايا العامة التى تهم العشيرة الى الرئيس الاعلى ، لكنه حر التصرف في القضايا التى تتعلق بالتيرا • اما القضايا التى تهم طائفة بالذات فيتولى حلها مجلس خاص يتألف من رؤساء التيرات • ويمكن تلخيص مسؤوليات الريس على الوجه التالى :

١ - يعتبر وكيل الرئيس الاعلى لدى التيرا ويجمع له الضرائب والاموال •

٢ - يقوم بوظيفة ضابط الارتباط بين الرئيس الاعلى والتيرا •

٣ - يعتبر ممثلا لتيرته في القضايا التى تهم الطائفة بأجمعها او العشيرة بكليتها •

٤ - يقوم بدور المحكم (الوسيط) الرئيسى في المنازعات التى تنشب بين اعضاء التيرا •

(×) ويطلق عليه ايضا لقب « الكوخا » •

٥ ـ يعتبر الموجه والمرشد الرئيسي في الفعاليات الرعوية للتيرا •

٦ ـ يتولى قيادة التيرا في المعارك الحربية •

ولا تستمد سلطة الريس من قوة رادعة ، بل من روابط القرابة التى تربطه باعضاء التيرا ، وهي اشبه بسلطة ابوية • ولعل ذلك يوضح اسباب تسمية التيرا عادة باسم رئيسها •

ويتطلب منصب الريس شروطا معينة تجعل منه منصبا وراثيا على وجه التقريب • فهو ينحصر في الوحدة النسبية الرئيسية في التيرا ، وفي اكثر الاشخاص ثراء ضمن تلك الوحدة •

ولا ترتبط بهذا المنصب اية مزايا اقتصادية سوى اعفاء الريس من الضرائب المفروضة على ابناء العشيرة • اما مزاياه السياسية فتقتصر على ما يناله الرئيس من احترام وطاعة •

ان هذه الدراسة للتنظيم السياسي للعشيرة تنحصر بالجماعات الرحل من عشيرة الجاف • ويجب ان نوضح بان بضعة الاف فقط من عشيرة الجاف ما يزالون متمسكين بحياتهم الرعوية وبمثل هذا النوع من التنظيم السياسي • اما بقية افراد العشيرة فقد هجروا حياة الترحل كليا وتحولوا الى الزراعة • ولقد مر انتقال العشيرة من الترحل الى الاستقرار بالخطوات التالية :

كانت جميع اقسام العشيرة معتادة على ممارسة الهجرة الفصلية بين سهول لواء كركوك ومرتفعات منطقة اردلان في غربي ايران • وكان من عادتها ان تمضى الشتاء في سهل كركوك والربيع في سهل شهرزور والصيف في مرتفعات اردلان • ثم اخذت هذه الانتقالات الفصلية تواجه المصاعب والعقبات عقب الحرب الكبرى الاولى ، فقد نتج عن تعاظم سيطرة السلطات الادارية تأييد المزارعين في شكاويهم ضد الرعاة وما تسببه حيواناتهم من اضرار

للحقول ، وبالتالى تقييد حركة حيوانات العشيرة • ومن الجهة الاخرى عمدت السلطات الايرانية الى فرض ضرائب باهضة على عبور حيوانات العشيرة الى مراعيها في اردلان • وقد ادت هذه الاجراءات بمجموعها الى تحول عدد كبير من اعضاء العشيرة الى الزراعة • وقد سبق تلك الاجراءات السياسية ايضا عامل اجتماعي اوضحه سون Soane على النحو التالى :

(لقد ظل القسم الارستقراطي من عشيرة الجاف ، وهو طائفة البيكزادة، يحتكر رئاسة العشيرة الى عهد محمود باشا الذى ترك عند وفاته في نهاية القرن التاسع عشر ثلاثة ابناء هم عثمان ومحمود ومحمد علي • وقد ادت وفاته الى انقسام العشيرة ، فتولى محمود باشا مسؤولية رعاية الجماعات الرحالة ، فكان يصاحبهم في هجراتهم الربيعية والخريفية فيما بين حلبجة وسهل شهرزور بين المرتفعات والمنخفضات • واستولى عثمان باشا على جولامبار واراضى شهرزور واحتكر لنفسه حكم المنطقة • اما الابن الثالث محمد علي فقد بقى في قزلرباط (في لواء كركوك) مكتفيا بادارة اراضيه الزراعية وبساتينه) [١٧] •

وهكذا يبدو بان اقسام العشيرة قد بدأت بالاستقرار منذ نهاية القرن التاسع عشر ولا سيما في منطقتي عثمان باشا ومحمد علي بك • وكانت تلك العملية بطيئة نوعما في البداية ، الا انها تسارعت عقب الحرب العظمى الاولى نتيجة للعوامل السياسية التى سبقت الاشارة اليها • والواقع أن عددا كبيرا من افراد العشيرة هجروا عشيرتهم واستوطنوا في اراضى غريبة لم تكن جزءا من مراعي العشيرة التقليدية • ولقد اثرت عملية الاستقرار هذه تأثيرا عظيما في التنظيم الاجتماعي والسياسي للعشيرة •

---

(17) Soane, PP. 223-4.

وكان التغير في التنظيم السياسي عظيم جدا ، بل ومميتا للنظام العشائري في الحقيقة ، اذ اثر في كل من تركيب ورئاسة العشيرة • فلقد تناثرت العشيرة الى اجزاء صغيرة تتألف من طوائف او تيرات او هوزات متفرقة ، واصبحت مستقلة كليا تقريبا عن بعضها البعض وعن العشيرة الأم • وهذا الانحلال امر طبيعي بعد ان فقد الدافع الحربي اهميته ، وهو الدافع الذى كانت تقتضيه حياة العشيرة الرعوية والذى كان يضمن لها حماية المراعي ونهب المزارع •

كذلك فقدت طائفة البيكزادة اهميتها السياسية ، ولم تعد الاقسام المختلفة من العشيرة تعترف باسرة معينة من تلك الطائفة كزعيمة للعشيرة ، واقتصر ولاء الفرد العشائري على الاسرة المالكة لارضه • ولم تعد هناك اية التزامات سياسية تقع على عاتق طوائف او تيرات العشيرة المختلفة نحو طائفة البيكزادة ، واقتصرت تلك الالتزامات على المجاملات المحضة • وتتمثل تلك المجاملات في الولاء الذى يظهره ريس كل تيرة او رئيس كل طائفة نحو ابرز شخصية في طائفة البيك زادة في مناسبات الاعياد واحتفالات الزواج والوفاة • وقد يرجع اليه ايضا في الشؤون الخطيرة التى تهم اعضاء تيرته طالبا منه التوسط لدى السلطات الحكومية •

ان ضعف السلطة السياسية للرئاسة العشائرية القديمة هو نتيجة منطقية لانتقال العشيرة من حياتها الرعوية المترحلة الى حياة الزراعة المستقرة • فقد كان الرئيس يمارس سلطته السياسية باعتباره قائدا للعشيرة ومنظما لفعالياتها الاقتصادية • ولقد اصبحت العلاقات الجديدة بين افراد العشيرة المستقرين واسرة الرئاسة شبيهة بعلاقة الزراع المستأجرين بمالك الارض • والواقع ان معظم افراد البيكزادة قد تحولوا الى ملاكين غائبين يتعهدون تزويد فلاحيهم بالالات والبذور ويقيمون في المدن الكبرى ، في حين ان الملاكين الميراودليين في عشيرة بشدر لا يساهمون باية عملية زراعية بل يكتفون باستيفاء حصتهم من الحاصل الزراعي •

ولقد طرأ على وظيفة الريس ايضا تغيير جوهري وفقدت اهميتها السياسية ، غير انها احتفظت بمعظم مظاهرها الاجتماعية . فما يزال اعضاء التيرا يرجعون الى الريس في خصوماتهم ومنازعاتهم ويسألونه التوسط في حلها ويقبلون بقراره النهائي . كما انهم ما زالوا يكلفونه بتمثيلهم امام المالك او امام السلطات الحكومية ، لا سيما في قضاياهم الخطيرة . وما يزال منصب الريس يتطلب توفر الشروط القديمة . فلابد للمرشح ان يكون تابعا للوحدة النسبية الرئيسية في التيرا او الى اكبر مجموعة قرابية في الوحدة ، كما ينبغي ان يكون من اكثرهم ثراءا . ويؤثر مدى نفوذه لدى السلطات الحكومية في الوقت الحاضر تأثيرا كبيرا في لياقته للمنصب .

التنظيم الاجتماعي لعشيرة الجاف

يستند التنظيم الاجتماعي لعشيرة الجاف على قاعدة النظام النسبي الذى يصاحبه تضامن اجتماعي وسياسي وتعاون اقتصادي . لذلك تنعدم الطبقية ضمن الطائفة او التيرة . وهذا امر طبيعي نتيجة لروابط النسب المتينة التى تربط ما بين اعضاء كل طائفة او تيرة ، هذا فضلا عن ان الطبقية لا تناسب الحياة المترحلة البسيطة . وما دامت طائفة البيكزادة الحاكمة تمارس حياة مستقلة تمام الاستقلال عن العشيرة ، وما دامت بقية الطوائف والتيرات مستقلة عن بعضها اجتماعيا واقتصاديا ، فان الطبقية الاجتماعية ضمن التيرة الواحدة تصبح امرا غير عملي . غير ان مكانة الفرد ضمن وحدته النسبية تعتمد على الثراء ، لذلك يصبح الثراء المصدر الوحيد للنفوذ .

ولقد اثر اتجاه العشيرة نحو الاستقرار في بنائها الاجتماعي ، وان كان اقل من تأثيره في تنظيمها السياسي . ويختلف هذا التأثير حسب نوع وطبيعة الاستقرار وحسب طوبوغرافية المنطقة . وقد احتفظ النظام النسبي بسيطرته على النسق الاجتماعي . فعلاقات التيرات المختلفة ضمن الطائفة لا تتجاوز

تبادل الزيارات والهدايا في الاعياد والاحتفالات المختلفة • ولا توجد اية اعتبارات سياسية تربط تيرة بأخرى وتحملها مسؤوليات معينة • اما العلاقات بين الوحدات النسبية المختلفة ضمن التيرة الواحدة فتختلف حسب طوبوغرافية المنطقة •. فاذا كانت التيرات تحتل منطقة واحدة ذات تضاريس مفتوحة ، فان تضامنها يظل قويا وفعالا • وهي تتصرف في الغالب كهيئة واحدة لحماية مصالحها ضد أي اعتداء • وهكذا تلتزم كل وحدة نسبية في التيرا بمسؤولياتها السياسية • اما اذا كانت تضاريس المنطقة وعرة فان المسؤوليات السياسية تضعف كليا حتى تكاد تتلاشى ولا تحتفظ بفعاليتها سوى الالتزامات الاجتماعية •

لقد قضى تحول العشيرة نحو الزراعة اذن على معظم الصلات والالتزامات العشائرية القديمة ، غير ان الوحدة النسبية ما تزال تحتفظ بطابعها القديم • وتحتل كل وحدة نسبية بضعة قرى صغيرة متجاورة • وتمثل اغلب تلك القرى مراعي العشيرة القديمة • فاذا سكنت القرية وحدة نسبية واحدة احتفظ افرادها بدرجة عالية من التضامن الاجتماعي والسياسي • فاذا اشتبك احد ابناء القرية مثلا في نزاع مع شخص من قرية اخرى ، ساهم جميع أفراد القرية في النزاع • غير ان هذا التضامن يتضاءل في القرى التى تسكنها اكثر من وحدة نسبية •

ويرأس الوحدة النسبية الكوخا ، وهو في الوقت نفسه رئيس القرية • ولابد ان يكون المرشح لهذا المنصب اعظم الاشخاص نفوذا ضمن مجموعته القرابية • ويمثل الكوخا القرية امام المالك وامام السلطات الحكومية ، كما انه يتصرف كضابط ارتباط بين ريس التيرة وبين الوحدة النسبية •

ولم تتبلور بعد الطبقية الاجتماعية في المجتمعات الزراعية الجديدة لعشيرة الجاف ، وان كانت تجتاز في الوقت الحاضر تطورا سريعا • وتعتمد مكانة الفرد على امرين ، الاول عدد ومكانة مجموعته القرابية ، والثاني درجة

ثرائه • وقد ضعف تأثير العامل الاول بالنظر لان معظم القرى تشتمل على وحدة نسبية واحدة ، كما ضعف تأثير العامل الثاني نظرا لان معظم ابناء العشيرة قد اصبحوا زراع مستأجرين لدى ملاكي البيكزادة •

اما الذين استقروا في اراضي تعود لملاك غير عشائريين فقد استقلوا كليا عن عشيرتهم • بل انهم تخلوا حتى عن تسميتهم القديمة (كرد) ، واستعاضوا عنها بتسمية جديدة هي اما (گوران) او (مسچين) ، وقد اصبحت هذه التسمية رمزا لتبعيتهم الجديدة وعلامة على انفصالهم عن عشيرتهم • وقد ظل عدد قليل جدا منهم يحافظ على صلاته مع تيراته ووحداته النسبية •

واخيرا لابد من القول بان عشيرة الجاف قد فقدت كيانها السياسي القديم ، وان العلاقة الجديدة بين ابناء العشيرة ورؤسائها تتحكم فيها في الوقت الحاضر المصالح الشخصية لا الروابط القبلية التقليدية •

مميزات النظام العشائرى الكردى

لابد لنا لكي نتعرف على اهم مميزات النظام العشائري الكردي من ان نستعرض ثلاث نقاط رئيسية هي : الرئاسة العشائرية ، والحروب العشائرية ، والالتزامات العشائرية •

الرئاسة العشائرية :

يمكننا ان ندرس مميزات الرئاسة العشائرية الكردية من خلال ناحيتين، الاولى مؤهلات الرئاسة والثانية مزايا الرئاسة •

مؤهلات الرئاسة :

تنبثق رئاسة العشيرة الكردية من الحاجة الى تنظيم وتوجيه النشاطات المختلفة للعشيرة ، ومع ان منصب الرئاسة وراثي في العادة ، الا انه يتطلب مؤهلات معينة قد فرضتها الظروف الجغرافية لمنطقة كردستان • واهم تلك المؤهلات القوة الحربية والثروة واللياقة الشخصية •

فالقوة الحربية ميزة ضرورية للغاية ان لم تكن شرطا اساسيا لرئاسة العشيرة الكردية ، ذلك ان القتال يعتبر وجها مهما من نشاطات العشيرة • واذا ما تذكرنا ان العشيرة الكردية هي مجموعة من الطوائف (الافخاذ) ترتبط ببعضها عن طريق السكنى في ارض معينة والخضوع الى رئاسة معينة ادركنا اهمية تمتع الرئيس بالقوة الحربية • والواقع ان الطائفة التى تنحصر فيها الزعامة لا يمكن ان تحتفظ بزعامتها ان لم تكن متمتعة بقوة تؤهلها للسيطرة على بقية الطوائف والدفاع عن العشيرة تجاه غارات الاعداء •

ان نواة القوة الحربية التى يحتفظ بها الرئيس هم «الاتباع» • لذلك كان عدد الاتباع ذا اهمية بالغة من وجهة نظر ابناء العشيرة انفسهم او افراد العشائر الاخرى • ويقوم الاتباع بالاضافة الى اعمالهم الحربية بحماية الرئيس وبتأديب معارضيه • ويتعهد الرئيس بدوره بالانفاق عليهم وعلى عوائلهم • ويختار الرئيس هؤلاء الاتباع من شتى الطوائف ، وهم لا يرتبطون مع بعضهم برابطة النسب ، الا انهم يشتركون بصفة واحدة هي عدم ارتباطهم بعمل ثابت ، واغلبهم رعاة في الاصل ، وهؤلاء بدورهم يكرهون الارتباط بعمل نمطي ويميلون بطبيعة حياتهم البدوية الى القتال •

اما الثروة فهي صفة ضرورية للرئاسة لانها ترتبط بعدد الاتباع وبدرجة ضيافة الرئيس • وقد ذكرنا اهمية عدد «الاتباع» ، ويمكننا القول ان درجة الضيافة لا تقل اهمية في اثرها عن عدد الاتباع • وتحدد درجة ضيافة الرئيس نوع «المضيف» الذى يتعهد الانفاق عليه • فكلما اتسع هذا المضيف وكثر عدد زواره ارتفعت سمعة الرئيس وازداد نفوذه • ويمكن القول ان «المضيف» يعتبر رمزا لوحدة العشيرة • ففيه يعلن رؤساء الطوائف عن ولائهم للرئيس ، وبين جدرانه يشعر افراد العشيرة بالامان والاطمئنان • ولعل ابرز دليل على اهمية الضيافة لرئيس العشيرة هو ما يقوم به رؤساء العشائر

بالفعل من انفاق اغلب وارداتهم على المضيف ، حتى ان بعضهم كثيرا ما يضطر الى الاستدانة من التجار والمرابين •

اما اللياقة الشخصية التى لابد للرئيس من التحلي بها فتتمثل بتوفر صفات متعددة اهمها الشجاعة والتدين والذكاء• فالشجاعة صفة ضرورية للرئيس ما دام النظام العشائري يعرض العشيرة لحروب مستمرة ، وما دام رئيس العشيرة مسؤولا عن القيادة الحربية • اما التدين فهو صفة مهمة في رأى الاكراد • واذا كان الرئيس ذا نسب او صبغة دينية ، كان مركزه اقوى وارسخ • ولعل ذلك يعلل لنا كثرة رؤساء العشائر ممن يحملون القابا دينية في كردستان مثل (الشيخ) و (الملا) • اما الذكاء فيساعد الرئيس على توسيع نفوذه داخل العشيرة (بين الطوائف) وخارجها (بين موظفي الحكومة) •

مزايا الرئاسة :

تضمن رئاسة العشيرة الكردية ثلاث مزايا للرئيس هي السلطة المطلقة ورئاسة القضاء العشائري والسيطرة على اراضى العشيرة •.

واما السلطة المطلقة فهي صفة مميزة للرئاسة في العشيرة الكردية ، وان كان الرئيس يقوم في العادة باستشارة الرؤساء الصغار او الرجال المسنين في العشيرة • ويقول **نيكتين** **Nikitine** انه متى ما تسلم الرئيس العشائري سلطاته فليس للفرد العشائري ان يناقش مدى نفوذه في اية قضية كانت• [١٨] ويقول مينورسكي Minorisky انه في كثير من مناطق كردستان ينظر الى الاغا الرئيس كأنه الغازي المنتصر والى الرعية كأنها من جنس اخر • [١٩] اما ملنجن Millingen فقد وصف سلطة الرئيس العشائري الكردي بقوله:

---

(18) Nikitine, "Les Kurds" Paris 1956, P. 133.

(١٩) ف • مينورسكي : «الاكراد ، ملاحظات وانطباعات» ترجمة الدكتور معروف خزنه دار ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٣٥ •

(ان الرئيس العشائري الكردي هو ديكتاتور مطلق ولا حد لسلطاته • وبوسعه ان يصادر ممتلكات اى فرد عشائري وان يأمر بقتله متى ما وجد ذلك مناسبا)[٢٠] •

وتعد قرارات الرئيس في شؤون العشيرة نهائية ولا يمكن لاى فرد او جماعة دحضها او الغاءها • اما من تحدثه نفسه بمعارضة الرئيس ومخالفة اوامره فلن ينجو من عقابه او بطشه • ويقول في ذلك احد الموظفين الاداريين في المناطق العشائرية الكردية : (يحاول رئيس العشيرة في العادة حل المشاكل التى تحدث بين افراد العشيرة حسب الاصول العشائرية او الدينية • أما القضايا التى تمس مصالحه او كرامته او حياته فلن تقيده في حلها اى قوانين دينية او عشائرية ، وسبيله الوحيد الى حلها هو الانتقام • وقد يبلغ انتقام الرئيس احيانا اقصى حدود القسوة ان لم توقفه قوة فوق قوته • فالرئيس يتمتع بسلطة غير محدودة ضمن عشيرته لا تشابهها الا سلطة الملك المطلق وكل من يتجاهل اوامره من افراد العشيرة فانه يعرض نفسه للعقاب الصارم بالضرب او النفي بل وحتى القتل • وهذا هو الاسلوب الذى يتبعه جميع رؤساء عشائر الزيباري والسورجي التى تستوطن في لوائي الموصل واربيل)[٢١] •

اما رئاسة القضاء العشائري فهي بايدي الرئيس العشائري • فهو حامي العشيرة من الاعتداء الداخلى أو الخارجي • والواقع أن الفرد العشائري يفضل قضاء الرئيس على قضاء الحكومة لسببين ، اولهما لاعتقاده ان الرئيس هو مرجعه الحقيقي ، وثانيهما لان شكواه لدى المراجع الحكومية لا تأتي في العادة بنتيجة سريعة ، كما قد تكلفه بعض النفقات •

---

(20) Millingen, P. 240.

(٢١) فتاح ، شاكر ، «قضاء عقرة» ـ ص ٦٢ـ٦٣ •

وتعقد المحاكمات العشائرية في العادة في مضيف الرئيس ويحضرها الرؤساء الصغار وبعض افراد العشيرة • ولا يتدخل الرئيس في النزاع بين الافراد المتخاصمين ما لم يطلب احدهم التدخل ، والواقع ان تدخله نوع من التحكيم • واهم وسائل الدفاع لدى العشائري هو القسم بالله ثلاث مرات او القسم بقبور الاولياء او القسم بالطلاق • ويقول هاي Hay ان القضاء الكردي العشائري يعتمد على قانون الاخذ بالثأر • غير ان هذا القول ليس صحيحا دائما ، اذ أن الاحكام تستند عادة الى التقاليد والاعراف والشرائع الدينية • ويحاول الرئيس الحصول على تعويض للطرف المتضرر الذى قد يدفع على شكل مال او حيوانات او نساء (في القضايا الخطيرة) • وقد يقرر الرئيس في قضايا القتل نفي الشخص المذنب خارج اراضى العشيرة ومصادرة املاكه • ولا يصدر الرئيس حكما بالسجن او الموت • وعلى العموم فان قضايا القتل لا تعرض في العادة على الرئيس بل يلجأ الطرف المتضرر الى المقابلة بالمثل بقتل فرد من اقرباء القاتل • وفي هذه الحالة تعد القضية مغلقة، لكن اعمال المقابلة بالمثل قد تستمر في بعض الحالات زمنا طويلا مما يحمل الرئيس على التدخل وحسم النزاع • وتعرض في الوقت الحاضر قضايا القتل على السلطات الحكومية مباشرة •

اما سيطرة الرئيس على اراضي العشيرة المشاعة فتتمثل في جميع الاشكال العشائرية الكردية • ففي عشيرة بشدر يمثل الأغوات الميراودليين طبقة الملاكين • كذلك شأن البيكوات الذين كانوا رؤساء عشيرة الجاف المترحلة ، والذين يمثلون الان ملاكي اراضى عشيرة الجاف • وهذا هو الحال في بقية اجزاء كردستان ، اذ يشير تايلور Tylor الى حالة مشابهة في كردستان التركي [٢٢] •

---

(22) Tylor, "Travels in Kurdistan", Journal of Royal Geographical Society. vol. XXXV, 1865, P. 50.

ويمكن ان تفسر هذه الظاهرة على ضوء طبيعة تكوين العشيرة الكردية، فالطائفة الحاكمة تحتل مركزها عن طريق قهر الطوائف الضعيفة واخضاعها لسيطرتها ثم الاستيلاء على اراضيها • ولهذا فان الرئيس الكردي يتمتع بمزايا المالك الاقطاعي ، وهو ذو مركز شبيه بمركز البارونات الاقطاعيين في القرون الوسطى • وقد كان اعتماد الدولة العثمانية على رئيس العشيرة في جمع الضرائب على الارض عاملا هاما في تثبيت حقه في اراضى العشيرة بمرور الاعوام•ولابد من ان نؤكد هنا ان السلطة الواسعة التى كان يتمتع بها الرئيس الكردي وكذلك الاحترام والطاعة التى يكنها له الفرد العشائري ، لم تكن وليدة الخوف والسلطة الديكتاتورية فحسب ، بل هي تركة نظام اكثر قدما كان الرئيس يتولى فيه تنظيم الحياة الاقتصادية للعشيرة [٢٣] •

٢ ـ الحروب العشائرية :

كانت الحروب صفة مميزة للحياة العشائرية الكردية • اما في الوقت الحاضر فتتدخل الحكومة في أي صدام يحدث بين العشائر • والواقع ان اسباب تلك الحروب ترجع الى عوامل سياسية وجغرافية وليس الى ولع الاكراد بالسلب والنهب كما عزاها بعض الرحالة والكتاب • ويتمثل أثر العامل السياسي بفشل الادارة العثمانية في السيطرة على العشائر الكردية • والواقع ان السلطات العثمانية لم تكن تتدخل في شؤون العشائر الداخلية طالما كانت تدفع الضرائب • فوعورة المنطقة الكردية وندرة المواصلات فيها قد جعل من الصعب فرض السيطرة عليها • ويعود أثر العامل الجغرافي في تشجيع القتال بين العشائر الكردية الى طبيعة ارض كردستان الوعرة • فوعورة المنطقة الكردية قد أدت الى التنافس الدائم على الاراضى الزراعية الخصبة وعلى المراعي الغنية • ولهذا فان عامل الاحتكاك بين العشائر

---

(23) Fleming, Rachel M. "Geographic aspects of traditions", Scottish Geographical Magazine, No. 37., 1921, P. 234.

المختلفة كان متوفرا على الدوام • هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان قلة مصادر المياه في القرى الكردية كانت تحمل السكان الزائدين على ترك القرية والهجرة الى اماكن اخرى لتخفيف الضغط عن المياه • وكثيرا ما يكوّن اولئك الجماعة المهاجرون الذين تربطهم رابطة النسب فرقة حربية تشن الغارات على القرى الضعيفة وتغتصب اراضى سكانها •

ويقول برتون Burton ان انعزال السكنى الكردية في قرى متفرقة ـ وهو امر ناجم عن وعورة المنطقة ـ قد جعل التعاون بين سكان القرى المختلفة امرا متعذرا • وقد ادى هذا بدوره الى ان تستقر كل اسرة كبيرة في قرية خاصة بها وان تعتمد على نفسها في انتاج حاجاتها الضرورية ، وان تقف في وجه كل غريب معتبرة اياه تهديدا لأمنها واطمئنانها الاقتصادي [٢٤] •

وهناك اسباب ثانوية اخرى للحروب العشائرية كالانتقام الشخصى والثأر ، الا ان امثال تلك المعارك نادرة الحدوث ، وعلى نطاق محدود •

ويقوم الرئيس بقيادة المعارك الهامة ، اما الاغوات الصغار فيقومون بتهيئة جماعاتهم المسلحة ليكونوا تحت أمرة الرئيس • ويشترك في المعارك الواسعة النطاق جميع الافراد القادرين في العشيرة الذين تتراوح أعمارهم بين سن الخامسة عشرة حتى الستين ممن يمتلكون السلاح ، بينما يقوم بقية افراد العشيرة باعانة المحاربين ، اما المعارك الصغيرة فلا يشترك فيها الا اشخاص معينون ممن لهم ولع خاص بالقتال • ولقد وصف بارث Barth الحروب العشائرية المحلية على النحو التالى :

(كان من المتوقع من اغا القرية ان يهيء مقاتلى القرية في وقت قصير لكي يساهموا بالقتال مع الوحدات الكبيرة التى يقودها اغوات من فروع

---

(24) Burton, H.W., "The Kurds". Journal of Royal central Asian Society, No. 8, P. 72, vol. XXX1, 1944.

رئيسة اخرى من عشيرة الهماوند •. غير ان اغا القرية حر اذا أراد هو ايضا ان يقوم بعمليات نهب لحسابه الشخصي • وقد تجتمع مجموعة صغيرة من الاغوات الصغار وتهيء قوة عسكرية للقيام بتلك المغامرة • وقد تقوم قرية بمفردها بمثل تلك المغامرة • وهكذا تتكون مجموعة محاربة تحت قيادة أحد الاغوات الصغار او واحد من الاغوات الكبار • واذا لم يكن الهدف مجرد سلب القوافل بل تحقيق النصر ، فيقع الاختيار على قرية لم يتم اخضاعها بعد • وتتم العملية على النحو التالى : يتجه مجموعة من الخيالة ويقدمون انذارا لسكانها • فاذا استسلمت القرية أقام فيها احد الاغوات الهماوند لجمع الضرائب ، واذا اختارت القرية المقاومة بدأ الهجوم عليها • فاذا استطاع الهماونديون دخول القرية نهبوا جميع املاكها غير الثابتة ، اضافة الى الحيوانات •. وبما ان القرويين المهزومين يعجزون عن مواصلة اعمالهم الزراعية بدون آلات وحيوانات ، فانهم يعلنون خضوعهم لعشيرة الهماوند مقابل اعادة ممتلكاتهم اليهم • وحينئذ يستقر في القرية احد الاغوات الهماونديين مع جماعة صغيرة من الاتباع ، وهو يكون عادة احد اقرباء قائد الحملة) (٢٥) •

وتلتزم الغزوات والحروب العشائرية الكردية بتقاليد خاصة تكاد تشبه في سطوتها القوانين • وقد ذكر ويكرام Wigram في صدد الحديث عن تقاليد الغزوات الكردية انها تسمح بنهب الحيوانات والاسلحة والاثاث المنزلى ، لكنها تحرم حرق البيوت واتلاف المزروعات وتخريب قنوات الري • كما ذكر ايضا ان تقاليد الغزوات تحرم التعرض للنساء او الشيوخ بأذى حتى انهم لا يحتاجون الى اية حراسة اثناء الهجوم (٢٦) • وقد ايد هذه

(25) Barth, PP. 54-5.

(26) Wigram. W.A., "The cradle of mankind" London 1914, PP. 167-8.

الاقوال مارك سايكس Sykes ، وأكد ان الغزوات العشـــائرية لا تمس الممتلكات الثابتة بأذى ، الا انها لن تتقيد بأية قوانين اذا ما اشتركت السلطات الحكومية في تلك الحروب ، بل تحاول ان تنزل بها افدح الاضرار (٢٧) .

ويتصف الاكراد بكونهم محاربين شجعانا وصبورين . ولقد وصفهم الكابتن هاي Hay الذى اشترك في عدة معارك ضدهم بانهم محاربـــين فاشلين (٢٨) ، الا ان مارك سايكس الذى شهد ايضا عدة معارك من معاركهم يؤكد ان قهرهم في القتال امر غير يسير (٢٩) .

٣ ـ الالتزامات العشـــائرية :

لقد ذكرنا بان الرباط العام بين طوائف العشيرة يتمثل في ســـــكناها بمنطقة مشتركة وخضوعها الى رئاسة مركزية . لذا نجد ان الرباط الوحيد الذى يربط الطوائف (الافخاذ) المختلفة بعضها هو الاشتراك في القتـال ، ولا يوجد أى رابط اجتماعي او سياسي او اقتصادي بينها . لكن افــــراد الطائفة الواحدة يرتبطون بروابط متنوعة تتمثل بالمسؤولية المشتركة والتعاون الاقتصادي والمشاركة في الاحتفالات المختلفة .

فالمسؤولية المشتركة تتمثل في الاشتراك بالقتال مع اية جماعـــــة من جماعات الطائفة تتعرض للاعتداء . ولا تظهر هذه المسؤولية في الحـوادث الفردية . فحادثة القتل التى تقع على فرد من ابناء الطائفة لن تجر افـــراد الطائفة الاخرين الى معركة مع الطرف الاخر ، بل يتكفل اقرباء القتيـــــل الاقربون بالانتقام ، الا اذا كان الشخص المقتول احد الرؤساء . لذلـــك لا

---

(27) Sykes. Sir Marks, "The Caliphat last heritage" London 1915, P. 234.

(28) Hay, P. 72.

(29) Sykes, Marks, "Dar ul-Islam", London 1904, PP.191-2.

يمكن اعتبار الثأر مسؤولية عشائرية بل هو مسؤولية عائلية (×) ٠

اما التعاون الاقتصادي فيتمثل بالملكية المشتركة لاراضى المراعي ولمصادر المياه ، وحتى للاراضى الزراعية في بعض الاحيان ٠ ولعل هذا التعاون يبدو اكثر وضوحا في حالة العشائر المترحلة ، فالطائفة تمتلك مساحة معينة من الارض بصورة اجماعية كمرعى لحيواناتها ، او قد يؤجر افرادها بصورة مشتركة ارضا معينة كمرعى لحيواناتهم ٠

وفي حالة العشائر المستقرة يتقيد افراد العشيرة بالملكية المشاعة لمصادر المياه ٠ ويتحمل الكوخا (مختار القرية) في العادة مسؤوليه تطبيق هذا القانون الاجتماعي بحيث لا يحاول احد الافراد الاستيلاء على مياه للري تفيض عن حقه ٠ وبما ان الملكية الاسمية للارض الزراعية تعود الى الاسرة الحاكمة في العشيرة فان للرئيس الحق في الاراضى الزراعية التى يحتلها افراد المجتمع العشائري ٠ والواقع ان لكل فلاح من ابناء العشيرة حقا تقليديا في مساحة معينة من الارض هو حق المزارعة ٠ ويتم اعادة توزيع الارض بين الفلاحين كل عام او كل عدد من السنين ٠ وليس من الضروري ان يقوم الرئيس بنفسه بهذه العملية ، فقد يتولاها مجلس مؤلف من الشيوخ في القرية يقوم بتوزيع الارض على فلاحي القرية كل حسب طاقته وحقه المتوارث ٠

اما مراعي القرية فانها تعتبر ملكا مشاعا لجميع السكان ٠ ويتضح التعاون الاقتصادي بين افراد الطائفة الواحدة أيضا ضمن القرية بتأجير راع للقيام برعي حيوانات القرية بصورة مشتركة ٠

(×) ان الالتزامات المفروضة على المجموعة النسبية في العشيرة العربية هى اشد متانة بكثير من التزامات النسب الكردية ٠ فاعضاء النسب الواحد في العشيرة العربية يشعرون انهم اخوة ، فهم يشتركون في الثار وفي الفدية ، ويتحملون مسؤولية اية جريمة يقترفها اى عضو من اعضاء النسب ٠

اما المشاركة في الاحتفالات فانها تشمل الاعياد والزواج والوفيات • ففي ايام الاعياد يقوم ابناء الطائفة او القرية بتبادل الزيارات • ويلزم اعضاء الطائفة ايضا بالمشاركة بحفلات الزواج وبتقديم الهدايا لاسرة المتزوج • ولكن اعظم المناسبات اهمية هي مناسبة الوفاة ، فتجاهل تقديم التعزية لاسرة المتوفي ، وعدم الحضور الى حفلات الوفاة امر لا يمكن ان يغتفر ، وخاصة اذا كان الشخص المتوفي احد رؤساء العشيرة • لذلك فان حفلات الوفاة للافراد العشائريين تستغرق وقتا اطول من حفلات الاشخاص غير العشائريين، وهي لا تقل عن اسبوع ، بل وقد تدوم اكثر من شهر في حالة وفاة رئيس العشيرة او احد الرؤساء الصغار • ويتقاطر افراد العشيرة على بيت المتوفي حاملين معهم الهدايا من السكر والشاي والرز والحيوانات •

مقارنة بين النظام العشائرى الكردى والنظام العشائرى العربى

لقد كشفت هذه الدراسة للنظام العشائري الكردي عن كون العامل الجغرافي المسؤول الاول عن نمط هذا النظام ، الذى يختلف اختلافا جوهريا عن النظام القبلي المألوف • وتبرز مقارنة هذا النظام مع النظام العشائري العربي تلك الحقيقة بوضوح • ويمكن ان نحدد وجوه الاختلاف بين النظامين في النقاط التاليـــة :

١ ــ النســب :

ترتبط جميع اقسام العشائر العربية بعضها بالانتساب الى سلف مشترك • وبالرغم من صعوبة تتبع العلاقات النسبية بين مختلف اقسام العشيرة ، الا ان افرادها يعتقدون جميعا انهم ينتمون الى اب واحد • لذلك فان ذوبـــان المجموعات الغريبة ضمن العشيرة لا يمكن ان يتحقق بمجرد الاخضاع كما هو الحال في النظام العشائري الكردي ، بل يتم بواسطة عملية تقليدية معينة يطلق عليها اسم (الكتبة) • وقد وصفها الدكتور سليم على النحو التالى :

(تعني عملية «الكتبة» ادبيا الكتابة ، الا انها تستخدم كمصطلح لوصف عملية تبني عائلة او اكثر او مجموعة نسبية كاملة ضمن عشيرة اخـرى ، تؤيدها وثيقة سجل هذا الاجراء • وتمنح عملية «الكتبة» الجماعة المتبناة نفس الحقوق والمزايا التي يتمتع بها ابن العشيرة الأصلي ، ويصبحون فـي الواقع جزءا لا يتجزأ من العشيرة المذكورة) (٣٢) •

ويهتم رؤساء افخاذ العشيرة العربيـة اهتماما خاصا بصلتهم بمؤسس الفخذ او العشيرة ، وفي وسعهم ان يتتبعوا اصولهم الى عدة اجيال ، عـلى العكس من الرئيس الكردي • وهذه الظاهرة تنم على ان الكيان الثابت للعشيرة الكردية لا يمكن ان يدوم زمنا طويلا (٣١) • والحقيقة ان العشيرة الكردية تتعرض للانحلال حالما تفقد الطائفة الحاكمة قوتها الحربية ، وتنصـهر الاقسام المختلفة في عشائر اخرى •

٢ ـ الرئاسـة :

تشابه رئاسة العشيرة الكردية في مظاهر عديدة رئاسة العشيرة العربية، ومع ذلك فهناك فروقات رئيسية تميز بينهما ، وبما ان العشيرة العربية تقـوم اساسا على وحدة النسب ، فان سلطة الشيخ (الرئيس) هي اشبه بسلطة الاب وليست محض سلطة حربية ، شأن سلطة الرئيس الكردي • وتتنوع مهـام (الشيخ) العربي تنوعا عظيما ، وتشمل الحقول الاجتماعية والاقتصـادية والسياسية •. (فهو يعرف معرفة تامة الحقوق والتقاليد التي تختص بها عشيرته، كما يعرف ايضا تلك التي تختص بالعشائر المجاورة • وهو يعرف نسـب

(30) Salim. Dr. Shakir, "The economic and political organization of Echchbaysh. a march village community in South Iraq", a thesis submitted to the University of London for the degree of Ph.D. in 1955, P. 151.

(31) Encyclopedia Britanica, 11th edit., vol. XV, 1911, P.949.

ابناء العشيرة معرفة تامة ، ويجب ان يكون ممثلهم السياسي ، وينبغي عليه ان يضمن السلام والوئام داخل العشيرة مستخدما الحزم والعدل • وعليه ان يعرف معرفة جيدة الأوضاع الخارجية التى تخص سلامة المخيم ، مثل توفر آبار المياه ، وحالة الطرق الخ • وهو الذى يقرر متى يرفع المخيم واين ينصب • واخيرا وليس آخرا يتولى «الشيخ» واجبات الضيافة) (٣٢) •

ولذلك فبالرغم من ان مركز «الشيخ» وراثي حسب النظام التسلسلي، الا في حالة عجز الابناء ، لكنه في الوقت نفسه ينحصر عمليا باكثر الاسر ثراءا، ليستطيع «الشيخ» مواجهة النفقات التى يتطلبها مركزه • وفي احيان نادرة تلغى قاعدة الوراثة لمصلحة شخص تتوفر فيه مؤهلات القيادة بدرجة اعظم • ولقد ذكر بوركهارت Burkhart في دراسته المستفيضة لبدو الجزيرة العربية بان «الشيخ» ليس دكتاتورا على عشيرته • وقد حدد وظائفه على النحو المذكور واضاف الى ذلك قوله :

(ولا يستطيع «الشيخ» ان يعلن الحرب او يعقد شروط السلم بدون استشارة الرجال البارزين في عشيرته • واذا اراد رفع المخيم فلابد له مقدما من استشارة رجاله حول سلامة الطرق وكفاية المرعى والمياه في المنطقة المهاجر اليها •• واما اوامره فلا تطاع لغرض الطاعة فحسب ، بل تحتذى اعماله من قبل افراد العشيرة • بل ان احكامه لا تفرض على الجماعات المتخاصمة حتى في قضايا الثأر ما لم يكونوا مقتنعين بها) (٣٣) •

وذكر بوركهارت ايضا بان «الشيخ» لا يتقاضى اى دخل سنوى من

---

(32) Bonne, A.. "State and economy in the Middle East" 1948, P. 362.

(33) Burkhart, PP. 117-18.

عشيرته ، بل ينبغي عليه في الحقيقة ان يعزز مركزه بالانفاق بسخاء [٣٤] .
ومن المعروف ان ابناء العشيرة يتصرفون في حضور شيخهم في حرية وألفة
وكأنهم على قدم المساواة معه اجتماعيا وماديا . ويدل سلوك الشيوخ وابناء
العشائر تجاه بعضهم بعضا على انعدام الفوارق الطبقية والاجتماعية ضمن
عشائرهم [٣٥] .

غير ان هذا النوع من الرئاسة العشائرية لا يتمثل في الوقت الحاضر
لدى العشائر المستقرة . والواقع ان الرئاسة لدى العشائر العربية
المستقرة قد طورت صفات مشابهة لصفات الرئاسة الكردية التى تتميز
بارستقراطية عسكرية مقرونة باستغلال اقتصادي واجتماعي لابناء العشيرة .
وقد وصف الدكتور سليم هذا النوع من الرئاسة في دراسته المستفيضة لعشيرة
بني اسد في جنوب العراق على النحو التالى :

(ان آل خيون هم الفخذ الرئيسى في عشيرة بني اسد ، وهم يعيشون
كأرستقراطية عسكرية . ويمارسون سلطة عالية للغاية وينظرون الى جميع
اعضاء العشيرة كأتباع وعبيد . وهم يحكمون كطغاة ويعاملون اتباعهم بقسوة
متناهية . ويفترض بالفرد العشائري ان يكون على استعداد لخدمة الفخذ
الحاكم مهما كلف به من اعمال . ويستخدم الشيخ رئيس آل خيون
الغرامات والسجن في القلاع الطينية كأسلوب مألوف من اساليب العقوبات .
ويعمل جميع افراد العشيرة للشيخ ولاقربائه آل خيون الذين يجمعون
معظم حاصل الارض كما يفرضون ضرائب على النخيل والماشية . وكان
الشيخ يشارك الاب حتى في مهر ابنته . ويفرض آل خيون الطاعة الكاملة
على ابناء عشيرتهم بني اسد لانهم «السادة» وكما يسمون انفسهم «بيت الرئاسة» .

---

٣٤ المصدر السابق ، ص ١١٨ .

(35). Fahmi, P. 15.

وكان الخيوني يمتلك حقا لا يناقش في اهانة وضرب واساءة معاملة السداوي (فرد العشيرة الاعتيادي) الذى يفترض فيه ان يقبل مثل هذه المعاملة من دون احتجاج • ومن حق الخيوني ان يتدخل في أى نزاع او قضية للسداوي بصرف النظر ان كان الخيوني من الرؤساء ام لا ، لان المفروض ان كل خيوني هو رئيس • وفي كل سفر وفي كل نوع من أنواع الاعمال يستطيع الخيوني ان يأمر أى فرد من بني اسد ان يقدم اليه خدماته • واذا احتاج الى المال فبوسعه ان يجمعه من العشيرة ، لان المفروض بالخيوني الا يعمل ابدا ، فوظيفته الوحيدة هي الحكم[٣٦] (×) •

٣ ـ اقسام العشيرة :

تتميز المصطلحات الكردية للدلالة على اقسام العشيرة بكونها مائعة جدا • وتعزى هذه الظاهرة الى عدم وجود نسب مشترك بين الاقسام (الطوائف) المختلفة • اما العشيرة العربية فذات أقسام واضحة جدا ، وهي تتصف بتركيب هرمي • واصغر وحدة فيها هي (العائلة) التى يطلق عليها اسم (أهل) ، وهي عبارة عن اسرة واسعة • ويليها (البيت) ويمثل وحدة نسبية صغيرة ، ثم (الفخذ) الذى يمثل مجموعة نسبية يستطيع اعضاؤه ان يتتبعوا نسبهم الى حوالي اربعة اجيال • ويلى الفخذ (العشيرة) التى تشتمل على عدة افخاذ ينتمون الى سلف واحد • ويلى العشيرة الشكل الاضخم والاكمل الذى يطلق عليه اسم (القبيلة) ، وتتألف من عدة عشائر تنتمي جميعا الى منشيء بعيد •

---

(36) Salim, PP. 170-72.

(×) لقد طرأت تغيرات جوهرية على « الرئاسة » العشائرية العربية في اعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ والغاء النظام الاقطاعي ، ولم يعد الفرد العشائري يعترف بسلطة امثال اولئك « الشيوخ » كما ان « الرئاسة » العشائرية المشار اليها اعلاه قد فقدت مدلولها كليا وحل محلها الولاء المعنوي لرئيس المجموعة النسبية العشائرية •

٤ ـ الالتزامات العشائرية :

ان المسؤوليات المشتركة ضمن العشيرة الكردية غير محددة تحديدا واضحا • اما في حالة العشيرة العربية فهناك تمسك صارم من قبل جميع اقسام العشيرة بالالتزامات التالية :ـ

الدفاع : لابد لكل فخذ في العشيرة ان يساهم في الدفاع العام ضد المعتدين على العشيرة •

الفصل : يجمع الفصل او الدية المفروضة على احد افراد العشيرة أو الفخذ من جميع اعضاء العشيرة او الفخذ • كما يوزع مبلغ الفصل المكتسب على جميع افراد العشيرة او الفخذ •

المسؤوليات المالية : يعتبر جميع الافخاذ مسؤولين بالتساوي عن مد الشيخ بمبلغ من المال ينفقه على شؤون العشيرة •

احتفالات المناسبات : لابد لكل عضو من اعضاء العشيرة ان يساهم في احتفالات المناسبات • فاما حفلات الزواج فمن الضروري الاشتراك بها اذا ما دعي الفرد العشائري وعليه ان يساهم بهدية مناسبة • اما احتفالات الوفاة فينبغي على العشائري ان يحضرها دون دعوة وعليه ان يقدم هدية مناسبة(٣٧) •

التقاليد والاعراف : لقد طورت العشيرة العربية خلال تأريخها الطويل تقاليد راسخة • والواقع ان معظم تلك التقاليد موروثة من حياتها الرعوية السابقة • ومن ابرز الامثلة على ذلك (الدخلة) ، وهي طلب الحماية من عشيرة معينة ، فتصبح تلك العشيرة مسؤولة تحت جميع الظروف بتقديم تلك الحماية غير المشروطة مهما كلفها الامر ، حتى لو كان الطلب من اعداء العشيرة (٣٨) •

---

(٣٧) شكارة ، ضياء : « الحياة الاجتماعية والاقتصادية القبلية في المقاطعات الوسطى والجنوبية وفي لواء الموصل » ـ تقرير قدم الى جمعية الدراسات الاجتماعية في عام ١٩٥٤ ، ص١٩ •

(٣٨) لقد اورد احمد فهمي مثالا على التزام العشيرة المطلق تجاه الدخيل =

وهناك مثال آخر على التقاليد العشائرية وهي (النخوة) • ففي بعض المشاريع الاجتماعية ، كبناء البيوت مثلا ، تطلب مساعدة اعضاء المجموعة النسبية ، وتسمى هذه العادة باسم (النخوة) ، ومن العار على العشائري الا يستجيب لها (٣٩) •

وكانت التقاليد العشائرية تنص على اعتبار بعض الاعمال مجلبة للاحتقار كزراعة الخضروات مثلا ، مما كان يؤثر على الوضع الاقتصادي للفلاح العشائري • غير ان هذا العرف قد ضعف في الوقت الحاضر •

ومن الجدير بالذكر ان الالتزامات المذكورة ما تزال قوية بين افراد العشائر العربية بالرغم من ضعف «الرآسة» العشائرية بشكلها القديم المعروف ، بل واختفائها تماما في كثير من العشائر نتيجة لزوال النظام الاقطاعي • وما تزال الالتزامات النسبية ضمن «الاهل» و «البيت» تفرض نفسها على العشائري بنفس القوة •

تأثير السلطة الحكومية على المجتمعات العشائرية الكردية

لقد توضح لنا بأن العشيرة الكردية لم تستطع القيام بوظيفتها كاملة كوحدة سياسية واجتماعية نتيجة لتأثير العامل الجغرافي مما جعل «مجتمع

= (اى طالب الحماية) وذلك في القصة التالية : (هرب ذات مرة احد العشائريين من عشيرته ولجأ الى عشيرة اخرى • وقد حدث ان قتل ابن رئيس العشيرة احد ابنائه • فاستدعى الشيخ الاب اللاجىء وسأله ان يحدد فدية لابنه ، غير ان الاب الذي كان بلا حول ولا طول ولا عشيرة تسنده رفض تعيين الفدية وقرر ان يترك العشيرة • وهذا يعني الحاق العار بالعشيرة المذكورة • وحينما سمع الشيخ بذلك هاله الامر ، واستدعى الاب اللاجىء مرة اخرى الى خيمته وامر ابنه القاتل ان يترك الخيمة ، ثم اطلق عليه النار اثناء خروجه فارداه قتيلا امام عين الدخيل • وهكذا محى الشيخ العار الذي الحقه ابنه بالعشيرة) •

Fahmi, P. 12.
(39) Salim. P. 131.

القرية » يمثل الوحدة السياسية والاجتماعية • وقد انعكست هذه الحقيقة في الانحلال السريع ، بل والعنيف احيانا ، الذي يمر به النظام العشائري في كردستان حالما تتوغل في مناطقه السلطة الادارية • وهذا التغلغل ، الذى يدعمه تيسر المواصلات ، كان دائما ضربة مميتة لسلطة الرؤساء التى كسبوها بالاخضاع والقوة • ولقد تحولت العلاقة بين افراد العشيرة والرئيس في المناطق التى تغلغلت فيها السلطة الادارية الى مجرد الاحترام الشكلى • والواقع ان رجال العشيرة أخذوا يفضلون الاتصال بالسلطات الحكومية في القضايا الخطيرة ، وان كانوا ما يزالون يفضلون حل خلافاتهم الثانوية بواسطة الكوخا او اغا القرية • اما في حالات القتل فتتدخل السلطات الحكومية دائما ، ولا يستطيع العشائري ان يتولى بنفسه تنفيذ القانون • ولا يحاكم العشائري على اية حال حسب القانون الجنائي المدني بل حسب قانون عشائري خاص للقضايا الجنائية والمدنية • ولا يطبق هذا القانون الا في حالات انتماء الطرفين المتخاصمين ، المتهم والمجنى عليه ، الى التنظيمات العشائرية حيث يتم الفصل في الجريمة حسب العادات العشائرية (×) •

(×) لقد الغي قانون العشائر بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ • وكانت السلطات البريطانية قد اصدرت في شباط عام ١٩١٦ نظام حل المنازعات العشائرية لحل القضايا الجنائية والمدنية التي تحدث بين افراد العشائر حسب اعرافهم وتقاليدهم • وقد عرفت المادة الثانية (ب) من النظام الافراد العشائريين بانهم اعضاء في عشائر معترف بها قد اعتادوا ان يحلوا منازعاتهم باللجوء الى التحكيم او الشيوخ الكبار لا الى المحاكم كما هو حال الاخرين •

لقد تبنت الحكومة العراقية اسس ذلك النظام ونصت المادة (٨٨) من الدستور على اقامة محاكم خاصة او لجان لتسوية القضايا الجنائية والمدنية الخاصة بالعشائر حسب التقاليد العشائرية • =

وما يزال رجال العشائر يتأرجحون بين سلطة الرؤساء وسـلطة الحكومة . واذا كان رئيسهم حكيما وعادلا فضلوه على السلطات الحكومية واستشاروه في قضاياهم ، حتى في قضايا القتل . ويعزى ميل العشائريين للقضاء العشائري كما سبق ان ذكرنا الى بساطته وسرعة اجراءاته في حين ان القضاء الحكومي يتطلب وقتا طويلا ويزجهم في صعوبات اقتصادية .

وهناك عامل اخر يحمل العشائريين على الامتناع عن مراجعة السلطات الحكومية في قضاياهم ومنازعاتهم وهو ضعف ثقتهم في موظفي الحكومة . وقد صور ليـج Leach الموظفين الحكوميين في المناطق الريفية الكردية على النحو التالى :

(يوجد تحت ادارة مدير الناحية المباشرة عدد من رجال الشرطة الذين يمثلون ضباط الارتباط بين العشائر والسلطة الحكومية . ويمكـن القول ان سوء تصرف هؤلاء الشرطة هو مصدر كراهية وعدم ثقة العشائريين بالحكومة . وقد وصف الكابتن هـاي Hay رجال الشرطة في ايامه بأنهم مجموعة من الشقاوات بدون تدريب ولا مباديء وانهم يستخدمون صلاحياتهم

= وقد ترك حل قضية ما الى ممثل السلطة الذى هو اما ان يكونمتصرفا (محافظا) او قائممقاما . ويتولى الممثل احالة القضية الى مجلس يشتمل على اى رئيس عشائرى او وسيط او مجموعة منهم يقوم هو بتعيينهم . ويستمع المجلس الى القضية ثم يصدر حكمه . ويقترح المجلس ايضا نوع الفديـة التي يجب ان تفرض على المجنى عليه . ومن حق ممثل الحكومة ان يصـدر القرار النهائي . وتشتمل العقوبات على الغرامة والحبس الشديد او البسيط (بما لا يتجاوز اربعة عشر سنة ، وفي العادة لغاية خمس سنوات) . ولا يشتمل الحكم على الجلد او الاشغال الشاقة المؤبدة او الاعدام . ومما تجدر الاشارة اليه ان قانون العشائر هذا كان هدفا دائما لنقد الطبقة المتنورة ولا سيما رجال القانون، وكان المثقفون يطالبون بتطبيق قانون واحد على الجميع .

لارتكاب انواع المظالم • ويبدو ان وصف هـاي لهم ما يزال ينطبـق عـلى الوقت الحاضر) [٤٠] •

وبالرغم من ان الوضع قد تحسن عما كان عليه في ايام هـاي وليج ، فان رجال العشائر ما يزالون ينظرون بعدم ارتياح الى السلطة الحكومية ، ولا سيما رجال الشرطة ، وان هذه النظرة غير الودية لها مبرراتها • ومـن الممكن دعم ثقة العشائري بالسلطة الحكومية لو تحسن مستوى ممثليهـا ، ولا سيما رجال الشرطة • وقد عبر احد الموظفين المتمرسين في السـلطة الادارية عن هذه المشكلة بقوله : (ان ابناء العشائر يرغبون من صميم قلوبهم في التخلص من هذا النظام المزدوج في الخضوع الى السلطة الحكومية والى الرئاسة العشائرية ، وهم يفضلون حكومة قوية وعادلة • ولا يقتضي السلطة لكي تكسب ولاءهم اكثر من تطبيق العدالة الاجتماعية في مجتمع القرية) [٤١] •

- ٢ -

المجتمعات اللاعشـائرية

تتركز المجتمعات اللاعشائرية في مناطق السهول والاراضى القليلـة الوعورة في اللواء • ولقد كان العامل الجغرافي مسؤولا الى حد كبير عـن عدم تشجيع النزعة العشائرية لسببين : الاول ، لان تلك الاراضى الزراعيـة الخصبة ذات المراعي الغنية كانت تجذب الغزاة باستمرار • والثـاني ، لان مواقعها غير الحصينة لم تكن تشجع الدفاع عنها ضد الغزاة • وفضلا عن ذلك فان اهتمام السكان بالزراعة جعلهم اقل استعداد لمقاومة الغـزاة ، وبالتالى عاجزين عن الاحتفاظ بتنظيم سياسي عشائري •

---

(40) Leach, PP. 11-12.

(٤١) فتاح ، شاكر ، المصدر الاسبق ، ص ٦٦

وساهم العامل البشري في اضعاف الميل نحو القبلية في تلك المناطق نتيجة لوقوعها تحت السيطرة الفعلية للامارة البابانية • وكانت سياسة الامارة البابانية تهدف الى تحطيم النظام العشائري واحلال النظام الاقطاعي المحض محله • وقد مارست السلطات العثمانية نفس السياسة بعد زوال الامارة البابانية حتى حلول الادارة الوطنية •

وهكذا ساد المناطق غير العشائرية نظام شبه اقطاعي • ولا يقيم ملاكو الاراضى الزراعية في قراهم ، بل يقيمون في المدن الكبرى ويعينون نوابا عنهم ليشرفوا على الاعمال الزراعية ويراقبوا الزراع • اما السكان فهم في الغالب زراع مستأجرون حسب نظام المحاصة ، الا انهم لا يتمتعون بنفس المزايا التى يتمتع بها زراع المناطق العشائرية • والواقع أن الزراع المستأجرون في المناطق العشائرية هم الملاك الحقيقيون للارض ، وهم يدفعون للاغا نصيبا من الحاصل بناء على كونه زعيما لهم ولكونه ممثلا للسلطة كما كان شأنه اثناء الادارة العثمانية • غير ان الحال يختلف في القرى غير العشائرية • فمن النادر ان يكون الزراع المستأجرون الملاك الحقيقيون للارض • فقد حصل الملاك الغائبون على الارض أما بواسطة الشراء او عن طريق الوراثة وليس نتيجة لانتمائهم الى الطوائف العشائرية الحاكمة • كما ان سكان القرى قد لا يكونون من المستوطنين القدامى بل خليط من قدامى وجدد ، وقد يكونون من النازحين من شتى جهات اللواء • وبالرغم من تمتع كل زارع بحق تقليدي في زراعة مساحة معينة من ارض القرية (حق المزارعة) ، غير ان المالك نفسه يتولى المسؤولية الفعلية في اعادة توزيع الارض على الزراع بين فترة واخرى • وقد يعمد المالك الى تقليص قطعة الارض التى يخصصها للزارع ، او قد يحرمه منها نهائيا اذا دعى الامر الى ذلك •

واضافة الى ذلك فان المالك في القرى غير العشائرية يقوم بنوع من استثمار رأس المال في الارض ، فيمد زراعه بالبذور والالات مما يضفي صفة جديدة على علاقته بالزراع • والواقع ان الزراع في المناطق اللاعشائرية هم اقرب ما يكونون الى عمال زراعيين • لذلك فهم يستخدمون اصطلاحا خاصا للتعبير عن وضعهم وعن العلاقة بينهم وبين المالك ، اذ يسمون انفسهم (مسجين) • ولقد اساء بعض الكتاب تفسير هذا المصطلح مدعيا انه مماثلا لمصطلح (العبد) ، غير ان الواقع يتناقض وهذا التفسير •

وهناك ايضا عدد من الملاك الصغار في بعض القرى غير العشائرية ، غير ان اراضيهم محدودة جدا بالقياس الى اراضى الملاك الغائبين • وقد يتعرضون احيانا الى الضغط ، لا سيما بحجز المياه عنهم ، ليبيعوا اراضيهم الى الملاك الغائبين ، لكنهم عموما يمارسون حياة طبيعية •

البناء السياسى للمجتمعات اللاعشائرية

تعتبر «القرية» الوحدة الاساسية للتنظيم السياسي للاقوام اللاعشائريين• وهي في العادة متراصة جدا ويسكنها مجموعات صغيرة يتراوح عددها بين ١٠٠ الى ٥٠٠ شخصا • ويعرف هؤلاء السكان انفسهم حسب موطنهم ، اى ان انتماءهم السياسي يرتبط بمسكنهم ارتباطا كاملا •

ويشتمل مجتمع القرية Village community على مجموعات قرابية يمكن ادراجها مع الصنف الذى يطلق عليه مردوخ Murdoch اسم « المجتمعات القرابية » Kin Communities (٤٢) • وفي القرى التي تستوطنها عدة مجموعات قرابية تستقل كل مجموعة بمجمع Block منفصل من البيوت • ولا تبلغ درجة

---

42. Murdoch, G.P., "Social organization" New York, 1949, PP. 88-9.

الوحدة في هذه المجمعات ما تبلغه عادة في القرى العشائرية • وترتفع درجة الوحدة بين المجموعات القرابية المختلفة في القرى القديمة لان سكانها يرتبطون فيما بينهم بروابط المصاهرة • اما في القرى الحديثة فيصبح تحزب المجموعات القرابية ظاهرة بارزة ، وتتمتع اعظم المجموعات القرابية قوة باعلى مركز في القرية •. وعلى اية حال ، ففي جميع انماط القرى اللاعشائرية تتغلب روح الولاء لمجتمع القرية على التحزبات الداخلية في حالة الصراع مع القرى الاخرى •

وبالرغم من ان السلطة الحكومية تفرض وجودها المباشر على القرية ، الا ان المالك يزاول السيطرة الفعلية فيها • وتستمد سلطته من السيطرة على اراضى القرية الزراعية ، حيث تتحول تلك السيطرة الى قوة سياسية • وتختلف قوة المالك عن قوة الاغا العشائري ، فبامكان القروي ان يرفض تأييده او حتى اطاعة اوامره ، الا انه يعرض نفسه في هذه الحال الى المتاعب، وقد ينتهي به الامر الى فقدان ارضه • ولا يمتلك المالك وسائل قسرية لنفي الزارع غير المرغوب فيه من القرية ، غير ان مثل هذا الزارع لا يستطيع عمليا البقاء في القرية بعد تجريده من الارض ، فيضطر الى النزوح الى قرية اخرى بحثا عن العمل • وهكذا يصبح الزراع المستأجرون تحت السيطرة الدائمة للملاك ، وبذلك ينشأ في القرية نوع من النظام السياسي شبه الاقطاعي •

اما القرى التى يتقاسم ارضها ملاك صغار وكبار فتبرز حالة من الصراع بين الجماعتين • وينجم هذا الوضع من محاولة الملاك الصغار اضعاف سلطة الملاك الكبار وتقوية الولاء للسلطة الحكومية •. ويحاول المالك الكبير بدوره ان يضغط على معارضيه من الملاك الصغار باستخدام القوة او بممارسة سيطرته على مصدر المياه واجبارهم على ترك القرية • وقد يحاول المالك الكبير الاستيلاء على بقية اراضى القرية بالطرق القانونية (بواسطة البيع)

او بالطرق غير الشرعية (بمجرد الادعاءات) • وهكذا تشهد امثال هذه القرى منازعات مستمرة بين الملاكين الكبار والصغار •

اما القرى التى يتقاسم ارضها الملاكون الصغار فتتركز السلطة فيها بأيدى اكبر المجموعات القرابية واكثرها ثراءا • غير ان الادارة الحكومية تمارس في هذه الحالة سيطرة كاملة •

ولا يمارس الملاكون الكبار سلطتهم بصورة مباشرة بسبب غيابهم عن القرية ، بل يوكلونها الى ممثل لهم هو (السركار) او (المختار) •

فاما السركار (×) فقد يقيم في القرية دائميا او يزورها في اوقات معينة • فاذا اقام في القرية تولى سلطات المالك بصورة فعلية • ولابد ان يعرض عليه كل ما ينشأ من نزاعات بين الفلاحين حول الزراعة ليحلها بنفسه او يحيلها الى المالك • اما اذا لم يقم في القرية فيتولى المختار مسؤولياته الاجتماعية ويصبح بذلك وكيلا للمالك • ويقوم السركار بالوظائف التالية :

١ – يراقب الاعمال الزراعية ويوجه فعاليات الزراع •

٢ – يحل المنازعات الزراعية ومشاكل الزراع •

٣ – يتصرف كوكيل للمالك في الشؤون الاقتصادية ويراقب عمليات الحصاد ليحافظ على نصيب المالك من المحاصيل •

٤ – يتولى مسؤوليات المالك في الاشراف على اعادة توزيع الاراضى الزراعية ومياه الري •

٥ – يبلغ المالك بنشاطات الزراع او السلطة الحكومية التى قد تهدد مصالحه •

اما مكافأته الاقتصادية التى يدفعها المالك عادة فتشمل على ٣٪ من محصول التبغ وعلى عشرة كيلوغرامات من الحبوب ، وقد تقتصر على راتب شهري معين • غير انه يبتز ايضا بعض المكاسب من الفلاحين •

(×) ويسمى ايضا (الشحنة) او (الكزير) •

ان سلطة المالك ووكيله مدعمة بقوة فعلية يمثلها (الاتباع) • فكل مالك يختص بعدد من الاتباع يختلف عددهم حسب درجة ثروته • ويتكون هؤلاء الاتباع على نفس الاسس التى يتكون بموجبها اتباع الرؤساء العشـائريين ، وهم يمثلون القوة الفعلية للمالك • ويكادون يشبهون قوة بوليسية متحركة، فهم يطوفون باستمرار على القرى • وقد يقيم واحد منهم او اكثر في قريـة معينة اذا استدعى الامر ذلك • ويتولى هؤلاء الاتباع تأديب كل مزارع عنود يتصرف ضد رغبات المالك • ومن النادر ان تردع السلطات الحكومية هؤلاء الاتباع عما يقومون به من مخالفات واعتداءات ، لان المالك يوفر لهم الحماية اللازمـــة •

اما القضايا والمنازعات التى تحدث بين القرويين والتى لا تهم المالــك فتعرض على موظفي السلطة الحكومية • وقد يقوم المختار الذى يتصـرف كضابط ارتباط بين القرويين والسلطة الحكومية بحل المنازعات البسـيطة بنفسه ، الا انه يبلغ السلطات الحكومية دائما بالنزاعات والخصومات الخطيرة • وتحل المنازعات حسب القانون المدني ، ذلك لان قانون العشائر لا يطبق على القرى غير العشائرية •

البناء الاجتماعى للمجتمعات اللاعشائرية

يتصف «مجتمع القرية» اللاعشائري في لواء السليمانية بكونه مجتمعـا منعزلا وذى نطاق ضيق وموارد محدودة • وقد اثر هذا التركيب تأثير فعالا على النسق الاجتماعي • ففي مثل هذا النوع من المجتمعات (لا يسـتطيع المنتجين الفرديين ان يجمعوا رأس مال ضخم ، كما انهم لا يستطيعون فـى النهاية ان يتولوا عمليات تجارية مالية من نوع جديد) [٤٣] • وهكذا يتعـذر

---

43. Firth, Rymond, "Elements of sicial organization" second edition. London 1952, P. 52.

نشوء الطبقية الاجتماعية في مجتمعات القرية اللاعشائرية • وبالرغم من وجود ملاكين صغار يقومون بتأجير خدمات عمال زراعيين ، لا سيما وقت الحصاد ، غير ان هؤلاء الملاك لا يستطيعون ان يكونوا طبقة اقتصادية نظرا لعجزهم عن تجميع الثروة • بل انهم انفسهم قد يتحولون الى زراع مستأجرين في ظروف معينة • اما الزراع المستأجرون فلا يستطيعون ان يكونوا طبقة اقتصادية ضمن مجتمع القرية تستغل طبقة أدنى منها ، لان ثروتهم بالكاد تزيد على ثروة العمال الزراعيين • كما انهم قد يضطرون الى العمل كعمال زراعيين في بعض فصول العام • واذا ما قبلنا تعريف الطبقة الاجتماعية على انها (مجموعة من الناس ذات مستوى حياة معين يختلف اختلافا متميزا عن مستوى مجموعة اخرى في نفس المجتمع) (٤٤) ، فاننا يمكن ان نحكم بالتأكيد على انعدام الطبقية الاجتماعية في المجتمعات اللاعشائرية ، وهي تلك الطبقية التي يستند بناؤها بشكل رئيسي على الثروة • (وهنا لابد ان نؤكد بان المالك الكبير لا يمكن اعتباره عضوا في مجتمع القرية لانه لا يقيم فيها اقامة دائمية) •

غير انه من الجهة الاخرى توجد في مجتمع القرية فروق في المنزلة الاجتماعية تضمن لاصحابها مراكز بارزة • وهذه المراكز لا ترفع اصحابها على اية حال الى ما يمكن ان يسمى بمجموعة متميزة ، فهي مراكز غير قسرية ولا تؤدي الى قيام الصراع بين الافراد • ويمارس الاشخاص الذين يتبوأون تلك المراكز حياة مشابهة لحياة بقية افراد مجتمع القرية •

وهكذا يمكننا ان نخلص الى القول بان « المنزلة الاجتماعية » Social ranking هي التى تميز بين الافراد في مجتمعات القرية

44. Bowley, A.L., "The nature and purpose of the measurement of social phenomena" London 1915, PP. 164-5.

اللاعشائرية ، اما الطبقات الاجتماعية Social classes فلا وجود لها • ذلك ان الطبقة الاجتماعية كما عبر عنها والتر غولدشميت Walter Goldschmidt هي (شطيرة من المجتمع يظهر اعضاؤها مكانة اجتماعية مشتركة في تصنيف طبقي • وتختلف «الطبقة» عن «المنزلة» في كون الاخيرة تدل على استمرارية ومدى ، بينما تعني «الطبقة» درجة من الوحدة وشكلا من اشكال التجانس بين اعضائها) (٤٥) •

ان المراكز البارزة في القرية ـ والتي تحدد منزلة القروي ـ ترتبط باربعة مصادر هي : المجموعة القرابية Kin group، والثروة ، والتدين ، والكبـــر •

المجموعة القرابيـة :

تكتسب العضوية في مجموعة قرابية ضخمة وقوية اهمية خاصة ، لان اعضاء المجموعة يدخلون طرفا فيما يحدث من نزاعـات بين الاشـخاص • والمنازعات المحلية في القرية جزء هام من حياة الناس اليومية • واســباب الخصام عديدة ، الا ان اهمها اعتداء الحيوانات على الحقول • ويتكرر هــذا الاعتداء باستمرار بسبب نظام الحقول المفتوحة ويضر بالمحاصيل ضررا كبيرا• كذلك يتكرر النزاع حول مياه الري ، بالرغم من وجود شخص معين يوكل اليه توزيع المياه وهو الميراو •،

وهذه النزاعات تؤدي دائما الى تحزب المجموعة القرابية • ومما لا ريب فيه ان العضوية في مجموعة ضخمة ومتمكنة يحسب لها حساب خاص لدى حدوث النزاع والشجار • وللعضوية في المجموعة القرابية اهمية خاصة ايضا في انتخاب المختـــار •

---

45. Coder, Helen, "Kwakinth; rank without class" American Anthropology, vol. 59, June 1957. P. 473.

الثـــروة :

تلعب الثروة دورا هاما في العلاقات الاجتماعية ضمن القرية ، لا سيما اذا كانت تلك القرية مركزا لملاكين صغار • وتتلاشى اهمية الثروة في القرى التي يملكها مالك واحد • وتحقق الثروة مكانة بارزة لصاحبها من خلال امرين ، هما الضيافة والسيطرة على موارد المياه •

فالضيافة مصدر رئيسي من مصادر المنزلة الاجتماعية في القرية • ويعلن المزارع الغني عن كرمه باقامته مضيف وبمد يد المساعدة للمحتاجين من القرويين وبتوزيع الطعام على الفقراء في المناسبات والاحتفالات المختلفة •

اما السيطرة على مورد المياه فتحقق لصاحبها منزلة بارزة في القرية نظرا لان المياه تمثل عصب الحياة الاقتصادية • وتتوفر السيطرة على مورد المياه عن طريق الانفاق على حفر الابار والكهاريز التي تمد القرية وحقولها بالمياه •

ويمكن القول ان التفاوت في الثروة ـ وهو تفاوت بسيط بطبيعة الحال ـ يؤدي الى تفاوت واضح في المنزلة الاجتماعية ضمن مجتمع القرية • ويجلس القرويون الاغنياء في مقدمة صفوف المصلين في الجامع ، كما ان لهم مكان الصدارة في الاحتفالات العامة • وهم مفضلون على غيرهم في الزواج •

التديـن :

للدين اثر بارز في حياة القرويين الاكراد ، لذلك فان درجة التدين او الورع تكسب المرء منزلة عالية في مجتمع القرية • وبالرغم من ان الطبيعة الجغرافية للمنطقة الكردية قد ساقت بعض الاكراد في العهود السابقة الى حياة السلب والنهب ، الا أن تلك الحياة لم تضعف مشاعرهم الدينية • ولعل ابرز مثال على ذلك افراد عشيرة الهماوند الذين اشتهروا بالسلب والنهب • فلم تؤثر طبيعة حياتهم على ورعهم والتزامهم بتعاليم الدين (فاذا حضرتهم

الصلاة في وقت احتدام القتال ، تركوا خيولهم بالدور وادوا الصلاة كاملة ، ثم اشتبكوا في القتال من جديد)[٤٦] .

وقد عملت النزعة الدينية القوية لدى الأكراد على تبجيل الاشخاص ذوي المراكز الدينية تبجيلا عظيما . ويحتكر المراكز الدينية المهمة في كردستان صنفان من الناس ، وهما السادة الذين ينحدرون من صلب الرسول (ص) والشيوخ الذين يمتون بصلة الى اشخاص حققوا شهرة في علوم الدين . ومن الغريب ان الدراويش الذين يمارسون حياة بسيطة للغاية ويحاولون تطبيق التعاليم الدينية تطبيقا صارما لا يحتلون مراكز مرموقة في مجتمع القرية . ولعل ذلك يعود الى تأثير العامل الجغرافي في تشكيل النزعة الدينية في المجتمعات الفقيرة المعزولة .

الكبر :

يعتبر العمر عاملا من عوامل المنزلة الاجتماعية العالية ، وان كان اضعف أثرا من العوامل السابقة . ويمثل العمر رصيدا اجتماعيا يكسب الاحترام الا انه لا يقود الى السلطة . والواقع أن هذا الاحترام مستمد من الحكمة المفترضة في الرجل المسن . وهذا الافتراض تركة من الماضي حينما كان الرجل المسن يمتلك التجربة التي تجعل منه صائدا أو راعيا أو زارعا ماهرا بين مجموعته .

ويرشح العمر صاحبه ايضا للوصول الى مركز «الاختيار» ، وهو شخص ينال تقديرا خاصا ، فيتوسط في منازعات القرية ، كما يمثلها امام المالك والسلطات في بعض الشؤون البسيطة .

---

46. Barth, P. 116.

القاب ذات منزلة اجتماعية

توضح الاختلافات في المنزلة الاجتماعية ضمن مجتمع القرية القاب تمنح اصحابها مكانة خاصة ، ومزايا اقتصادية في بعض الاحيان . وقد تكون بعض تلك الالقاب حرفية واجتماعية في آن واحد ، غير انها ترتبط جميعا بشكل او بآخر بمكانة المجموعة القرابية وبدرجة الثروة وبالتدين وبالكبر. وتتفاوت أهمية تلك الالقاب تفاوتا عظيما ، فقد تؤدي الى الزعامة او النفوذ أو مجرد الاحترام المحض . ولا يمنح اى لقب منها صاحبه سلطة قسرية .

المختار :

يعتبر المختار ممثلا لاصغر وحدة حكومية في القرية . ويقوم عادة بدور الوساطة بين القرويين والسلطة الحكومية . فهو كموظف حكومى يتولى تبليغ المعلومات والاخبار والاوامر الحكومية الى القرويين ، كما انه يتصرف في الوقت ذاته كرئيس اداري للقرية .

وينبغي ان يقوم القرويون انفسهم بانتخاب المختار ، غير انه يعين في الغالب من قبل المالك ، لا سيما اذا كانت القرية ملكا لمالك غائب ، أو تسكنها مجموعة قرابية واحدة . وفي جميع الاحوال لابد ان يكون المختار رئيس اكبر مجموعة قرابية او عائلة متنفذة ، أو ان يكون اعظم القرويين ثراءا حيث يحتفظ باضخم مضيف في القرية .

وفي القرى التي تقطنها مجموعة قرابية واحدة لا تظهر اية صراعات بين الاشخاص او العوائل حول المنصب . فهناك عائلة معينة ، وهي الاضخم والاكثر ثراءا ، تتزعم القرية ، وبالتالي تصبح الوارثة الشرعية لهذا المنصب. لذلك يميل منصب المختار لان يكون وراثيا في امثال تلك القرى ، وحتى لو غضب مالك القرية على المختار فانه يختار عادة أحد اقربائه .

اما القرى التي يستوطنها عدة مجموعات قرابية فيلعب التحزب دورا مهما في اختيار المختار ، وتؤثر في اختياره المزايا الشخصية بالاضافة الى مكانة المجموعة القرابية . ولا يمكن في امثال هذه القرى ان يكون مركز المختار وراثيا .

اما مسؤوليات المختار فيمكن ايجازها بالنقاط التالية :

١ – حل المنازعات البسيطة التي تنشب بين القرويين واخبار السلطات الحكومية بالنزاعات الخطيرة .

٢ – المحافظة على الامن والنظام في القرية .

٣ – تنفيذ اوامر الحكومة بتسجيل المدعوين للخدمة العسكرية ومساعدة الشرطة في القبض على المجرمين والهاربين من الخدمة العسكرية .

٤ – توفير المأوى للموظفين الحكوميين او أي مسافر وجيه يمر بالقرية .

٥ – تنفيذ اوامر المالك .

اما مكاسبه الاقتصادية والاجتماعية فهي :

١ – يعتبر الرجل الاول في القرية ، وبالتالي يتميز بمنزلة اجتماعية عالية .

٢ – يستأثر باكبر نصيب من الارض الزراعية كما ينال اكبر حصة من مياه الري .

٣ – يعفى من ضريبة الحاصل ، ويمده المالك بالمساعدات الاقتصادية .

٤ – يعاونه القرويون ببعض الاعمال الزراعية لاسيما وقت الحصاد .

واذا ما اساء المختار استغلال منصبه طالب القرويون بعزله بعريضة يقدمونها الى السلطات المسؤولة ، الا ان مثل هذا الاجراء نادر الحدوث . والواقع ان المختار يتمتع بسلطة واسعة تستمد من مصادر عديدة ، وهي كونه ممثلا للحكومة ووكيلا للمالك ورئيس اكبر مجموعة قرابية .

ويجدر بالذكر ان بعض القرى تستعيض عن لقب المختار بلقب الكوخا ، وهو يحمل نفس الدلالة ، وتحدث هذه الاستعاضة في القرى التي يكون غالبية سكانها من اصل عشائري .

الشيخ :

يستخدم تعبير « الشيخ » في القرية الكردية بشكل مغاير لمعناه في الريف العربي . ففي الريف العربي يدل هذا اللقب على الرئاسة العشائرية ، اما في الريف الكردي فيدل على الزعامة الدينية .

وينحدر الشيوخ الاكراد من صلب اشخاص حققوا شهرة واسعة في العلوم الدينية(٤٧) . ولا يكون الشيوخ مجتمعات مستقلة ، كمـــا انهم لا يتركزون في مناطق معينة ، غير انهم يكونون عادة طبقة منغلقة تشتمل على مجموعات قرابية . ولقد حدد بارث Barth مركزهم الاجتماعي على النحو التـــالي :

(تميل عوائل الشيوخ الى الانقسام الى شظايا نسبية صغيرة ذات زواج داخلي ، ويبدو ان الزواج بابنة العم او اى زواج بالاقرباء يبلغ بينهم اقصى حالاته بالنسبة للمجتمعات غير العشائرية . غير انه لا يمكن اعتبارهم طبقة منغلقة تماما ذات زواج داخلي كلي ، اذ يحدث في الواقع زواج خارجي بين المجموعة النسبية . ولا ينصب التأكيد على الزواج الداخلي بين الشيوخ ، بل على الزواج الداخلي ضمن النسب المحلي)(٤٨) .

انظر كتاب :

47. Edmunds, C., "Kurds. Turks, and Arabs"

للاطلاع على دراسة مفصلة في الموضوع (الفصل السادس ص ٥٩ الى ص ٧٨) .

48. Barth, P. 90.

وبالرغم من ان الشيوخ يتمتعون بأعلى مركز في مجتمع القرية ، الا انهم لا يكسبون من وراء ذلك اية مزايا اقتصادية • وتتراوح حرفهم بين مالك كبير ومجرد عامل زراعي ، غير ان عدد الملاك بينهم اكبر من عددهم المألوف في القرى غير العشائرية • فهناك مثلا عائلة معينة من الشيوخ في مدينة السليمانية نفسها ، وهي عائلة آل حفيد زادة ، تمتلك اكبر حصة من الاراضي الزراعية في اللواء •

ولا يفترض في الشيوخ ان يتحلوا بمستوى اخلاقي اعلى مما يتوقع لدى الناس الاعتياديين ، كما انه لا يفترض فيهم ان يحققوا درجة فوق الاعتيادية في التدين ، غير ان القرويين الاكراد يعتقدون بان البعض منهم يمتلك قوة خيرة خارقة • واذا ما نجح احدهم في اكتساب سمعة دينية عالية تهيأت له فرص الزعامة • وقد استفاد كثير من امثال اولئك الاشخاص من مراكزهم الدينية ومارسوا (وظيفة طبقة عليا تنافس او تعارض الدولة او السلطةالعسكرية،بل واصبحوا هم انفسهم عبارة عن قادة عسكريين)[٤٩] • وكان هذا حال معظم الثورات الكردية قبل وبعد الحرب العظمى الاولى كثورات الشيخ محمود في لواء السليمانية ، وثورات الشيخ احمد بارزان في لواء اربيل وثورة الشيخ سعيد في تركيا وثورة الشيخ عبدالقادر شمدينان في تركيا وغيرها من الثورات • والواقع ان اعظم القواد نفوذا في كردستان في الوقت الحاضر هم من الشيوخ ، وهي ظاهرة توضح مدى المنزلة التي يحققها هذا اللقب •

ويدعي بعض الشيوخ بانهم سادة ايضا ، مما يرفع مكانتهم بدرجة كبيرة • وهذا الادعاء ينبىء بأن اولئك الاشخاص ليسوا اكرادا خلص ،

---

49. Nidd, J., "Class and rank in primitive societies and its relationship to social system of integration", A Thesis submitted to the University of London for M.A. degree in 1951, P. 32.

بل من اصل عربي • وقد يكون هذا الامر صحيحا بعض الشيء • ففي الفترة المبكرة من الدولة الاسلامية ، ونعني بها العصر العباسي ، مارست السلطة اضطهادا عنيفا ضد العلويين ، مما حمل الكثيرين منهم الى الهرب الى المناطق الجبلية النائية طلبا للحماية • ومما لا ريب فيه ان قرى كردستان كانت ملاذا مثاليا لهم • لذلك فليس من المستبعد ان يكون بعض الشيوخ من سلالة اولئك العلويين • غير ان الكثير منهم ينشر هذا الادعاء بلا سند ثابت • وعلى اية حال فان لقب « سيد » يكسب صاحبه تبجيلا عظيما بين القرويين العرب والاكراد على حد سواء • واذا ما اجتمع في الفرد الكردي لقب « الشيخ » و « السيد » في آن واحد اكتسب صاحبه تبجيلا واحتراما عظيمين •

الملا :

ان لقب الملا لقب حرفي اساسا • وتختلف مكانة الملا حسب درجة تدينه وتعليمه • ويقتصر تعليم الملا على دراسة القرآن الكريم والتفسير ، بالاضافة الى بعض الكتابات الدينية الاخرى في العربية والفارسية • ويتم هذا التعليم بقضاء عدد من السنوات في المدارس الدينية (ولا سيما في جوامع المدن الكبرى) ، وتعتمد مكانة الملا ومدى احترامه وتقديره على عدد السنوات التي امضاها في التعلم وعلى مدى شهرة معلميه • ويقيم التلميذ في العادة (ويسمى طالب العلم) في احد الجوامع حيث يلتقي بمعلمه ويعيش على ما يقدمه الناس من احسان •

ان تعيين الملا من اختصاص سكان القرية • فحينما يتضح ان بمقدورهم توفير نفقات الملا فانهم يدعون احد طلبة العلم لشغل المنصب • ولا يتجاوز تعليم الملا في بعض الاحيان حفظ القرآن ، الا انه قد ينال مكانة عالية نتيجة لورعه وسمو اخلاقه • وقد يفقد الملا مكانته بالرغم من فهمه في امور الدين ان لم يثبت صفات خلقية عالية •

وتشمل وظيفة الملا المسؤوليات التالية :

١ – الاذان والدعوة للصلاة .

٢ – قراءة خطبة الجمعة باللغة العربية .

٣ – القيام بمراسيم الزواج والوفاة (وان كان دوره في مراسيم الزواج قد ضعف نظرا لضرورة الحصول على الوثيقة الرسمية للزواج من السلطات الحكومية . لكن الزواج لا يمكن ان يتم من دون حضور الملا وقراءة الفاتحة) .

٤ – تعليم اطفال القرية قراءة القرآن الكريم ، لا سيما ابناء القرويين البارزين (وقد ضعفت وظيفته هذه بانتشار المدارس الحكومية في القرى)

ويمارس بعض الملالي علاج الامراض بواسطة الادعية والتعاويذ .

اما مكافآته الاقتصادية فهي :

١ – ضريبة معينة على كل شخص (تسمى سر فطرة) تدفع له في نهاية شهر رمضان .

٢ – حصة معينة من المحاصيل الشتوية لكل مزارع .

٣ – مبلغ معين يدفع له اثناء حضوره معاملات الزواج او الوفاة .

٤ – خدمات زراعية مجانية يؤديها له القرويون لا سيما وقت الحصاد .

وبالرغم من ان الملا لا يصل الى مركز الزعامة لانه في الواقع ليس جزءا اصيلا من مجتمع القرية ، الا ان تأثيره المعنوي قد يكون عظيما جدا . وهذا التأثير الهام قد ادى بالسلطات الحكومية الى تولي تعيينه ودفع راتب شهري له ، وذلك لتوجيه تأثيره في القرية حسبما تقتضيه المصالح الحكومية .

الحاج :

بما ان الحج مفروض على القادرين من المسلمين ، لذلك لا يكتسب

هذا اللقب في العادة سوى الاشخاص الذين يتميزون بامكانيات مالية . وهكذا يحمل لقب « الحاج » في مجتمع القرية معنيين ، الاول درجة من التدين ، والثاني مستوى من الثروة . غير ان المعنى الثاني لا ينطبق دائما ، فقد يؤدي فريضة الحج اشخاص ذوي امكانيات مالية ضعيفة .

وبالرغم من ان الحاج عضو اعتيادي في مجتمع القرية ، الا انه من المتوقع ان يكون على مستوى عال من الخلق ، ولذلك كثيرا ما يتوسط الحاج في المنازعات والخلافات البسيطة التي تحدث في القرية .

وتعتبر مناسبة الحج من المناسبات الهامة في حياة القرية الاجتماعية . ويصاحب جميع القادرين من رجال القرية الحاج الى مدينة السليمانية يحملون الرايات ويعزفون الموسيقى (الطبل والمزمار) . ويستقبل الحاج العائد بنفس الاحتفال . وحينما يصل الى مدينة السليمانية يمتطي جوادا مطهما ويخترق شوارع المدينة يحيط به القرويون وجوقة الموسيقى . ويندفع نحوه المارون لتقبيل يديه تبركا . وتدوم هذه الاحتفالات الحارة بضعة ايام ، ثم يصبح الحاج عضوا اعتياديا في القرية مع مكانة دينية افضل .

الاختيار :

وهو عضو اعتيادي في مجتمع القرية ، لكنه يكتسب فضيلة الكبر والحكمة وبالتالي يتمتع باحترام اعظم . ويمنح هذا اللقب للاشخاص الذين يتصرفون كممثلين للقرية لدى السلطات الحكومية في الامور الخطيرة . ولا ينتخب الاختيارية من قبل سكان القرية بل يختارهم في العادة المختار نفسه . ويعتمد هذا الاختيار على شهرة اولئك الاشخاص المسنين بالحكمة وحب الخير . وقد يعين المختار احد الاختيارية وكيلا عنه في حالة غيابه عن القرية .

التزامات القرية

يبرز تضامن مجتمع القرية اقتصاديا بالتعاون الاقتصادي واجتماعيا بالمشاركة الجماعية في الاحتفالات وسياسيا بواجب الدفاع المشترك .

التعاون الاقتصادي :

يشمل التعاون الاقتصادي الرعي والري والزراعة • وتتمثل النقطة الاولى في الاشتراك بأراضي المراعي والمساهمة بتأجير خدمات راع لحيوانات القرية • وتشتمل مراعي القرية على جميع الاراضي البور وسفوح التلال التي لا تصلح للزراعة • وتعود ملكية هذه الأراضي لمالك القرية ، عدا التلال غير الصالحة للزراعة التي تعود ملكيتها للدولة • ويحق للزراع المستأجرين ان يرعوا حيواناتهم ضمن حدود اراضي القرية • ويتمتع القرويون بنفس حقوق الرعي غير المحدودة اذا ما تقاسم اراضي القرية عدة ملاكين او زراع صغار • ولا يحق للراعي ان يرعى الحيوانات في اراضي غريبة • لكن باستطاعة رعاة القرى التي تربط بينها علاقات حسن الجوار ان يستفيدوا من مراعي بعضهم البعض •

وتقوم القرية بتأجير خدمات الراعي بصورة مشتركة • واذا ما بقيت القرية بدون راع لفترة من الوقت تولى القرويون هذه المهمة بالدور •

اما النقطة الثانية فتمثل قمة التعاون الاقتصادي في مجتمع القرية • ومن المعلوم ان مياه الري تستقي اما من الينابيع الطبيعية او من الآبار والكهاريز الصناعية • وفي معظم القرى يكون مصدر المياه نبعا طبيعيا • ويفترض ان تعود ملكية النبع الى ملاكي القرية بصورة مشتركة • وقد يؤدي العجز في مياه النبع الطبيعي الى ضرورة حفر الابار والكهاريز ، وحينئذ يساهم في نفقاتها جميع الملاك الصغار ، اما اذا كانت اراضي القرية ملكا لمالك واحد فيتحمل وحده النفقات اللازمة •

وتعهد عملية توزيع مياه الري الى احد افراد القرية من ذوي السمعة الحسنة ، ويطلق عليه اسم « الميراو » وينتخبه سكان القرية انفسهم • اما اذا كانت القرية ملكا لمالك واحد فيتولى بنفسه تعيين الميراو ، وقد يعهد بهذه المهمة الى السركار ان كان مقيما في القرية •

ويبرز التعاون في حقل الزراعة في مسألة توزيع حقوق المزارعة فيما بينهم بين فترة واخرى • وتتم هذه العملية ، التي قد تجري كل عام او كل بضعة اعوام ، في القرى التي تعود لمالك واحد او لعدة ملاكين كبار • وتنبع الحاجة الى هذه العملية من ممارسة اسلوب الزراعة شبه المتنقلة او زراعة النير والنير (البور) ، وكذلك من تخلف اسلوب الري • ومع ان المالك او ممثله يمتلك نظريا الحق في توزيع الارض كما يحلو له ، لكن العملية تترك في الحقيقة للقرويين انفسهم • ويعقد الفلاحون اجتماعا يبحثون فيه أمر توزيع اراضي القرية فيما بينهم للسنة المقبلة ، على أن يأخذوا بنظر الاعتبار الحقوق العرفية لكل فرد فيهم ، غير ان المتنفذين يحصلون دائما على النصيب الاكبر •

المشاركة في الاحتفالات العامة :

تشمل المشاركة في الاحتفالات العامة حفلات الزواج والوفاة والاعياد الدينية •

وتستغرق حفلات الزواج في العادة ثلاثة ايام • ويمتنع جميع القرويين في اليوم الاول عن العمل ليشاركوا في الاحتفال • ويقدم الطعام للجميع بدون تمييز •

اما المشاركة باحتفالات الوفاة فهي مهمة للغاية ، وان لم تكن تستوجب بالضرورة الامتناع عن العمل ، عدا اعضاء المجموعة القرابية او الاقرباء الاقربين •

ويستغرق الاحتفال ثلاثة ايام تتلى اثناءه آيات القرآن الكريم في غرفة الضيافة ، بينما يتقاطر القرويون على منزل الفقيد لقراءة الفاتحة وتقديم العزاء • ويقدم الشاي والسجاير طول الوقت ، كما تقدم وجبات الطعام عند الظهيرة وعند المساء • ويتوجب على القروي ان يقدم لاسرة المتوفي الشاي والسكر والطعام •

كذلك تبرز وحدة القرية خلال العيدين ، عيد الفطر وعيد الاضحى، وذلك بأشتراك ابنائها في وجبة غذائية عامة ، وفي تبادل الزيارات والتهاني • ففي الصباح المبكر من اول ايام العيد تؤدي صلاة العيد في جامع القرية بأمامة الملا • ثم يحضر كل قروي طعامه ويجمع على سماط يمتد في ساحة الجامع • ثم يجلس القرويون حوله ويتناولون طعامهم بلا تمييز •

ويبدأ تبادل الزيارات بين القرويين بعد الظهر • وفي مثل هذه المناسبة يتم الصلح بين المتخاصمين وتتناسى الخصومات القديمة •

الدفاع المشترك :

كان هذا المظهر من مظاهر وحدة القرية اكثر وضوحا حينما كانت السلطة الحكومية عاجزة عن صد او معاقبة المعتدين • وكان الدفاع المشترك ضرورة جغرافية نظرا لانعزال القرية الكردية واشتراك ابنائها الدائم في القتال • وكان جميع القرويون يساهمون في صد المعتدين أو في الاغارة على القرى الاخرى • لذلك كان كل قروي مسؤولا عن حماية ابن قريته اذا تعرض للاعتداء الخارجي • ولم يعد لمثل هذه الالتزامات وجود في الوقت الحاضر بالرغم من ان الدفاع المشترك ما يزال يبرز في حالة حدوث نزاع حول مصدر المياه او حول اراضي المرعي بين قرية واخرى •

مؤسسات القرية

هناك مؤسسات اجتماعية منبثة في كل قرية كردية تقريبا ، عشائرية أو غير عشائرية ، وهي بمثابة محور الحياة والفعاليات الاجتماعية للقرويين• وتلك المؤسسات هي الديواخانة والجامع والجايخانة •

الديواخانة (المضيف) :

تعتبر الديواخانة من ابرز ملامح القرية الكردية • وبالرغم من انها نشأت اصلا لتعزيز تقليد الضيافة ، فانها اصبحت المركز الرئيسي للحياة الاجتماعية في القرية • ولتحديد دور الديواخانة في الحياة الاجتماعية القروية



الديواخانة الكردية



المضيف العربي

لابد من التمييز بين ثلاثة نماذج من القرى هي : قرى الاغوات العشائريين، وقرى الملاك الكبار (الغائبين) ، وقرى الملاك الصغار .

ففي النوع الاول من القرى يتـــولى الاغا مسؤولية الانفاق عـــلى الديواخانة . وكلما ازدادت نفقاته عليها كلما ارتفعت مكانته بين اتباعه القرويين على الخصوص وابناء عشيرته على العموم . ويقول هاى Hay بصدد ذلك : (تعتمد سمعة الرئيس العشائري بدرجة كبيرة على مضيفه . فكلما كـــان كرمه عظيما كلما قويت ادعاءاته بالزعامة والرجولة)[٥٠] .

اما ليـــج Leach فيذكر بأنه (كلما كانت ضيافة الاغا اعظم كلما ازداد تقدير اصحابه له . ولهذا الامر اهمية بالغة تصل الى درجة تغطي فيها المكانة التي يكتسبها المرء نتيجة كرمه على وضاعة اصله)[٥١] .

وتبنى ديواخانة الرئيس العشائري في مكان بارز في القرية . فديواخانة باباكر اغا مثلا (وهو واحد من الرئيسين اللذين يترأسان عشيرة بشدر) كانت تقع على ربوة في قرية باديلان ، وتشتمل على غرفة شتوية واسعة وغرفة صيفية مفتوحة وشرفة فسيحة . وتبلغ مساحة كل غرفة من هذه الغرف ٣٣ × ٢١ قدما مربعاً . وتصف المقاعد الخشبية الطويلة حول الجدران ، بينما تفرش الارض بالابسطة الكردية .

اما الاغوات الكبار فتكون ديواخاناتهم اصغر حجما واقل اثاثاً . ولا يمتلك الاغوات الصغار ديواخانات منفصلة بل غرفاً مستقلة تلحق بها شرفات فسيحة . ولا تستخدم فيها الكراسي الخشبية بل تفرش ارضها بالابســـطة المحليـــة .

ولا تقوم الديواخانة العشائرية مقام المركز الاجتماعي للقرية فحسب ، بل تؤدي ايضا الخدمات التالية :

---

50. Hay, P. 77.

51. Leach, P. 28.

١ – تكون بمثابة بـــلاط الاغا حيث يعقـــد فيها الاجتماعات السياسية والمحاكمات العشائرية .

٢ – تكون بمثابة المنتدى السياسي للعشيرة حيث يجتمـــع افراد العشـــيرة حول الاغا ويتبادلـــون اخبار العشيرة ويعلنـــون عن تضـامنهم وتبعيتهم للاغا .

٣ – تكون بمثابة الفندق للقرية ، حيث يحق لكل غريب مهما كان مركزه ومكانته ان يحصل على الطعام والمأوى فيها .

اما النوع الثاني من القرى ، وهي قرى الملاك الغائبون ، فتحتـــل الديواخانة فيها بناية مستقلة ايضا . ويتولى ادارتها السركار او المختار ، على أن يدفع المالك نفقاتها . وتفتح امثال هذه الديواخانات في اوقات معينة ، عند زيارة المالك للقرية او حضور موظف حكومي او مرور احد الوجهاء بالقرية، وفي مناسبات الاحتفالات . ولا يأوى الغرباء الفقراء الى الديواخانة بل يلتجئون الى الجامع حيث يمدهم القرويون بالطعام . ويمكن القول ان ديواخانـــة الملاك الغائب أقل أهمية من ديواخانة الاغا العشائري . وهي تخدم مصـالح واحتياجات الملاك ، ولا يقصد منها عرض كرمه ، كما انها تقوم مقام المسكن الموقت له عند زيارته للقرية . ويحل الجامع في امثال هذه القرى محـــل الديواخانة كمركز اجتماعي للقريـــة .

اما الصنف الثالث من القرى ، وهي قرى الملاك الصغار ، فلا تختص بديواخانة واحدة بل ببضعة ديواخانات يديرها الزراع المقتدرون . وتشتمل امثال هذه الديواخانات على غرفة صغيرة واحدة ، او غرفة وشرفة ، متصلة بالبيت . وتعتبر ديواخانة المختار او الكوخا هي الديواخانة الرسمية للقريـــة وتكون عادة أكبر الديواخانات . وتستخدم لاستضافة الغرباء الوجهـــاء والموظفين الحكوميين ، اما رجال الشرطة فيوزعون على بيوت القرية .

ولا تتركز الحياة الاجتماعية في مثل هذه القرى حول ديواخانة واحدة بل تتوزع على ديواخانات القرية ، اضافة الى الجامع • وتفوز ديواخانة المختار بالنصيب الاعظم من الاهمية والحيوية ، حيث يحاول المختار انتهاز كل فرصة ليظهر كرمه وضيافته وليبرهن على لياقته لزعامة القرية •

وليس ثمة تقاليد خاصة راسخة تختص بها الديواخانة الكردية • فمن الناحية النظرية يحق لكل قروى ان يفتح ديواخانة ، غير ان نفقات الديواخانة لا تمكن عمليا من ادارتها سوى الاغا او المالك الغائب او المالك الصغير • لكن كل قروي يحتفظ في منزله بغرفة للضيوف يستضيف فيها اقرباءه ومعارفه وحتى الغرباء احيانا ، فالضيافة هي احدى السمات البارزة للتقاليد الكردية • ويتبرع القرويون عادة ببناء الديواخانة العشائرية وديواخانة المالك الغائب •



تناول الطعام في الديواخانة الكردية
(نقلا عن ليج LEACH)

اما تقاليد الديواخانة فذات أهمية ضئيلة • لكنها تكشف عن الاحترام الخاص الذي يحظى به الضيف • فينبغي ان يقدر الضيف وان تشمله الحماية ، حتى لو كان من الاعداء ، طالما ظل مقيما في الديواخانة • ولابد من تحقيق طلباته جهد الاستطاعة •

ولا تختص الديواخانة الكردية باصوليات خاصة ، لكن هناك قواعد معينة لابد من احترامها • فلابد ان يجلس الضيف على بساط او فراش ، بينما لايمانع ابن القرية من الجلوس على الارض العارية • وليس هناك موضع خاص في الديواخانة يتناسب ومكانة الضيف • ويحق لجميع القرويين ان يحضروا الى الديواخانة بدون حاجة الى دعوة ، لكن صاحب الديواخانة يدعو عادة بعض الاشخاص الذين يفترض فيهم ان يكونوا وجوه القرية ليرحبوا بالضيف •

ويقدم الشاى لجميع الحاضرين باقداح صغيرة (الاستكانات) ، مبتدئين بالضيف ثم بالقرويين الوجهاء • ولابد ان يحتسي الضيف ثلاثة اقداح كحد ادنى ، في حين يكتفي القرويون الاعتياديون بقدح واحد او قدحين •

ويقدم الطعام في صوان صغيرة ، ويدعى الى الطعام الضيف اولا ثم القرويين الوجهاء • وينبغي الا يجلس حول الصينية اكثر من شخصين • ومن النادر ان يسمح المضيف بجلوس ثلاثة اشخاص •

اما الحديث فيكون محدودا ويديره المضيف • ويتصف الاكراد بالاقتصاد بالكلام ويدور الحديث عادة حول الزراعة والحيوانات • ويظهر بعض القرويين الاكراد روح دعابة قوية •

وتكشف مقارنة الديواخانة الكردية بالمضيف العربي عن اختلافات جوهرية في تقاليد كل من المؤسستين • ويمكن ان يعزى ذلك الى الاختلافات

الاساسية في النظام العشائري لكل منهما(×)[٥٢] .

الجـامع :

يكتسب الجامع في بعض القرى اهمية اعظم من الديواخانة . وبالرغم من انه ذو اهمية دينية اساسا ، حيث تجري فيه الوظائف الدينية ، فان دوره

(×) (٥٢) لقدتحدث الدكتور سليم بالتفصيل عن «المضيف» العربي في دراسته لعشيرة بني اسد ، وفيما يلي مقتطفات من تلك الدراسة :

(يعتبر اهل الجبايش المضيف مكانا مقدسا ، وهم يقسمون بمضيف العشيرة او الفخذ . وقد يعبر بعض الاشخاص عن امانيهم الغالية في المضلف .

ويلجأ المعتدى الى المضيف (يدخـــــل) ، حتى في مضيف اعدائه ، فيكتسب بذلك حماية كاملة . ويعتبر الاعتداء على اى شخص في المضيــف من الاخطاء الشنيعة ، ويتوقع ان يمتنع الشخص الذي وقع عليه الاعتداء من الحضور الى المضيف حتى يعتذر اليه صاحب المضيف بارسال وفــد خاص اليه يسمى (مشاية) . ولا تقدم القهوة في المضيف الى اولئـــك الاشخاص الذين ارتكبوا جرائم منكرة .

وتظهر تقاليد المضيف مقدار احترام اهل الجبايش للمضيف بـل تقديسهم له . فلابد لمن يحضر الى المضيف من ان يرتدي كامل ملابســه ، وخصوصا العقال والبشت . وينبغي الا يتكلم ما لم يوجه اليه الكلام ، ولا سيما ان لم يكن ذو مكانة عالية . ويجب ان يتجنب المرء المزاح والضحك الذي لا داع لـــه ، وفي حالة النزاع والغضب يجب ان يتحدث بهـــدوء ووضـوح .

وتوضح تقاليد المضيف ايضا مكانة المرء الاجتماعية . فلابد لكـل شخص يحضر للمضيف ان يجلس في الموضع الذي يحدده مركزه الاجتماعي . ويحتل موضع الصدارة الاشخاص ذوي المكانة الرفيعة مثل السادة وآل خيون واجاويد الطائفة ، والذي يميزه وجود السجاد والوسائد . وتتضح المكانة الاجتماعية ايضاً بالمسافة التي يجلس بها العشائري بعيدا عن مكان الصدارة ، والذي هو في وسط المضيف بجوار الموقد الذي توضع فيــه القهوة ، وبجوار احـد بابي المضيف وقت الصيف . ويجب ان يقف المرء على قدميه تحية لمن هم اعلى منه في المنزلة الاجتماعية . =

الاجتماعي مهم للغاية . والواقع ان حياة القرية تتمركز حول الجامع حيث يمثل محل العبادة والمقهى ومنتدى القرية والفندق .

ولا يحتاج الجامع كمركز للعبادة الى تأييـد اهميتـه . ومع ان فى الامكان اقامة الصلاة في أى مكان نظيف ، الا ان من الافضل ان تقام الصلاة في الجامع وبامامة الملا . غير ان من النادر ان يؤدى القرويون الصـلاة في الجامع ، فهم اما ان يكونوا في عملهم وبعيدين جدا عن الجامع ، او في بداية عودتهم من العمل وهم متعبين جدا وغير قادرين على الذهاب الى الجامع . لكن صلاة الجمعة لابد وان تؤدى في الجامع تسبقها خطبة الجمعة . ويحاول القرويون جهدهم اقامة صلاة الجمعة في الجامع لاسباب اجتماعية ، اضـافة الى الناحية الدينية ، حيث يكتسب المرء مكانة خاصة اذا عرف عنه التدين .

وفي فصل الشتاء حيث يطول الليل ويقل العمل يصبح الجامع منتدى للقرية . ويجتمع الرجال حول النيران او المدفأة ويمضون الامسية في الحديث حول الزراعة والحيوانات وشؤون القرية .

ويستخدم الجامع ايضا لاجتماعات مجلس القرية غير الرسمي ، حيث يجتمع الاختيارية مع المختار لمناقشة شؤون القرية . كذلك يستخدم الجامع

= وحينما يقدم الطعام في المضيف في المناسبات كالاعياد والفواتح ، فلابد لصاحب المضيف من ان يدعو كل واحد من الحاضرين للبدء بالطعام . وبما ان هناك عددا كبيرا من الناس يمكن ان يشاركوا في الطعام ، فأن الطعام يوضع على سماط ويدعى الحاضرين للاكل في مجموعتين او ثلاث واحـدة بعد الاخرى وهنا يظهر مرة اخرى مبدأ المنزلة الاجتماعية . فلابد ان يقوم صاحب المضيف بدعوة المجموعة الاولى فردا فردا . ويجب ان يطبق مبدأ المنزلة الاجتماعية تطبيقا كاملا .

ويعرف العشائريون هذه القواعد معرفة تامة ويلتزمون بها ، فكـل واحد يعرف مكانة الاخر ويعامله بناء على ذلك) .

(Dr. Salim, PP. 205 ff.

بشكل عام كفندق للقرية • فجميع الغرباء من الفقراء يقصدون الى الجامع، ويحمل اليهم القرويون الطعــام •

ان اهمية الجامع الاجتماعيــة ، اضافة الى اهميته الدينية ، تجعـل منه مؤسسة لا يمكن الاستغناء عنها في القرية • ويشكو القرويون من الشـكوى في القرى الفقيرة التى يعجز سكانها عن توفير نفقات الجامع ، لعدم مساهمة السلطات الحكومية في بناء جامع لهم • ولا يوجد في امثال هذه القرى بنـاء خاص ، بل مجرد ساحة من حجر المرمر تتخذ مركزا للصلاة ، وبجوارها ينبـوع ميــــاه •

ان بناء الجامع هو في العادة من مسؤولية مجتمع القرية • وحينمـــا يتضح للقرويين انهم قادرون على توفير مصاريفه تجمع الاموال لشراء مواد البناء • ويساهم في عملية بناء الجامع جميع القادرين من سكان القرية • وبذلك يختلف حجم الجامع حسب عدد ومقدرة ابناء القرية • ولابد ان يشتمل على اية حال على ساحة ونبع في الوسط وعلى شرفة مرتفعة وقاعة واسعة •وتفرش القاعة عادة بالحصران وتوضع فيها المدفأة الكردية • وقد تقسم القاعة الى عدة اقسام بجدران نصفية ، ويخصص قسم واحد منها للصلاة • وتقام الصلاة في القاعة اثناء الشتاء وفي الشرفة او الساحة اثناء الصيف •

ومع ان الجامع يستخدم كمركز اجتماعي ، بقدر ما يستخدم كمركز ديني ، الا انه يتمتع بقداسة خاصة • فلا يسمح بالالفاظ النابية في داخلـه ، وينبغي ان تخلع الاحذية عند دخول موطيء الصلاة •

الجايخانة :

لا توجد الجايخانة في جميع القرى الكردية ، وما لم تشمل القرية على خمسين بيتا او اكثر ، او ما لم تقع على طريق رئيسى او فرعي ، فان وجود الجايخانة ينعدم فيها • ويمكن ان تعتبر الجايخانة عموما دليلا من دلائـــل



الجايخانــة الكردية

تحطم العزلة لمجتمع القرية • فكثيرا ما تكون الجايخانة مركزا لالتقـــاء القرويين من قرى متعددة ، مما يهيء الفرصة لتنمية المعلومات عن العـــالم الخـــارجي •

ولا يقدم في الجايخانة سوى الشاى ، ولكن قد يلتحق بها ايضا بائع كباب لا سيما ان كانت على طريق عام •

وتتشابه هندسة الجايخانة في جميع نواحي اللواء • فهي تشتمل على اربعة جدران حجرية او خشبية يحيط بها مقاعد صخرية او خشبية ، وهناك موضع في زاوية المكان يستخدم كموقد لوضع السماور واقداح الشـــاى • وتزدحم الجايخانة بزبائنها في فصل الشتاء على الخصوص حيث يقل عمـــل الزراع ، بينما لا يكادون يجدون متسعا من الوقت في فصل الصيف •

الفصل السادس

اثنوغرافية الأكراد

- ١ -

الرجل الكردى

لقد سجل الرحالة والكتاب اوصافا مختلفة للرجل الكردي ، لكن اغلبها كان بعيدا عن الدقة العلمية ولا يعدو عن كونه انطباعات شخصية . وبما ان الاكراد عنصر متجانس يتصف بفروقات بسيطة في صفاته الطبيعية من منطقة الى اخرى ، فقد يكون من المفيد ان نستعرض بعض اوصاف الكتاب والرحالة لاكراد العراق وايران وتركيا لنلمس مدى الاختلاف فيما بينهم .

ولعل من اقدم الاوصاف التي سجلت لاكراد العراق هو وصف فريزر Fraiser الذى قال فيه :

(ان بنية الكرد متينة ، وهم يختلفون بعض الاختلاف عن جيرانهم الايرانيين ، والملامح الكردية على اية حال متميزة . ويمكن القول بصفة عامة انها ملامح حادة . فعظام الانف بارزة ، والفم والذقن متراجعان قليلا ، والعينان سوداوان ذكيتان وسريعة الحركة وغائرتان قليلا . اما الطابع العام للملامح فتتميز في كونها اكثر رقة من الملامح الايرانية .

وباختصار فهناك جوانب تجعل الشعب الكردي متصفا بالجمال اذا ماقورن مع اى شعب آخر في العالم)[1] .

ووصف ملنجن Millingen اكراد كردستان تركيا على النحو التالي : (ان العنصر الكردي ـ رجالا ونساء ـ يتميزون بالجمال ، وهم من هذه الوجهة افضل من العنصر التركي . فهم طوال القامة ذوي بنية متينة . اما الوانهم فليست على نسق واحد ، لكن اللون الغالب عليهم هو الاسمر . والسائد بينهم أيضا الشعر الاسود والعيون السود ، الا ان العيون الزرق والشعر الاشقر ، او الكستنائي على الاصح ، صفات مألوفة بينهم . وهناك صفة يتميز بها الاكراد جميعا وهي القوة البدنية . ويقال ان الاكراد الذين يقيمون في جبال طوروس في منطقة درسيم مثالا في القوة والجمال)[2] .

اما هاريس Harris فقد وصف اكراد كردستان ايران كما يلي : (ان لون الاكراد في العادة اقرب الى لون سكان جنوبي اوربا من اليونانيين والايطاليين ولعله اقل سمرة منهم . ويغلب اللون الاسود على العيون والحواجب والرموش . واما الانف فأقنى جميل ، واما الفم فحسن . ويتصف الوجه بكونه طويلا بيضاوياً ، كما تميل القامة الى المتوسط . وهم يحلقون لحاهم ويطلقون شواربهم ، كذلك يحلقون رؤوسهم من الوسط ويتركون الشعر على الحواف)[3] .

وقد وصف مينورسكى Minorisky الاكراد عموما فقال : (من الممكن العثور عند الاكراد على الوجه المدور الارمني والسامي العربي او على

---

1. Fraiser, J., "Travels in Kurdistan, Mesopotamia, etc." London 1840, P. 191-2.

2. Millingen, PP. 249-50.

3. Harris, W.B., "From Batum to Baghdad" London MDCCCXCR1, PP. 187-8.



مجموعة من اكراد السليمانية

الاكثر النسطوري المسيحي • لكن الاكراد في منطقة السليمانية قد حافظوا بصورة عامة على شخصيتهم الايريانية النبيلة لانهم عاشوا بعيدين عن الشعوب الاخرى • فالكاتب الارمني ابو فيان يصف الشخصية الكردية قائلا : من الممكن معرفة الكردي من النظرة الاولى برجولته وقيافته المهيبة المعبرة التي تشير في نفس الوقت الى الهزء بالخوف • وبالاضافة الى هذا فان وجه الكردي يتصف بعيون كبيرة براقة نارية وحواجب كثيفة وجبين عال وانف طويل معقوف وخطوات متينة او بعبارة اخرى صفات الابطال القدماء[٤] •

ان هذه الاوصاف كما ذكرنا انطباعات عامة لا تستند الى دراسات علمية ، ولم يدرس الاكراد حتى الآن دراسة انثروبولوجية الا بصورة محدودة للغاية • ومن اوائل العلماء الذين تولوا هذه المهمة الانثروبولوجي

---

(٤) مينورسكي،ف : « الاكراد ، ملاحظات وانطباعات » ترجمة الدكتور معروف خزنة دار ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ١٤-١٥ •

الاميركي هنري فيلد Field الذي زار كردستان العراق واجرى قياسات علمية على عدد كبير من الاكراد. ولقد وصف الاكراد على النحو التالي :

(ان لون بشرة الاكراد اقل سمرة من لون بشرة العرب ، الا انه ليس ببياض بشرة الاثوريين . وشعر الرأس بني غامق او اسود وله تموجات خفيفة وهو متوسط الكثافة . واما العيون فهي بنية غامقة ، غير ان هناك نسبة من العيون الملونة . فمن بين ٥٩٨ رجلا خضعوا للقياس ، كان ١٢ شخصا يمتلكون عيونا زرقا ، اي حوالي ٢٪ ، والحدقة طبيعية او غائرة قليلا . واما الانف فمقوس (حوالي ٦٨ ٪) او مستقيم (حوالي ١٨٪) مع ارنبة عريضة او متوسطة . والكردي متوسط القادمة ذو جذع طويل ، واحيانا طويل جدا ، وسيقان قصيرة . واما الجبين فعريض ، واما الرأس فعريض جدا ومدور ، وحوالي ٤٠٪ من الاشخاص الذين خضعوا للقياس كانوا ذوي رؤوس فوق العريضة Ultrabrachy Cephalic . ويعتبر الطول الكلي للوجه بصورة عامة متوسط او طويل ، اما الحالة الصحية فجيدة على العموم .

ولقد اجريت بعض المقارنات بين شكل الرأس والقامة ، وبين القامة ولون العين ، فظهر ان حوالي ٦٦٪ من بين ٣٢٤ رجلا كرديا كانوا عريضي الرأس ومتوسطي القامة ، وان ٥٦٪ من بين ١٦٨ رجلا كرديا كانوا متوسطي الرأس وطويلي القادمة . وكان اغلب الاشخاص الذين يمتلكون قامة متوسطة ، او طويلة ذوي عيون بنية او سود . وهناك عدد من الاكراد طوال القامة تبلغ نسبتهم حوالي ٤٤٪ ولديهم عيون ملونة)

وعلى العموم فقد اظهر الاكراد الذين خضعوا للقياسات الانثروبولوجية انهم مجموعة متوحدة منسجمة لا تنافر بينها في الصفات ، وان الصفة المشتركة بين الجميع هي الرأس العريض ، وحينما قورنت قياساتهم بقياسات

عرب الجنوب او سكان القفقاس تبين انهم يختلفون عنهم كليا)[٥] .

وهناك وصف علمي آخر للاكراد سجله عالم الاجناس البروفسور هادون Haddon حيث قال :

(ان حوالي ٥٠٪ من الاكراد الغربيين (اكراد كردستان تركيا) يمتلكون عيونا زرق وشعرا اشقر ، وتميل رؤوسهم الى العرض والضخامة . وكلما اتجهنا غربا ازدادت فيهم علائم الاختلاط مع الاتراك والارمن . اما الاكراد الشرقيون فيكشفون عن نسبة اعلى من ذوي الرؤوس العريضة او المستديرة ، والغالب عليهم اللون الاسمر ، وهم اقل جمالا . ويمكن الحكم بثقة على ان الاكراد ينتمون الى طلائع النورويين Prto-Nordic وهم قوم رعاة في الاصل ، وقد استطاعوا ان يحافظوا على اصلهم ولغتهم لاكثر من ثلاثة آلاف عام)[٦] .

هذا ما يتعلق بصفات الرجل الكردي الطبيعية . اما ما يخص صفاته الخلقية فقد تضاربت فيها آراء الكتاب والرحالة . ولعل الاكراد من اكثر الاقوام في الشرق الاوسط الذين اسيء الى سمعتهم من قبل جيرانهم او من قبل الرحالة الغربيين . فأذا تتبعنا الامثلة الموجودة في تراث الامم المجاورة للاكراد كالترك والعرب والايرانيين لوجدنا تأكيدا واضحا لتلك السمعة السيئة . ومن الممكن ان نفهم لماذا كان سكان المناطق المجاورة يرهبون الكردي ويخشون بأسه . فالمعروف أن أراضي كردستان تمثل بيئة صعبة يتعذر فيها الحصول على القوت ، وهي موطنا للرعاة منذ أقدم الازمنة . ويعتمد الرعي

5. Field, Henry, "The anthropology of Iraq" part 11, No. 2, Kurdistan & part 11 No. 3 conclusion. Papers vol XLVI, peadgoy Museum, American Archeology and Anthropology, Harvard University, 1952, PP. 56-61.

6. Haddon, A.C., "Races of man", London 1926, P. 96.

بطبيعة الحال على المراعي الطبيعية التى تقع بدورها تحت رحمة الامطار • وهكذا كانت مصادر القوت في المنطقة مهددة باستمرار ، لا سيما وان طبيعة المنطقة تعرضها لذبذبة عالية في امطارها • فاذا ما قـل المطر او انحبس شحت المراعي ونفقت الحيوانات ، وعندئذ يهبط الاكراد من ذرى جبـالهم الى السهول المجاورة الغنية لينهبوا محاصيل الـزراع من العرب والاتراك والايرانيين • فكان اولئك الزراع في خوف دائم من هجمات الاكـراد وتهديدهم لمناطقهم • ومن أمثلة هذا الخوف الدائم ما ذكره الرحالة الاندلسي ابن جبير عند اختراقه لاطراف المنطقة الكردية الشمالية الغربية ، فقد قال : (فتمادى سيرنا الى اول الظهر ونحن على أهبة وحذر من اغارة الاكراد الذين هم آفة هذه الجهـات من الموصل الى نصيبين الى مدينة دنيصـر يقطعون السبيل ويسعون فساداً في الارض • وسكناهم في جبال منيعة عـلى قرب من هذه البلاد المذكـورة ولم يعن الله سـلاطينهم على قمعهم وكف عاديتهم • فهم ربما وصلوا في بعض الاحيان الى باب نصيبين ولا دافع لهم ولا مانع الا الله عزوجل)[٧] •

اما اسباب تحيز بعض الكتاب الغربيين ضد الاكراد فيعود الى المذابح التي تعرض لهـا رعايا الدولـة العثمانية من المسيحيين في القرن الماضي والتي ساهم فيها الاكراد • وقد اثبت بعض المؤرخين المنصفين ان الاكـراد لم يكونوا سوى آلة مسخرة بيد حكام الدولة العثمانية ولم تكن مساهمتهم ناجمة عن تعصب ديني أو عنصري • وقد اثارت تلك المذابح ثائرة الاوربيين ضدهم ، وعمد كثير من الرحالة والكتاب عن علم او جهل الى وصم الخلق الكردي بأنواع من الصفات الذميمة التي هو براء منها[٨] • غير ان هنـاك

---

(٧) « رحلة ابن جبير » ـ لابن جبير ، منشورات دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٩٣ •

(٨) انظر على سبيل المثال لا الحصر الكتب التالية : =

طائفة اخرى من الكتاب والرحالة المنصفين تحدثوا عن الاكراد بنزاهة وصدق ، ولعل من أقدمهم كلوديوس ريج Rich ، فقد قال : (يتصف الاكراد بالمرح وبكونهم اجتماعيين للغاية ومتواضعين فيما بينهم ، وهم لا يعرفون الحسد . ولم اسمع اى كردي ينافق ضد الآخر مهما كان التنافس بينهما)[٩] .

وقال الرحالة الفرنسي هنري بندر Binder :

(يتصف الاكراد بالجمال والقوة والذكاء ، وهم يمثلون نماذج طيبة ، واذا ما صقلتهم المدنية فسيكونون افضل من جيرانهم الاتراك والروس . وبالرغم من بداوة الاكراد الا انهم يتمتعون بمشاعر الكرامة ويتقيدون كليا بوعودهم . فاذا ما وعدك احدهم بانه سيوصلك سالما الى مكان ما فأطمئن اليه دون تردد)[١٠] .

وقال سون Soaneالذي خبر الاكراد عن كثب لزمن غير قصير :

(يتصف الكردي بالاخلاص الدائم والمحافظة على الوعود والعطف على الاقرباء والرجولة في معاملة المرأة اكثر من بقية الاقوام المسلمة في الشرق الاوسط ، كما انه يتصف بولع شديد بالشعر والادب وبالاستعداد للتضحية في سبيل

Creage, J., "Armenians, Kurds and Turks" London =
1880, vol. 11, PP. 227-257. and PP. 261-279.

Wagner, Dr. M., "Travels in Persia, Georgia and Kurdistan" London 1865, vol. 111, PP. 264-266.

Fowler, George, "Three years in Persia " London 1841, vol 11.

Layard, Sir Henry, "Nineveh and its remains", London 1849, vol. 1, PP. 239-242.

Wigram, "The cradle of Mankind" London 1910.

9. Rich, vol. 1, P. 104.

10. Binder, H., "Au Kurdistan" Paris 1887, P. 110.



كردي من الشمال

العشيرة . غير انه يتميز بطبع ملتهب قد يثور فجأة ، وهـــو امر ناجم عن الحياة المضطربة غير المستقرة التي يمارسها .، ويتميز الكردي ايضا باعتزازه بوطنه وقومه وبحبه للفكاهة ، لا سيما الاكراد الجنـــوبيين الذين يروون الفكاهات حتى عن انفسهم)[11] .

وقال مينورسكي : (ان للاكراد قابلية خارقة في النفوذ في اعماق كل

11. Soane, PP. 334-5.



كردي من تركيـا
(نقلا عن سافراستيان SAFRASTIAN)

شيء . وهم ينظرون الى كل وجه باهتمام زائد وشك . والاكراد ليسـوا خاملين ولا اغبياء ، الا ان الامكانيات تعوزهم لتطوير الثقافة والمعارف بينهم . والسبب على الاغلب تقاليد الرؤساء الذين يعتقدون ان الوضع الجيد هـو في التمارين العسكرية فقط . لذلك ترى الشبان يطلقون في سبيل المزاح في اليوم الواحد مائة خرطوشة . هذا ويجب الا ننسى بأن هناك حالات استطاعوا ان يظهروا فيها نجاحات سريعة في التعليم ، وهم لغويون جيدون . والاكراد

يحبون المزاج ويتصفون بالفضول في معرفة الاخبار ويفتخرون بحياتهم الحرة)[١٢] .

وقال زمنيه Zimenez : (ان الكردي قبل كل شيء رحالة ، وحينما يستقر يفقد جزءا من شجاعته ومميزاته الخلقية . ومهما قيل عن فظاظة الاكراد ، فانهم في الحقيقة يتصفون بصفات عالية جدا ، يزينها حب طبيعي لعشيرتهم . ويتحدث البعض دائما عن الاكراد الرحالة وكأنهم قتلة محترفين، وهذا خطأ فادح ، ذلك ان الرحالة الكردى شخص قويم الاخلاق)[١٣] .

وقال الدكتور سافراستيان Safrastian : (ان المتعلمين بين الاكراد قد اثبتوا كفاءتهم في كل مجال من مجالات الحياة تقريبا . ولعل اهم حقيقة لابد ان تعلق بالبال عن الاكراد هي صمودهم حتى النهاية بالرغم من انهم عاشوا لقرون طويلة في ظروف سيئة . وفي الوقت الحاضر لا يوجد قوم باسم الحيثيين ولا العيلاميين ولا السيثيين ، ولكن يوجد قوم اسمهم الاكراد يعيشون في نفس المنطقة الجغرافية التي كان يعيش فيها اكراد مملكة الكوتيين قبل اربعة آلاف عام . والاكراد ما يزالون يتحلون بمعنويات عالية ، وهم اصحاء جسديا وخلقيا . وللكردى ولع خاص بالالات والفنون والصنايع ، وهو قادر بسهولة على التحكم في تفصيلات اية مشكلة تجابهه)[١٤] .

وقال الدكتور خالفين : (هناك حالة خاصة مثيرة للاهتمام . فجميع المؤلفين تقريبا الذين قدموا وصفا زاهيا لميل الاكراد الى الغزوات يتكلمون في نفس الوقت ومباشرة عن طبيعتهم الطيبة المرحة وعن اكرامهم للضيوف وعن تفاؤلهم . فقد كتب امبريه جوبر مبعوث نابليون للتفاوض مع شاه ايران

---

(١٢) مينورسكي ، ف : « الاكراد ـ ملاحظات وانطباعات » ص ٦٨

13. Ximenez, S., "Kurds and Armenians" London 1895, P.3.

14. Safrastian, A., "Kurds and Kurdistan" London 1948, P.94

في عام ١٨٠٦ يقول : الناس يضعون الغنائم على الطريق ويجلسون معـــا مبدين آيات كرم الضيافة • لهذا فأن السائح المجرب في الشرق لن يداخله ادنى رعب في هذه البلاد حيث تسود النية الحسنة • ويظهر الاكراد كـل هذا ، فلدى ظهور الغريب المحتاج لشيء ما وعند اقترابه من احدى طوائفهم يخرج اليه بعضهم ويقولون : اهلا ومرحبا • اعتبر نفسك في بيتك • نحن ننتظر بفارغ الصبر الساعة التي نستطيع فيها أن نستضيفك •

ومضى يخبرنا معجبا بروح الود التي يظهرها الاكراد عند تقديم الطعام والشراب الى ضيف طارىء والى حصانه ، وتزويده بالذخيرة والشعير واهدائه أنواع الهدايا • وفي ذات الوقت لم يستطع احد من المطلعين الذين تحدثوا عن افعال الاكراد المقيتة ان يدلنا على مثال واحد من اعمال الاغتصاب كـان شاهدا فيها وغدا ضحية من ضحاياها)[١٥] •

ويتضح مما ذكرناه من اوصاف ان الرجل الكردى قد ترك انطباعـــا حسناً على العموم في نفوس غالبية الكتاب والرحالة الغربيين • ولقد قـــام المؤلف بدراسة الشخصية الكردية والخلق الكردى عن كثب فلمس ما لمسه الكتاب المنصفون • ومن السهل على الدارس ان يدحض افتراءات الرحالـة والكتاب المتحيزين عن الخلق الكردي وذلـــك بتحليل بسيط للظروف الطبيعية والاجتماعية التي احاقت بالاكراد • فقد نعت الاكراد بانهم قطـاع طرق ، ولوعون بالحرب ، غدارون ، وغير اجتماعيين • اما السلب فلاشـك انه عمل زاولته اغلب الشعوب في احدى مراحل تطورها ، وقد زاولته بعض الجماعات الكردية ايضا تحت تأثير ظروف خاصة • فكردستان على العموم تمثل احدى مناطق الصعوبة في العالم ، على حد تعبير الاستاذ فلير 'Fleure

---

(١٥) خالفين ، أ : « الصراع على كردستان » ، ترجمة الدكتور احمد عثمان ابو بكر ، مطبعة الشعب ببغداد ، ص ٢٥ •

والانسان في مثل هذه المناطق يكون في صراع دائم مع الطبيعة ليضمن لنفسه البقاء • ومثل هذا الصراع المستمر يخلق بلا شك ميلا الى السلب والنهب ان لم تكن هناك سلطة حكومية قوية مسيطرة • ويلاحظ ان هذا الميل موجود في العادة لدى شعوب المناطق الصعبة التي تعجز ارضها عن سد حاجة السكان، حيثما تكون السلطة الحكومية ضعيفة او منعدمة •

أما ولع الاكراد بالقتال فهو مظهر لحرفة الرعي التي كان يحترفهـــا عدد كبير من الاكراد كما انه نتيجة لانعدام الامن والحكومة القوية •فلابد ان يكون الرعاة على استعداد للقتال للدفاع عن حيواناتهم او مراعيهم او لغرض قتال المزارعين • ولابد ان يكون المزارعون ايضا على استعداد لحماية اراضيهم ومصادر مياههم من الرعاة الغزاة او من اغتصاب الاقوياء منهم • فهـــذا الصراع المستمر الذي ايده النظام العشـــائري والاقطاعي السائدين قد جعل من الكردي شخصا محارباً •

اما الغدر فهي ليست الصفة الصحيحة التي يمكن ان يوصف بها حذر الكردي • ولابد ان نعترف بأن الكردي يرتاب بالغريب حتى يطمئن اليه ، وهذا الارتياب يعود الى عوامل تأريخية واقتصادية • فالمـــوقع الجغرافي لكردستان قد جعل منها مسرحا للحروب منذ ازمان بعيدة • فلقد كانت دائمـا جسرا بين الشرق والغرب • وقد ادى بها هذا الموقـع المتوسط بين الدولتين المتنافستين تركيا وايران الى انتكون ميدانا للمعارك الطاحنة بين جيشي الدولتين منذ بداية القرن الخامس عشر • فهذا الوضـــع التأريخي ، بالاضافـة الى صعوبات الاكراد الاقتصادية ونظامهم العشائري ، قد جعل الكردي شكوكـــا بأي غريب يتطفل على موطنه ، وبالتالي حذرا منه •

اما الروح غير الاجتماعية التي يتهم بها الكردي فهي في الواقع ليست كراهية للغريب ، بل هي صفة نشأت من الانعزال الجغرافي للقرية الكردية•

فوعورة ارض كردستان وقلة مواصلاتها ، بالاضافة الى شتائها القارص ، قد جعل القرية الكردية منعزلة عن العالم الخارجي ، ولم يترك للكردي فرصة الاختلاط بالغرباء • ولهذا فلا يتوقع من الكردي ان ينطلق على سجيته مع الغرباء قبل ان يألفهم تماما •

ولقد اعجب المؤلف بصفات كثيرة في خلق الكردى والتى يمكن ان يتلمسها أى منصف بوضوح • فهو بلا شك انسان ودود وحسن المعشر • ويتجلى ذلك في طريقة التحية الكردية • فاذا التقى قروي بصديق له لم يره من مدة تشابكت يداهما بقوة وقبل كل منهما ذراع الاخر ووجهاهما يفيضان بشرا • اما لطف الكردي تجاه الغريب فيظهر بترحيبه الحار به حيث يستقبله مرددا طيلة الوقت : «بخير بيت» او «بخير هاتي» اى «حللت اهلا» ، او « قدمت ومعك الخير والبركة » •

ولقد اعتقد بعض الرحالة بان الكردى لابد ان يكون متعطشا للدماء ، فهو يتجول في ارضه مدججا بالسلاح ، من حزام للذخيرة ، وبندقية ومسدس وخنجر • ومع ان الكردى ولوع بالسلاح بالفعل ، لكنه قلما يستعمله في نزاعاته • ويمكن ان يعزى ولعه بالسلاح الى المخاطر التى يواجهها في بيئته الطبيعية والى تنظيمه القبلى (١٦) •

ويفترض البعض ان الكردى مشاكس ومحب للعراك ، وانه مولع بمعاكسة السلطة الحاكمة • ويرجع هذا الظن الى الثورات المتكررة التى يقوم بها الاكراد فى شتى انحاء كردستان ، والى ظهور عصابات المتمردين على القانون في مختلف المناطق الكردية • لكن تفسير هذه المظاهر يعود في الحقيقة بالدرجة الاولى الى عدم الاعتراف بحقوقهم القومية، كذلك يعزى الى

16. Nikitine, B., "La vie domestique Kurde" Revue et de traditions populaoires-extrait, 1-337.

تصرفات موظفى الادارة الحكومية في الدول المعنية بشكل تعسفي ينافي الطباع والخلق الكردى مما يثير في نفوسهم الغضب والتمرد •

اما شهرة الكردى بالقسوة فلا اساس لها مطلقا ، ولا شك انها تناقض طبيعته العاطفية •. واوضح دليل على ذلك، كما لاحظ كمبرلاند Cumberland عدم وجود مفهوم للحقد في اللغة الكردية (١٧) • لكن الكردى يمتاز بغير شك بشجاعة كبيرة ، وهو لا يفكر بالموت ان زج نفسه في معركة حربية ، ولعل شجاعته في القتال هى المسؤولة عن تلك السمعة ، وهى صفة تميز سكان الجبال عموما (١٨) •

ومع ان البيئة الطبيعية قد علمت الكردى قوانين الاقتصاد (فلا يكاد اى بيت كردى يخلو من مخازن الغلال) ، الا انه ظل كريما مضيافا الى حد كبير • فهو يستقبل الضيف بسرور حقيقي ، ويقدم له ما يستطيع من الطعام حتى لو تخلى عن لقمته • فالغرباء الذين يقصدون الجوامع في القرى الكردية لا يتركون بلا طعام ، فاما ان يصحبهم القرويون الى بيوتهم او ان يرسل اليهم الطعام الى الجوامع •

اما اولئك الرحالة الذين اتهموا الكردي بانه صموت وانه لا يعرف للفكاهة معنى فهم بلا شك مخطئون ومتسرعون في حكمهم • وهذا الخطأ يرجع ايضا الى ان الكردى لا ينطلق على سجيته مع الغرباء • وقد دلت تجارب المؤلف على روح فكهة قوية لدى الاكراد على اختلاف طبقاتهم ومناطقهم ، حتى لدى سكان القرى النائية المنعزلة •

---

17. Cumberland, R.C., "The Kurds", Moslem World, vol. 16, P. 152, 1926.

18. Huntington, E.& Cushings, S. "Principles of human geography" 4th edit., 1934, P.87.

والكردى ، بعد ذلك كله ، شخص امين نزيه ، وهو يكره الكذب والخديعة ، ويضرب المثل بالكذاب في المجالس والاندية وهو محور السخرية والهزء [(١٩)] ، كما انه انسان طيب القلب ، عاطفي ، والادب الشعبي الكردى حافل بقصص الغرام الجميلة . وهناك مثل كردى يقول : «ان لم يكن الكردى زارعا او راعيا اصبح شاعرا» . ولا شك ان طبيعة بلادهم الجميلة ترهف عواطفهم . والحقيقة ان الادبين العربى والفارسى غنيان بمؤلفات الاكراد في الشعر والادب . اما اولئك الذين تثقفوا ثقافة علمية حديثة فقد كشفوا عن مقدرة خاصة في العلوم والميكانيك .

والخلاصة ان الكردى انسان لطيف المعشر ، طيب القلب ، كريم ، سموح ، محب لاسرته وموطنه ومعتز بقوميته الكردية اكبر الاعتزاز . ومن الواضح ان اولئك الكتاب والرحالة الذين وصموه بصفات خلقية سيئة كانوا اما جهلاء بحقيقته او متحاملين ضده ، وفى كلتا الحالتين ليس لاوصافهم قيمة علمية .

الزي الكردي

لقد اثار زي الرجل الكردي اعجاب الرحالة دائما بأنماطه والوانه الزاهية . ويتألف اساسا من عمامة وسروال عريض وسترة ضيقة مزررة . وتشتمل العمامة على طاقية صغيرة قد التف حولها عدة وشاحات حريرية . ويصنع السروال من قماش محلى ، وهو عريض جدا في جزئه الاعلى وضيق للغاية في جزئه الاسفل . كذلك تصنع السترة من قماش محلى ، وهى تزرر عند الصدر وتربط بالسروال . ويرتدى الرجل ايضا قميصا تحت السترة ، ويتميز باكمامه الطويلة التى تلامس الارض ، غير انها تلف في العادة حول الرسغ . وتستخدم في فصل الشتاء صديرية من الصوف ، كما قد يستخدم

---

19. Mrs. Soane, Linfield, "A recent journey through Kurdistan" Journal of Royal Central Asian Society, vol. 22, 1935.

معطف من الوبر • وهناك ايضا الحزام ، وهو جزء لا يتجزأ من بدلة الرجل الكردى ، ويصنع من قماش اجنبي ، ويلتف حول الجسم عدة لفات متشابكة •

ان التأثير العربي واضح في الجزء الجنوبى من كردستان وفي المدن الكبيرة كمدينة السليمانية ، اذ يحل محل السروال الكردي ثوب طويل مصنوع من قماش اجنبي • وهناك بعض الفروق البسيطة في الملابس بين منطقة واخرى • فالأكراد الشماليون مثلا يرتدون سروالا يختلف نوعما عن السروال الجنوبى ، كما ان عمامة الرأس تكون صغيرة نسبيا • وتستعمل ايضا قطعة من القماش لتغطية العنق من الخلف ، بينما يستخدم الجبليون عمامة مخروطية تعلوها شرابة •

ويمكن القول ان زى الرجل الكردى يلائم متطلبات البيئة الطبيعية تمام الملائمة • ويتمثل ذلك في النواحى التالية :

١ ـ ان السروال (او الشروال) مصمم لتيسير تسلق الجبال والمحافظة على دفء القسم الاسفل من الجسد •

٢ ـ ان عمامة الرأس (الموشكي) مصممة لحماية الرأس من البرد حماية كاملة •

٣ ـ للحزام الكردى مزايا كثيرة اهمها تدفئة الجزء الاوسط من الجسم ، كما يحافظ على استقامته اثناء التسلق •

ويتمثل تنوع الملابس الكردية من منطقة الى اخرى في لباس الرأس على وجه الخصوص (الموشكي) • ويمكن تمييز عشيرة الفرد ، بل حتى ديانته ، من لباس رأسه • فاتباع عشيرة الجاف والهورمانيون مثلا يرتدون عمامة ضخمة جدا ، بينما يرتدى سكان مدينة السليمانية وما جاورها عمامة متوسطة الحجم • اما في الاقسام الجنوبية والشرقية من اللواء فتصبح

العمامة صغيرة نسبيا • ويبدو ان (الموشكي) تأخذ بالضخامة كلما توغلنا شمالا وشرقا ، وقد ينطوي ذلك على معنى جغرافي حيث تشتد برودة المناخ في تلك الجهات (×) •

وتصنع اغلب اجزاء البدلة الكردية محليا ، ويفضل الاكراد عموما ، بما فيهم الرؤساء ، الاقمشة المصنوعة محليا ، غير ان ملابس الاغوات والرؤساء

(×) ان الازياء الكردية خارج كردستان العراق شبيهة بالتي وصفت اعلاه • فقد وصف هاريس Harris مثلا زي اكراد كردستان ايران على النحو التالي :

(ان زي الرجل الكردي خاص به تماما ، وفيما عدا المناطق الجنوبية التي يتأثر فيها الاكراد نوعما بالايرانيين ، فانهم يلتزمون عموما بزيهم الخاص • ويتألف لباس الرأس من قبعة عالية قد التف حولها عدد من الوشاحات الحريرية في فوضى بارعة • واللون المفضل لعمامة الرأس هو الاحمر والارجواني الداكن او الذهبي ، يطرزه هنا وهناك اشرطة من ألوان براقة اخرى ، وتترك الحواف المشرشبة متدلية حول الوجه شرط الا تحجب العينين او الاذنين • ويستخدم قميص ابيض باكمام طويلة يزيد طولها على الياردة ، تعلوه سترة بدون ياقة مفتوحة عند العنق ومزررة عند الصدر • ويلتف حول الوسط حزام ابيض عريض • ويثبت في الحزام خنجر ملتو وغليون طويل • وتعلو السترة صديرية قصيرة من الشعر الابيض او البني بلا اكمام وهي مفتوحة من الامام • ويمتد من وسط الجسم سروال منتفخ جدا في جزئه العلوي وضيق في جزئه السفلي • ويرتدي جوارب صوفية وحذاء من الجلد الاحمر اقرب الى الخف •
(Harris, PP. 188-9).

ووصف ملنجن Millingen زي الرجل الكردي في كردستان تركيا على النحو التالي : (تتألف بدلته من سترة قصيرة حمراء وقميص ذى اكمام مدلاة وسروال منتفخ في جزئه العلوي ، ومن الصعب وصف مظهره للقارىء • وهناك ايضا الحذاء الاحمر المعتاد ، والعمامة التي يلتف حولها عدد من الوشاحات الملونة • ويرتدي الرجل الكردي هذه البدلة في فصل الصيف ايضاً) • (Millingen, PP. 247-8).









تخطيط يمثل نماذج لباس الرأس الكردي للرجال والنساء

A لباس الرأس للرجال في كردستان العراق الجنوبي

B لباس الرأس للرجال في كردستان العراق الشمالي

C لباس الرأس للمرأة في كردستان العراق الجنوبي

D لباس الرأس للمرأة في كردستان العراق الشمالي

افضل نوعية في قماشها واكثر بهرجة في الوانها • ويفضل الاكراد اللـــون الخردلي ثم الارجواني ثم القرمزي ثم الذهبي • والملابس الكردية تضفي على الكردي جاذبية وحيوية ملفتتين للنظر •

- ٢ -

المرأة الكرديـــة

لقد جذبت المرأة الكردية على الدوام الرحالة بجمالها الطبيعـي ، الا انهم كانوا مجمعين في الوقت نفسه على قصر عمر هذا الجمال وعلى انـه يكاد ينحصر في مرحلة الشباب • ومثال ذلك ما ذكره الرحالة فريزر Fraiser فقد قال : (حينما تكون المرأة الكردية في سن شبابها تكـون فائقة الجمال ، لكنها حينما تتقدم في السن ، او حتى حينما تبلغ مرحلة النضج ، يبدو عـلى ملامحها الحادة القدم والذبول) [٢٠] •

وقال هبارد Hubbard : (ان النساء الكرديات جميلات ما دمن فـي سن الشباب • وهنا في كردستان يدهشني الانتقال السريع المفاجيء من سـن الشباب الى الشيخوخة لدى النساء اكثر من اى مكان اخر في الشرق) [٢١] •

ومما لا ريب فيه ان هذه الظاهرة تعزى الى الظروف التى تحيط بالمرأة الكردية ــ لا سيما الريفية ــ اذ انها تعاني من عمل متصل مرهق في الحقــل وفي البيت • ومما يزيد الامر سوءا عدم توفر الغذاء الصحي للسكان عموما • وقد اكد هذا التعليل ايضا باسل نيكتين Nikitine فقد قال : (من المؤكد ان جميع الاشغال المنزلية الشاقة تقوم بها النساء ، فهن يحملن الدواب وينزلن

20. Fraiser, P. 193.

21. Hubbard, C.E., "From the Gulf to Ararat" London 1916, PP. 186-7.

الاحمال ويصعدن الى مواطن القطعان لحلب الغنم . وهن يلتقطن الاغصان والاخشاب للتدفئة والطبخ ، ولا يتخلين اثناء عملهن هذا ابدا عن اطفالهن الذين يعلقنهن على ظهورهن . واذا كانت النساء تكتسب من هذه الاعمال المرهقة قوة جسمانية كبرى ، الا انهن يفقدن بذلك انوثتهن وسرعان ما تذوى ملامح الجمال في وجوههن . اما نساء الزعماء فهن وحدهن يستطعن الحفاظ على جمالهن لان حياتهن رغدة ، وهن لا يقمن بأى عمل شاق) (٢٢).

اما الصفات الانثروبولوجية للمرأة الكردية فقد ذكرها فيلد Field على النحو التالى :

(للمرأة الكردية بشرة فاتحة ، بالمقارنة مع المرأة العربية في العراق . وشعرها بني غامق وذو موجات خفيفة وهو متوسط الكثافة ، والعينان بنيتان غامقتان مع حدقة محتقنة . اما البروفيل الانفي فهو مقعر او محدب . والانف متوسط وضيق .

والمرأة الكردية متوسطة الطول ، مع جذع طويل وجبهة ضيقة . ورأسها عريض ، وحوالى ٣٠٪ عريض جدا . وحالتها العضلية متوسطة عموما)(٢٣) .

وقد تحدث الرحالة والكتاب في مختلف العهود عن مركز المرأة الكردية ، واكد اغلبهم انها تتمتع بمكانة عالية بالقياس الى مركز المرأة بين بقية الشعوب الاسلامية المجاورة . فقد كتب ريج Rich قائلا : (ان احوال المرأة في كردستان افضل بكثير مما هى عليه في تركيا او ايران . فالزوجة تعامل على قدم المساواة مع الزوج وهى تسخر من عبودية المرأة التركية)(٢٤).

---

(٢٢) نيكتين ، ب : (الاكراد) ـ منشورات دار الروائع ـ بيروت ، ص ٨٧ .

23. Field, P. 63.

24. Rich, vol. 1,P. 284.



امرأة كردية من كردستان العراق

وقال سون Soane : (تتمتع المرأة الكردية بحرية واسعة ، ويمثل النساء الكرديات نموذجا حسنا للنساء الجريئات • وهن يستأهلن الاطراء لفضائلهن البيتية ولجمالهن الطبيعي • وهناك الكثيرات ممن يحسن ركوب الخيل وحمل البندقية • وقد تشترك المرأة في القبائل الرحل في القتال ايضا) [٢٥] •

25. Soane, PP. 396-9.



فتاة كردية من كردستان تركيا

(نقلا عن سافراستيان)

وقال بورتر Porter : (ان الاكراد لا يحيطون نساءهم بالشك الذي يتميز به الفرس والاتراك تجاه نسائهم ، لذلك فان زوجاتهم وبناتهم يتجولن خارج بيوتهن بحرية ومن دون ان يستخدمن النقاب . وتظهر هؤلاء النسوة في ابواب الاكواخ والخيم بدون تقيد ، وهن مستعدات كأية امرأة انجليزية ريفية ان يقمن بالواجبات الاعتيادية البسيطة تجاه الزائر والضيف . آن

اولئك النساء اللواتي يتصفن بالحشمة والحياء هن فتيات ، وبالعفة والطهر وهن زوجات ، ليغرسن تلك العادات الممتازة التى تثمر سلالة قوية حية واطفالا اصحاء لا يعرفون الخوف) (٢٦) .

وقال شيل Shiel : (ان نساء كردستان لا يقيدن كما هو حال نساء جيرانهم من الفرس والاتراك . فاما القرويات منهن فلا يستخدمن البرقع - عدا نساء الرؤساء - واما البدويات فلا يعرفن الحجاب على الاطلاق . ويتمتع نساء الاكراد الرحل بسيطرة عظيمة ضمن اسرهن وهن يختلطن اختلاطا واسعا مع رجال مخيمهن . ومن الشائع جدا ان يفر بعض الشباب مع فتيات من عشائر او مخيمات اخرى . وامثال هذه الحوادث قد تؤدى الى اقتتال عنيف لان الكردى يرفض اهانة من هذا القبيل ويعتبرها على صعيد واحد مع الثأر) (٢٧) .

وقال مارك سايكس Sykes : (لقد استطاعت المرأة الكردية ان تحرر نفسها . وبالرغم من انها تعيش بمعزل عن الرجل فان لها كامل حريتها في التجوال خارج بيتها وفي التمتع بوقت فراغها وفي مشاكسة زوجها ان اقتضى الامر شأن اية امرأة انجليزية . الا ان هذه الحرية مقرونة بقانون اخلاقي صارم ، ربما اكثر صرامة مما هو عليه في المناطق المجاورة . وان السلوك اللااخلاقي نادر جدا بين نساء العشائر غير المتحجبات) (٢٨) .

اما البحاثة مينورسكي Minorisky فقد شرح اوضاع المرأة الكردية على النحو التالي :

---

26. Porter, Sir Robert Ker, "Travels in Georgia, Persia, Armenia and ancient Babylonia", vol. 11, London 1822, P. 198.

27. Shiel, J., "Notes on journey from Tabriz to Gulf" Journal of Royal Geographical Society, vol. 8, 1838, PP. 69-70.

28. Sykes, M., "The Caliphat last heritage", P. 342.

(البحث في حالة المرأة مهم جدا لتحديد اخلاق اى شعب كان ، وهذا يتعلق بالاكراد ايضا فهم اكثر تسامحا من جميع الشعوب الاسلامية في هذا الصدد . وتقوم نساؤهم وبناتهم بأعمال بيتية شاقة حيث يجلبن المـاء من العين ويتسلقن الجبال العالية لحلب المواشى وجلب الأحطاب . واضافة الى ذلك وبصورة دائمة يحملن اولادهن الصغار حيث يشدوهن على ظهورهن بحزام عريض .

والنساء غير محجبات يجلسن في الجماعة بشجاعة وبدون استحياء ، وغالبا ما يشاركن الرجال في الحوار . ولا يوجد اى حجاب بين الشبان والشابات فانهم يعرفون بعضهم بعضا بصورة جيدة . والزواج يتم بينهم بتناسق ، ويسيطر على قلوبهم شعور رومانتيكي قوى . وللمرأة عند الاكراد شخصية بلا شك ، وليس من العبث ان نرى اسمها يضاف الى اسم ابنها اذا كانت تتمتع بذكاء معين او جمال ، وتوجد امثلة كثيرة في هذا الصدد . وهناك نساء كرديات اصبحن رئيسات للقبائل وكان بيدهن جميع السلطات) (٢٩) .

وهكذا نلاحظ بان الرحالة القدماء والكتاب المحدثين متفقين على المكانة الطيبة التي تتمتع بها المرأة الكردية . والواقع ان تمتع المرأة الكردية بحريتها – ونخص المرأة الريفية – يبرز في مظاهر كثيرة ، غير ان تلك الحرية ليست مطلقة . فبالرغم من ان المرأة الكردية الريفية لا ترتدى العباءة او البرقع ، الا ان المدنية لابد لها من ارتداء العباءة بل والبرقع في غالب الاحيان ، فجميع النساء في مدينة السليمانية مثلا – على اختلاف طبقاتهن – يرتدين العباءة والبرقع . وفي حلبجة وقلعة دزة وبنجوين يرتدى نساء الطبقة المتوسطة والموظفين الحكوميين العباءة والبرقع ايضا .

---

(٢٩) مينورسكي ، (الاكراد) ، ص ٧٨

ويحق للمرأة الكردية الريفية ان تتجول ضمن القرية وان تحـــي الرجال من اقاربها وجيرانها ، بل وحتى الغرباء اذا ما اقتضت الضـرورة . غير انها ينبغي الا تدخل في حديث لا ضرورة له مع الرجال ، وحتـــى لو كانوا اقربائها . ويجب ان تحسن التصرف حينما تكون خارج البيت فتمتنع عن الضحك مثلا بصوت مرتفع . ويفضل الا ترتاد الاسواق الا لضرورة ملحة .

ومن الضروري ان تقوم الزوجة بواجب الضيافة للرجل الغريب عند غياب زوجها ، الا انها ينبغي الا تطارحه الاحاديث . وهى تدعو في العـــادة احد الجيران او الاقرباء لمسامرة الضيف .

ويسمح للمرأة بالبقاء عند حضور الزوار من الاقرباء او من الجيران، لكنها لا تشاطرهم الحديث ، كما ويجب ان تنتحى ركنا منعزلا من المكان .

ومع ان من المألوف ان يتم الزواج عن حب ، لا سيما في المناطـــق الريفية ، غير ان من المشين التصريح علنا بهذا الحب .

ان هذه الحرية النسبية التى تتمتع بها المرأة الكردية قد حفظت لهـا مستوى خلقيا رفيعا ، وخصوصا بين الرعاة والريفيين ، ولذلك فنادرا ما تحدث في المجتمعات الكردية حوادث سوء السلوك (٣٠) . وتختلف حرية المـرأة من عشيرة الى اخرى ومن منطقة الى اخرى ، الا انها تتقلص عموما حـــول المراكز المدنية ، وتتسع لدى العشائر الرعوية ، لذلك فان المرأة الرعوية هى أقوى شخصية واكثر حيوية (٣١) .

وبالرغم من ان للمرأة الكردية نظريا نفس فرص الرجل الاقتصادية، الا انها لا تمارسها فعليا كما يفعل الرجل شأنها شأن المرأة في معظم المجتمعات

---

30. Chantre, Ernest, "Le Kurde" Lyons, 1897, P.17.

31. Dickson, B., "Journey in Kurdistan" Geog. Journ., vol. 35, 1919, P. 342.

المتخلفة[٣٢] • ومثال ذلك انها من النادر ان تشارك اخاها في وراثة الارض حتى لو لم تكن غير متزوجة • ويمكن ان يعزى حرمانها من الارض الزراعية الى كونها غير مسؤولة عادة عن اعالة نفسها ، بل تقع هذه المسؤولية على عاتق اخوانها او ابنائها •

كذلك الامر في الميدان السياسى ، فهى لا تلعب اى دور في الحياة السياسية ، وينبغي الا تتدخل في شؤون القرية او العشيرة • غير ان هذا الحضر على نشاط المرأة السياسى لم يمنع بعض النساء القديرات ، كعديلة خان (من عشيرة الجاف) وحفصة خانم (آل حفيد زادة) ، من ان يتبوأن مركز الرئاسة في مجتمعهن •

وبالرغم من ان النساء الكرديات يحظين بقسط طيب من الاحترام من قبل الرجال ، فان سلطتهن ضمن العائلة ضئيلة اذا ما قيست بسلطة الرجل • ففي حالة الزواج لا يعتبر رأى الام او الابنة حاسما ، والرجل هو الذى يصدر القرار النهائى • وفي حالة الطلاق لابد ان تأتي المبادرة من قبل الرجل • وتعطى المرأة كتعويض في حالة الفصل لا سيما بين السكان العشائريين • ويجب الا تتناول الزوجة او الابنة طعامهما مع الزوج او الاخ • ولكن بالرغم من ان الرجل الكردى يعتبر المرأة قليلة الحكمة ، فانها في بعض الاحيان تمارس تأثيرا عظيما عليه ، وخصوصا ضمن محيط العائلة •

وتنفق المرأة الكردية وقت فراغها في تبادل الزيارات • وقد تقوم بعض الاحيان بنزهات في الهواء الطلق في غابات القرية او في المروج المجاورة حيثما توفر نبع جار • واهم مركز لتجمع النساء الريفيات هو نبع القرية حيث يغسلن الملابس والاواني البيتية ويأخذن حمامهن ، ويحضرن مياه الشرب ويتبادلن القصص والحكايات والاخبار • اما زياراتهن فتكاد تقتصر بدرجة رئيسية على الاقرباء ، وتتم اوقات انشغال الرجال •

---

32. Fortes. M., "Social structure" Oxford 1949, P. 68.



ينبوع القرية

اما زى المرأة الكردية فهو متماثل في جميع جهات كردستان ، وهو اكثر بهرجة وجاذبية من زى الرجال • ويشتمل على سروال قطني واسع ورداء فضفاض يزرر عند العنق ويترك مفتوحا من الرقبة الى الاسفل ، وصديرية بلا اكمام من قماش ذهبي او فضى • ويستخدم ايضا حزام جلدى ضخم مرصع بقطع ذهبية او فضية • ويشتمل لباس الرأس على عمامة ضخمة تلتف حولها عدة وشاحات حريرية ذات الوان زاهية • ويزين مقدمة العمامة صفوف من العملات الذهبية او الفضية • وتستخدم في المدن عباءة حريرية •

اما نساء الطبقة الفقيرة فيرتدين سروالا ازرق من قماش خشن ورداء فضفاض • ويشتمل لباس الرأس على طاقية صغيرة تزينها قطع فضية(×) •

(×) لقد وصفت مسز بيشوب Mrs. Bishop **زي المراة الكردية في** كردستان ايران على النحو التالي : =

ويمكن القول ان المرأة الكردية مغرمة بالملابس عموما ، وهي تفضل الالوان الزاهية • كما انها مغرمة ايضا بالحلي الذهبية والفضية ، لكنها قلما تستخدم الحلي الزجاجية • ولعل اكثر الحلي شيوعا هي طاقية الرأس التى تصنع من رقاق من الفضة ، وهى تشيع في الريف الكردي بدرجة واسعة • اما نساء الطبقة الغنية فيصنعن الطاقية من رقاق من الذهب •

ويأتي الحزام بالدرجة الثانية من الاهمية بعد طاقية الراس ، وقد يصنع كله او معظمه من الفضة او الذهب • ومن جملة الحلي الشائعة العقود المصنوعة من العملات الفضية او الذهبية او من خرز العنبر الاصفر ، اما الوشم فقد اصبح عادة قديمة •

-٣-
العائلة الكردية

بالرغم من ان النمط العائلي ، وهو العائلة الابوية Patriarchal family متماثل عموما في جميع انحاء اللواء في المجتمعات العشائرية وغير العشائرية ، الا أن هناك بعض الفروقات الثانوية من منطقة الى اخرى حسب تضاريسها ومدى اتصالها بالعالم الخارجي • ولا تغير هذه الفروق على اية حال من الملامح الرئيسية لذلك النمط •

ويمكن القول ان غالبية العوائل الكردية هي من نوع الاسر الاولية Elementary التى تشتمل على الاب والام وابنائهما • وهناك نسبة معتدلة من الاسر

= (تشتمل ملابس المرأة الكردية على قميص قطني ازرق وسروال فضفاض وغطاء للرأس على هيئة الصحن مصنوع من الفضة ، ورداء يتدلى على الظهر مربوط حول الرقبة ، وتتدلى منه حول العنق سلسلة من العملات المعدنية ، وتربط المرأة حول شعرها منديلا صغيرا ، وعند حضور رجل غريب تغطي فمها باحد طرفي المنديل) •

(Mrs. Bishop, vol. 11, P. 345).

الواسعة extended family (حوالي ٢٠٪) التي تشتمل على الاب والام وابنائهما واحفادهما ، وتعيش هذه الاسرة في بيت واحد او في بيوت متصلة Joint houses • ولقد شجع قيام الاسر الواسعة العامل الاقتصادي بالدرجة الاولى • فالمجتمعات الكردية اما ان تكون زراعية او رعوية ، اى ان الملكية فيها ثابتة ومحدودة ، وهي الاراضي الزراعية او المراعي • وهذا النوع من الملكيات يضطر الابناء الى الاستمرار في العمل مع آبائهم حتى في حالة نضجهم، مما يضطرهم الى البقاء في نفس البيت عند زواجهم لان ذلك يناسب حياتهم العملية •

اما رئاسة الاسرة الكردية فهي رئاسة ابوية Patriarchal ، اذ يمتلك الاب السلطة الوحيدة على اعضاء العائلة • ويمكن ان تعزى هذه الرئاسة الى النسق الاقتصادي القائم في المجتمعات الكردية ، وهو الاقتصاد الزراعي او الرعوي • ففي هذه الفعاليات الاقتصادية يلعب الرجل الدور الرئيسي ، بينما يكون دور المرأة ثانويا ، ذلك ان الرجل يحرث الارض ويزرعها ويرعى الحيوانات ويحرسها ، وبالتالي يسيطر على اقتصاد الاسرة • ومع ان المرأة تساهم في الاقتصاد العائلي بالفعل ، الا ان مساهمتها ليست حاسمة • وكما اوضح مردوخ Murdoch (فان نوع الفعاليات الاقتصادية لا تؤثر في النتيجة ، والامر الحاسم هو مدى تفاوتها)[٣٣] •

اما اقامة العائلة الكردية فهي من نوع الاقامة الابوية Patrilocal حيث تلتحق المرأة بزوجها في منطقة اقامة الاب • ولقد تأثرت الاقامة الابوية بالنسق الاقتصادي للمجتمع وبتقسيم العمل بين الرجل والمرأة •

وكما سبق انذكرنا فان النسق الاقتصادي السائد يربط الابناء بآبائهم حتى

---

33. Murdoch, op. cit., P. 206.

بعد زواجهم ، ذلك لانه لا يشجع الملكية الشخصية كما انه لا يشجع العمليات الاقتصادية الفردية • فنظام الملكية الزراعية الذي يسود في لواء السليمانية ، وهو نظام المحاصة الوراثي ، يمنع الاب من توزيع حصته من الارض على اولاده • غير ان الزراع الصغار يمتلكون حرية اعظم في توزيع اراضيهم على ابنائهم مما قد يشجع احيانا انحلال الاسرة ، لكن مساحة الارض المحدودة عموما تترك حرية ضيقة امام العمليات الاقتصادية الفردية • وفضلا عن ذلك فان عجز الفلاح الاقتصادي بوسائله البدائية تجعله في حاجة دائمة الى العمل اليدوي ، ويمكن توفير ذلك بتعاون الابناء معه • لذلك يقيم الابناء المتزوجون عادة مع ابيهم ، بل وقد يستمرون في العيش سوية بعد وفاته فيكونون بذلك وحدة اقتصادية Economic Unit •

ان طبيعة تقسيم العمل بين الرجل والمرأة يجعل موضوع تغيير المكان بالنسبة للمرأة اكثر سهولة من تغييره بالنسبة للرجل • فطبيعة عمل المرأة الذي يشمل عادة العمل البيتي والعناية بالحيوانات وبعض الصناعات البيتية ، تحصر نطاقه بالبيت او ما يجاوره ، ولا يستدعيها عملها معرفة دقيقة بمنطقة القرية وبيئتها • اما فعاليات الرجل الاقتصادية فتحمله بعيدا عن البيت وتمده بمعرفة دقيقة بمحيط قريته وبمصادرها النافعة • لذلك يصبح امرا لا مفر منه على المرأة ان تغير مكان اقامتها عند الزواج وتلتحق بزوجها ، (ذلك لان المرأة تستطيع ان تلتحق بزوجها في مجتمع آخر وتواصل في الوقت نفسه بغير صعوبة جميع اعمالها السابقة التي تعلمتها منذ الصغر ، على العكس من الرجل الذي ينتقل الى مجتمع جديد في نمط الزواج الامي Matrilocal marriage فلابد له في هذه الحالة ان يستكشف بيئة جديدة كليا)(٣٤) •

---

34. Murdoch, PP. 213-14.

العلاقات العائلية

ان نظام القرابة في العائلة الكردية يحكمه النسب الابوي Patrilineal حيث يكون الانتساب عن طريق الذكور لا الاناث ، كما ان الولاء السياسي يرتبط بهذا المبدأ القرابي . وقد ادى هذا النظام الى الاعتراف بسلطة ومسؤولية العم نحو العائلة .

اما العلاقات العائلية فتنظمها التقاليد والعادات اضافة الى عوامل مختلفة اخرى حسب الاشخاص المعنيين . ويعتبر الاب رئيس العائلة ويتمتع بسلطة غير محدودة . ولا يبرر رئاسته للعائلة وضعه الاجتماعي والاقتصادي فحسب، بل التعاليم الدينية ايضا . فالدين الاسلامي يحض على احترام وطاعة الوالدين . ومع ان رب العائلة هو زوج مخلص ، فان علاقته مع زوجته تقوم على اساس اولويته . وقد يكون لزوجته تأثير عظيم عليه في الشؤون التى تخص العائلة، بل وقد يكون لها اثر واضح على سلوكه وآرائه ، غير انه لا يعترف بذلك . والمفروض الا تتناول الزوجة الطعام مع زوجها في صينية واحدة . وعليها الا تدعوه باسمه المجرد بل باسم اكبر ابنائه تعبيرا عن الاحترام .

اما علاقات الاب بالاولاد فيحكمها الاحترام البالغ والطاعة التامة . فهو يقرر نوع العمل للابن ، وهو الذى يختار له عروسه ، وهو الذى يصدر الموافقة على زواج الابنة . ولا يجد حرجا في العادة في اظهار محبته للصغار، ولا سيما الاولاد ، الا انه يظهر بمظهر المتزمت تجاه الكبار .

وتتمتع المرأة بقسط كبير من الاحترام وبنفوذ واسع ضمن محيط الاسرة ، لكنها لا تتمتع بنفس سلطة الاب ، وهى تتصرف عادة في شؤون البيت تصرفا مطلقا ، كما ان اوضاع الاسرة الداخلية تتأثر الى حد كبير بارائها . وحينما تترمل تسمى العائلة باسم اكبر ابنائها (او اكثرهم نفوذا) ،

لكن زمام السلطة الفعلية تنتقل الى يديها كليا • واذا ما طلقت التحقت باسرة احد ابنائها واصبحت عضو الشرف فيه •

ويرغب الابوان رغبة قوية في انجاب اكبر عدد من الاولاد ، ولا سيما الذكور ، لان الابناء يعتبرون في الوقت نفسه رصيدا اقتصاديا ، كما انهم يرفعون من مكانة الاسرة اجتماعيا •

وتقع مسؤولية تعليم الطفل على عاتق المرأة كليا ، ثم يصبح الاولاد تحت سيطرة ابيهم بعد سن معينة بينما يظل البنات تحت رعاية الام حتى يبلغن سن الزواج (٣٥) •

ويبدأ الاطفال بعد سن السابعة بالعمل ويلتحق الابناء بابيهم ، بينما تنضم البنات الى امهن • ويمارسون في البداية الاعمال السهلة ، فتساعد البنت امها في الاعمال البيتية بينما يقوم الاولاد برعي الحيوانات الصغيرة وجمع الاحطاب • وفي حالة الاسرة المقتدرة يسمح للاولاد بارتياد الديواخانة وباداء بعض الخدمات كتقديم الشاي للضيوف •

وللابن البكر (او الكبير) مكانة خاصة ضمن الاسرة • فهو يحظى باكبر نصيب من حب الاب ، كما انه ياتي بعده في مكانته • وكثيرا ما يؤخذ رهينة لدى الجماعات المتخاصمة نظرا لاهميته(×) • ويخفف الاب من سلطته عليه حالما يبلغ درجة النضج ، وتتبلور بينهما علاقة جديدة فيها نوع من الالفة • ويبدأ الاب باستشارته في شؤون الاسرة ، بل وقد يسلم اليه مقاليد الاسرة اذا كان قد تقدم به العمر • ولقد دهش ريج Rich منذ اكثر من قرن مضى مما يتمتع به الابناء الكبار من حرية ، وعلق على ذلك قائلا : (لقد دهشت

---

35. Bedr-Khan, Dr. Kamuran, Ali, "The Kurdish problem" J.R. C.A.S., 1949, P: 241, vol: XXXVI:

(×) كاظم حيدر – « الاكراد » – منشورات الفكر الحر بيروت ١٩٥٩

مما شاهدته من تمتع الابناء امام ابائهم بحرية غير مألوفة في الشرق ، فهم يدخنون غلايينهم بدون احتفال ، وقد كنت اتصور بناء على تجاربي مع الاتراك والعرب انهم لا يستطيعون حتى ان يجلسوا بحضور ابائهم)(٣٦) .

غير ان هذه الحرية لا تؤثر على احترام الابناء للاباء على وجه الخصوص وللاقرباء الكبار على وجه العموم كما سجل ذلك رحالة اخر معاصر لريج وكما هو الحال في الوقت الحاضر (٣٧) .

وقد يقوم الصراع بين الاب وابنائه الكبار حينما يرغب الابناء بالزواج وبتكوين اسرة مستقلة . ويميل الاب الى مقاومة هذا النوع من الاستقلال ، الا انه يستسلم في النهاية لرغبة الابن . ولن يؤدى تكوين الاسرة الجديدة في الغالب الى استقلال الابن اقتصاديا اذ يظل تحت السيطرة الاقتصادية لابيه حيث يعمل تحت امرته ويتلقى مقابل ذلك نفقات اسرته .

اما العلاقات بين الاخوان فيقررها العمر وان كانت الشخصية تلعب دورا هاما . ويهيمن على علاقة الاخ الصغير باخيه الكبير الاحترام والتقدير . وينبغي الا يدعو الاخ الصغير اخاه الكبير باسمه المجرد بل بلقب (كاكه) الذى ينم عن الاحترام .

اما العلاقات بين الاخوان والاخوات فيقررها العمر ايضا ، وان كان الاخوات عموما ادنى مرتبة من الاخوان . ومع ذلك ينبغي الا يدعو الاخ الصغير اخته الكبرى باسمها المجرد بل بلقب (باجي) او (دادا) تعبيرا عن الاحترام .

---

36. Rich, vol. 1, P. 91.

37. Fraiser, J. Baillie, "Travels in Kurdistan, Mesopotamia, etc." London 1840, PP. 116-17.

وتخضع البنت لسلطة الاب او الاخ الكبير كليا • ويتصرف الاب كوكيل مطلق لها في قضايا الزواج وينبغي ان تطلب يدها منه ، واذا لم يوافق على الزواج فانه لا يمكن ان يتم • لكن الفتاة تكون عمليا تحت سيطرة امها منذ طفولتها وتكون الروابط بينهما قوية عموما • وتنوب الام عن ابنتها امام الاب في القضايا الهامة •

اما العلاقة بين الاخوات فتميزها الصلات القوية والالفة اكثر من الصلات بين الاخوة • ومع ذلك فان الاخت الصغرى ينبغي ان تظهر الاحترام للاخت الكبرى وينبغي الا تدعوها باسمها بل بلقب (باجي) او (دادا) • وبالرغم من ان البنات يتمتعن بحرية نسبية وانهن قد يعملن في الحقل الا ان حركاتهن تتحدد ضمن منطقة البيت • ومن المهم جدا تجنب الحديث غير الضروري مع الرجال لا سيما حينما تصل الفتيات سن البلوغ •

وبالرغم من الرسميات التى تميز العلاقة بين افراد الاسرة الكردية ، الا ان الروابط القوية تشد بعضهم ببعض • وقد يحدث الخصام والنزاع بين اعضائها من حين الى اخر ، ومن اهم بواعث الخصام العامل الاقتصادى • ويحدث الخصام بين الزوج وزوجته بسبب عجزه عن تحقيق طلباتها • ولقد مارس المؤلف ذات مرة دور الوسيط بين زوجين حينما طلب اليه مضيفه التوسط لحل النزاع بينه وبين امرأته • وكانت الزوجة مصرة على شراء ثوب جديد مدعية بان ثوبها القديم قد بلى • اما زوجها فكان يزعم انه عاجز عن توفير ثمن الثوب قبل بيع الحاصل الصيفي • وكانت الزوجة مصرة على شراء الثوب في الحال نظرا لان الزوج كان قد اخلف وعده لها في السنة الماضية • وقد بلغ التوتر بينهما حدا رفضت فيه الزوجة القيام بواجباتها الزوجية • فراح الزوج يهددها بالزواج من امرأة جديدة • لكن الزوجة لم تكن تخشى تهديده لانها كانت تعلم علم اليقين بانه لا يمتلك مهر زوجة

جديدة • وعلى اية حال فقد بدا للمؤلف ان الخلاف يهدد حياتهما الزوجية تهديدا خطيرا •

وقد صور فلاح اخر اسباب الخلاف مع زوجته بعبارة قصيرة حيث تساءل قائلا : (كيف يمكننا ان نتجنب الخصام وزوجاتنا تستقبلنا عند عودتنا اخر النهار من الحقل ونحن متعبون بمطالب لا نستطيع تحقيقها لاننا معدمون ؟) •

وقد صور فلاح اخر للمؤلف اسباب الخلاف مع زوجته بعبارة قصيرة حيث الزواج او العمل او بسبب السلوك الذى لا يرضى عنه الاب • ولعل اشد المواقف اثارة للتوتر هو ذلك الذى ينجم عن رغبة الابن في الاستقلال ببيت جديد • وتسبق مثل هذه الرغبة عادة منازعات وخصومات مستمرة بين الام وزوجة الابن • ويستسلم الاب في النهاية لمثل هذه الرغبة بعد جدل وخصام ، وربما نتيجة لتوسط بعض الاقرباء والاصدقاء • ولكن اذا اصر الاب على رفض تلك الرغبة فقد يلجأ الابن الى النزوح عن القرية ، لانه سيظل معتمدا على الاب اقتصاديا ان بقي في القرية • ومثل هذه الحوادث تشجع على النزوح الى مناطق اخرى لا سيما الى المراكز المدنية •

الزواج

ان النمط العام للزواج الكردى هو وحدانية الزوجة **Monogamous** ولكن توجد في كل قرية تقريبا بضعة حالات من تعدد الزوجات **Polygamous** وبالرغم من ان الديانة الاسلامية لا تمنع تعدد الزوجات ، وبالرغم من ان الرجل الكردى ولوع بالنساء ، الا ان تعدد الزوجات يقتصر على الاغوات والرؤساء والاغنياء فقط • ولم يكن المؤلف يصادف اثناء اجراء تحقيقاته سوى رجل او رجلين في كل قرية يعيلان اكثر من زوجة واحدة • وبما

ان تعدد الزوجات يرتبط عموما بمكانة خاصة وبما انه حكر لمجموعة صغيرة، فان من الممكن القول بان وحدانية الزوجة هو النموذج الحضارى السائد في المجتمعات الكردية (٣٨) .

ولقد شجعت وحدانية الزوجة عوامل متعددة ، الا انها تتصل جميعا بالعامل الاقتصادى • واهم تلك العوامل عجز الفلاح اقتصاديا وغلاء مهور النساء • ويمكن القول ان مهر الزوجة هو العقبة الرئيسية تجاه تعدد الزوجات ، ومن الصعب على الفلاح ان يجمع المبلغ الذى يقتضيه المهر • هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فبالرغم من ان الاسرة الكردية ليست كبيرة عموما فان اعضاءها لا يقلون في العادة عن خمسة اشخاص • ويتضاعف هذا العدد في حالة الرجل الذى يعيل زوجتين مثلا ، بينما يحافظ دخله على نفس المستوى • لذلك يصبح من المتعذر على مثل هذا الرجل ان يواجه مصاريف العائلة المتضخمة •

وهناك ثلاثة انماط من الزواج الكردى ، وهى الزواج بالاقرباء (ولا سيما الزواج بابنة العم) والزواج بالمبادلة (ژن بەژن) ، والزواج بين الغرباء •

فالنمط الاول من الزواج ، وهو الزواج بالاقرباء ، هو اكثر انواع الزواج شيوعا في المجتمعات الكردية العشائرية منها واللاعشائرية (وان كان اكثر شيوعا في المجتمعات العشائرية) • وتشجعه عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية • فمن الناحية السياسية يقوى اب العروس مركزه في مجتمع القرية باكتساب ولاء ابن اخيه واقربائه • ومن الناحية الاقتصادية يقوى هذا الزواج الروابط الاقتصادية بين اب العروس واب العريس • فما دام معظم الاخوة يشتركون في قطعة ارض واحدة فان الزواج الذى يربط ابنة احدهما

38. Murdoch, P. 28.

بابن الاخر سيزيد من تعاونهما الاقتصادى • اما المزايا الاجتماعية لهذا الزواج فتتمثل باطمئنان الاب على مستقبل ابنته ، فهو يعرف كل شيء مقدما عن ابن اخيه • وبالمثل فانه يستطيع حماية مصالح ابنته عن طريق ممارسة سلطته على زوجها باعتباره عمه • ثم ان اعتراف اب العروس يحق ابن العم فى الزواج من ابنة عمه اقرار منه بالتقاليد والاعراف التى يؤيدها مجتمع القرية، وقد يؤدى انكارها الى نقد شديد من قبل افراد هذا المجتمع • واخيرا فان انكار هذا الحق قد يعني فتح الباب امام مشاكل لا حدود لها • اذ قد يزج بأب العروس وابن اخيه في مشاكل متصلة مثل الشجار وحرق المحاصيل واغتصاب الحيوانات ، بل وحتى القتل في بعض الاحيان • ويؤثر مثل هذا التنافس الحاد على مستقبل الفتاة تأثيرا سيئا فلا يغامر احد بطلب يدها • ويمثل الزواج من الاقرباء خسارة اقتصادية لاب العروس ، اذ انه قد يفقد جزءا من مهرها بل واحيانا كل مهرها ، لكنه يؤدى الى اقامة ابوية مؤكدة Patrilocal •

اما الزواج بالتبادل (ژن بەژن) فهو شائع بنفس درجة شيوع الزواج بابنة العم(×)• والواقع انه الحل الوحيد الممكن لمشكلة المهر ، عدا الزواج ببنات العم ، على ضوء الحالة الاقتصادية المتدهورة للقروي الكردي • ويلغي هذا النمط المهر بصورة نهائية ولا تشمل نفقات الزواج سوى حفلة الزواج•

ويشمل الزواج بالتبادل بشكل رئيسى تبادل الاخوات لكنه قد يشمل ايضا تبادل ارملة من قبل ابنها مقابل ابنة رجل اخر ، الا ان هذا النوع نادر الحدوث • واذا كانت الفتاة ذات جمال خاص ، او ان الخاطب يرغب في

(×) من الملاحظ ان هذا النمط من الزواج هو اكثر انماط الزواج شيوعا في الريف العربي أيضا ، وقواعده مماثلة تماما للقواعد المألوفة لدى الاكراد ويسمى (كصة بكصة) •

الزواج منها رغبة خاصة ، فقد يقدم مقابلها امرأتين ، يتزوج احداها الشخص المعني ، وتصبح الثانية تحت وصايته أي انه يكون مسؤولا عن زواجها وهو الذي يتلقى مهرها •. لكن هذه الحالة نادرة جدا في المجتمعات الكردية ، والحل المناسب في العادة هو دفع مبلغ من المال بالاضافة الى المرأة ، او تحمل نفقات الزواجين •

وللزواج بالتبادل عيوب خطيرة ، بالاضافة الى الغائه حق المرأة في اختيار الزوج الغاءا نهائيا ، ولعل ابرزها مسألة المعاملة بالمثل بالنسبة للمرأتين• ومثال ذلك انه اذا تعرضت احدى المرأتين الى الاهانة او الضرب او حتى الطلاق ، فلابد ان يكون نصيب الاخرى نفس العقوبة وان لم يبدر منها ما يدعو لذلك ، بل وحتى لو كان زوجها على اتم وفاق معها •

اما النمط الثالث من الزواج ، وهو الزواج بغير الاقرباء ، فهو اقل الانواع شيوعا في المجتمعات الكردية • ففضلا عن عيوبه الاجتماعية والسياسية من وجهة نظر اب العروس ، فانه في العادة يتطلب مهرا عاليا • ولعل مزاياه الوحيدة من وجهة نظر اب العروس هو ما ينطويه على فوائد اقتصادية • وهذا النموذج اكثر شيوعا في المجتمعات غير القبلية •

وفي جميع انماط الزواج يحدد المهر (الشيرباى) أب العروس • وينبغي ان يدفع المهر مقدما من قبل الخاطب او ابيه ، وهو قد يكون نقدا او اسلحة او حيوانات • ولا تقبل المحاصيل الا في النادر • وفي حالة الاشخاص المحتاجين فقد يتفق الخاطب مع والد الزوجة على العمل لحسابه فترة معينة من السنين بدلا من دفع (الشيرباى) حيث تصبح الاقامة في هذه الحالة أمية Matrilocal ، غير ان مثل هذه الحالة ليست شائعة ، اذ تعتبر اقامة الزوج مع اهل زوجته مجلبة للانتقاد بل وحتى الاحتقار • ويذهب

جميع المهر الى اب العروس او الى أى وصي عليها ، غير ان وصي العروس ينفق عادة جزءا منه على شراء (جهاز) للعروس يشتمل على فراش وصندوق خشبي للملابس وبعض الادوات البيتية •

وفي بعض الاحيان يتم الزواج ضد رغبة اب العروس مما يؤدى الى خطف العروس • وبالرغم من ان الخطف يعتبر عارا ، الا انه ليس نادرا • اذ يتفق الشاب وفتاته سرا على الزواج ، ثم يفران من قريتهما الى اقرب قرية يمكن ان ينالا الحماية من رئيسها • واذا ما قبض عليهما قبل حصولهما على الحماية فقد يقتلان في الحال ، ولا يحق لاقرباء الشاب ان يطالبوا بتعويض (فصل) • واذا نالا الحماية المنشودة تولى حاميهما مسؤولية مفاوضة اسرة الفتاة لدفع التعويض المطلوب ، ثم يعلن زواج الشابين رسميا • وتعتبر بعض العوائل الخطف عارا لا يمكن محوه الا بالموت ، وفي هذه الحالة يضطر الزوجان الى النزوح عن المنطقة هربا من الموت •

اما الزنا فهو نادر للغاية في المجتمعات الريفية الكردية ، وعقابه الوحيد هو الموت للزانية وعشيقها • واذا كان الزوج قريبا للزوجة تولى بنفسه قتلها ، واذا كان غريبا تولت اسرتها مسؤولية عقابها •

ويعتبر الطلاق معيبا للغاية ، لذلك فهو قليل الحدوث • واذا ما تقرر فمن السهل ترتيبه • ويمكن للرجل ان يكرر امام زوجته ثلاث مرات عبارة (انت طالق) ، وحينئذ تعتبر مطلقة ، غير ان من الضرورى استشارة الملا في ذلك • ويصبح الزوج مسؤولا عن اعالة زوجته المطلقة لثلاثة اشهر خوفا من احتمالات الحمل ، ثم تصبح الزوجة حرة تماما • وتحصل الزوجة عند طلاقها على مؤخر صداقها •

اما افضل عمر للزواج في الريف الكردى فهو فيما بين ١٤-١٧ سنة للفتاة ، وفيما بين ٢٠-٢٥ للرجل • ويمكن ان يتفق ابوا الفتى والفتاة على

الخطبة منذ الطفولة • لكن مثل هذا الارتباط يمكن ان يفك فيما بعد ، وقد يقتضي فكه دفع مبلغ من المال الى اب العروس او الى خطيبها •

ان اختيار العروس هو من مسؤولية الاب ، غير ان من الضرورى تحقيق رغبة الابن اذا ما احب فتاة معينة • والحب بين الفتيان والفتيات امر مألوف ، اذ تسمح الحرية النسبية التى تتمتع بها المرأة الكردية الريفية بوقوع مثل تلك الحوادث • ومن الضرورى توفر صفات طيبة معينة في الفتاة كسمعة عائلتها وسلوكها الشخصى وجمالها • ويأتي الجمال في اهميته بعد القوة الطبيعية بالنسبة للعشائر الرعوية اذ ان المرأة تساهم بأكبر نصيب من الفعاليات الاقتصادية • لكن جمال المرأة يحقق مهرا مرتفعا على اية حال •

واذا ما تم اختيار الفتاة اعقب ذلك خطوات معينة • وتبدأ الخطوات بزيارة الام أو احدى قريبات الرجل الى بيت الفتاة المختارة لاكتشاف موقف عائلتها ، ولا سيما موقف والدها • (وقد تسبق هذه الخطوة في بعض القرى الكردية اتصال احدى قريبات الخاطب بالفتاة سرا لاستطلاع رأيها في الموضوع فأذا رفضت الغيت الفكرة) • فاذا كانت نتائج الزيارة ايجابية ، قام وفد من شخصيات القرية بزيارة والد الفتاة وطلب يد ابنته رسميا • وتكتسب مكانة اعضاء هذا الوفد اهمية خاصة • ويتظاهر الاب في بعض الحالات بالتردد في الموافقة ويفضل ان يزوره اكثر من وفد واحد • وقبل ان يعطي القرار النهائي لابد له ان يستشير اقرباءها المقربين كأعمامها واخوالها • ويتفق اب العروس مع الوفد الزائر على مقدار المهر ، وقد يتطلب الامر شيئاً من المناورة والديبلوماسية ، ثم يعين موعد الزواج • ويقبّل احد اعضاء الوفد يد الاب اعلانا عن الموافقة النهائية ، ثم يوزع الشربت على الزوار ، واذا كان الملا حاضرا قرأ سورة الفاتحة • ثم يسجل الزواج رسميا فيما بعد امام المحاكم المدنية •

اما الخطوة التالية فتشمل شراء الملابس الضرورية والحلي وارسالها الى بيت العروس وتذكيرهم بموعد الزواج ، ويفضل ان يكون يوم الاحد أو الخميس •

وترسل مجموعة من النساء ليلة الدخلة لاحضار العروس • وترافق العروس امرأتان متقدمتان في السن وتحيط بهن كوكبة من النساء • وتقطع العروس الطريق الى بيت العريس مشياً على الاقدام ، وقد تمتطي احيانا صهوة جواد • وينتظر اقرباء العريس واصدقائه في بيته ، ويحدث استقبال حار يطلق فيه الرصاص اعلاناً عن فرحة الحاضرين • ويصبح هذا الاستقبال أكثر بهجة وحيوية اذا كانت العروس من قرية اخرى ، حيث يركب الخيالة الى قرية العروس ويحضرونها على صهوة جواد وهم يطلقون الرصاص طول الطريق • ويختفي في ليلة الدخلة اب العروس واخوانها ، ويقصدون في العادة الى قرية اخرى • اما الخاطب فيختفي في مكان حتى يحين الوقت المناسب ليلقى عروسته ، وقد يواجهها لاول مرة بضربة على رأسها او لطمة على خدها لتتعلم كيف تحترمه وتخشاه منذ الليلة الاولى •

وتدوم حفلة الزواج ثلاثة ايام تعزف الموسيقى اثناءها طول الوقت ، كما تعقد حلقات الرقص في القرية ، ويقدم الطعام الى الزوار الذين يتقاطرون حاملين هداياهم • ويدفع العريس في العادة نفقات الاحتفال بكليتها ، غير ان مجتمع القرية قد يساهم في بعض القرى في النفقات • وبعد مضى اسبوع تزور العروس عائلتها وتمكث بضعة ايام بينها ، وفي مقابل ذلك يقدم اليها هدايا من الحيوانات •

العائلة كوحدة اقتصادية

تمثل العائلة الكردية وحدة اقتصادية متكاملة • ويساهم كل فرد فيها في الاعمال الزراعية حسب جنسه وعمره ومقدرته • ويسود تقسيم العمل

ضمن العائلة ، فتختص المرأة بالاعمال المنزلية والعناية بالحيـوانات وببعض الاعمال الزراعية ، بينما يتولى الرجل مسؤولية الاعمال الزراعية المرهقـة او التي تتطلب براعة فنية خاصة • ويتم تقسيم العمل بين افراد العائلـة على النحـو التالي •.

الاعمال الزراعية :

يختص الرجل بثلاث عمليات زراعية نظرا لما تتطلبه من مشقة وبراعـة فنية ، وهي الحراثة والري والحصاد • فالحراثة عمل مرهق ولا تسـاهم فيه المرأة بأى حال من الاحوال • ويتطلب الرى كذلك براعة خاصـة في حفر السواقي وكريها (تنظيفها) وتوزيع المياه على الحقول • اما عمليـة الحصاد فتساهم فيها المرأة في حالات قليلة بالرغـم من انها من اختصاص الرجل •

ويتولى عملية الشتل الرجل والمرأة على السواء ، وان كان الرجـل المسؤول الاول عنها • وتصبح مساهمة المرأة في هذه العملية مهمة وضرورية في حالة التبغ ، وهو المحصول الرئيسي في اللواء •

والدياسة هي من مسؤولية الرجل بالدرجة الاولى ، غير ان المـرأة قد تساهم فيها ايضا ، فقد تتولى المرأة سوق الحيوانات فوق اكـوام السنابل ، كما قد يتولى الاطفال قيادة الدواسة الكردية بارشاد الرجال •

ويختص الرجل بعملية التذرية ، ولا تساهم فيها المرأة ما لم تدعـو الحاجة لذلك •. اما نقل الحاصلات من الحقل الى الارض المجاورة فهو من صميم مسؤولية المرأة • والواقع ان هذه العملية ، وعملية اقتلاع الحشـائش الضارة من الحقل ، هي أهم الاعمال الزراعية التي تساهم فيها المرأة •وتساهم المرأة أيضا في قطف اوراق التبغ وفي لظمها وتجفيفها •

الاعمال البيتية :

يقتصر العمل البيتي على المرأة • ويشمل الطبخ وغسل الملابس وتنظيف المنزل واحضار الماء من نبع القرية والعناية بالاطفال •

وتشمل الاعمال البيتية ايضا العناية بالحيوانات وتنظيفها وحلبهاوتقديم العلف لها ، كما يشمل ايضا العناية بحظائرها •

كذلك تشمل الاعمال البيتية ايضا بعض الصناعات التي تؤديها المرأة في وقت فراغها ، كصناعة السجاد وبعض الالبسة الداخلية وصناعة الجبغ وصناعة الفخار • كما تشمل الصناعات البيتية ايضا صناعة الجبنة والزبدة واللبن الحامض واللبن المختر • والمرأة هي المسؤولة الوحيدة عن الاعمال البيتية بمختلف انواعها •

جمع الوقود والعلف :

يشتمل الوقود الكردي على الاحطاب وفضلات الحيوانات • وتتولى المرأة جمع الاحطاب من الغابات او الاحراش المجاورة ويساعدها الاطفال في ذلك • اما فضلات الحيوانات فتتولى الفتيات جمعها واعدادها •

ويشمل العلف الشتوي على اوراق البلوط واوراق الاشجار الاخرى التي يتولى جمعها جميع اعضاء الاسرة لتخزن لفصل الشتاء •

اعمال البناء :

يتولى بناء البيوت الكردية القروية اصحابها يساعدهم في ذلك اقرباؤهم الاقربون • ويساهم في هذه العملية جميع افراد العائلة ، حتى الاطفال الصغار • ولابد من ملاحظة السقوف واصلاحها باستمرار ، لاسيما في فصل الشتاء ، ويستخدم لاصلاحها دحروجة اسطوانية صخرية يديرها الرجل • وتطلى جدران الغرف بالطين من الداخل بين فترة واخرى ، وتتولى المرأة هذه العملية •

ويعتبر الاب رئيس وموجه الوحدة العائلية الاقتصادية ، وهو المسيطر الوحيد على فعالياتها ونشاطاتها ، كما انه يتولى ادارة دخل الاسرة مما يجعل كل فرد فيها يعتمد عليه اعتمادا مباشرا •

مستوى المعيشـــة

ان مستوى معيشة العائلة الكردية منخفض للغاية اذا قيس بأى مستوى معقول • وكما اشارت الدكتورة وارنر Warrinor بان هذا المستوى لا يمكن مقارنته بأى مستوى معروف في المجتمعات الاوربية(٣٩)• ويعزى هذا المستوى المنخفض الى الدخل الواطىء للسكان الريفيين • ولا تتوفر في الوقت الحاضر اية احصاءات معتمدة يمكن ان نحدد على ضوئها دخل الســـكان الريفيين في لواء السليمانية أو في اى لواء آخر على وجه الخصوص ، غير ان بعض الدراسات توصلت الى تخمينات عامة(× ×)• فقد ذكر الدكتور ثامر مثـلا : (ان المعدل العام للدخل القومي يتراوح فيما بين ٢٠-٣٠ دينارا(×) • وقد اتفق الكتاب على ان الغالبية الساحقة من السكان يتمتعون في الواقع بدخل فردي اوطأ من معدل الدخل القومي المقدر ، عدا مجموعة صغيرة ذات دخـــل متوسط ، وان هناك ايضا مجموعة صغيرة من الاغنياء تتمتع بدخـــل فردي

---

39. Warrinor, Doreen, "Land and poverty in the Middle East", London 1948, P. 1.

(×) يشمل هذا التقدير اوائل الخمسينات •

(× ×) لقد اورد الدكتور خزعل البيرماني نتائج الدراسات المختلفة التي قام بها الخبراء للدخل القومي في العراق • وقد ذكر ان الدكتور فنلـــون Fenelon قد قدر متوسط دخل الفرد العراقي بما يعادل ٥٣ دينارا لعـام ١٩٥٦ (ص ٩٣) ، وان الدكتور حسيب قد قدر دخل الفرد الواحد بحوالي ٧١ دينارا لعـــام ١٩٦١ (ص ١١١) ، وان الخبـــير السوفياتي مانياكين Maniakin قد قدر متوسط الدخل للفرد الواحد بحوالي ٦٤ دينـــارا لعام ١٩٦٠ (ص ١٢٥) •

(الدكتور خزعل البيرماني ـ الدخل القومي والاستخدام ـ بغداد ١٩٦٨)•

اعلا من الدخل القومي بكثير)(٤٠) .

وحاول الدكتور ثامر أن يضع تقديرا لدخل فلاح عربي على النحو التالي :

(واذا ما اردنا ان نأخذ فكرة عن دخل الفلاح وموضعه بالنسبة للدخل القومي المخمن فلابد لنا ان نتذكر الحقائق عن الفلاح المفترض . فنصيبه من الحاصل الشتوي يبلغ حوالي ٣ اطنان ويدفع له بالطن الواحد بالسعر المحلي حوالي ١٠ دنانير . وهكذا تبلغ قيمة نصيبه من الحاصل الشتوي ٣٠ دينارا . واذا ما اضفنا الى ذلك المبلغ حوالي ١٠ دنانير نصيبه من الحاصل الصيفي ، فسيرتفع دخله الى ٤٠ دينارا . ولابد ان نضيف الى هذا المقدار ايضا فيما بين ١٠ـ٢٠ دينارا التي يربحها من مصادر اخرى . وهكذا يمكن ان يبلغ مجموع دخله السنوي ما بين ٥٠ـ٦٠ دينارا . واذا ما قسمنا هذا الدخل على عدد افراد اسرته البالغ ٥ أو ٦ اشخاص ، كان نصيب الفردالواحد من الدخل حوالي ١٠ـ١٢ دينارا في العام ، وذلك حسب تقديرات عام ١٩٥٠ـ١٩٥١ . وهذا الرقم يبلغ حوالي نصف الرقم الذي قدر للدخل القومي للفرد الواحد لنفس السنة ، والذي يتراوح فيما بين ٢٠ ـ ٣٠ دينارا)(٤١) .

ولابد لنا ان نؤكد هنا بأن دخل الفلاح الكردي في لواء السليمانية على الخصوص وبقية انحاء كردستان على العموم هو اعلى قليلا من دخل الفلاح

40. Thamir, Dr. Hassan, "Agricultural policy in Iraq, a study of the prevailing conditions and problems with emphasis on land credit and cooperative problems" A thesis of Ph.D. submitted to the University of California in 1954, P. 67.

(٤١) المصدر السابق ، ص ٨٨ـ٨٩

العربي في وسط وجنوب العراق نتيجة لنمط الملكية الزراعية في كلا المنطقتين. وعلى اية حال فان باستطاعتنا ان نخمن موارد دخل الفلاح الكردي المفترض في لواء السليمانية على النحو التالي :

المحاصيل الصيفية	المحاصيل الشتوية	الحيوانات
١٠٠٠ كغم حنطة	٤٠٠ كغم تبغ	**٧ ماعز**
١٥٠٠ كغم شعير		**٥ غنم**
		١ ثـور
		١ بقرة
		١ حمار
		١ بغل

اما مصاريفه السنوية (والتى تغطي نفقات عائلة تتألف من خمسة افراد) فتتمثل في النفقات التالية :

الطعام

تشتمل الوجبة الكردية على الخبز والشاى واللبن الحامض او المخثر وشوربة عدس ، واحيانا الرز ، واحيانا نادرة اللحوم . ويمكن تخمين نفقاته على الغذاء كما يلي :

المـادة	الكميـة
الشاى	٥٤ كغم
السكر	**٣١٢ كغم**
الرز	٤٨ كغم
اللحم	١٠ كغم

اما الخبز فيصنع من الحبوب التى ينتجها محليا ، كما ويصنع اللبن بانواعه من حيواناته الخاصة . وهكذا يمكن ان نخمن نفقاته الاجمالية

على الغذاء (عدا الحبوب والالبان) بحوالى ٤٥ دينارا حسب الاسعار المحلية لعام ١٩٥٥ .

الملابس

تتألف الملابس الكردية للرجال والنساء من اجزاء عديدة سبق ان اوضحناها ومن المتعذر تخمين تكاليفها العامة ، غير ان في الاستطاعة القول انها لا تزيد على خمسة دنانير . اما ملابس الابناء فقد لا تزيد تكاليفها على نصف هذا المبلغ . وهكذا يمكن تقدير التكاليف الاجمالية لملابس افراد الاسرة بحوالي ستة عشر دينارا .

نفقات عامة

ولابد من اضافة نفقات اخرى الى النفقات الاساسية المذكورة ، وتشمل شراء اوراق السجاير والثقاب والصابون والدهن (وتقدر تكاليفها السنوية بحوالى ٦ دنانير حسب الاسعار المحلية لعام ١٩٥٥) ، كما لابد من اضافة مبلغ للنفقات العامة التى تخص البيوت والحقل والحبوب والسماد والالات ، عدا مصروف الجيب لافراد الاسرة .

وهكذا يتبين ان دخل الفلاح الكردى عاجز عن اللحاق بمصروفاته او التوازن معها ، مما يجعله اسير ديونه الدائمة للمالك او التاجر او صاحب الدكان . ولعل ابرز دليل على انخفاض مستوى حياته ارتفاع نفقاته على الطعام بالمقارنة مع نفقاته على الامور الاخرى . ومن المعلوم انه كلما عظم الجزء الذى ينفق من دخل العائلة على الطعام كلما دل ذلك على انخفاض مستواها العام .

ولكي نكمل رسم الصورة الواضحة لمستوى حياة العائلة الريفية الكردية فلابد لنا من ان نستعرض وضعها الصحي والثقافي والاجتماعي بشكل عام .

وقد سبق ان اوضحنا بان الخدمات الصحية في لواء السليمانية هي ادنى من المستوى اللائق بكثير • فقد رأينا ان الخدمات المتوفرة لعدد من السكان يبلغ ٢٢٦٤٠٠ نسمة هو حوالى ٤ مستشفيات و ٢٢ مستوصفا و ٤ عيادات خارجية وصيدليتين و ١٠ اطباء (×) • وتتركز هذه الخدمات بشكل رئيسي في المدن الكبرى • ولذلك تنتشر الامراض في اللواء انتشارا واسعا ، ولا سيما الملاريا وذات الجنب والتراخوما وفقر الدم •

وتكاد مشاريع الكهرباء والمياه النقية تنعدم في القرية الكردية ، عدا المراكز المدنية الرئيسية • وتعتمد القرية الكردية بصورة عامة على مياه (العين) ، وهي نبع يتدفق من باطن الارض ، ويجرى مسافة طويلة تحت الارض او فوقها قبل ان يصل الى القرية • وما دام هذا المجرى مكشوفا ، كما يحدث في غالب الاحيان ، فلابد له من ان يتلوث • هذا فضلا عن ان مياه بعض الينابيع غير صحية لارتفاع نسبة الاملاح فيها • ويستخدم الينبوع في العادة للاستحمام ولغسل الملابس والاواني ولاستقاء مياه الشرب • وهناك بعض القرى لا تملك ينبوعا بل تقصد الى قرية قريبة منها لنقل الماء • وتتولى النساء حمل قرب الماء على اكتافهن لمسافات طويلة •

اما الخدمات التعليمية في اللواء فهي قاصرة جدا ، مما ادى الى ارتفاع نسبة الامية ارتفاعا عظيما • وقد لاحظ المؤلف ان عدد المتعلمين في كل قرية من قرى اللواء لم يكن يزيد على عدد اصابع اليد • وفي بعض القرى لم يكن هناك من يحسن القراءة والكتابة سوى الملا • ويمكن القول ان عدد الاميين في اللواء اعلى مما هو في معظم الالوية الاخرى كما يتضح

(×) بلغ عدد المستشفيات في لواء السليمانية حسب احصاء عام ١٩٦٨ خمسة مستشفيات ، وتشتمل على ٤٦٥ سريرا ، كما بلغ مجموع ذوي ذوي المهن الطبية ٥١ شخصا •

من الجدول التالي(×) :

جدول رقم ٥١(٤٢)

المتعلمون والاميون حسب الالوية (لعام ٥٣ـ١٩٥٤)

اللـواء	المتعلمـون			الاميـون			المجموع الكلي
	رجال	نساء	المجموع	رجال	نساء	المجموع	
السليمانية	٩٠٨٥	١٢١٩	١٠٣٠٤	٧٣٠٤٨	١٠١٨٨٦	١٧٤٩٣٤	٢٢٦٤٠٠
بغـداد	١٠٨٩٥٧	٤٠٥٨٩	١٤٩٥٤٦	٢٢٨٨٢٧	٢٩٨٨٤٣	٥٥٧٦٧٠	٨١٧٢٠٥
البصرة	٣٢٣١٦	٧٦٩١	٤٠٠٠٧	١٢١٣٦٥	١٤٨٤٤٠	٢٦٩٧٩٦	٣٦٨٧٩٩
الموصل	٣٦٠٢٤	١٢٨٠٢	٤٨٨٢٦	١٦٢٩٧٨	٢١٢٠٨٦	٣٧٥٠٦٤	٥٩٥١٩٠
العمارة	١٣٠١٣	٢٥٩٣	١٥٦٠٦	٩٤٩١٠	١٣٥٤٦٥	٢٣٠٣٧٥	٣٠٧٠٢١
كربلاء	١٧٠٨٦	٤٢٩٨	٢١٣٨٤	٤٠٢٤٤	٦٢٩٢٩	١٠٣١٧٣	٢٧٤٢٦٤

42. Statistical abstracts 1954, P. 8, table 5.

(×) لقـد بلغ عدد المدارس الابتدائية في لواء السليمانية لعـام ٦٨/١٩٦٩ حوالي ٢٤٨ مدرسة ، ١٤٢ مدرسة للذكور و ٥١ للاناث و ٥٥ مختلطة ، كما بلغ عدد تلامذتها ٣٣١٢٣ تلميذا منهم ٢٤٤٦٦ تلميذا و ٨٦٥٧ تلميذة ، كما بلغ عدد المدارس الثانوية ٢١ مدرسة ، ١٠ منها للذكور و ٥ للاناث و ٦ مختلطة وبلغ عدد تلامذتها ٥٧٨١ تلميذا منهم ٤٢٧٦ تلميـذا و ١٥٠٥ تلميذة .

(المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ ص ٤٠٥ـ٤١٣) .

« تابع »

اللواء	المتعلمون			الاميون			المجموع الكلي
	رجال	نساء	المجموع	رجال	نساء	المجموع	
الدليم	١٤١١٠	١٨١٦	١٥٩٢٦	٥٢٩٦٤	٦٥٤٧٤	١١٨٤٣٨	١٩٢٩٨٣
كركوك	١٧١٤٢	٣٣٩٢	٢٠٥٣٤	٨٨٧٣٣	١٢٦٢٤٧	٢١٤٩٨٠	٢٨٦٠٠٥
المنتفك	١١١١٢	١٣٨	١٢٤٦٠	٩٤٧٧٥	١٦٩١٦٤	٢٦٣٩٣٩	٣٧١٨٦٧
الحلة	١٤٩١٠	٢٢٠٧	١٧١١٧	٨٣٥٠٢	١٠٩١٨٦	١٩٢٦٨٨	٢٦١٢٠٦
الديوانية	١٤٢٩٦	١٤٣١	١٥٧٢٣	١١٣٧٠٠	١٧٨٨٢٤	٢٩٢٥٢٤	٣٧٨١١٨
ديالى	١٨٢٢٣	٢٢٩٧	٢٠٥٢٠	٨٩٣١١	١١١٧٠١	٢٠١٠١٢	٢٧٢٤١٣
اربيل	٤٨٠١	١٠٠٩	٩٤١٠	٧٨٢٦٣	١٠٧٩٤٠	١٨٦٢٠٣	٢٣٩٧٧٦
المجموع	٣٣٣٤٤٦	٨٤١١٢	٤١٧٥٥٨	١٣٩٤٨٤٢	١٩٢٤٦٢٧	٣٣١٩٤٩٦	٤٨١٦١٨٥

ملاحظة ١ : استبعد من الجدول الاشخاص الذين تقل اعمارهم عن خمس سنوات •

ملاحظة ٢ : استبعدت العشائر الرحالة •

وتعزى نسبة المتعلمين المنخفضة في اللواء الى الخدمات التعليمية المحدودة.
والواقع ان نصيب اللواء من المدارس اقل من نصيب معظم الالوية الاخرى كما يوضحه الجدول التالى (×) :

الجــدول رقم ٥٢(٤٣)

عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية حسب الالوية (لعام ٥٣-١٩٥٤)

اللــواء	المدارس الابتدائية				المدارس الثانوية والمتوسطة		
	الاولاد	البنات	الاطفال	المجموع	الاولاد	البنات	المجموع
السليمانية	٥٧	٩	١	٦٧	٣	١	٤
بغـداد	١٧٠	٨٢	٤٧	٢٩٩	٢٢	١٤	٣٦
البصرة	٨١	١٧	٨	١٠٦	٧	٣	١٠
الموصل	١٥٤	٢٩	١٦	١٩٩	٩	٤	١٣
العمارة	٥٨	١٦	١	٧٥	٦	١	٧
كربلاء	٤٠	٩	٢	٥١	٥	٣	٨
الدليـم	٦٤	١١	٤	٧٩	٦	٢	٨
كركوك	٧١	١٣	١١	٩٥	٦	٢	٨
المنتفك	٦٥	٧	١	٧٣	٥	٢	٧
الحـلة	٦٥	٩	٦	٨٠	٥	١	٦
الكوت	٥٥	١٥	١	٧١	٥	١	٦
الديوانية	٧٤	١٣	-	٨٧	٥	٢	٧
ديـالى	٨١	١٨	٢	١٠١	٥	٤	٩
اربيل	٥٩	٨	١	٦٨	٣	١	٤
المجموع	١٠٩٤	٢٥٦	١٠١	١٤٥١	٩٠	٤٢	١٣٤

43. Copiled from table 75 (P.58) and table 78 (P.59), statistical abstracts.

(×) لقد اوردت الاحصائيات الحديثة المعلومات التالية عن عـــددالمدارس في الالوية المختلفة : - =

عدد المدارس الرسمية والاهلية حسب الالوية لعام ٦٨ـ١٩٦٩

المحافظة	المدارس الابتدائية: الذكور	الاناث	المختلطة	المجموع	المدارس المتوسطة والثانوية: الذكور	الاناث	المختلطة	المجموع
بغداد	٦٣٣	١٤٨	٤٥٨	١٢٣٩	١٥٥	١١٤	١٦	٢٨٥
نينوى	٣١٠	٧٦	٢٣٧	٦٢٨	٣٣	١٩	١٧	٦٩
اربيل	١٨١	٣٣	٧٠	٢٨٤	١٣	٧	١٠	٣٠
كركوك	٢٣٩	٧٦	٢٦	٣٤١	١٩	١٠	١٠	٣٩
السليمانية	١٤٢	٥١	٥٥	٢٤٨	١٠	٥	٦	٢١
ديالى	١٧٤	٥٤	١٣١	٣٥٩	٢٧	١٤	١٥	٥٦
الانبار	١٥٥	٣٦	٥٣	٢٤٤	٢٥	٧	٨	٤٠
واسط	١٩٢	٤٧	٢	٢٤١	١٧	٩	٧	٣٣
بابل	١١٢	٥٤	١١٢	٢٧٨	٢١	١٢	١٤	٤٧
كربلاء	١٠١	٥٤	٢٩	١٨٤	٣٢	١١	—	٤٣
القادسية	١٢٣	٤٤	١٠٩	٢٧٦	١٩	١١	١٤	٤٤
ذي قار	٧٨	٢٨	١٣٤	٢٤٠	١٠	٦	١٣	٢٩
ميسان	٨٥	١٩	١٢١	٢٢٥	٦	٧	١٢	٢٥
البصرة	١٤٨	٥٩	١٤٨	٣٥٥	٥٢	١٨	٩	٧٩
المجموع	٢٦٧٣	٧٧٩	١٦٨٥	٥١٣٧	٤٣٩	٢٥٠	١٥١	٨٤٠

المصدر : المجموعة الاحصائية السنوية لعام ١٩٦٩ جـدول رقم ٢٤٣ ص ٤٠٣ وجدول ٢٥٠ ص ٤١٠

وفضلا عن ذلك فان هذا العدد القليل من المدارس ليس موزعا على اللواء بل مركزا في الغالب في المدن الكبرى وفي مناطق معينة ، بينما قد تحرم مناطق بأكملها من الخدمات التعليمية . وكانت القاعدة المتبعة لانشاء مدرسة في القرية هي ضرورة اشتمالها على ما لا يقل عن ٥٠ بيتاً ، وعلى ابناء القرية ان يهيئوا البناية اللازمة . غير ان هناك عددا غير قليل من القرى التي تتجاوز بيوتها الخمسين بل ربما المائة ، ومع ذلك فلا تحظى بمدرسة . وتحتوي مدرسة القرية على صفين او ثلاثة صفوف في افضل الاحوال وعلى معلمين أو ثلاثة .

ان ارتفاع نسبة الامية في الريف الكردي لا يعود الى النقص في المدارس فحسب ، فالعامل الاقتصادي يتحمل مسؤولية كبيرة في حرمان عدد كبير من الاولاد من التعلم . وقد سبق ان ذكرنا بان كل فرد في الاسرة يساهم في النشاط الزراعي ، من الطفل الصغير الى الرجل الكبير . فاذا ارسل الفلاح ابناءه الى المدرسة افتقد ايد عاملة هو في امس الحاجة اليها .

وهناك عامل ثانوي آخر يعرقل التعليم الريفي وهم المعلمون انفسهم . فهؤلاء يحضرون في الغالب من المدن الكبيرة حيث يتمتعون بمباهج وتسهيلات حياة المدينة ، الى القرية الكئيبة ذات الحياة المملة من دون ان توفر لهم ابسط ضرورات الراحة ومن دون ان يمنحوا اية امتيازات مشجعة . وهذه الحياة الجديدة تقودهم في العادة الى احد طريقين ، اما اهمال واجباتهم كلياً وعدم العناية بالتلاميذ ، او السقوط في سلوك معيب يرفضه مجتمع القرية . ويؤدي بهم سلوكهم الى فقدان ثقة القرويين وسوء ظنهم بجدوى التعليم .

اما وسائل التسلية في القرية فتكاد تكون معدومة . فليس هناك اية وسائل للتسلية تتولاها الدولة او الافراد . لذلك يحاول القرويون ، لاسيما الشباب منهم ، انتهاز اية فرصة لزيارة المدينة ، واشد المدن جاذبية في نظرهم السليمانية وحلبجة حيث يجدون متعة عظيمة في مقاهيها المزدحمة .

ولا يتمتع القرويون الا بوقت فراغ محدود لا سيما في فصل الصيف ، اذ يضطرون الى العمل حتى يوم الجمعة (عدا فترة الصباح) . وهم يمضون اوقات فراغهم في الجايخانات والديواخانات والجوامع وبجوار ينبوع القرية . وتكاد تقتصر الديواخانات والجوامع على الرجال المتقدمين في السن ، اذ يتجمعون ليدخنوا غلايينهم ويناقشوا شؤون القرية ومشاكل الاعمال الزراعية . ويتجمع الشبان في العادة بجوار الينبوع ليتمتعوا بجلسات أكثر مرحاً .

اما اوضاع القرية عموما فهي سيئة للغاية ، ويعزى ذلك بالدرجة الاولى الى غياب اية هيئة او شخص حكومي يشرف على شؤون الرعاية العامة . فلا يكاد اللواء بأجمعه يشتمل على اكثر من ٧ بلديات(×) لذلك تبنى البيوت بلا خطة او اعتبار ، وتتبعثر الاقذار في طرقات القرية وازقتها ، ويلفع الظلام البيوت منذ اوائل المساء . وتنقطع علاقة اغلب قرى اللواء بالعالم الخارجي معظم شهور الشتاء ، لان غالبيتها لا تحظى بوسائل المواصلات الحديثة .

- ٤ -
الثقافة الكردية

يتقاسم الشعب الكردي في جميع انحاء كردستان ثقافة مشتركة ، بما في ذلك لغة واحدة وديانة واحدة واعراف وتقاليد مشتركة .

اللغة الكردية

كان الرحالة القدماء يتحدثون عن اللغة الكردية باعتبارها لهجة محرفة عن اللغة الايرانية . غير ان التحقيقات اللغوية التي اجراها العلماء الروس والالمان والانجليز اثبتت وجود لغة كردية متميزة . وبالرغم من ان هذه

(×) لقد ارتفع عدد البلديات في اللواء الى ١٣ هيئة بلدية حسب احصاء ٦٨-١٩٦٩ .

اللغة ذات لهجات متعددة قد يصعب التفاهم احيانا بين ابنائها ، لكن هنـــاك وحدة كافية في بناء جملها وكلماتها ، كما انها ذات قواعد اساسية مشتركة • صحيح ان اللغة الكردية تشتمل على عدد كبير من الكلمات الغريبة المستقاةمن الفارسية بالدرجة الاولى والتركية والعربية بالدرجة الثانية ،لكن ذلك يعزى لاختلاط الاكراد بجيرانهم من الفرس والترك والعرب والارمن • وهنـاك عامل قوى آخر ساهم في تعدد لهجات اللغة الكردية وفي اشتمالها على عـدد كبير من الكلمات الغريبة وهو حرمانها من فرص التدوين (حتى نهايـــة القرن الماضي) • فهذا العامل لم يساعد في خلق شكل واحد ثابت لتلك اللغة • كما يمكن ايضاً تفسير لهجاتها المتعددة بتأثير البيئة الطبيعية في كردستان ، ذلك ان طوبوغرافية المنطقة قد فرضت عليها العزلة والمحلية مما اثر عـلى اللغة تأثيرا عكسيا •

ويختلف الكتاب حول اصل اللغة الكردية ، غير ان معظم اللغويـــين المعنيين يتفقون بانها ذات اصل هندى – اوربي ، وانها تنتمي الى مجموعـــة اللغات الايرانية الغربية • وهذا النسب المشترك مع اللغة الفارسية الحديثـة قد جعل بعض الكتاب يتصورون انها لهجة شقيقة للغة الفارســـية • غير ان مينـورســكي Minorisky البحاثة المختص باللغات الشرقية ينفي ذلك ، وهو يعتقد انه بينما تنتمي اللغة الفارسية الى المجموعة الجنوبية الغربية ، فان اللغة الكردية تنتمي الى المجموعة الشمالية الغربية وانها تتصف بشخصية متمـيزة تماما عن اللغة الفارسية • وهو يورد الدلائل اللغوية التي تثبت الفروق القائمة بين كل منهما[٤٤] • كذلك تؤكد الانسكلوبيديا اللغوية الايرانية بان اللغة الكردية ليست لهجة شقيقة للغة الفارسية الحديثة ، فهما يختلفان اختـلافا كبيرا بحيث لا يمكن ان تقوم بينهما مثل هذه الصلة • وتعتقد الانسكلوبيديا

44. Minorisky, V. "The Incyclopaedia of Islam-The Kurds", London 1925.

الايرانية ايضا بأن اللغة الكردية لا يمكن ان تكون مستقاة مباشرة من اللغة الفارسية القديمة ، لان اللغة الكردية تشتمل على كلمات كثيرة لا توجد في ايـة لهجة من اللهجات الايرانية(٤٥) • وقد ذكر عدد من المتخصصين بأن الصلة بين اللغة الكردية واللغة الفارسية يمكن تتبعها من خلال اللغة الافستية واللغات الشقيقة القديمة الاخرى •

وقد قسمت اللغة الكردية الى لهجات متعددة حسب هدف ومنهـج الدراسة الذي يتبعه كل دارس ، غير ان غالبية الدارسـين يقسمونها الى لهجتين رئيسيتين ؛ اللهجة الشمالية واللهجة الجنوبية • ويتكلم اللهجـة الشمالية الاكراد الذين يسكنون شمال وغرب الخط المتدمن جنوب شواطىء بحيرة اورمية الى منحنى الزاب الكبير حتى التقائه بنهر دجلة • اما اللهجة الجنوبية فيتكلم بها بقية سكان كردستان • وهكذا فان اللهجة الشمالية يتحدث بها (ويكتب ايضا) الاكراد الذين يقطنون في شمال وغربي بحيرة اورميـة واكراد جمهورية ارمينيا واكراد تركيا واكراد سوريا واكراد منطقة بادينان (في لواء الموصل القديم ومحافظة دهوك الجديدة)(×) • اما اللهجـة الجنوبية فيتحدث ويكتب بها الاكراد السورانيون (في لواء اربيل) والاكراد البابانيون (في لوائي السليمانية وكركـوك) ، وكذلـك اكراد اردلان وموكرى في كردستان ايران(٤٦) •

ويجـد اكراد هـاتين اللهجتين المتميزتين صعوبـة في التفاهم فيمـا

---

45. League of Nations, "Question of frontier between Turkey and Iraq", P. 25.

(×) تكتب اللغة الكرديـة في جهات كردسـتان ايران والعراق بالحروف العربية ، ولكنها تكتب بحروف لاتينية في مناطق الاكراد الاخرى •

46. Edmunds, C.J., "A bibliography of southern Kurdistan" J.R.C.A.S., 1937, P. 488.

بينهم • وتتصف اللهجة الشمالية التي تسمى ايضا باللهجة الكرمانجية بالوحدة ولا تنقسم الى لهجات ثانوية اخرى • كما انها تمتلك ايضا ملامح متميزة واضحة وربما كانت هي الاقدم•اما اللهجة الجنوبية التي تسمى ايضاً اللهجة الكردية فلها لهجات ثانوية متنوعة ابرزها لهجتان هما اللهجة الموكرية (الموكري ـ السوراني) واللهجة السليمانية (السليمانية ـ الاردلانية) • وتتداخل هاتان اللهجتان ببعضهما بدون حدود واضحة[٤٧] •

واضافة الى هذه اللهجات المحددة جغرافيا هناك لهجة متميزة اخرى هي اللهجة التي يطلق عليها في تركيا اسم (الزازا) ، وفي ايران والعراق اسم (اللهجة الگورانية) • ويتكلم هذه اللهجة الاكراد الذين يقطنون في المنطقة الشمالية الغربية القصوى بين ديار بكر وارزنجان ، ويتكلم اللهجة الگورانية عشائر هاورامان والكاكائيون في كركوك وعشائر الباجلان بالقرب من خانقين والعشائر الگورانية في ايران[٤٨] •

ويعتبر اتباع كل مجموعة من المجموعات المذكورة لهجته الافضل والانقى • وكانت لهجة السليمانية قد بدأت تجتذب الاهتمام منذ اوائل القرن العشرين ، كما ان المجموعات التابعة للهجة الجنوبية اخذت تنشد مدينة السليمانية مركزا ثقافيا لها • ولم يكن هذا الميل نحو السليمانية بلا جذور فقد ظلت هذه المدينة زمنا طويلا مركزا ثقافيا هاما في عهد الامارة البابانية • كما استمرت حظوتها في اثناء الحكم العثماني ففتحت فيها بضعة مدارس •وفي اثناء الحكم البريطاني حظيت لهجة السليمانية باهتمام اكبر نتيجة نشاطات الميجر سون Soane الذي ابدى اهتماما كبيرا باللغة الكردية على وجه

---

47. Edmunds, C.J., "Kurds, Turks and Arabs", P.10.

48. See: Mackenzie, D.N., "A dialectological survey of Northern and central Kurdistan", a thesis of Ph. D. submitted to the University of London in 1958.

العموم وبلهجة السليمانية على وجه الخصوص • فأصدر جريدة كردية بلهجة السليمانية والف كتابا في قواعد اللغة الكردية •. وقد زاد الاهتمام بلهجة السليمانية اثناء الحكم الوطني نتيجة فتح مدارس عديدة في اللواء تدرس باللغة الكردية (بناء على قانون رقم ٧٤ لسنة ١٩٣١ الذي نص على استخدام اللغة الكردية في المدارس والمحاكم في المنطقة الكردية تطبيقاً لتوصيات عصبة الامم) • ومما زاد في شهرة لهجة السليمانية ظهور عدد من الشعراء المشهورين الذين كتبوا اشعارهم باللهجة السورانية الموكرية ، كما نشر فيها عدد كبير من الكتب والقصص والمجلات والجرائد في العراق وايران •. ويعتقد بعض المثقفين الاكراد ان هذه اللهجة هي الاكثر تطورا من بقية لهجات اللغة الكردية ، وانها قد اغتنت باشتقاقات ومصطلحات جديدة خلال الخمسين عاما الاخيرة مما يجعلها افضل من بقية اللهجات[(٤٩)] •

الديانات الكردية (×)

ان جميع اكراد لواء السليمانية مسلمون ، وكذلك حال الغالبية الساحقة من الاكراد في كردستان • ويفترض في اولئك الذين يدينون

---

(٤٩) طالباني ، جلال : « كردستان والحركة القومية الكردية » منشورات جريدة النور ـ الطبعة الاولى بغداد ١٩٧٠ ، ص ١٩

انظر كذلك :

Ghassemlou, A., Kurdistan and the Kurds, Prague 1965, P.27.

(×) يوجد في العراق اضافة الى الديانة الاسلامية التي يعتنقها ٩٠٪ من السكان الاديان التالية :

المسيحية : ينتشر المسيحيون في معظم المدن الكبرى ، غير ان قراهم الرئيسية تقع ضمن لواء الموصل • وينتمي مسيحيو العراق الى ثلاث طوائف هي : ١ ـ اتباع الكنيسة الحرة وبضمنهم النساطرة واليعاقبة ٢ ـ اتباع الكنيسة المتحدة ، وهم المتحدون مع الرومان الكاثوليك وبضمنهم الارمن المتحدين واليعاقبة المتحدين والنساطرة المتحدين ٣ ـ الارمن الارثوذكس • ويبلغ مجموع المسيحيين حوالي ١٨٠٠٠٠ نسمة • =

بأديان اخرى ان يكونوا مسلمين اصلا • ومن المشكوك فيه ان يكون بعض الاكراد قد تحولوا الى المسيحية قبل تبنيهم الاسلام ، وان كان كل من مينورسكي Minorisky ودرايفر Driver يدينان بهذا الرأي(٥٠) •

فالمجموعات الاخرى التى تعيش ضمن كردستان وتدين بالمسيحية وهم الارمن والاشوريون والكلدان ، ينتمون جميعا الى مجموعات عنصرية اخرى • ولقد تحول الاكراد في عام ٢٠ للهجرة من الديانة الزرادشتية الى الاسلام من دون ان يمروا بالمسيحية ، وكانت الزرادشتية الديانة المشتركة التي ينتمي اليها جميع الاكراد(×) •

= **اليهودية : يعيش معظم ما تبقى من اليهود في بغداد • وقد هاجر في عام ١٩٥١ حوالي ١١٠٠٠٠ يهودي الى اسرائيل ، وربما بقي منهم في الوقت الحاضر حوالي ١٠٠٠٠ نسمة •**

اديان اخرى : ويوجد ايضا اتباع لاديان اخرى منهم حوالي ٣٠٠٠٠ يزيدي ، و ٢٠٠٠٠ صابئي و ١٥٠٠٠ من الشاباك وعدد قليل من الكاكائيين والباجلانيين •

(Europa Publication Ltd., "The Middle East" London 1957, P. 175).

50. See: Minorisky, "Incyclopaedia of Islam" — (The Kurds-religion).

Driver, G.R., "The religion of the Kurds" B.S.O., vo 12, 1922, PP. 197-214.

(×) من المعتقد ان زرادشت قد ولد حوالي ٦٠٠ او ٦٦٠ قبل الميلاد • **ويقال انه كان كرديا من مقاطعة اذربيجان • وقد اصبحت تعاليمه الديانة الرسمية للدولة الفارسية في عهد الساسانيين • وتشتمل هذه الديانة على المبادىء الرئيسية التالية :**

يمثل اهرمزد قوة الخير ويمثل اهريمان قوة الشر • ولكل منهما جيش من الارواح في خدمته ، ويقود اهرمزدا جيش اهرمز • ولكل من هاتين **القوتين ستة مستشارين مسؤولين عن النيران والمعادن والتربة والبيئة الطبيعية والمياه والنباتات والحيوانات •** =

ولقد تحول الاكراد الى الاسلام نتيجة اخضاع الدولة الاسلامية لبلادهم • ومما يلفت الانتباه ان كثيرا من الرحالة لاحظوا بقايا الديانة الزرادشتية في بعض عادات وتقاليد الاكراد ، كتقديس الاشجار والاحترام العميق للموتى • فمن المشاهد المألوفة في كردستان وجود مجموعة من الاشجار او شجرة قائمة بذاتها لا تمسها الايدى وقد ربط باغصانها رايات او خرق خضر دلالة على مكانتها الدينية • ولابد لقبور رجال الدين او الاولياء من ان تتفيأ ظلال شجرة وارفة • وتحتل المقابر عادة افضل المواضع واجملها تظللها الاشجار • ولا يمكن للمرء على اية حال ان يتجاهل صعوبة وضوح تعاليم الدين الاسلامي في اذهان الاكراد القرويين وهم يجهلون اللغة العربية • والواقع ان الكردى القروي البسيط قد تعلم المبادىء الاساسية للديانة الاسلامية فحسب كالايمان بالله وبرسوله محمد (ص) واداء الفروض الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج •، ولا شك ان البيئة الطبيعية المتنوعة قد تركت تأثيرا اقوى على معتقداتهم الدينية بحيث جعلتهم اكثر ميلا للاعتقاد في الاشياء الملموسة منهم الى الايمان بالرموز المجردة • وقد يفسر لنا هذا الميل الانحرافات الكثيرة عن الاسلام التى تتبناها مجموعات عديدة من الاكراد كالعلي اللهية والشاباك والكاكائية واليزيدية ، وهي ديانات تحاول ان تترجم

= واهرمزدا هو خالق الحياة واهريمان خالق الموت • وموطن اهريمان في الظلمات السفلى التي تقع الى الشمال من جبال البرز ويقع مدخلها في الجبل • ويوجد تحت امرته قطيع من الوحوش يقيم في غابات مازندران وفي مستنقعات جيلان • والروح خالدة وهي تتجول بعد الموت بعض الوقت ثم تستقر امام جسر • وهنا تواجه ثلاثة قضاة يزنون افعالها في الميزان • فاذا رجحت كفة الحسنات اتسع الجسر امامها وعبرته بامان الى ارض النور الخالد • واذا رجحت كفة السيئات تقلص عرض الجسر وسقطت الروح في الظلمات • اما الارواح القليلة اللواتي تتوازن سيئاتهن وحسناتهن فيودعن الى المطهر •

الرموز الدينية المجردة الى معان واقعية ملموسة • كما قد يفسر لنا هذا الميل ايمان الاكراد الشديد بالاولياء والشيوخ والشخصيات الدينية المرموقة• وقد اتفق جميع الرحالة والكتاب الذين خبروا الاكراد عن كثب على قوة تأثير رجال الدين فيهم • كذلك جعلهم ميلهم هذا متسامحين جدا مع اصحاب الاديان والعقائد الاخرى • وهم بذلك يمثلون تلك الجماعات البشرية التي لا يسوقها ايمانها الديني الى التعصب [٥١] • وهنا لابد لنا ان نؤكد بان المذابح التي جرت للمسيحيين ، ولا سيما الاثوريين(×) منهم ، على يد الاكراد كانت وراءها اسباب سياسية واقتصادية ولم تكن نتيجة للتعصب الديني كما اذاع كثير من الكتاب الغربيين • وقد دافع بعض الكتاب المحايدين عن

---

51. See: Kroober, A., "Anthropology" London 1948, P. 603.

(×) يختلف الباحثون حول اصل الاشوريين • وكان كتاب القرن التاسع عشر قد ايدوا الفكرة القائلة بأنهم بقايا الاشوريين القدماء • وكان موطنهم قبل الحرب الكبرى الاولى في جبال تياري في ولاية حكارى الواقعة في قلب كردستان التركي ، كما كان يعيش البعض منهم في ولاية اورمية • ولقد دعى موطنهم الاصلي وصفاتهم الطبيعية والاجتماعية بعض الكتاب الى الاعتقاد بانهم اكراد مسيحيون • لكن لغتهم السريانية ـ الارمنية تدحض هذا الادعاء • وقد ظهرت مشكلتهم على مسرح الاحداث العالمية عقب الحرب الكبرى الاولى حينما اضطروا الى النزوح عن اوطانهم والبقاء بلا وطن • وكانوا قد ثاروا قبل ذلك ضد الاتراك في ربيع عام ١٩١٦ بتحريض من الجيش الروسي الذي كان قد احتل جزءا من تركيا • فلما اضطر الجيش الى الانسحاب الى غربي ايران لم يجدوا مندوحة من مرافقته خوفا من انتقام الاتراك • ووضعوا انفسهم تحت الحماية البريطانية فاصبح توطينهم احدى اعقد مشاكل ما بعد الحرب التي واجهتها السلطات البريطانية في الشرق الاوسط • وبالرغم من ان عددهم لم يكن يتجاوز ٣٥٠٠٠ نسمة فانهم طالبوا بدولة مستقلة تتخذ القسم الشمالي من ولاية الموصل مركزا لها (اى جزءا من محافظة دهوك الحالية) • وقد تم توطينهم فيما بعد في قضاء العمادية بدرجة رئيسية ورافق ذلك بعض المشاكل التي أمكن تذليلها فيما بعد •

الاكراد ونفوا عنهم صفة التعصب الديني نفيا قاطعا كما فعل زيمينيه Ximeneze مثلا[٥٠] (×) • بل ان بعض الكتاب المتحيزين امثال المبشر وكرام Wigram قد اعترف بالعلاقات الطيبة بين الاكراد وجيرانهم الاشوريين[٥٣] (×) • اما لجنة عصبة الامم التى حققت في مشكلة ولاية الموصل فقد اشادت بالعلاقات بين المسيحيين والاكراد وذكرت بان اعضاءها دهشوا لتلك العلاقات الطيبة[٥٤] • اما الكلـــدان الذين يعيشون من ازمان بعيدة بين الاكراد فلم يشكوا

× (٥٠) لقد اورد زيمينيه المثال الطريف التالي عن تسامح الاكراد تجاه اصحاب الاديان الاخرى ، قـال : (لقد تجمع تحت خيمـة الزعيم الكردي علي اغا جميع وجهاء المخيم • ولكـــي اكتشف وضعهم القيت عليهم بعض الاسئلة • وقد ذكر احدهم بانه ارمني ، غير ان علي اغا تدخل في الحـوار قائلا : لا يهم ان يكون المرء مسلما ام ارمنيـــا فنحن جميعا على هـــذه الارض ابناء الله) •

(Zimenez, S., "Kurds and Armenians" London 1895, PP. 16-17.)

× (٥٣) لقد علق ويكرام Wigram على اصطدامات الاكراد بالمسيحيين بما يلي : (لقد كانت صدمة عنيفة لمشاعر الجميع ، الاكراد والمسيحيين على السواء ، حينما صدرت لهم اوامر صريحة من اعلى المراجع المسؤولة اثنــاء المذابح الارمنية لعام ١٨٩٦ بالاعتداء على النساء • وما دامت تلك الاوامـر قد صدرت يوما للاكراد من قبل خليفة الاسلام نفسه فانهم لم يجدوا ضيرا من تكرارها عند حدوث النزاعات الشخصية • وهكذا فان حوادث ذلك العام قد حددت انحدارا عظيما في علاقات اتباع جميع الاديـان في كردســتان • فالخلافات الشخصية السابقة التى لم تكن تتخذ طابعا حادا ، بل وكانـت ذات طابع رياضى ، اصبحت بعد ذلك العام حادة وقاسية) •

Wigram, W., "The Assyrians and their neighbours" PP. 206-7, London 1929.

54. League of Nations, "Questions of frontiers between Turkey and Iraq" P. 53 & P. 47.

يوما من اية مضايقة او اضطهاد (×) .

وينتمي غالبية الاكراد الى المذهب الشافعي ، وهو احد المذاهب السنية الاربع (الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي) . وهناك عشائر كردية قليلة ، لا سيما اللر (الفيلية) تنتمي الى المذهب الشيعي . ويعزى انتماؤهم الى المذهب السني الى خضوع كردستان المبكر الى الحكام السنة . اما انتماؤهـــم الى الطائفة الشافعية (نسبة الى محمد بن ادريس الشافعي ٧٦٧ هـ ـ ٨٢٠ هـ) فيعزى الى نشاط رجال الدين الاكراد الذين درسوا العلوم الدينية في المدرسة النظامية في بغداد اثناء الخلافة العباسية والتى كانت تؤيد المذهب الشافعي . وقد تفرع من هذا المذهب عدة طرق تختلف عن بعضها اختلافا بســيطا . واكثر الطرق شيوعا بين الاكراد هي الطريقة القادرية (نسبة الى الشـيخ عبدالقادر الكيلاني) تليها الطريقة النقشبندية .

(×) يختلف الكتاب حول اصل الكلــدان كاختلافهم حول اصــل الاشوريين ، وان كانوا هم انفسهم يدعون بانهم من نسل الكلدان القدماء . وقد اعتبرهم سون ولايارد وريج من احفاد الاشوريين القدماء . وهم يسمون انفسهم باسماء مختلفة ، كالسريان والنساطرة ، ويشاطرون الاشوريين تلك الاسماء . وتعتبر لغتهم المسماة باللغة السريانية اقرب اللغات الحديثة الى اللغة الارامية . ويبدو ان الكلدان قد تبنوا الديانة المسيحية اثناء القـرن الثالث الميلادى وانشؤا مدرسة مشهورة في اديسا (اور الكلدانيين) . وقـد ايدوا نسطوريوس رئيس اساقفة القسطنطينية حينما ثار الجدل بينه وبـين القديس سيريل في حوالى عام ٤١٠م حول بضعة نقاط تمس العقيدة،ولا سيما حول رأيه بان العذراء ولدت المسيح كانسان وليس كاله . وقد ادى هذا الانقسام الى نشوء المذهب الجديد الذى اطلق عليه اسم (النساطرة) نسبة الى نسطوريوس ، وقد التحقت به الكنيسة الشرقية .

وقد عاش المســيحيون الكلدان بسلام اثناء الحكم الفارسي والعربي، واحتلوا مراكز هامة في الحقل الثقافي . وقد بدأ اضطهادهم اثناء القــرن الثاني عشر واصبحت حياتهم تحت الحكم المغولى شاقة ، فاخذوا ينسحبون الى المواضع المنيعة في الجبال . =

وهناك ايضا بضعة اديان غامضة يدين بها عدد لا بأس به من الاكراد وهي التالية :

اليزيدية :

لقد اثارت الديانة اليزيدية فضول كثير من الرحالة والكتاب ، فكتب عنها كتابات كثيرة . وقد ثار جدل عظيم حول اصل تسميتهم . فاعتقد البعض بان اسمهم استقي من كلمة يزدان ، وهي الاسم الفارسي للذات العليا ، نظرا لان الله تعالى يحتل في ديانتهم سيادة رمزية (٥٥) . واعتقد البعض الاخر بأن تسميتهم قد استقيت من كلمة يزد ، وهي مقاطعة فارسية يفترض انهم قد ظهروا فيها . وادعى جماعة اخرون بان تسميتهم ترجع الى مؤسس ديانتهم يزيد بن عنيزة الذى يمثله الشيخ عدي . وهناك ايضا عدد من الباحثين الذين يرتئون بان تسميتهم قد استمدت من يزيد بن معاوية الخليفة الاموى الثاني ، وانهم اما ان يكونوا قد اتخذوا هذه التسمية ليربطوا انفسهم بالامويين ويحصلوا على حمايتهم ، او ان الشيعة انفسهم قد اطلقوا عليهم هذه التسمية ليلصقوا بيزيد عار تأييد هذه الديانة (٥٦) . وعلى اية حال فبالرغم من وجود خلاف كبير حول تسميتهم فان الكتاب يتفقون جميعا تقريبا على مسألة انتمائهم الى الاكراد .

كذلك تعرضت ديانتهم الى تفسيرات ومزاعم مختلفة . فقد اعتقد البعض بانهم كانوا مسيحيين في الاصل الا انهم استسلموا للخرافات والجهل ، واستندوا في اعتقادهم هذا الى وجود كثير من التعاليم المسيحية في صميم

= ويقدر عددهم في الوقت الحاضر بحوالى ٤٠٠٠٠ ، وهم يعيشون حياة مشابهة لحياة الاكراد ويرتدون زيا كرديا لكن عمامة الرأس اصغر حجما .

55. Luke., H.C., "Mosul and its minorities" London 1925, P. 125.

56. Empson, R.H.W., the cult of the Peacock Angle, London 1928, PP. 27-28.

ديانتهم. واعتقد البعض الاخر انهم كانوا من اتباع الديانة المنوية ثم تحولوا الى الاسلام ، ودليلهم على ذلك انهم يتبنون القاعدة الاساسية للديانة المنوية وهي ازدواجية القوة العليا [٥٧] . وارتأى اخرون انهم جماعة من الزرادشتيين الذين تبنوا جزءا من التعاليم الاسلامية والمسيحية ليتجنبوا اذى اتباع هاتين الديانتين ، ودليلهم على ذلك انهم يؤمنون اساسا بمبدأ الخير والشر . بل ان هناك من يعتقد ان اليزيديين ليسوا سوى مسلمين متطرفين قد اضاعوا الكثير من التعليمات الاسلامية الاساسية واستعاروا تعليمات اخرى من مختلف الاديان بسبب جهلهم [٥٨] . وعلى اية حال فان ديانة اليزيديين تكشف بالفعل عن تجميع لاعتقادات وعادات اديان متعددة . فهم يؤمنون بوجود الشيطان الذى يسمونه ملك طوس ، ويضعونه في اعلى درجات التقديس . ويفسرون تقديسهم للشيطان بانه كان اول الملائكة السبع الذين خلقهم الله . وبما انه الوحيد من بين الملائكة الذى يسيطر على الارض بصورة مباشرة والذي يستطيع ان يصيب الانسان بأفدح الاضرار ، فلابد اذن من استرضائه والاعتراف بسلطته وتجنب اية كلمة قد تغضبه . لذلك فهم يمتنعون عن التلفظ باية كلمة تبدأ بالحرف (ش) ، لان اسمه يبدأ بها ، كما انهم لا يستخدمون اللون الازرق بتاتا لانه يذكر الشيطان بالسماء . وهم يشيرون اليه باسم ملك طوس او ملك القوت ، ويدفعون جزية سنوية لممثله وهو تمثال برونزي للطاووس . وهناك سبعة تماثيل لملك طوس يطوف بها عليهم سنويا رجال دين يطلق عليهم اسم (القوالون) . كذلك يؤمن اليزيديون

---

(٥٧) الدملوجي ، صديق ، « اليزيديون » ، الموصل ١٩٤٦ ، ص١٧٠ (ويمكن الاعتماد عليه في الدراسة المفصلة لليزيديين) .

(٥٨) انظر العزاوي ، عباس : « تاريخ اليزيدية » ، بغداد ١٩٣٥ ، ص ١٩٤-١٩٥ .

كذلك : الحسني ، عبدالرزاق : « اليزيديون » بغداد ١٩٥١ ص٥٠ . وقد ظهرت مؤخرا دراسة مفصلة عنهم للدكتور سامي سعيد الاحمد .

بالذات العليا ويسمونها (يزدان) ، لكنهم يعتقدون ايضا ان يزدان في غير حاجة الى الترضية او العبادة لانه عظيم الطيبة بحيث لا يمكن ان يضر الانسان، كما انه في اعلى الطبقات وبعيدا عن مجال العبادة المباشرة • وهم يقدسون الكتب الدينية الثلاث القرآن والتورات والانجيل ويحترمونها على قدم المساواة • كذلك يبجلون المسيح وشارة الصليب ، كما يبجلون محمد ومكة المكرمة • ويقدس اليزيديون ايضا النار والشمس والقمر ، ولا سيما الشمس التى يسمونها الشيخ شمس الدين والتى يضحون لها سنويا بثور ابيض قرب معبد الشيخ شمس الدين • ولهم كتابان ، يسمى الاول المصحف الاسود (مصحف رش) ، ويسمى الثاني مصحف الجلوة • واعظم اماكنهم قدسية هو معبد الشيخ عدي قرب مدينة الموصل والذى يعتبر الاب الروحي لديانتهم وهم يخصونه باحترام عظيم قدر ما يخصون به ملك طوس •

ويقوم نظامهم الديني والاجتماعي على طبقية حادة • وهناك اربع طبقات دينية هي البيرات والشيوخ والقوالون والفقراء • فالبير يمثل اكبر شخصية دينية تبلغ درجة القداسة • والشيخ يمثل الزعامة الدينية • اما القوالون فهم رجال الدين المتجولون الذين يطوفون من قرية الى اخرى حاملين تماثيل ملك طوس ، كما يتولون ايضا وظائف دينية ثانوية • اما الفقراء فتقتصر وظيفتهم الدينية على خدمة قبر الشيخ عدي • ويمنع منعا باتا الزواج بين هذه الطبقات المختلفة ، كما يمنع ايضا الزواج مع الاديان الاخرى التى يعتبر اتباعها اقل مرتبة من اليزيديين • ويتمتع الامير ، وهو الرئيس الاعلى ، بسلطة سياسية واجتماعية غير محدودة ، وهو الوحيد الذى يحق له الزواج بأكثر من امرأة يختارها من أى طبقة يشاء •

وقد قاسى اليزيديون من الاستغلال الداخلي من قبل رؤسائهم ورجال دينهم ، كما قاسوا من اضطهاد الاقوام المجاورة لهم بسبب اعتقاداتهم الدينية• ولعل اسوأ ما في ديانتهم من تعليمات الجهل الذى يفرض على العامة ، ذلك

انهم ممنوعون دينيا من تعلم القراءة والكتابة • ويقدر عددهم في الوقت الحاضر بحوالى ٤٠٠٠٠ نسمة ، ويعيش غالبيتهم في قضائي سنجار وشيخان.

العلى اللهية

يمارس هذه الديانة بدرجة رئيسية عشائر اللر والعشائر الكورانية في كردستان ايران • ويختلف الكتاب والبحاثة حول اصل هذه الديانة ، غير ان اتباعها يعتبرون على العموم من المسلمين المتطرفين • ويعتقد راولنسون Rawlinson بان هذه الديانة تحمل دلائل واضحة من اليهودية ، [٥٩] بينما يرتأى **سون** Soane بأنها عبارة عن مجموعة من الاديان والتقاليد المختلفة وان للزرادشتية والاسلام النصيب الاعظم فيها [٦٠] •

وتستند ديانتهم الى الاعتقاد بان هناك حلول متعاقب للذات الالهية ، فهي تحل دائماً في احد البشر • ومن ابرز البشر الذين حلت فيهم الذات الالهية بنجامين وموسى والياس وداود والمسيح ومحمد وبابا يادگاو [٦١] • ويعتقد العلي اللهيون كذلك بان الله قد اصبح مرئيا في اعظم الرجال كمالا وهو علي بن ابي طالب (الذى يدعى بقاسم الارزاق) والذى تخضع له جميع خلائق السماء • وقد حلت روح الله ايضا بدرجة أقل في اشخاص اخرين كالحسين بن علي واحفاده وكذلك في البيرات السبع (الهافتون) •

ويطلقون على انفسهم اسم (يارم) وعلى الغرباء اسم (جوز) ، كما يسمون زعماءهم (السادة) ويفترض انهم ممثلون لصاحبي كرم ويختصون بسلطة اصدار القرارات فيما هو شرعي وغير شرعي • وهم يمتنعون عن حلق لحاهم او تشذيب شواربهم • واعظم اماكنهم قدسية هو معبد بابا يزرك [٦٢] •

---

59. Rawlinson, PP. 109-110.

60. Soane, PP. 68 ff.

61. Ainswerth, W.F., "A personal narrative of the Euphrate expedition" London 1887, vol. 1, P. 382.

62. Soane, PP. 62-3.

الكاكائيون :

يحيط ديانة الكاكائيين الغموض اكثر مما يحيط ديانة اليزيديين والعلي اللهية • وقد استمدت تسميتهم من الكلمة الكردية (كاكه) التى تعني الاخ • وتزعم حكاياتهم بان احد منشئي ديانتهم وهو سيد ايشاك كان قد قرر تشييد تكية عظيمة في مدينة برزنجة في لواء السليمانية ، وحينما تم بناء الاعمدة ظهر انها اقل ارتفاعا من الجدران • فقال المنشيء لاخيه : (مدهم يا كاكه) ، فامتدت الاعمدة بمعجزة [٦٣] ، وهكذا سمي اتباعه بالكاكائيين ، ولكن يبدو ان الاساس الحقيقي لتسميتهم يعود الى مخاطبة بعضهم بعضا بكلمة (كاكا) [٦٤] •

ويحوط معتقداتهم غموض شديد للغاية لانهم يحافظون على السرية التامة تجاه الغرباء ، غير انهم يعتبرون مبدئيا من المسلمين المتطرفين • وهم يقدسون الامام علي تقديسا عظيما ، ويدعي بعض الكتاب انهم يؤمنون بان روح الله قد حلت في علي • ولا يعتقدون بأن القرآن قد انزله الله تعالى بل يزعمون ان محمد (ص) قد كتبه بنفسه • ويبدو ان من جملة اعتقاداتهم ايضا الايمان بتناسخ الارواح •

ويتصفون بالتسامح الشديد تجاه الاديان والمعتقدات الاخرى ، وهم يحترمون المعرفة والتعلم احتراما عظيما [٦٥] • ويعيش أغلبهم في لواء كركوك •

الشاباك :

ان اصل الشاباك مختلف عليه • وبالرغم من ان غالبية الباحثين يعتقدون انهم اكراد ، الا ان بعض الكتاب يزعمون انهم اتراك [٦٦] • اما

---

63. For a detailed study see: Edmunds, C.J., "Kurds, Turks and Arabs" PP. 182-92.

(٦٤) العزاوي ، عباس : « الكاكائيون في التاريخ » بغداد ١٩٤٩ ،ص٤

(٦٥) المصدر السابق ص ٦٢-٦٣

(٦٦) للدراسة المفصلة راجع : الصراف ، أحمد حامد : (الشاباك) ، بغداد ١٩٥٤ •

لغتهم فهي خليط من الكلمات الكردية والتركية والفارسية ، وان كانت غالبيتها كلمات تركية • ويلفع الغموض دياناتهم بسبب كتمانهم الشديد ، غير ان الباحثين يتفقون بانهم مسلمون متطرفون ويحملون تقديسا خاصا للامام علي واحفاده •، وهم لا يعترفون بكثير من الخلفاء المسلمين ، كما لا يقرون ايضا كثيرا من التعاليم الاسلامية ، فهم لا يصومون رمضان ولا يؤدون الصلوات الخمس ولا يمتنعون عن شرب الكحول ، كما انهم يمارسون بعض تعاليم الديانة المسيحية مثل الاحتفال بالعام الجديد ونشدان الغفران عن طريق الاعتراف للبيرات •

وتشابه عاداتهم عادات الاكراد بالرغم من ان ملابسهم اكثر شبها بملابس المسيحيين • وهم يمتنعون عن حلق اللحية او قص الشارب ، ويعتبرون قص الشارب خطيئة عظيمة • وينتشرون في حوالى عشرين قرية في لواء الموصل ، ويتراوح عددهم بين عشرة آلاف الى خمسة عشر الف نسمة •

الاعراف والتقاليد الاجتماعية

تبرز العادات والتقاليد الاجتماعية لاكراد لواء السليمانية في موقفهم من الخرافات والسحر ، وفي نظرتهم الى الثأر ، وفي عاداتهم في الولادة والوفاة ، وفي ادبهم الفولكلوري •

الخرافات والسحر :

بالرغم من ان التعاويذ تمارس على نطاق واسع ، كعمل الحجاب لطرد العيون الشريرة واستخدام التمائم لشفاء بعض الامراض ، الا ان السحر الجماعي Communal Magic يكاد يكون غير معروف في كردستان • ولعل الحالة الوحيدة التي يمارسها مجتمع القرية في السحر الجماعي تتمثل في استجلاب المطر • وهذه الحالة على اية حال لا تمارس بصورة جدية ، ولا يلجأ اليها الا نادرا • ومن المعلوم ان توقف الامطار المبكر يؤثر على المزروعات الشتوية بدرجة

عظيمة مما يحمل مجتمع القرية الى ممارسة هذا التقليد في حالات الجفاف الشديد • ويمارس هذا التقليد باحدى طريقتين ؛ الطريقة الاولى وهي اكثر شيوعا ، وتتطلب قضاء الليلة في صلاة عامة في الجامع • ثم يغطس في اليوم التالى الملا او احد وجهاء القرية في ينبوع القرية • والطريقة الثانية ، وهي تستوجب اشتباك مجتمع القرية في قتال كاذب مع قرية مجاورة • وتثار نتيجة لذلك القتال ضوضاء عظيمة ، ولكن لا تراق فيه سوى دماء رمزية •

وقد ايد كثير من الكتاب والرحالة اعتقاد الاكراد بالارواح الشريرة التى يمثلها الجن • ويعتقد القرويون ان الجن يطوفون بالاودية والجبال محاولين جهدهم مضايقة البشر • ويقابل الجن (البرى) ، وهم الحماة الاخيار ، ويمثلهم شهداء الاسلام والشيوخ الاطهار ويتميزون بقوة روحية عظيمة • وقد استمد الاكراد اعتقادهم بالارواح من ايمانهم الشديد بتعاليم رجال الدين والملالي • وقد التقى المؤلف بعدد قليل جدا من القرويين الذين زعموا بانهم رأوا الارواح بانفسهم ، وكان تفسيرهم الوحيد لاعتقادهم ان اخبار الجن مذكورة في التعاليم الدينية • وعلى اية حال فان الجهل والاعتقاد بالخرافات امران متلازمان في كل مكان •

ويعتقد القرويون الاكراد ايضا بالعين الشريرة او الحاسدة وبالفأل الخير او السيء • ومن اشد الامور التى يتشاءمون منها صياح الديكة عند الغروب • فهم يعتقدون ان هذا الصياح دليل على كارثة مقبلة ولابد من منعها بذبح الديك • وتعتبر العطسة الواحدة فألا سيئا ايضا عند الشروع بعمل ما • وهناك ايام معينة مفضلة لانجاز الاعمال كالاثنين والثلاثاء بينما يعتبر يوم الاربعاء يوما سيئا •

الثأر :

ان الثأر الكردى هو مظهر من مظاهر الانتقام الذى يلجأ اليه الشخص

المعتدى عليه • وخلافا للثأر العربي او الثأر العشائرى بوجه عام ، فان الثأر الكردى مسؤولية عائلية وليس مسؤولية عشـائرية او نسـبية ، أى انه مسؤولية الاقرباء الاقربين فقط • ويمـكن ان يعزى ذلك الى تأثير العامل الجغرافي • فالانعزال الجغرافي للقرية الكردية والبناء الطوبوغرافي الوعـر للمنطقة قد جنب مجتمع القرية تبني سياسة الانتقام من اجل الفرد • كما ان التعاون الشديد الضرورى بين سكان القرية قد اضعف بدرجة عظيمة تحزب الانساب ، وبالتالى هبط بالثأر الى مستوى الانتقام الشخصي الذى يقتصر على الاقرباء الاقربين فقط •

غير ان الموقف يختلف اذا مس الثأر رئيساً او اغا ، فقد يـؤدي الامر الى اشتراك جميع افراد النسب في الثأر • ولا يقبل ثأر الرؤساء الوساطة ، وقد تستمر اعمال الانتقام الى سنين طويلة • وعلى العموم فان ثأر السـكان العشائريين يدوم فترة اطول مما يدوم ثأر غير العشائريين كما انه يتسـع لعدد اكبر من الاقرباء • ومن غير المحتمل التوصل الى انهائه بصورة سلمية قبل ان يتحقق انتقام الطرف المتضرر(×) •

ويبدأ الثأر عادة بحادثة قتل تتسبب عن خلاف حول الاراضى الزراعية أو المراعي أو الحيوانات او أى سبب آخر • ولابد ان يحاول اقرب الاشخاص للقتيل (ابناؤه او اخوانه او ابناء اخوانه او حتى أبناء أخواته) من ان يأخذ

(×) ان مسؤولية الثأر في التنظيم العشائري العربي اعظم مما هـو عليه في التنظيم العشائري الكردي ،ويذكر بوركهارت Burkhardt بان مسؤولية الثأر قد تمتد الى الجيل الخامس • (ص ١٤ـ١٥ ، الجزء الاول)

اما احمد فهمي فقد شرح في كتابه (تقرير عن العراق) (ص١٥ـ١٩) اصوليات الثأر شرحا مستفيضا • وتكشف تلك الاصوليات عن وجود قوانين صريحة تخص كل نوع من انواع الاعتداء كالقتل والزنا والسرقة واساءة السمعة الخ ، ويتخصص بمعرفتها عادة اشخاص معينون يطلق عليهم اسم (العارفة) •

بثأره في الحال • ولا يوجه الانتقام نحو القاتل فحسب ، بل يشمل اقرباءه ايضا • ويمكن ان يعتبر الثأر متوقفا اذا امتنعت عائلة القاتل عن الاخذ بثارهـا لسبب من الاسباب ، والا فأن الاعمال الانتقامية تستمر من الجانبين الى فترة طويلة • وقد يتوقف الثأر في بدايته اذا نشد القاتل في الحال حماية رئيس أو اغا وسأله ان يتفاوض نيابة عنه مع العائلة المعتدى عليها • واذا وجـدت العائلة المتضررة انها عاجزة عن الاخذ بثأرها اكتفت بطلب الفدية (الفصل)، والا رفضت الوساطة •

واذا كان القاتل والضحية من قريتين او عشيرتين مختلفتين انعقد مجلس الوساطة من الاغا او رئيس القرية ومن اعضاء من كلا الاسرتين • ولابد اثناء انعقاد المجلس من ان يمتنع افراد كل من العـائلتين عن اعمال الاثارة والاستفزاز ، والا اعتبر الاستفزاز أهانة خطيرة لاعضاء المجلس • واذا فشلت المجلس بدأ الثأر من جديد •

ويتناسب (الفصل) عادة مع نوايا القاتل ومع مركز الضحية • ويمكن ان يدفع نقدا او نساءا أو اسلحة او حيوانات ، وقد يشتمل على خليـط من هذه الاشياء • واذا كان القاتل مقتدرا فعليه ان يدفع مالا او سلاحاً ، والا وجب عليه ان يدفع نساءا او حيوانات • واذا كان غير مقتدر نهائيـاً توجب على اقربائه المقربين ان يمدوا له يد المساعدة •

وتتراوح فدية قتل العشائري الاعتيادي بحوالي ٧٠-١٠٠ دينـارا او امرأتين • (لابد ان تكون النساء من اعضاء اسرة القاتل وينبغي ان يتزوجهن اقرباء القتيل) • اما فدية رئيس ثانوي او اغا صغير فقد تصـل الى ١٥٠ دينارا • اما مقتل الرئيس او الاغا الكبير فلا يعوض عنه سوى مقتل رئيس مساو من اعضاء نسب القاتل •

وفي الوقت الحاضر تتدخل السلطات الحكومية في الحال في حـوادث

الثأر • غير ان القرويين يبذلون غاية جهدهم لاخفـــاء تلك الجرائم عن السلطات ، الا اذا عمد الجانب المتضرر الى اخبارها • فاذا كـــان الثــأر يخص اشخاصاً عشائريين عقد مجلس عشائري ليحاكم القاتل حسب قانون العشائر • ويضم هذا المجلس ممثلين عن كلا العائلتين المعنيتين ، بالاشتراك مع القائمقام • واذا كان القاتل غير قادر على دفع الفدية التي يفرضها المجلس أو غير راغب في ذلك ، صدر عليه حكم بالسجن لبضعة سنوات • لكن هذا الحل لا يطفيء الثأر ، اذ ان العائلة المعتدى عليها تحاول الاخذ بثأرها حالما يغادر القاتل السجن •

الولادة

تبدأ الاستعدادات لمجيء الطفل بتهيئـة الملابس • وتتولى عملية التوليد احدى الجارات وتدفن الصرة بصورة سرية • وحينما يولد الطفل يحرس لمدة اسبوع ويوضع تحت وسادته سكين وابرة كبيرة او قشرة بصل لتطرد عنه الجن • وفي نهاية اليوم السابع يدعى الاقرباء والاصدقاء الى احتفال يدوم الليلة بكاملها ، ويدعى كذلك الملا ليسمي الطفل • ويقرأ الملا بعض سور القرآن الكريم في اذن الطفل وعلى قطعة من السكر ثم يبللها بطرف لسانه ، ويفضل ان يكون اسم محمد جزءا من الاسم المزدوج • غير ان هذا الاحتفال لا يحدث في حالة البنت ، لان الاكراد يهتمون بولادة الابناء فقط • ويهيىء الجيران والاصدقاء الطعام لعائلة الطفل كي تستطيع الام الانصـراف كليـا الى طفلها الوليد •

وحينما يفقد الطفل السن الاولى من اسنانه توزع اسرته الطعام عـلى الجيران والاصدقاء احتفالا بالمناسبة •

ولابد من اجراء الختان قبل ان يصل الولد مرحلة البلوغ ، ويقــوم بها في العادة حلاق من مدينة السليمانية • وتقام حفلة بالمناسبة تختلف في فخامتها حسب مقدرة الاسرة •

وقد يكون من المحبذ ايضا الاعلان عن بلوغ الفتيات بوشمهن ،وتتولى ذلك امرأة متخصصة • ويمثل الوشم علامة صغيرة على اليد او العنق او الوجه ، غير ان هذه العادة قد انقرضت الى حد كبير •

الوفاة :

يمكث اعضاء اسرة المتوفي ثلاثة أيام في البيت لاستقبال الاصدقاء والاقرباء الذين يحضرون للتعبير عن تعازيهم • ويقدم الشاي والطعام والسجاير للمعزين طول الوقت ، ويحضر المعزون بدورهم هدايا من السكر والشاي والرز والحيوانات • ويقوم الاقرباء باعداد الطعام طيلة ايام الاحتفال • وفي نهاية الاحتفال يذبح خروف ويوزع لحمه على الفقراء •

ويقوم افراد عائلة المتوفي بزيارة قبره مرة في الاسبوع بانتظام (تكون زيارة النساء في أمسيات الثلاثاء وزيارة الرجال صباح الجمعة) • ويوزع الطعام على الفقراء من وقت لاخر • وقد تستغرق احتفالات الوفاة للعشائريين أكثر من ثلاثة ايام ، اما الاحتفال بوفاة الرئيس فقد يمتد الى حوالي الشهر•

ويحظى الميت لدى الاكراد باحترام عظيم • وهم لا يجرؤون على الاساءة اليه او شتمه حتى ولو كان من أشد اعدائهم • لهذا فان القبر والمقبرة يكادان يعتبران مكانا مقدسا • ولا يجرؤ القروي الكردي على اغتصاب أي شيء يجده في المقبرة • وقد اخبر المؤلف عدة ثقات من الاكراد بأن العشائر الرحالة كانت معتادة على ترك بعض ممتلكاتها في المقابر لدى القيام بهجرتها الربيعية ، وعند عودتها في الخريف تجد حاجياتها في موضعها لم تمسها يد •

وقد يوضح لنا هذا الاحترام العميق للموتى اسباب انتقاء مواضع جميلة للمقابر ، ويفضل ان تظللها الاشجار•وتعلق على اشجار المقابر الرايات والخرق الخضر فلا يجرؤ احد من الاكراد على قطع اخشاب تلك الاشجار•

ولقد نصح شابمان Chapman خبير الغابات السلطات العراقية بتعليق ما أمكنها من رايات وخرق خضر على الاشجار لحمايتها من القطع المفرط •

الاحتفالات العامة :

تشتمل احتفالات الاكراد العامة على استقبال رمضان والاعياد الدينية والمواليد وعيد نوروز • ويستقبل شهر رمضان عادة باقامة دعوات افطار عامة منظمة في جامع القرية ، ويقيمها كل بيت بالدور • وقد يقتصر الامر على التجمع في ميدان القرية بعد الافطار وتبادل الاحاديث ، او الاجتماع في الجامع والاستماع الى تلاوة القرآن الكريم والاحاديث الدينية •

ويتهيأ الاكراد لاستقبال العيدين ، عيد الفطر وعيد الاضحى ، بشراء الملابس الجديدة ، ولا سيما للاطفال ، ويبدأ احتفال العيد منذ الصباح المبكر ، فيتجمع الرجال لاداء صلاة العيد • ومن ثم يشاركون جميعا في تناول افطار العيد • ثم يتلو ذلك زيارة المقابر •

ويكون العيد مناسبة لتنسى الاسرة خلافاتها ولتقوي صلاتها الداخلية والخارجية • ومع أن المفروض ان يستمتع القرويون بعطلة العيد بكليتها ، لكنهم يعودون الى اعمالهم في الحقيقة في اليوم الثاني • ويطوف الاطفال في القرية بثيابهم الجديدة البهيجة الالوان • وقد يقوم الكبار برقصة مشتركة او يجرون سباقاً للخيل ، لكنهم في الغالب يفضلون زيارة اقرب مدينة لينفقوا اجازتهم في مقاهيها المزدحمة •

أما نوروز فهو ليس عيدا بمعنى الكلمة وان كان كثير من الناس يكسبونه هذا الاعتبار ، وقد بدأ يتخذ في الاونة الاخيرة صفة قومية بالاضافة الى صفته الاجتماعية • ويعتقد بعض الكتاب ان هذا العيد ربما كان من بقايا الديانة الزرادشتية • ويحتفل به في ٢١ مارت ، أي عند الانقلاب الربيعي ، وذلك بأعداد طبق خاص من الطعام وباشعال النيران على روابي الجبال

وبجوار البيوت • وفي المناطق الجنوبية والشرقية من لواء السليمانية لا يهتم السكان اهتماماً كبيرا بهذا العيد ولعل ذلك يعود الى بعدهم عن التأثيرالفارسي•

الغناء والفولكلور الكردي :

تعتبر الموسيقى اكثر وسائل التسلية شيوعا لدى الاكراد • وتشتمـــل آلاتها على المزمار والطبل ، وهما من نوع بدائي • وما تزال الموسيقى الشائعة ذات نغمات بسيطة وغير متنوعة •، ويصاحبها احياناً الاغاني والرقص في بعض المناسبات • وهناك رقصة كردية ذات مميزات خاصة تمارس في جميع جهات كردستان • وقد ذكر ويلسون Wilson انها شبيهة الى حد كبير بالرقصـة التي يمارسها سكان البلقان(٦٢) • وتقوم في الاساس على اشتراك عدد كبير من الراقصين حيث يتماسكون بالايدي ويكونون شبه حلقة ، ثم يتحركون في شبه دائرة على انغام الطبل والمزمار • وتنطوي الرقصة على تحريـــك الاقدام في انتظام على وقع الموسيقى • ومع ان هذه الرقصة مصممة في الاصل على اساس مساهمة الجنسين فيها ، لكن ذلك لا يحدث الا في النادر • وتسمى الرقصة المشتركة (رشبلك) • وقد ادى تأثير الملالي الى حصر (الرشبلك) بعدد قليل من العشائر المستقرة •

وتمارس هذه الرقصة في العادة في احتفالات الزواج وفي العيدين وفي عيد نوروز ، وكذلك اثناء بعض النزهات الربيعيـــة • وينبغي ان يرتدي الراقصون افضل ملابسهم • وقد يتبارى الراقصون فيما بينهم ، ثم يقـــوم الفائز بقيادة حلقة الرقص ، فيلوح بمنديل ابيض •

ويتصف الاكراد ايضا بحبهم للطبيعة • وهم يكثرون عادة من النزهات في فصل الربيع لا سيما في ايام الاربعاء والجمعة ، فيغشون الغابات والاماكن

---

67. Wilson, W.C.F., "Northern Iraq and its people" J.R.A.S., 1937, PP. 290-1.

الخلوية وخصوصاً تلك التي تتدفق فيها المياه • ومن المعلوم ان جبال كردستان واوديته تتحول في فصل الربيع الى حديقة غناء حافلة بالسحر والجمال •

ويمارس المقتدرون من الاكراد الصيد ، ويشتمل على صيد الغزال والثعلب والخنازير البرية ، او الطيور المتنوعة ولا سيما القبج •

ويساهم الفولكلور بدرجة كبيرة في التسلية الكردية•ويقول مينورسكي ان المواضيع الرئيسية للحكايات الكردية المستقاة من الفولكلور تمثل مواضيع مشتركة بين شعوب الشرق الادنى (وهي حكايات البطولة والجن والحكايات حول البلهاء) ، كما ويدور الكثير من تلك الحكايات الشعبية حول الحروب العشائرية[68] •

ولقد قسم احد الكتاب الاكراد الحكايات الفولكلورية الكردية الى اصناف معينة وهي حكايات الحب كقصة مم وزين وستي وفخري وسيامهند وشاروبنخشي وهاموك ومتران ، وقصص الحرب مثل موديم وهسبرى رشه وخانهي ليزيزين،والحكايات الدينية مثل كانديري وبولوخسو وجنيج[69] •

وتكشف الحكايات الفولكلورية الكردية عن اعجاب الكردي بالشجاعة وعن مزاجه العاطفي وعن ميوله الدينية •

اما الاغاني الكردية فتنطوي على نفس المميزات المذكورة • وقد اشار الدكتور بدرخان الى شدة ولع الكردي بالاغاني فقال : (نحن نترجم عواطفنا الى اغاني •• ويقوم نساؤنا بانشاد الاغاني فتنتقل من قرية الى اخرى بواسطة المنشدين • ولقد سجل تاريخنا النضالي بجميع مراحله بالاغاني[70] •

وتكشف الاغاني الكردية ايضاً عن ولع شديد بالطبيعة ، ولا سيما بالاودية الخضر والقمم المكللة بالثلوج والاشجار الضخمة والينابيع الجارية•

---

68. Minorisky, "The Incyclopaedia of Islam" P. 1154.

(٦٩) فتاح ، شاكر ، المصدر السابق ص ١١٠

70. Bedr-Khan,K., "Bulletin Mensuel de centre du Kurdes", P. 2.

كتب أخرى للمؤلف

الكتب الادبية :

صراع (مجموعة قصص)	القاهرة ١٩٤٨
عهد جديد (مجموعة قصص)	القاهرة ١٩٥١
حياة قاسية (مجموعة قصص)	بغداد ١٩٥٩
حكايات من بلدتنا (مجموعة قصص)	بيروت ١٩٦٧
بيت الزوجية (مسرحية)	بغداد ١٩٦٢
الغرباء (مسرحية)	القاهرة ١٩٦٥
الشيء (مسرحية)	بيروت ١٩٦٦
الحقد الاسود (قصة طويلة)	بيروت ١٩٦٦
انطون كشيخوف (دراسة وترجمة)	بغداد ١٩٥٤

الكتب العلمية :

الكرد والمسألة الكردية	بغداد ١٩٥٩
جغرافية العراق (مع آخرين)	بغداد ١٩٦١
اعلام الجغرافية الحديثة (ترجمة)	الاسكندرية ١٩٦٤
المدخل في دراسة الجغرافية (ترجمة)	الاسكندرية ١٩٦٤
الارتياد والكشف الجغرافي (ترجمة)	بيروت ١٩٦٦
ابن بطوطة ورحلته	النجف ١٩٧١

كتب مهيأة للطبع :

سكان العراق الشمالي (دراسة في الجغرافية البشرية)

قرن من التطور الجغرافي [من عام ١٨٦٠ ـ ١٩٦٠] (ترجمة)

في الجغرافية العربية

دراسة لاضافات الجغرافية العربية الاسـلامية الى التراث الجغرافي الانساني ٠



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٩٩ لسنة ١٩٧٢
تاريخ انتهاء الطبع ١-١١-١٩٧٢
عدد الطبع ٢٠٠٠ نسخة

الطبعة الاولى

سنة ١٩٧٢

THE KURDS

A GEOGRAPHICAL AND ANTHROPOL - OGICAL STUDY

BY

SHAKIR KHESBAK, B. A., PH. D.

UNIVERSITY OF BAGHDAD

الثمن ينار وربع